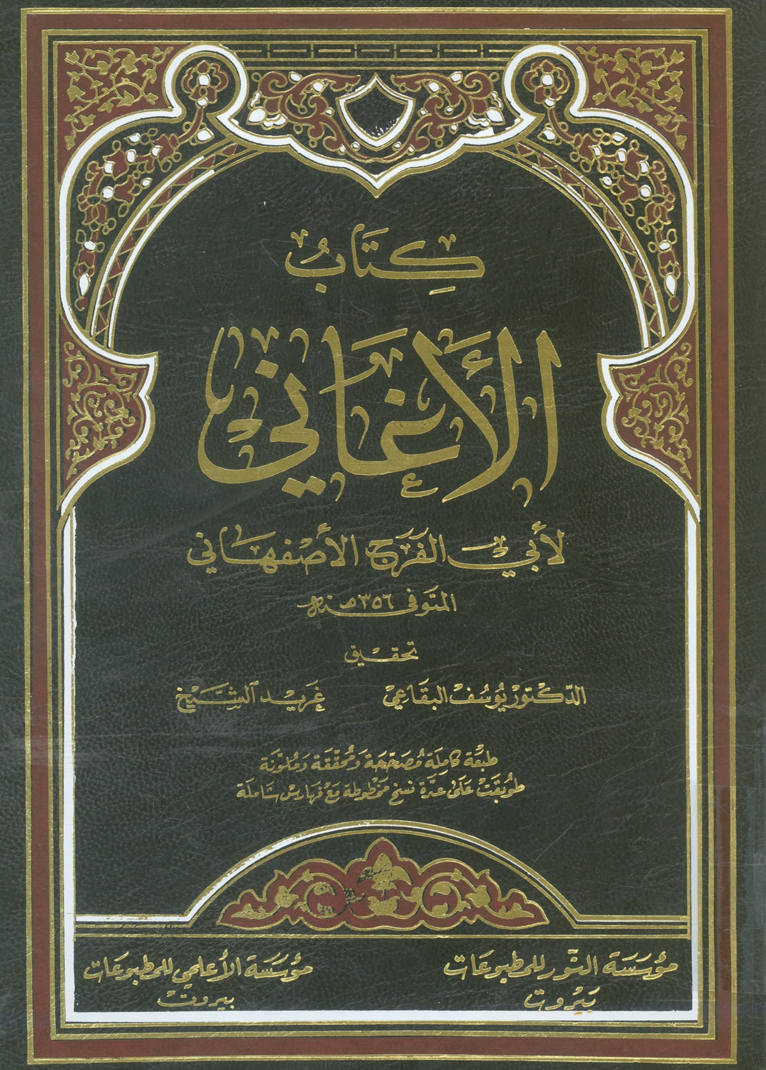

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت



لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي — غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء العشرون

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نسب ابن الخياط وأخباره

[نسبه وأخباره وولاؤه]

هو عبد الله بنُ محمدِ بن سالمِ بنِ يونُس بن سالم. ذكر الزبيرُ بنُ بَكار أنه مولىً لقريش، وذكر غيره أنه مولى لهُذَيل. وهو شاعر ظريف، ماجن خليع، هجّاء خبيث، مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية. وكان منقطعاً إلى آل الزبير بنِ العوام مدّاحاً لهم، وقدم على المهديّ مع عبد الله بن مصعَب فأوصله إليه، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته.

أخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني يونسُ بنُ عبد الله بنِ سالم الخياط قال: دخل أبي على المهدي فمدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم، فقال يمدحه: [الطويل]

أَخَذْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الغِنَى ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فلا أنا منهُ ما أفادَ ذوو الغِنى ... أَفَدْتُ وأعداني فأتْلَفْتُ ما عِنْدِي

قال: فبلغ المهديَّ خبرُه، فأضعف جائزته، وأمر بحملها إليه إلى منزله.

قال الزبير بن بَكّار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هَرْمة.

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخَفّاف قال: حَدَّثنا أحمدُ بن أبي خَيثمة، قال: حَدَّثني مصعَب بنُ عبد الله قال: سمعتُ أبي يقول: لم يبرح هذه الثنِيّةَ قطُّ أحد يَقذف أعراض الناس ويهجوهم، قلت: مثلُ مَن؟ قال: الحزينُ الكنانيّ، والحكَمُ بنُ عِكرمة الدّؤليّ، وعبدُ الله بن يونس الخياط، وابنه يونس، وأبو الشدائد.

[عقوق ابنه يونس]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد قال: حَدَّثنا الزبير بنُ بكّار قال: كان يونُس بن الخياط عاقّاً لأبيه، فقال أبوه فيه: [المنسرح]

يُونُسُ قَلْبِي عَلَيْكَ يَلْتَهِفُ والعَيْنُ عَبْرَى دُموعُها تَكِفُ
تُلْحِفُني كسوةَ العُقوقِ فلا بَرِحْتَ منها ما عِشْتَ تَلْتَحِفُ
أُمِرْتَ بالخفضِ للجناحِ وبالرِّ فْقِ فَأَمْسَى يعُوقكَ الأَنَفُ
وَتِلْكَ واللهِ مِنْ زَبانِيةٍ إِنْ سُلِّطوا في عَذابِهم عَنُفُوا

فأجابه ابنُه يونس، فقال: [المنسرح]

أَصْبَحَ شَيْخي يُزرِي به الخَرَفُ ما إن لَهُ حُرْمَةٌ ولا نَصَفُ
صِفاتنا في العُقوقِ واحِدَةٌ ما خِلْتُنا في العُقوقِ نَخْتَلِفُ
لَحَفْتَهُ سالِفاً أباكَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ مني كذاك تَلْتَحِفُ

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ وَكيعٌ قال: حَدَّثني طلحةُ بنُ عبد الله قال: حدثني أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيل بن داود قال: مرّ ابن الخياط بدارِ رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضّعة وخساسة الحال، وقد شيّد بابها وطَرْمح[1] بناءها، فقال:

أَطِلْهُ فما طُولُ البِناءِ بِنافِعٍ إذا كان فرعُ الوالدَيْنِ قَصِيرا

أخبرني وَكيعٌ قال: أخبرني إبراهيم بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيم بنِ صالح قال: أخبرني العامريّ قال: هجا ابن الخياط موسى بنَ طلحةَ بنِ بلال التيميّ، فقال:

[الخفيف]

عجبَ النّاسُ لِلعجيبِ المُحالِ حاضَ موسى بنُ طَلْحَةَ بنِ بلالِ
زَعَموهُ يَحِيضُ في كُلِّ شَهْرٍ ويَرَى صُفرةً لِكُلِّ هِلالِ

قال: فلقيه موسى، فقال: يا هذا، وأيّ شيء عليك؟ نَعم حضتُ، وحملتُ وولدتُ وأرضعتُ. فقال له ابن الخياط: أَنشُدك الله ألاّ يسمعَ هذا منك أحد فيجترىء على شعري الناس، فلا يكون شيئاً، ولن يبلغَك عني ما تكره بعد هذا، فتكافًا.

---

(١) طَرْمَحَ: طوّلَ.

أخبرني الحرَميّ قال: حَدَّثني الزبير قال: حَدَّثني مصعَب بن عثمان قال: ما رأيت بريق صَلَع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القُتَيلية جاريةِ إبراهيم بن أبي قُتَيلة، وكان يعشقها، وبيعت في دين عليه، فبلغت خمسمائة دينار. فقال المغيرة بنُ عبد الله لابن أبي قُتَيلة: ويحك! أعتقها فتُقوَّمَ عليك، فَتَتزوّجها، ففعل. فرُفع ذلك إلى أبي عمران ـ وهو القاضي يومئذٍ ـ فقال: أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة. أما نحن فقد عرفنا أنْ قد بلغت خمسمائة دينار، فاذهبوا فقوّموها، فإن بلغت القيمةُ أكثر من هذا ألزمناه، وإلا فخذوا منه خمسمائة دينار فاستُحسِن هذا الرأي، ولَيْس عليه الناس قَبْلَنا. فقال ابنُ الخياط يذكر ذلك من أمر ابن أبي قُتَيلة وما كان من أمر جاريته: [السريع]

يَا مَعْشَرَ العُشّاق مَنْ لَمْ يَكُن ... مِثْلَ القُتَيْليِّ فلا يَعْشَقِ
لما رَأى السُّوّامَ قَدْ أحْدَقُوا ... وَصِيحَ في المَغْرب والمَشْرِقِ
واجْتَمَعَ النَّاسُ على دُرَّةٍ ... نَظيرُها في الخَلْقِ لَمْ يُخلَقِ
وأبْدَتِ الأمْوالُ أعْناقَها ... وطاحَتِ العُسْرَةُ لِلْمُمْلِقِ[1]
قَلَّبَ فِيهِ الرأْيَ في نَفْسِهِ ... يُدِيرُ ما يَأتِي وما يَتَّقي
أعْتَقَها والنَّفْسُ في شِدْقِها ... لِلْمُعْتَقِ المَنُّ على المُعْتِقِ
وقالَ لِلحاكِمِ في أمْرِها ... إن افْتَرَقْنا فَمَتَى نَلْتَقي؟

وأخبرني بهذا الخبر وكيعٌ قال: قال الزبَير بن بَكّار، وذكر مثلَ ما ذكره الحرميُّ، وزاد فيه: فكان فيهم ـ يعني فيمن حضر ـ لابتياعها موسى بنُ جعفرِ بنِ محمدٍ ومحمد بنِ زيدِ بنِ عليّ، والقاسمُ بنُ إسحاق بنِ عبد الله بنِ جعفرٍ، وغيرُهم. قال: فرأيتهم قياماً في الشمس يتزايدون فيها. وقال في خبره: ابن أبي قُتيلة بالتاء.

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزبيرُ بنُ بَكّار قال: حَدَّثني يونُس بنُ عبد الله بنِ سالم الخياط قال: كنت ذات عشية في مسجد رسول الله ﷺ وقت العصر في أيام الحاج، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطَّعات[2] خزّ، وإذا معه جماعة. فوقف إلى جنبي فصلّى ركعتين، ثم أقبل عليّ ـ وكان ذلك من أسباب

(١) المُمْلِق: الذي أنفق ماله حتى افتقر.
(٢) المُقَطَّعات: القِصَار من الثياب.

قال: امض بنا إليه، فمضيت به، فاستخرجت له أبي من منزله، فقال الرجل: بلغني أنَّك قلت شعراً في أمر العَصَبية، فقال له أبي: ومن أنت بأبي أنت وأُمي؟ فقال: أنا خزيم بن أبي الهَيْذام، فقال له أبي: نعم قد قلته، وأنشده: [الخفيف]

اسْقِيانـي مِنْ صِرْفِ هـذي الـمُدام ودعـانـي وَأَقْـصِـرا مِـنْ مـلامـي
واشْـرَبـا حَيْـثُ شِئْـتُـمـا إِنَّ قَيْـسـاً قـد عـلا عِـزُّهـا فـروعَ الأنـام
لَـيْـسَ والله بـالـشَّـآم يَـمـانٍ فـيـه رُوحٌ ولا بِـغَـيْـرِ الـشَّـآ
مَ يَطْعَمُ النَّوْمَ حِينَ تَكْتَحِلُ الأَعْيُـ نُ بِـالـنَّـوْمِ عِـنْـدَ وَقْـتِ الـمَـنـامِ
حَـذراً مِـنْ سُـيـوفِ ضِـرْغـامَـةٍ عـا دِ عـلـى الـهَـوْلِ بـاسِـلٍ مِـقْـدامِ
مِـنْ بَـنـي مُـرَّةَ الأطـايِـبِ يـكْـنـى عِـنْـدَ دَسـرِ الـرِّمـاحِ بـالـهَـيْـذامِ(١)

قال: فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزّاه خيراً. قال يونس: فبادرتُ فأخذت بيد المُرّي وقلت له: لا تَعجَل فإني قد قلت شعراً أجود من شعره. قال أبي: ويلك يا يونس يا عاضَّ بَظْر أُمه! تحرمني؟ فقلت: دع هذا عنك، فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك، فقلت ليونس: ومَن كانت امرأةَ أبيك يومئذٍ؟ فقال: أُمي، وجمعت والله عقوقهما. فقال لي المُرّيّ: أنشد فأنشدته: [الخفيف]

اسْقِيانـي يـا صـاحِبَيَّ اسْقِيانـي ودعـانـي مِـنَ الـمُـلام دعـانـي
اسْـقِـيـانـي هُـديـتـمـا مِـنْ كُـمَـيْـتٍ بِنْتِ عَشْرٍ مُشْمولَةٍ اسْقِيانـي(٢)
فُـضَّ عَـنْـهـا خِـتـامُـهـا إِذْ سَـبـاهـا واضِـحُ الـخَـدِّ مِـنْ بَـنـي عَـدْنـانِ(٣)
نَـتَـحـايـا بـالـكـأسِ أَرْبَـعَـة فـي الـدّ ورِ هــذان نــاعــمــانِ وذانِ
ذا لـهـذا رَيـحـانـةٌ مِـثْـلُ هـذا ك لـهـذا مِـنْ طَـيِّـبِ الـرَّيْـحـانِ
فَـنَـهَـضْـنـا لِـمَـوْعِـدٍ كـانَ مـنـا إِذْ سَـمِـعْـنـا تَـجـاوُبَ الـبُـكْـمـانِ
فَـنَـعِـمْـنـا حَـوْلَـيْـنِ بَـهْـراً وَعِـشْـنـا بَـيْـنَ دُفٍّ ومُـسْـمِـعٍ ودِنـانِ
ثُـمَّ هِـجـنـا لِـلْـحـربِ إِذْ شَـبَّـتِ الـحَـرْ بُ فـفـزنـا فـيـهـا بِـسَـبْـقِ الـرِّهـانِ
إِنْ قَـيْـسـاً فـي كُـلِّ شَـرْقٍ وَغَـرْبٍ خـارِجٌ سَـهْـمُـهـا عـلى الـسُّـهـمـانِ
مَـنَـعَ الله ضَـيْـمَـنـا بـأَبـي الـهَـيْـ ـذامِ حِـلْـفِ الـسَّـمـاحِ والإِحـسـانِ

(١) دسر: طعن.
(٢) الكُميت: من أسماء الخمر.
(٣) الخِتام: الطين. أو كل ما يختم به على الشيء. وسبى الخمر: حملها من بلد إلى بلد. ولعل المراد هنا سبأها فخفف الهمزة، ومعنى سبأها: اشتراها ليشربها.

مَنَعَ اللهُ ضَيْمَنا بأَبي الهَيْـ ـذام حِلْفِ السَّماحِ والإحسانِ
واليَمانُونَ يَفْخَرونَ أما يَدْ رونَ أَنَّ النَّبِيَّ غَيْرُ يَمانِ

قال: فقال الفتى لأبي: قد وجب علينا من حقه مثلُ ما وجب علينا مِن حقك يا شيخ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي، وقسم الدنانير بيننا، وكانت خمسين ديناراً.

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ موسى بنِ حماد قال: حَدَّثني الزبير قال: مرَّ رجل بيونُس بنِ عبد الله بن الخياطِ وهو يعصِر حَلْق أبيه ـ وكان عاقاً به ـ فقال له: ويلك أتفعل هذا بأبيك؟ وخلّصه من يده، ثم أقبل على الأب يُعزّيه ويسكّن منه، فقال له الأب: يا أخي لا تَلُمه، واعلم أنه ابني حقاً. والله لقد خنقتُ أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه. فانصرف عنه الرجل وهو يضحك.

[يشكو حاله إلى محمد بن سعيد]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عمار قال: حَدَّثني عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمان النّوفليّ عن عمه عيسى قال: شكا عبد الله بن يونس الخياط إلى محمدِ بنِ سعيدِ بن المغيرة بن نَوْفَلِ بنِ الحارثِ بنِ عبد المطلب حاله وضيقاً قد ناله، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر، فقال يمدحه: [السريع]

يا بنَ سَعِيدٍ يا عَقِيدَ النَّدى يا بارِعَ الفَضْلِ على المُفضِلِ
حَلَلْتَ في الذِّرْوَةِ مِنْ هاشِمٍ وفي يَفاعٍ مِنْ بَني نَوْفَلِ
فَطابَ في الفَرْعَيْنِ هذا وذا ما اعْتَمَّ مِنْ مَنْصِبكَ الأطْولِ
قَدْ قُلْتُ لِلدَّهْرِ وقد نالني بالنَّابِ والمِخْلَبِ والكَلْكَلِ(١)
قد عُذْتُ مِنْ ضُرِّكَ مُسْتَعْصِماً بِهاشِمِيٍّ ماجِدٍ نَوْفَلي(٢)
فَقالَ لي أَهْلاً وَسَهْلاً معاً فُزْتَ وَلَمْ يَمْنَعْ وَلَمْ يَبْخَلِ
الدَّهْرُ شِقّانِ فَشِقٌّ له لِينٌ وشِقٌّ خَشِنُ المَنْزِلِ
وَأَخْشَنَ الشِّقَّيْنِ عنِّي نَفَى وشِقُّهُ الأَلْيَنُ ما عاشَ لي
فقل لِهذا الدَّهْرِ ما عاشَ لا تُبْقِ ولا تَرْعَ ولا تَأْتَلي

---

(١) الكلْكَل: الصدر.
(٢) عذتَ به: لجأت إليه واعتصمت به.

الحجاز ـ عبد الله بن يونس الخَيَّاط بأن يصلي الصلوات الخمسَ مع الجماعة في مسجد رسول اللهﷺ، فجاءني هو ومحمدُ بنُ الضحاك وجعفرُ بن الحسَين اللّهبيّ، فوقف بين يديّ، ثم أنشدني: [الرجز]

قُـلْ لـلأمـيـرِ يـا كـريـمَ الـجِـنْـسِ ... يـا خَيْرَ مَنْ بـالـغَـوْرِ أو بـالـجَـلْـسِ[1]
وعُـــدّتـــي لـــولـــدي ونـــفـــســـي ... شَـغَـلْـتَـني بـالـصَّـلـواتِ الـخَـمْـسِ

فقلت له: ويلك! أتريد أن أستعفيه لك من الصلاة؟ والله ما يعفيك، وإن ذلك ليبعثه على اللَّجاج في أمرك، ثم يضرك عنده. فمضى وقال: نَصبر إذن حتى يُفرج الله تعالى.

أخبرني محمدٌ قال: حدثنا الزبيرَ بنُ بكّار قال: حدثنا يونُسُ بن الخياط قال: كان لأبي صديق، وكان يدعوه ليشرب معه، فإذا سكِر خلع عليه قميصه، فإذا صحا من غد بعث إليه فأخذه منه فقال أبي فيه: [الطويل]

كُساني قَـمِـيصـاً مَرَّتَيْنِ إذا انْـتَشَى ... وَيَـنْـزِعُـهُ مـنـي إذا كـان صـاحـيـا
فَلِـي فَـرحـةٌ فـي سُكْـرِهِ بِـقَـمِـيـصِـهِ ... وَرَوْعاته في الصَّحْوِ حَصَّت شَواتيا[2]
فيا ليت حَظّي مِنْ سُرورِي وَرَوْعَتي ... تَـكُـونُ كَـفـافـاً لا عَـلَـيَّ ولا لِـيـا

أخبرنا وكيعٌ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعودٍ الزُّرَقيُّ قال: قال يُونُسُ بنُ عبدِ الله الخَيَّاط لأبيه، وكان عاقّاً به: [مجزوء الرجز]

مـــا زال بـــي مـــا زال بـــي ... طَـــعْـــنُ أبـــي فـــي الـــنَّـــسَـــبِ
حـــتـــى تَـــريَّـــبْـــتُ وحـــتـــ ... ـى ســـاءَ ظَـــنِّـــي بـــأبـــي

قال: ونشأ ليونُسَ ابنٌ يقال له: دحيم، فكان أعق الناس به، فقال يونس فيه: [البسيط]

جـلا دُحَـيْـم عَـمـايـة الـرِّيَـبِ ... والشَّكَّ مني والطَّعْن في النَّسَبِ[3]
مـا زال بـي الـظَّنُّ والـتَّـشَـكُّـكُ حـتـ ... ـى عـقَّـنـي مِـثْـلَ مـا عَـقَـقْـتُ أبـي

(١) الجَلْسُ: علم لكل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد. (معجم البلدان ٢/ ١٥٢). والجَلْسُ أيضاً: الغليظ من الأرض.
(٢) الحصّ: حلق الشعر. والشواة: جلدة الرأس.
(٣) العماية: الغواية.

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدثني يونُسُ بنُ الخيّاط قال: أنشدتُ سعيدَ بن عمرو الزبيريّ: [الكامل]

لـو فـاحَ رِيـحُ حَـبِـيـبـةٍ مِـنْ جِـبِّـهـا فـاحَـتْ رِيـاحُ حـبـيـبـتـي مِـنْ ريـحـي

قال: فقال لي سعيد بن عمرو: والله إني لأقول النسيب، فلا أقدر على مثل هذا. فقلت له: ومن أين تقدر عَلَى مثل هذا يا أبا عثمان؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك.

أخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزُّبَير قال: حدثني يونُس بنُ الخَيَّاط قال: لما أَعطى المهدي المغيرةَ بنَ حبيب ألف فَريضة يضعها حيث شَاء جَاءه أبي عبد الله بنُ سالم، وقَال له: [الكامل]

أَلِـفٌ تَـدُورُ عـلـى يـدٍ لِـمُـمَـدَّحٍ مـا سُـوقُ مـادِحِـه لَـدَيْـهِ بـكـاسِـدِ
الـظَّـنُّ مـنـي لـو فَـرَضْـتَ لِـواحِـدٍ في الأعْجَمين خَصَصْتَني بالواحِدِ

قال: فقال له المغيرة: أيهما أحب إليك: أأفرض لك أم لابنك يونس؟ فقَال له: أنَا شيخ كبير، هَامةُ اليوم أو غدٍ[1]، افرِض لابني يونُسَ، ففرض لي في خمسين دينَاراً، فلما خرجت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدَي بَكار بن عبد الله قال لي خليفتُه وخَليفة أيوبَ بن أبي سمير ـ وهما يعرضَان أهل ديوان العطَاء ـ: أنت من هُذَيلٍ ونراك قد صِرْتَ من آل الزبير فنَرُدُّكَ إلى فرائض هُذيلٍ خمسةَ عشرَ دينَاراً. فقال لهما بَكار: إنما جُعلتما لتتَّبعَا ولا تبتدعَا، أمضيَاه، فأعطيَاني مائة وخمسين دينَاراً.

أخبرني محمدُ بنُ خَلفٍ وكيعٌ قَال: حدثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود الزُّرَقيّ قَال: حدثنا ابنُ أبي قَبَاحة الزهريّ قال: لما عُزل ابنُ عِمران ـ وهو عبد الله بنُ محمدِ بنِ عِمرانَ التيميُّ ـ عن القضاء، واستُعمل هشامُ بنُ عبد الله بن عِكرمة المخزوميُّ، جزع ابنُ عِمران من ذلك، فقال بعض أصحابه ليونُسَ بنِ عبد الله الخَياطِ: اهجُ هشاماً بما يغضّ منه، فقال: [مجزوء الرمل]

كَـمْ تَـغَـنَّـى لـي هـشـامٌ ذلـك الـجِـلْـفُ الـطَّـويـلُ
بـعـد وهْـنٍ وهـو فـي الـمَـجْـ لِـسِ سَـكْـرانُ يَـمـيـلُ

(١) هامة اليوم أو غدٍ: يموت اليوم أو غداً.

هَلْ إلى نارِ بِسَلْعٍ آخِرَ الدَّهْرِ سَبِيلُ[١]
قُلْتُ لِلنَّدمانِ لما دارَتِ الرَّاحُ الشَّمولُ
بأبي مالَ هِشامٌ فكما مالَ فَمِيلوا

قال: وَشَهَرَها في الناس، وبلغ ذلك هشاماً فقال: لعنه الله؛ إنْ كان لكاذباً. فقال ابن أبي قَباحة، فقلتُ لابن الخَياط: كذبت، أما والله إنه لأمرٌ من ذلك.

[يونس يطعن في نسبه]

أخبرنا وَكيعٌ قال: حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود قال: قال يونُسُ بنُ عبد الله بن الخَيّاط: جئت يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده أصحَاب له؛ فوقفت عليهم لأغيظه، وقلت: ألا أُنشِدكم شعراً قلته بالأمس؟ قالوا: بلى، فأنشدتهم: [البسيط]

يا سائِلي مَنْ أَنَا أو مَنْ يُناسِبُني أنا الَّذِي ما لَهُ أَصْلٌ ولا نَسَبُ
الكلْبُ يَخْتالُ فَخْراً حِينَ يُبْصِرني والكَلْبُ أكْرَمُ مني حِينَ يَنْتَسِبُ
لو قالَ لي النَّاسُ طُرّاً أنت ألأمنا ما وَهِمَ النَّاسُ في ذاكمْ ولا كَذَبُوا

قال: فوثب إليَّ ليضربني، وعدَوت من بين يديه، فجعل يشتِمني وأصحابه يضحكون.

[مالك بن أنس يجلد يونس الخياط الحدّ في المسكر]

أخبرني وكيعٌ قال: حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود: أن مالكَ بنَ أنَس[٢] جَلد يونُسَ بنَ عبد الله بنِ سالم الخَيَّاطِ حدّاً في الشراب. قال: وولي ابن سعيد القضاء بالمدينة، فقال يونُس فيه: [مجزوء الرجز]

بَكَّتَنِيَ النَّاسُ لأنْ جُلِدتُ وسْطَ الرَّحْبَهْ[٣]
وأنَّني أزْني وقدْ غَنَّيْتُ في المجتَسِبَهْ
أغْزِفُ فِيهِم بعصا مالِكِ المُقْتَضَبَهْ

(١) سَلْعٌ: جبل بسوق المدينة، وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٣/ ٢٣٦).

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله. إمام دار الهجرة. وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة (توفي سنة ١٧٩ هـ) وترجمته في: (تهذيب التهذيب ١٠/ ٥).

(٣) الرحبة: علم على عدة مواضع. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٣. والأصل في الرحبة: الفضاء بين أفنية البيوت.

فَـقُـلْـتُ لـمـا أكْـثَـرُوا عَـلَـيَّ فِـيـمَ الـجَـلَـبَـهْ؟
ذا ابـن سـعـيـد قَـدْ قَـضَـى وحـالـنـا مُـقْـتَـرِبَـهْ
لا بَـلْ لَـهُ الـتَّـفْـضِـيـلُ فِـيـ ـمـا لَـمْ أَنَـلْ والـغَـلَـبَـهْ
بِـحُـسْـنِ صَـوْتٍ مُـطْـرِبٍ وَزَوْجَـةٍ مُـغْـتَـصَـبَـهْ

أخبرني الحرميُّ بنُ أبي العلاء وَوَكيعٌ، قال الحرميُّ: قال الزبير، وقال وكيعٌ: قال الزبير بنُ بكار: أرسل إليّ ابنُ الخَيَّاط يقول: إني عليل منذ كذا وكذا، ومنزلي على طريقك إذا صدرتَ إلى الثّنية، وأنا أُحب أن أُجدِّد بك عهداً، قال: فجعلته على طريقي، فوجدته على فُرُش مُضَرَّبة[1]، وحوله وسائد، وهو مسَجًّى، فكشف ابنه الثوب عن وجهه، وقَال له: فدَيتُك، هذا أبو عبد الله. فَقال له: أجلسني، فأَجلَسه، وأسنده إلى صدره، فجعل يقول بنفَس منقطع: بأَبي أنت وأمي! أموت منذ بضعَ عشرةَ ليلة ما دخل عليّ قُرَشيٌّ غيرك، وغير الزبير بنِ هِشَام، وإبراهيمَ بنِ المنذر، ومحمدِ بن عبد الله البكريّ، ولا والله ما أعلم أحداً أحبّ قريشاً كحبّي. قال زبير: وذكر رجلاً كان بيني وبينه خلافٌ فقال: لو كنت شَابّاً لفعلت بأُمه كذا وكذا، لا يكني، ثم قال: [السريع]

والله لَـوْ عـادَتْ بَـنـي مُـصْـعَـبٍ حـلِـيـلَـتـي قُـلْـتُ لَـهـا: بِـيـنِـي
أو ولَـدي عَـنْ حُـبِّـهـم قَـصَّـروا ضَـغَـطْـتُـهـمْ بـالـرَّغْـم والـهُـونِ
أو نَـظَـرَتْ عَـيْـنـي خِـلافـاً لَـهُـمْ فَـقَـأْتُـهـا عَـمْـداً بِـسِـكِّـيـنِ

ثم أقبل على ابنه، فقَال: يا بنيّ أقول لك في أبي عبد الله مَا قال ابن هَرْمة لابنه في الحسن بن زيد: [البسيط]

الله جـارُ عُـتَـيٍّ دعـوةٌ شَـفَـقَـا مِـنَ الـزَّمَـانِ وَشَـرِّ الأَقْـرَبِ الـوالـي
مِـنْ كُـلّ أحـيـدَ عـنـه لا يُـقـرِّبُـهُ وسْطَ النَّجِيِّ ولا في المَجْلِسِ الخالي[2]

قال الزبير: حدثني محمدُ بنُ عبد الله البكريّ: أنه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه، قال: فقال لي: يا أبا عبد الله، أنا أجود بنفْسي منذ كذا وكذا ولا تخرج، ما هكذا كانت نفْس عَبِيد ولا لَبِيد ولا الحطيئة، ما هي إلا نفس كلب؛

---

(١) مضرّبة: فرش ذات طاقين بينهما قطن.
(٢) النَّجيّ: المتناجون.

قال: فخرجتُ فما أبعدت حتى سمعت الواعية[1] عليه.

صوت

[مجزوء الرمل]

بِـأَبِـي مـا لَـكَ عـنّـي مـائِـلَ الـطَّـرْفِ كَـلـيـلا!
وَأَرَى بِـرَّكَ نَـزْراً وتَـحَـفّـيـكَ قَـلِـيـلا
وتُـسَـمِّـيـنـي عَـدُوّاً وَأُسَـمِّـيـكَ خَـلِـيـلا
أَتَـعَـلَّـمْـتَ سـلُـوّاً أَمْ تَـبَـدلْـتَ بَـدِيـلا؟
أَحْـمَـدُ الله فـمـا أَغْـنَـى الـرَّجـا فِـيـكَ فَـتـيـلا

الشعر لعليّ بن جَبَلة، والغناء لزُرزُور غلامِ المارقي، خفيفُ رملٍ بالبنصر من روايتي الهشامي وعبد الله بن موسى. وفيه لعَرِيبَ هزَج، وفيه ثقيلٌ أولُ من جَيّد الغناء ينسب إليها وإلى عَلُّويه، وهو بغنائها أشبه منه بغناء عَلّويه.

(١) الواعية: الصراخ على الميت.

أخبار عليّ بن جبلة

[١٦٠ ـ ٢١٣ هـ ـ ٧٧٧ ـ ٨٢٨ م]

[اسمه وكنيته ولقبه وبعض صفاته]

هو عليُّ بن جَبَلَة بنِ عبد الله الأبناويّ، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعَكَوَّك، من أبناء الشيعة الخُراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحَرْبيّة من الجانب الغربيّ. وكان ضريراً، فذكر عطاءُ الملطِ أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريراً، وزعم أهله أنه عمِي بعد أن نشأ.

[شعره وبعض أخباره]

وهو شاعر مطبوع، عذْب اللفظ جزله، لطيف المعاني، مدّاح حسن التصرف. واستنفَد شعرَه في مدح أبي دُلَف القاسِم بنِ عيسى العِجْلي، وأبي غانم حُمَيدِ بن عبد الحميد الطُّوسيّ[(١)]، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلف خاصة حتى فضّل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحد في ذلك. فيقال: إن المأمون طلبه حتى ظفر به، فسَلَّ لسانه من قفاه، ويقال: بل هرب، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه؛ وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ.

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفيُّ قال: حدثني الحسين بنُ عبد الله بنِ جَبَلة بنِ عليِّ بنِ جَبَلة قال: كان لجدّي أولاد، وَكان عليّ أصغرهم، وكان الشيخ يرِقّ عليه، فجُدِر فذهبتْ إحدى عينه في الجُدَريّ، ثم نشأ فأُسلِم في الكتّاب، فحذَق بعض ما يَحذِقه الصبيان، فحُمل على دابَّة ونُثِر عليه اللَّوْز، فوقعت

---

(١) حميد الطوسي من كبار قواد المأمون العباسي، كان جباراً، فيه قوة وبطش وكان المأمون يندبه للمهمات. توفي سنة ١٥٩ هـ (تهذيب ابن عساكر ٤/ ٤٦٢).

على عينه الصحيحة لَوزة فذهبت، فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق من السلطان، فإن أعنتموني على هَذا الصبيّ، وإلا صرفْتُ بعض أرزاقكم إليه. فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب. قال: فكنا نأتي به مجالسَ العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحَول حتى برع، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبغويّ[١] وكان ذكياً مطبوعاً، فقال الشعر، وبلغه أن الناس يقصدون أبا دُلَف لجُوده وما كان يُعطِي الشعراء، فقصده ـ وكان يسمَّى العَكَوّك ـ فامتدحه بقصيدته التي أولها: [المديد]

ذاد وِرْدَ الغَيِّ عَنْ صَدَرِهْ ... وارْعَوَى واللَّهْوُ مِنْ وَطَرِهْ

يقول فيها في مدحه: [المديد]

يا دَواءَ الأَرْضِ إنْ فَسَدَتْ ... ومُديلَ اليُسْرِ مِنْ عُسُرِهْ
كُلُّ مَنْ في الأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ ... بَيْنَ بادِيهِ إلى حَضَرِهْ
مُسْتَعيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً ... يَكْتَسِيها يَوْمَ مُفْتَخَرِهْ
إنَّما الدُّنْيا أبو دُلَفٍ ... بَيْنَ مَبْداهُ وَمُحْتَضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنْيا على أَثَرِهْ

فلما وصل إلى أبي دُلَف ـ وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه ـ استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قد اتهموك، وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيها الأمير، إن المحنة تزيل هذا، قال: صدقْتَ، فامتحنوه. فقالوا له: صِف فرس الأمير، وقد أجّلناك ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول، فجعلوا معه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي: [الرجز]

رِيعَتْ لِمَنْشُورٍ على مَفرقهِ ... ذَمَّ لها عَهْد الصِّبا حِينَ انْتَسَبْ
أَهْدابُ شَيْبٍ جُدُدٌ في رأسِهِ ... مَكْروهةُ الجِدَّةِ أَنْضاء العُقَبْ[٢]
أَشْرَقْنَ في أَسْوَدَ أَزْرَيْنَ بِهِ ... كانَ دُجاهُ لِهَوَى البِيضِ سَبَبْ
واعتقن أَيَّامَ الغواني والصِّبا ... عَنْ مَيِّتٍ مطْلَبُهُ حَيُّ الأدبْ
لم يزدجِرْ مُرْعَوياً حِينَ ارْعَوَى ... لكنْ يدٌ لَمْ تَتَصِلْ بِمُطَّلب

---

(١) البغوي: لعل المقصود به: المنسوب إلى بغ أو بغشور، والنسبة إليها بغوي. وهي بلدة بين هراة ومرو الروذ. (انظر معجم البلدان ١/ ٤٦٧).

(٢) العُقَب: جمع عقبة، وهي: النوبة.

لـم أرَ كـالـشَّـيْـبِ وقـاراً يُـجـتَـوَى وكـالشَّـبـابِ الـغَـضِّ ظِـلاًّ يُـسْتَـلَبْ(١)
فـنـازلٌ لـم يُـبْـتَـهـجْ بِـقُـربِـهِ وذاهِـبٌ أبْـقَـى جَـوًى حِـيـنَ ذَهَـبْ
كـان الـشَّـبـابُ لِـمَّـةً أزهَـى بـهـا وصـاحِـبـاً حُـرّاً عـزيـزَ الـمُـصْـطَـحَـبْ
إذْ أنـا أَجْـرِي سـادِراً فـي غـيِّـهِ لا أعـتـبُ الـدَّهـرَ إذا الـدَّهْـرُ عَـتَـبْ
أبْـعِـدُ شَـأْوَ الـلَّـهْـوِ فـي إجْـرائِـهِ وَأقْـصِـدُ الـخَـوْدَ وراءَ الـمُـحْـتَـجَـبْ(٢)
وأذعَـرُ الـرَّبْـرَبَ عَـنْ أطْـفـالِـهِ بِـأعـوجـيٍّ دُلَـفِـيِّ الـمُـنْـتَـسَـبْ(٣)
تَـحْـسَـبُـهُ مِـنْ مَـرَحِ الـعِـزِّ بـه مُـسْـتَـنْـفَـراً بـروعـةٍ أو مُـلْـتَـهِـبْ
مُـرتَـهِـجٌ يـرتَـجُّ مِـنْ أقْـطـارِهِ كـالـماءِ جـالَـتْ فيه رِيحٌ فـاضْطَرَبْ(٤)
تَـحْـسَـبُـهُ أُقـعـدَ فـي اسْـتِـقْـبـالِـهِ حَـتَّـى إذا اسـتَـدْبَـرْتَـهُ قُـلْـتَ أكَـبْ
وهْـو عـلـى إرْهـاقِـهِ وطـيِّـهِ يَـقْـصُـرُ عَـنْـهُ الـمِـحـزَمـانُ والـلَّـبَـبْ(٥)
تَـقـولُ فـيـه حَـنَـبٌ إذا انْـثَـنَـى وهـو كَـمَـتْـنِ الـقِـدحِ مـا فـيـه حَـنَـبْ(٦)
يَـخْـطُـو عـلـى عُـوجٍ تَـنـاهَـبْـنَ الـثَّـرَى لَـمْ يَـتَـواكَـلْ عَـنْ شَـظًـى ولا عَـصَـبْ(٧)
تَـحـسِـبـهـا نـاتِـئـةً إذا خـطـت كـأنَّـهـا واطِـئـةٌ عـلـى الـرُّكَـبْ
شَـتَّـا وقـاظ بُـرْهَـتَـيْـهِ عـنـدنـا لَـمْ يُـؤْتَ مِـنْ بِـرٍّ بـه ولا حَـدَبْ
يُـصَـانُ عـصـرَيْ حـرِّهِ وقُـرِّهِ وتُـقْـصَـرُ الـخُـورُ عـلـيـه بـالـحَـلَـبْ(٨)
حـتـى إذا تَـمَّـتْ لـه أعْـضـاؤُهُ لَـمْ تَـنْـحَـبِـسْ واحِـدَةٌ عـلـى عَـتَـبْ(٩)
رُمْـنـا بـه الـصَّـيْـدَ فـرادَيـنـا بـه أوابِـدَ الـوَحْـشِ فَـأجْـدَى واكْـتَـسَـبْ(١٠)
مُـجَـذّمُ الـجَـرْيِ يُـبـاري ظِـلَّـهُ ويُـعرِقُ الأحْـقَـبَ فـي شَـوْطِ الـخَـبَـبْ(١١)

(١) يُجتَوى: يُكره، يبغض. واجتوى البلد: كره المقام به.
(٢) الخَوْدُ: الجارية الناعمة.
(٣) أعوجيّ: منسوب إلى أعوج. وهو فرس لبني هلال. والربرب: القطيع من البقر الوحش.
(٤) مرتهج: يثير الغبار.
(٥) المحزم: الحزام. اللَّبَبُ: ما يشد من سيور السرج على صدر الدابّة ليمنع استئخار السرج.
(٦) الحَنب: احديداب في صلب الفرس.
(٧) الشظى: انشقاق العصب.
(٨) الخُور: جمع خيرة: وهي الخيرة من الإبل. والحَلَبُ: اللبن.
(٩) العَتَبُ: الظلع، والمشي على ثلاث قوائم من العقر.
(١٠) رادينا: طلبنا مسابقين. وأوابد الوحش: المتوحشة من الوحوش، وأراد السريعة القوية.
(١١) مُجذمّ الجري: سريع. والأحقب: حمار الوحش الذي في بطنه أو خصره بياض. والخَبَبُ: نوع من العدو السريع.

إذا تَـظَـنَّـيْـنـا بِـهِ صَـدَقَـنـا وإن تَظَنَّى فَوْتَهُ العَيْرُ كَذَبْ[١]
لا يَـبْـلُـغُ الـجُـهْـدَ بـه راكِـبُـهُ ويَبْلُغُ الرِّيحَ به حَيْثُ طَلَبْ
ثُـمَّ انْـقَـضَـى ذاك كـأنْ لَـمْ يَـعـنِـهِ وَكُلٌّ بـقـيـا فـإلـى يَـوْم عَـطَـبْ
وخـلَـفَ الـدَّهْـرُ عـلـى أبْـنـائِـهِ بالقَدْحِ فيهم وارْتِجاع ما وَهَبْ[٢]
فحَمِّلِ الدَّهْرَ ابن عيسى قاسماً يَنْهضْ به أبْلجُ فرَّاجُ الكُرَبْ
كَرَوْنَقِ السَّيْفِ انبلاجاً بالنَّدى وكغِرارَيه على أهْلِ الرِّيَبْ
ما وسِنَتْ عَيْنٌ رَأتْ طلعَتَهُ فاسْتَيقَظَتْ بنَوْبةٍ مِنَ النُّوَبْ
لولا ابنُ عيسى القَرْمُ كنّا هَمَلاً لم يُؤْتَثَلْ مَجْدٌ ولم يُرْعَ حَسَبْ
وَلَمْ يَقُمْ في يَوْمِ بأْسٍ ونَدًى ولا تَلاقى سَبَبٌ إلى سَبَبْ
تَكادُ تُبْدي الأرضُ ما تُضْمِرُهُ إذا تداعَتْ خَيْلُهُ هَلاً وَهَبْ[٣]
وَيَسْتَهِلُّ أمَلاً وخيفَةً جانِبُها إذا اسْتَهَلَّ أو قَطَبْ
وهْوَ وإن كانَ ابن فرعَيْ وائل فبِسماعِيهِ يُوافي في الحَسَبْ
وبعُلاه وعُلا آبائِهِ تُحْوى غداةَ السَّبْقِ أخْطارُ القَصَبْ
يا زَهْرَةَ الدُّنيا ويا بابَ النَّدى ويا مُجِيرَ الرُّعبِ مِنْ يَوْمِ الرَّهَبْ
لَوْلاكَ ما كانَ سدًى ولا نَدى ولا قُرَيْشٌ عُرِفَتْ ولا العَرَبْ
خُذْها إليك مِنْ مَلِيءٍ بالثَّنا لكنه غَيْرُ مَلِيءٍ بالنَّشَبْ
فاثْوِ في الأرضِ أو اسْتَفْزِزْ بها أنْتَ عَلَيْها الرَّأسُ والنَّاسُ الذَّنَبْ

قال: فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسنها من حضر، وقالوا: نشهد أن قائل هذه قائل تلك، فأعطاه ثلاثين ألف درهم. وقد قيل: إن أبا دُلف أعطاه مائة ألف درهم، ولكن أراها في دفعات؛ لأنه قصده مراراً كثيرة، ومدحه بعدة قصائد.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفَّاف قال: حدثني محمدُ بنُ موسى بن حماد قال: حدثني أحمدُ بن أبي فَنَن قال: قال عبد الله بن مالك: قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أُقسم على مَن حضر ممن يحفظ قصيدة عليّ بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدَنيها، فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين،

(١) تظنّينا به: أعملنا الظنّ.
(٢) بالقدح فيهم: بالإصابة منهم.
(٣) هلا وهب: كلمتان لزجر الخيل.

ولا بد من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي. قال: قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي: [المديد]

ذاد وِرْدَ الغَيِّ عَنْ صَدَرِهْ ... وارْعَوى واللَّهْوُ مِنْ وَطَرِهْ
وَأَبَتْ إلاَّ البُكاءَ لَهُ ... ضَحِكاتُ الشَّيْبِ في شَعَرِهْ
نَدَمِي أن الشَّبابَ مَضى ... لم أُبَلِّغْهُ مَدَى أَشَرِهْ(١)
وانْقَضَتْ أيامُهُ سَلَماً ... لم أجِدْ حَوْلاً على غِيَرِهْ
حَسَرتْ عني بشاشَتُه ... وذَوَى المَحْمُودُ مِنْ ثَمَرِهْ
ودَمٍ أهدرْتُ مِنْ رَشإٍ ... لم يُرِدْ عَقْلاً على هَدَرِهْ
فَأَتَتْ دُونَ الصِّبا هَنَةٌ ... فَلَّيْتَ فُوقي على وَتَرِهْ(٢)
جارتا لَيْسَ الشَّبابُ لِمَنْ ... راحَ مَحْنِيّاً على كِبَرِهْ
ذَهَبَتْ أَشْياءُ كُنْتُ لها ... صارَها حِلْمي إلى صَوَرِهْ(٣)
دَعْ جَداً قَحْطان أو مُضَرٍ ... في يمانيهِ وفي مُضَرِهْ
وامْتَدِحْ مِنْ وائِلٍ رَجُلاً ... عَصَرُ الآفاقِ في عَصَرِهْ(٤)
المنايا في مناقِبِهِ ... والعطايا في ذُرا حُجَرِهْ
مَلِكٌ تَنْدَى أنامِلُهُ ... كانْبِلاج النَّوْءِ مِنْ مَطَرِهْ(٥)
مُسْتَهِلٌّ عَنْ مَواهِبِهِ ... كابْتِسام الرَّوْضِ عَنْ زَهَرِهْ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَناكِبُهُ ... أمِنَتْ عدنانُ في ثَغَرِهْ
إنَّما الدُّنْيا أبو دُلَفٍ ... بَيْنَ مَبداه ومُحْتَضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنْيا على أَثَرِهْ
لَسْتُ أَدْرِي ما أَقولُ لَهُ ... غَيْرَ أَنَّ الأرضَ في خَفَرِهْ
يا دَواءَ الأرضِ إن فَسَدتْ ... ومُديلَ اليُسرِ مِنْ عُسُرِهْ
كُلُّ مَنْ في الأرضِ مِنْ عَرَبٍ ... بَيْنَ بادِيهِ إلى حَضَرِهْ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً ... يَكْتَسِيها يَوْمَ مُفْتَخَرِهْ

(١) أشره: مرحه.
(٢) الفوق: موضع الوتر من السهم.
(٣) صار الشيء صوراً: أماله. والصور: الميل.
(٤) العَصَرُ: المنجاة.
(٥) النوء: العطاء.

يقول فيها:

وزَحــوفٌ فــي صَــواهِــلِــهِ كَـصِيـاحِ الـحَـشْـرِ فـي أثَـرِهْ
قُـدْتَـهُ والـمَـوْتُ مُـكْـتَـمِـنٌ فـي مـذاكـيـهِ ومُـشْـتَـجَـرِهْ
فَـرَمَـتْ جـيـلـويـه مـنـه يَـدٌ طَـوَتِ الـمَـنْـشـورَ مِـنْ نَـظَـرِهْ[١]
زُرْتَـهُ والـخَـيْـلُ عـابِـسـةٌ تَـحْـمِـلُ الـبُـؤْسَ عَـلَـى عُـقَـرِهْ[٢]
خـارِجـاتٍ تَـحْـتَ رايـتِـهـا كَـخُـروجِ الـطَّـيْـرِ مِـنْ وُكَـرِهْ
وعَـلَـى الـنُّـعْـمـانِ عُـجْـتَ بـه عَـوْجَـةً ذادتْـهُ عَـنْ صَـدرِهْ
غَـمَـطَ الـنُّـعْـمـانُ صَـفْـوَتـهـا فَـرَدَدْتَ الـصَّـفْـوَ فـي كَـدَرِهْ[٣]
ولِـقُـرقـورٍ أَدَرْتَ رَحًـى لَـمْ تَـكُـنْ تـرتـدُّ فـي فِـكَـرِهْ
قَـدْ تَـأَنَّـيْـتَ الـبَـقـاءَ لـه فـأبَـى الـمَـحْـتـومُ مِـنْ قَـدَرِهْ
وَطَـغَـى حَـتَّـى رَفَـعـت لـه خـطـة شَـنْـعـاءَ مِـنْ ذُكَـرِهْ

قال: فغضب المأمون واغتاظ، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.

قال ابن أبي فَنَن: وهذه القصيدة قالها عليّ بن جَبَلة وقصد بها أبا دُلَف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم. فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى، وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه. فبينا أبو دُلَف خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه، فأيقن أبو دلف بالهلاك، وخاف أن يُولِّيَ عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يا فتيان! يَمنةً يمنة - يوهمه أن معه خيلاً قد كمنها له - فخافه قرقور وعطف عَلَى يساره هارباً، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره، ونزل فاحتزّ رأسه، وحمله عَلَى رمحه حتى أدخله الكرَج[٤].

قال: فحدثني من رأى رمح قرقور وقد أُدخل بين يديه يحمله أربعة نفر. فلما

(١) جيلويه: رجل من ذوي الشوكة، كان بينه وبين آل أبي دلف وقائع.
(٢) العقر: جمع عقرة من عقر الدابة إذا أتعبها.
(٣) غمطه: احتقر وازدرى به. وغمط النعمة: لم يشكرها.
(٤) الكَرَج: هي مدينة بين همذان وأصبهان. (انظر معجم البلدان ٤/ ٤٤٦).

أنشده عليّ بن جبلة هذه القصيدة استحسنها وسُرَّ بها وأمر له بمائة ألف درهم.

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ الأزديّ قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ خلف قال: بينا أبو دُلَف يسير مع أخيه معقل - وهما إذ ذاك بالعراق - إذ مرّا بامرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دُلَف، قالت: ومَن أبو دُلَف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر: [المديد]

إنَّما الدُّنْيا أبو دُلَفٍ بَيْنَ بادِيهِ ومُحْتَضَرِهْ
فإذا ولّى أبو دُلَفٍ ولّتِ الدُّنْيا عَلَى أثَرِهْ

قال: فاستعبر أبو دُلَف حتى جرى دمعُه. قال له معقل: ما لك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقضِ حقَّ عليٍّ بن جَبَلة. قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي عَلَى أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقه.

حدثني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: حدثني عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ جريرٍ قال: أنشدت أبا تمام قصيدة عليٍّ بنِ جَبَلة البائية، فلما بلغتُ إلى قوله: [الهزج]

وَرَدَّ البِيضَ والبِيضَ إلى الأغْمادِ والحُجْبِ[1]

اهتز أبو تمام من فَرْقه إلى قدمه، ثم قال: أحسن والله، لودِدتُ أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتخبها مكانه.

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو نِزارٍ الضبيُّ الشاعر قال: قال لي عليُّ بنُ جَبَلة قلت لحُمَيد بنِ عبد الحميد الطُّوسي: يا أبا غانم، إني قد مدحْتُ أمير المؤمنين بمَدْح لا يحسن مثلَه أحد من أهل الأرض، فاذكرْني له. قال: فأنشِدني، فأنشدتُه. قال: أشهَد أنك صادق، ما يحسن أحد أن يقول هكذا. وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: يا حُمَيد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفَونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه، وإن شاء جمعْنا بين شعره فيك وفي أبي دُلَف وبين شعره فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا

(١) يكني عن انتصاره الحاسم بردّ السيوف إلى أغمادها والسبايا إلى حجبها. والبيض الأولى: السيوف جمع أبيض. والبيض الثانية: النساء الجميلات جمع بيضاء.

ظهره، وأطلنا حبسه، وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم، وإن شاء أقلناه. فقلت له: يا سيدي ومَن أنا ومَن أبو دُلَف حتى يمدحَنا بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلامُ من الجواب في شيء، فاعرِض ما قلت لك على الرجل. فقال: أفعل. قال عليُّ بنُ جَبَلة: فقال لي حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحبّ إلي، فأخبرَ المأمون بذلك. فقال: هو أعلم. ثم قال لي حُميد: يا أبا الحسن أيَّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلَف؟ فقلت: قولي فيك:

[مجزوء الكامل]

لـولا حُـمَـيـدٌ لَـمْ يَـكُـنْ حَـسَـبٌ يُـعَـدُّ ولا نَـسَـبْ
يـا واحـد الـعَـرب الـذي عَـزَّت بِـعِـزَّتِـهِ الـعَـرَبْ

وقولي في أبي دُلَف: [المديد]

إنـمـا الـدُّنـيـا أبـو دُلَـفٍ بَـيْـنَ بـاديـهِ ومـحـتـضَـرِهْ
فـإذا ولّـى أبـو دُلَـفٍ وَلَّـتِ الـدُّنْـيـا عـلـى أَثَـرِهْ

قال: فأطرق حُمَيد ثم قال: لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد. وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم. وبلغ ذلك أبا دُلَف فأضعف لي العَطية، وكان ذلك في سَتر منهما، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزار.

[بينه وبين أبي دلف]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: حدثني محمدُ بنُ يزيدَ، قال: حدثني عليُّ بن القاسم قال: قال لي عليّ بن جبلة: زرتُ أبا دُلَف، فكنت لا أدخل إليه إلا تلقاني ببرّه وأفرط، فلما أكثر قعدت عنه حياءً منه، فبعث إليّ بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك الأمير: لم هجرتنا؟ لعلك استبطأتَ بعض ما كان منّي، فإن كان الأمر كذلك فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى. فدعوت مَن كتب لي، وأمللت عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إلى معقل، وسألته أن يوصلها، وهي: [الطويل]

هجَرْتُكَ لَمْ أهجُرْكَ مِنْ كُفرِ نِعْمةٍ وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيادةِ بالكُفْرِ
ولـكـنـني لـما أتَـيْـتُـكَ زائِـراً فأفرطتَ في بِرِّي عَجزتُ عَنِ الشُّكْرِ
فـهـأنـا لا آتـيـكَ إلا مـسـلّـمـاً أزوركَ في الشَّهْرَيْنِ يَوْماً وفي الشَّهْرِ

فـإن زدتـنـي بـرّاً تـزايَـدْتُ جَـفْـوَةً　　وَلَـمْ تَـلْقَني طُولَ الحَياةِ إلى الحَشْرِ

قال: فلما سمعها معقل استحسنها جداً، وقال: جوّدت والله، أما إن الأمير ليُعجب بمثل هذه الأبيات، فلما أوصلها إلى أبي دُلف قال: لِلّهِ دَرّه! ما أشعره، وما أرقّ معانيه! ثم دعا بدواة، فكتب إليّ: [الطويل]

أَلا رُبَّ ضَـيْـفٍ طـارِقٍ قَـدْ بَـسَـطْـتُـهُ　　وآنَـسْـتُـهُ قَـبْـلَ الـضِّـيـافـةِ بـالـبِـشْـرِ
أتـانـي يُـرَجِّـيـنـي فـمـا حـالَ دُونَـهُ　　ودُون القِرى مِنْ نَـائلي عِنْدَهُ سِتري
وجَـدتُ لـه فَـضْـلاً عَـلَـيَّ بِـقَـصْـدِهِ　　إلَـيَّ وبِـرّاً يَـسْـتَـحِـقُّ بـه شُـكْـري
فَـلَـمْ أَعْـدُ أنْ أَدْنَـيْـتُـهُ وابْـتَـدَأْتُـهُ　　بِـبِـشْـرٍ وإكْـرامٍ وَبِـرٍّ عَـلَـى بِـرِّ
وزوّدتُـه مـالاً قَـلِـيـلٌ بـقـاؤهُ　　وزوَّدني مَـدْحـاً يَـدومُ عـلـى الـدَّهْـرِ

ثم وجّه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار، فذلك حيث قلت له:

إنـمـا الـدُّنْـيـا أبـو دُلَـفٍ　　بَـيْـنَ بـادِيـهِ ومُـحْـتَـضَـرِهْ

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسِم قال: حدثني نادر مولانا: أن عليَّ بن جَبَلة خرج إلى عبد الله بنِ طاهر والي خراسان، وقد امتدحه، فلما وصل إليه قال له: ألست القائل: [المديد]

إنـمـا الـدُّنْـيـا أبـو دُلَـفٍ　　بَـيْـنَ بـادِيـهِ ومُـحْـتَـضَـرِهْ
فـإذا ولَّـى أبـو دُلَـفٍ　　ولَّـتِ الـدُّنـيَـا عـلـى أَثَـرِهْ

قَال: بلى، قال: فَما الذي جَاء بك إلينا، وعدل بك عن الدنيا التي زعمت؟ ارجع من حيث جئت! فارتحَل، ومرَّ بأبي دُلَف وأعلمه الخَبر، فأعطَاه حتى أرضاه. قَالَ نَادر: فرأيته عند مولاي القَاسم بن يوسف، وقد سأله عن خبره فقَال:

[الطويل]

أبـو دلـف إنْ تَـلْـقَـهُ تَـلْـقَ مَـاجِـداً　　جـواداً كـريـمـاً راجِـحَ الـحـلـم سَـيِّـدا
أبـو دُلَـف الـخَـيْـراتِ أنْـداهُـمُ يـداً　　وأَبْـسَـطُ مَـعْـروفـاً وأكـرمُ مَـحْـتِـدا[1]
تـراثُ أبـيـه عَـنْ أبـيـهِ وجَـدِّهِ　　وَكُـلُّ امْـرِىءٍ يَـجْـري عـلـى ما تـعـودا
وَلَـسْـتُ بِـشَـاكٍ غَـيْـرَهُ لِـنَـقـيـصَـةٍ　　ولـكـنـمـا الـمَـمْـدُوحُ مَـنْ كـانَ أمْـجَـدا

---

(١) المحتد: الأصل.

[بينه وبين حميد الطوسي]

قال مؤلف هذا الكتاب: والأبيات التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن عليّ بن جبلة من قصيدة له مدح بها حُميداً الطوسيَّ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء: [مجزوء الرمل]

لَيْسَ لي ذَنْبٌ سَوَى أنّـي أُسَمِّيكَ خَلِيلا
وأُنادِيكَ عَزيزاً وتُنادِيني ذَلِيلا
أنا أهْواكَ وحالَيْـكَ صَروماً ووَصولا
ثِقْ بوُدٍّ لَيْسَ يَفْنَى وبِعَهْدٍ لَنْ يَحُولا
جَعَلَ الله حُمَيداً لِبَني الدُّنْيا كفيلا
مَلِكٌ لَمْ يَجْعَلِ اللـه لَهُ فِيهِم عَدِيلا
فأقاموا في ذَراهُ مُطْمَئِنِّينَ حُلولا
لا تَرَى فِيهِم مُقِلاً يسألُ المُثري فُضولا[1]
جادَ بالأموالِ حتى عَلَّمَ الجود البخيلا
وبنَى الفَخْرَ على الفَخْـرِ بِناءً مُسْتَطِيلا
صارَ للخائِفِ أمْناً وعلى الجُودِ دَلِيلا

ولما مات حُميد الطوسيّ رثاه بقصيدته العينية المشهورة، وهي من نادر الشعر وبديعه، وفي أولها غناء من الثقيل الأول، يقال إنه لأبي العُبَيْس، ويقال إنه للقاسم بن زُرْزُور: [الطويل]

أَلِلدَّهْرِ تَبْكي أم على الدَّهْرِ تَجْزَعُ؟ وما صاحبُ الأيامِ إلاَّ مُفَجَّعُ
ولو سَهَّلَت عنك الأُسا كان في الأسا عزاءُ مُعَزٍّ لِلَّبيبِ ومقنَعُ
تَعَزَّ بما عَزَّيْتَ غَيْرَكَ إنَّها سهامُ المنايا حائماتٌ وَوُقَّعُ
أُصِبْنا بِيَوم في حُمَيدٍ لو أنه أصابَ عُروشَ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعْضَعُ
وأدَّبَنا ما أدَّبَ النَّاسَ قَبْلَنا ولكنه لَمْ يَبْقَ للصَّبْرِ مَوْضِعُ
أَلَمْ تَرَ للأيامِ كيفَ تَصَرَّمتْ به وبه كانَتْ تُذادُ وتُدْفَعُ[2]
وكيفَ الْتَقَى مَثْوًى مِنَ الأرْضِ ضَيِّقٌ على جَبَلٍ كانَتْ بِهِ الأَرْضُ تُمْنَعُ

(١) المقلّ: الفقير وفيه بقيَّة.

(٢) تصرّمت الأيام: انقطعت. وتذاد: تدفع.

ولـمـا انْـقَـضَـتْ أيَّـامُـهُ انْـقَـضَـتِ الـعـلا … وَأَضْحَى بِهِ أَنْفُ النَّدَى وهو أَجْدَعُ(١)
وراحَ عـدُوُّ الـدِّيـنِ جَـذلان يَـنْـتَـحـي … أمـانـيَّ كـانَـتْ فـي حَـشـاهُ تـقـطَّـعُ
وكـان حُـمَـيْـدُ مَـعْـقِـلاً رَكَـعَـتْ بِـهِ … قَواعدُ ما كانَتْ على الضَّيْمِ تَرْكَعُ
وكُـنْـتُ أراهُ كـالـرَّزايـا رُزِئْـتُـهـا … وَلَمْ أدْرِ أَنَّ الخَلْقَ يَبْكِيهِ أَجْمَعُ
حِـمـامٌ رَمـاهُ مِـنْ مَـواضِـعِ أَمْـنِـهِ … حِمامُ كذاكَ الخَطْبُ بِالخَطْبِ يُقْدَعُ(٢)
وَلَـيْـسَ بِـغَـزْوٍ أَنْ تُـصِـيـبَ مَـنِـيَّـةٌ … حِمى أُخْتِها أو أن يذِلَّ المُمنَّعُ
لَـقَـدْ أَدْرَكَـتْ فـيـنـا الـمـنـايـا بِـثـارِهـا … وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهْيُهُ لَيْسَ يُرْقَعُ
نَـعـاءِ حُـمَـيْـداً لـلـسَّـرايـا إذا غَـدَتْ … تُذادُ بِأَطْرافِ الرِّماحِ وتُوزَعُ
ولـلـمُـرْهَـقِ الـمَـكْـروبِ ضـاقَـتْ بِـأَمْـرِهِ … فَلَمْ يَدْرِ في حَوْماتِها كَيْفَ يَصْنَعُ؟
ولـلـبِـيـضِ خَـلَّـتْـهـا الـبُـعـولُ وَلَـمْ يَـدَعْ … لها غَيْرَهُ داعي الصَّباحِ المُفَزَّعُ
كَـأَنَّ حُـمَـيْـداً لَـمْ يَـقُـدْ جَـيْـشَ عَـسْـكَـرٍ … إلى عَسْكَرٍ أَشْياعِهِ لا تُرَوَّعُ
وَلَـمْ يَـبْـعَـثِ الـخَـيْـلَ الـمُـغِـيرةَ بالضُّحَى … مِراحاً وَلَمْ يَرْجِعْ بها وهي ظُلَّعُ(٣)
رواجِـعُ يَـحْـمِـلْـنَ الـنِّـهـابَ وَلَـمْ تَـكُـنْ … كَتائِبُهُ إلاَّ على النهبِ تَرْجِعُ
هَـوَى جَـبَـلُ الـدُّنْـيـا الـمَـنِـيـعُ وَغَـيْـثُـهـا الـ … مَريعُ وحامِيها الكَمِيُّ المُشَيَّعُ(٤)
وَسَـيْـفُ أَمِـيـرِ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ وَرُمْـحُـهُ … وَمفْتاحُ بابِ الخَطْبِ والخَطْبُ أَفْظَعُ
فـأَقْـنَـعَـهُ مِـنْ مُـلْـكِـهِ وربـاعِـهِ … ونائِلِهِ قَفْرٌ مِنَ الأَرْضِ بَلْقَعُ
عـلـى أيِّ شَـجْـوٍ تَـشْـتَـكِـي الـنَّـفْـسُ بَـعْـدَهُ … إلى شَجْوِهِ أو يَذْخَرُ الدَّمْعَ مَدْمَعُ
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـشَّـمْـسَ حـالَ ضِـيـاؤهـا … عليه وَأَضْحَى لَوْنُها وهو أَسْفَعُ(٥)
وَأَوْحَـشَـتِ الـدُّنْـيـا وَأَوْدَى بَـهـاؤهـا … وَأَجْدَبَ مَرْعاها الذي كانَ يَمْرَعُ(٦)
وقـد كـانَـتِ الـدُّنْـيـا بـه مُـطْـمَـئِـنَّـةً … فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْتادُها تَتَقَلَّعُ
بَـكَـى فَـقْـدَهُ رَوْحُ الـحـيـاةِ كـمـا بَـكَـى … نَداهُ النَّدَى وابنُ السَّبيلِ المُدَفَّعُ
وفـارَقَـتِ الـبِـيـضُ الـخُـدُورَ وَأُبْـرِزَتْ … عَواطِلَ حَسْرَى بَعْدَه لا تَقَنَّعُ

(١) أنف أجدع: مقطوع.
(٢) يُقدَع: يدفع.
(٣) ظلع البعير: عرج وغمز في مشيته.
(٤) المشيّعُ: الشجاع. والكميّ: الشجاع أو لابس السلاح، لأنه يكمي نفسه أي يسترها بالدرع والبيضة.
(٥) الأسفع: أسود اللون إلى حمرة، وجمعه سُفْع.
(٦) مكان مَرِعٌ: خصيبٌ.

وَأَيْقَظَ أَجْفاناً وكانَ لها الكَرَى ونامَتْ عُيونٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَهْجَعُ
ولكنه مِقْدارُ يَوْمِ ثَوَى به لِكُلِّ امْرِئٍ منه نِهالٌ ومَشْرَعُ[١]
وَقَدْ رَأَبَ اللهُ المَلا بِمُحَمَّدٍ وبالأصْلِ يَنمِي فَرْعُهُ المُتَفَرِّعُ
أغَرُّ على أَسْيافِهِ ورِماحِهِ تُقَسَّمُ أَنْفالُ الخَمِيسِ وتُجْمَعُ[٢]
حَوَى عن أبيه بَذْلَ راحَتِهِ النَّدَى وَطَعْنَ الكُلى والزَّاعِبيَّةُ شُرَّعُ[٣]

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها، وقد أخذ البحتريّ أكثر معانيها، فسلخه، وجعله في قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغري:

انظر إلى العلياء كيف تضام

و: بأي أسى تثنى الدموع الهوامل

وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة. وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه.

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة قال: قال رجل لعليّ بن جبلة: ما بَلغتَ في مديح أحد مَا بَلغتَه في مديحك حُمَيداً الطوسيّ. فقال: وكيف لا أفعل وأدنَى مَا وصلَ إليّ منه أني أهديت له قصيدة في يوم نَيروزٍ فسُرَّ بهَا، وأمر أن يحمل إليّ كلّ مَا أهدي له، فحمل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم، وأهديتُ له قصيدة في يوم عيد فبعث إليَّ بمثل ذلك. قال أبو وائلة: وقد كان حُمَيد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم يُرَ مثله، فقَال عليّ بن جَبَلَة يصف ذلك:

[الطويل]

غَدا بِأَميرِ المُؤْمِنِينَ ويُمْنِهِ أبو غانِمٍ غَدْوَ النَّدَى والسَّحائِبِ
وضَاقَتْ فِجَاجُ الأَرْضِ عَنْ كُلِّ مَوْكِبٍ أَحَاطَ بِهِ مُسْتَعْلِياً لِلْمَواكِبِ
كأن سُمُوَّ النَّقْعِ والبَيضُ فَوْقَهُم سَماوَةُ لَيْلٍ قُرِّنَتْ بالكواكِبِ[٤]

(١) النهال: الشرب.
(٢) الخميس: الجيش.
(٣) الرماح الزاعبيّة: رماح منسوبة إلى زاعب، مفردها زاعبي وهو رمح لين إذا هزّ تدافع كله كأن آخره يجري في أوله.
(٤) النّقع: الغبار. والبيض: السيوف. وقُرّنت: حُلّيت.

فكانَ لأهْلِ العِيدِ عِيدٌ بِنُسْكِهِم   وكان حُمَيْدٌ عِيدَهم بالمَواهِبِ
ولولا حُمَيْدٌ لَمْ تَبَلَّجْ عَنِ النَّدَى   يَمِينٌ وَلَمْ يُدرِكْ غِنًى كَسْبُ كاسِبِ
ولو مَلَكَ الدُّنيا لما كان سائِلٌ   ولا اعْتامَ فيها صاحِبٌ فضْلَ صاحِبِ(١)
له ضِحْكَةٌ تَسْتَغْرِقُ المالَ بالنَّدَى   على عَبْسَةٍ تُشْجِي القَنا بالتَّرائِبِ(٢)
ذَهَبْتَ بأيامِ العُلا فارِداً بها   وَصَرَّمْتَ عَنْ مَسْعَاكَ شَأْوَ المَطَالِبِ
وعَدَّلْتَ مَيْلَ الأَرْضِ حَتَّى تَعَدَّلَتْ   فَلَمْ يَنْأَ منها جانِبٌ فَوْقَ جانِبِ
بَلَغْتَ بِأَدْنَى الحَزْمِ أَبْعَدَ قُطْرِهَا   كأنَّكَ منها شاهِدٌ كُلَّ غائِبِ

قال: والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها: [البسيط]

حُمَيْدُ يا قاسِمَ الدُّنْيا بِنَائِلِهِ   وَسيفِهِ بَيْنَ أَهْلِ النَّكْثِ وَالدِّينِ
أَنْتَ الزَّمَانُ الذي يَجْرِي تَصَرُّفُهُ   على الأَنَامِ بِتَشْدِيدٍ وَتَلْيِينِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ كانَتِ الأيَّامُ قَدْ فَنِيت   والمَكْرُمَاتُ وَمَاتَ المَجْدُ مُذ حِينِ
صَوَّرَكَ الله مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ   وَصَوَّرَ النَّاسَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ طِينِ

نسخت من كتاب بخط محمد بن العباس اليزيديّ: قال أحمد بن إسماعيل الخصيب الكاتب: دخل عليُّ بن جَبَلة يوماً إلى أبي دُلف فقال له هات يا عليُّ ما معك. فقال: إنه قليل. فقال: هاته، فكم من قليل أجودُ من كثير فأنشده: [البسيط]

الله أَجْرَى مِنَ الأَرْزاقِ أَكْثَرَها   على يَدَيْكَ فَشُكْراً يا أبا دُلَفِ
أَعْطَى أبو دُلَفٍ والرِّيحُ عاصِفَةٌ   حَتَّى إذا وَقَفَتْ أَعْطَى وَلَمْ يَقِفِ

قال فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إليه، فقال له: هات ما معك فأنشده: [السريع]

مِنْ مَلَكِ المَوْتِ إلى قاسِمٍ   رِسالَةٌ في بَطْنِ قِرْطاسِ
يا فارِسَ الفُرْسانِ يَوْمَ الوَغَى   مُرْني بِمَنْ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطير من ابتدائه في هذا الشعر، فقال: ليست هذه من عطاياك أيها الأمير، فقال: بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعنا من تحمّلك رسالةَ ملك الموت إلينا.

(١) اعتام: أخذ.
(٢) أشجاه: أغصه. والترائب، مفردها التريبة: العظمة من عظام أعلى الصدر.

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفي قال: حدثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيُّ قال: حدثني محمدُ بنُ عبد الله قال: حدثني عليُّ بن جَبَلة العكوّك المروزيّ قال: جاءني أبو يعقوب الخُزَيميّ فقال لي: إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: تهجو لي الهَيْثم بنَ عدِيّ. فقلت: وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليّ منه إساءة، ولا له إليّ جرم يُحفِظني؟ فقال: تُقرضني، فإني مليّ بالقضاء، قلت: نعم، فأمهلْني اليوم فمضى، وغدوت عليه فأنشدته: [البسيط]

لِلهَيثم بنِ عَدِيٍّ نِسْبَةٌ جَمَعَتْ ... آباءَهُ فأراحَتْنا مِنَ العَدَدِ
اعدُدْ عَدِيّاً فَلَوْ مَدَّ البَقاءُ لَهُ ... ما عُمِّرَ النَّاسُ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدِ
نَفْسِي فِداءُ بَني عَبْدِ المَدانِ وقد ... تَلُّوهُ للوَجْهِ واسْتَعْلَوْهُ بالعمدِ(١)
حتى أزَالوهُ كرهاً عَنْ كَرِيمَتِهم ... وَعَرفوُهُ بِذُلٍّ أينَ أصْلُ عَدِي؟
يابنَ الخَبيثةِ مَنْ أهْجُو فأفْضَحَهُ ... إذا هَجَوْتُ وما تُنْمَى إلى أحَدِ؟

قال: وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارثِ بنِ كعب، فركب محمد بن زياد بنِ عُبيد الله بنِ عبد المَدان الحارثيُّ، أخو يحيى بنِ زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيّين إلى الرشيد، فسألوه أن يفرّق بينهما. فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نَسَبْتَ عَدِياً في بَني ثُعلٍ ... فَقَدِّمِ الدَّالَ قَبْلَ العَيْنِ في النَّسَب

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شَيبان يقال له ذُهل بن ثعلبة. فأمر الرشيدُ داودَ بنَ يزيدَ أن يفرّق بينهما، فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصِيّ حتى طلقها.

[بينه وبين عبد الله بن طاهر]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال: شخَص عليُّ بنُ جَبَلة إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان ـ وقد مدحه فأجزل صلته ـ واستأذنه في الرجوع، فسأله أن

(١) تلّهُ: صرعه، أو ألقاه على عنقه وخدّه.

يقيم عنده، وكان برّه يتصل عنده، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله فأنشده:

[مجزوء الخفيف]

راعَـهُ الـشَّـيْـبُ إذ نَـزَلْ ... وكَـفـاهُ مِـنَ الـعَـذَلْ
وانْـقَـضَـتْ مُـدَّةُ الـصِّـبـا ... فـانْـقَـضَـى الـلَّـهْـوُ والـغَـزَلْ
قَـدْ لَـعَـمْـرِي دَمَـلْـتُـهُ ... بِـخِـضـابٍ فـمـا انْـدَمَـلْ
فـابْـكِ لـلـشَّـيْـبِ إذْ بـدا ... لا عـلـى الـرَّبْـعِ والـطَّـلَـلْ
وصَـلَ الله لـلأمـيـ ... ـرِ عُـرا الـمُـلْـكِ فـاتَّـصَـلْ
مَـلِـكٌ عَـزْمُـهُ الـزَّمـا ... نُ وَأَفْـعـالُـهُ الـدُّوَلْ
كِـسْـرويٌّ بـمَـجْـدِهِ ... يَـضْـرِبُ الـضَّـارِبُ الـمَـثَـلْ
وإلـى ظِـلِّ عِـزِّهِ ... يَـلْـجـأُ الـخـائِـفُ الـوَجِـلْ
كُـلُّ خَـلْـقٍ سِـوَى الإمـا ... مِ لإنْـعـامِـهِ خَـوَلْ
لَـيْـتَـهُ حِـيـنَ جـادَ لـي ... بـالـغِـنَـى جـادَ بـالـقَـفَـلْ[1]

قال: فضحك وقال: أبيت إلا أن توحشنا. وأجزل صلته، وأذن له.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة السدوسيُّ قال: دخل عليُّ بنُ جَبَلة العكوّكُ على حُمَيد الطوسيّ في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

[الخفيف]

جَـعَـلَ الله مَـدْخَـلَ الـصَّـوْمِ فَـوْزاً ... لِـحُـمَـيْـدٍ وَمُـتْـعَـةً فـي الـبَـقـاءِ
فَـهْـو شَـهْـرُ الـرَّبِـيـعِ لـلـقُـرّاءِ ... وَفـراقُ الـنَّـدمـانِ والـصَّـهْـبـاءِ[2]
وأَنـا الـضَّـامِـنُ الـمَـلِـيُّ لِـمَـن عـا ... فَ يُـرَجُّـونَ صُـبْـحَـهُـم بـالـمَـسـاءِ
وكـأنّـي أرى الـنَّـدامَـى عـلـى الـخَـسْـ ... قَـرَهـا مُـفْـطِـراً بِـطُـولِ الـظَّـمـاءِ
قَـدْ طَـوَى بَـعْـضُـهـم زِيـارةَ بَـعْـضٍ ... واسْـتَـعـاضُـوا مَـصـاحِـفـاً بـالـغِـنـاءِ

يقول فيها:

[الخفيف]

بِـحُـمَـيْـدٍ وَأيْـنَ مِـثْـلُ حُـمَـيْـدٍ ... فَـخَـرَتْ طَـيِّـىءٌ عـلـى الأَحْـيـاءِ
جُـودُهُ أَظْـهَـرَ الـسَّـمـاحَـةَ فـي الأَرْ ... ضِ وأَغْـنَـى الـمُـقْـوِي عَـنِ الإقْـواءِ[3]

---

(١) القفل: العودة أو الرجوع.
(٢) الصهباء: من أسماء الخمر.
(٣) المُقْوِي: الفقير.

مَـلِـكٌ يَـأْمُـلُ الـعِـبـادُ نَـداهُ مِثْلَ ما يَأْمُلونَ قَطْرَ السَّماءِ
صاغَهُ اللهُ مُطْعِمَ النَّاسِ في الأَرْ ضِ وصاغَ السَّحابَ لِلإِسْقاءِ

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثانيَ شوال، فأنشده: [الخفيف]

عَلِّلاني بِصَفْوِ مافي الدِّنانِ واتْرُكا ما يَقولُهُ العاذِلانِ
واسْبِقا فاجِعَ المَنِيَّةِ بالعَيْـ شِ فَكُلٌّ على الجَديدينِ فاني[1]
عَلِّلاني بِشَرْبَةٍ تُذْهِبُ الهَـ مَّ وَتَنْفي طَوارِقَ الأَحْزانِ
وانْفُثا في مَسامِعٍ سَدَّها الصَّوْ مُ رُقَى المَوْصِليِّ أو دَحْمانِ
قَدْ أتانا شَوالٌ فَاقْتَبَلَ العَيْـ شُ وأَعْدَى قَسْراً على رَمَضانِ[2]
نِعْمَ عَوْنُ الفَتَى على نُوَبِ الدَّهْـ رِ سَماعُ القِيانِ والعِيدانِ
وكُؤوسٌ تَجْري بِماءِ كُرومٍ وَمَطِيُّ الكُؤوسِ أيدي القِيانِ
مِنْ عُقارٍ تُميتُ كُلَّ احْتِشامٍ وتَسُرُّ النَّدمانَ بالنَّدمانِ
وكَأنَّ المِزاجَ يَقْدَحُ منها شرراً في سبائِكَ العِقْيانِ[3]
فاشْرَبِ الرَّاحَ واعْصِ مَنْ لامَ فيها إنَّها نِعْمَ عُدَّةُ الفِتْيانِ
واصْحَبِ الدَّهْرَ بارْتِحالٍ وحَلٍّ لا تَخَفْ ما يَجُرُّهُ الحادِثانِ
حَسْبُ مُسْتَظْهِرٍ على الدَّهْرِ رُكناً بِحُمَيدٍ رِدْءاً مِنَ الحدَثانِ
مَلِكٌ يَقْتَني المَكارِمَ كَنْزاً وَتَراهُ مِنْ أَكْرَمِ الفِتْيانِ
خُلِقَتْ راحتاهُ لِلجودِ والبأْ سِ وأموالُهُ لِشُكْرِ اللِّسانِ
مَلَّكَتْهُ على العِبادِ مَعَدٌّ وَأَقَرَّتْ لَهُ بَنُو قَحْطانِ
أَرْيَحِيُّ النَّدى جَميلُ المُحَيَّا يَدُهُ والسَّماحُ مُعْتَقِدانِ[4]
وجْهُهُ مُشْرِقٌ إلى معتفيه ويداهُ بالغَيْثِ تَنْفَجِرانِ
جَعَلَ الدَّهْرَ بَيْنَ يَوْمَيْهِ قِسْميـ نِ بِعُرْفٍ جَزْلٍ وحَرٍّ طِعانِ
فإذا سارَ بالخَميسِ لِحَرْبٍ كَلَّ عَنْ نَصِّ جَرْيِهِ الخافِقانِ
وإذا ما هَزَزْتَهُ لِنَوالٍ ضاقَ عَنْ رَحْبِ صَدْرِهِ الأُفْقانِ

(١) الجديدان: الليل والنهار.
(٢) أعدى: نصر وأعان.
(٣) العقيان: الذهب الخالص.
(٤) معتقدان: معقودان.

غَـيْـثُ جَـدْبٍ إذا أقـامَ رَبـيـعٌ يَـتَـغَـشّى بـالـسَّـيْـبِ كُـلَّ مـكـانِ
يـا أبـا غـانِـمٍ بَـقِـيـتَ عـلـى الـدَّهْـرِ وخُـلِّـدْتَ مـا جـرى الـعَـصْـرانِ
مـا نُـبـالِـي إذا عَـدَتِ الـمـنـايـا مَـنْ أصـابـت بـكَـلْـكَـلٍ وجِـرانِ[1]
قَـدْ جَـعَـلْـنـا إلـيـكَ بَـعْـثَ الـمَـطـايـا هَـرَبـاً مِـنْ زَمـانِـنـا الـخَـوّانِ
وَحَـمَـلْـنـا الـحـاجـاتِ فَـوْقَ عِـتـاقٍ ضـامِـنـاتٍ حـوائـجَ الـرُّكـبـانِ
لَـيْـسَ جُـودٌ وراءَ جُـودِكَ يُـنْـتـابُ ولا يَـعْـتَـفِـي لِـغَـيْـرِكَ عـانـي[2]

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخفّفت وخففنا، وهذه للفطر، فقد زدتنا وزدناك.

أخبرني عمي قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ الطيب السَّرَخسيّ قال: حَدَّثنا ابنُ أخي عليّ بنِ جبلة العكوّكِ ـ قال أحمد: وكان عليّ جارنا بالربَض هو وأهله، وكان أعمى وبه وضَح[3]. وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبّه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح، حَدَّثني بذلك عمرو بن بحرٍ الجاحظُ.

قال عمرو: وحَدَّثني العَكوَّك أن هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها. قال، وذلك عنَيت في قولي: [المديد]

ودمٍ أهْـدَرت مِـنْ رشـأٍ لَـمْ يُـرِدْ عَـقْـلاً عـلـى هَـدَرِه

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دُلَف، يعني بالدم: دم البُضع. قال: ثم قصدتُ حُمَيداً بقصيدتي التي مدحته بها، فلما استؤذن لي عليه أبَى أن يأذن لي، وقال: قولوا له: أيَّ شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دلف: [المديد]

إنـمـا الـدُّنْـيـا أبـو دُلَـفٍ بَـيْـنَ مَـبْـداهُ ومُـحْـتَـضَـرِهْ
فـإذا ولّـى أبـو دُلَـفٍ وَلَّـتِ الـدُّنْـيـا عـلـى أَثَـرِهْ

فقلت للحاجب: قل له: الذي قلت فيك أحسن من هذا، فإن وصَّلتَني سمعته، فأمر بإيصالي، فأنشدت قولي فيه: [مجزوء الرمل]

إنـمـا الـدُّنْـيـا حُـمَـيْـدٌ وأيـادِيـهُ الـجِـسـامُ

(١) الجران من البعير: مقدّم عنقه.
(٢) العاني: الأسير.
(٣) الوَضَحُ: البَرَص.

فـإذا ولَّـى حُـمَـيْـدٌ فَـعَـلـى الـدُّنْـيـا الـسَّـلامُ

فأمر لي بمائتي دينار، فنثرتها في حجر عشيقتي، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها: [السريع]

دِجْـلَـةُ تَـسْـقـي وأبـو غـانِـمٍ يُـطْـعِـمُ مَـنْ تَـسْـقِـي مِـنَ الـنَّـاسِ

فأمر لي بمائتي دينار.

حَدَّثني عمي قال: حَدَّثني أحمدُ بن الطيب قال: حَدَّثني ابن أخي عليِّ بنِ جَبَلة أيضاً، أن عمه علياً كان يهوى جارية، وهي هذه القينة، وكانت له مساعدةً، ثم غضبت عليه، وأعرضت عنه، فقال فيها: [الطويل]

تُـسـيءُ ولا تَـسْـتَـنْـكِـرُ الـسُّـوءَ إِنَّـهـا تُـدِلُّ بِـمـا تَـبْـلُـوهُ عِـنْـدي وتَـعْـرِفُ
فَمِنْ أَيْنَ ما اسْتَعْطَفْتُها لَمْ تَرِقَّ لي وَمِنْ أَيْنَ ما جَرَّبْتُ صَبْرِيَ يَضْعُفُ

أخبرني حبيب بن نصر قال: حَدَّثنا عمرُ بن شَبة قال: تذاكرْنا يوماً أقبح ما هُجي به الناس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف، فأنشدنا عليُّ بن جَبَلة لنفسه:

[الوافر]

أقـامـوا الـدّيـدَبـانَ عـلـى يَـفـاعٍ وقـالـوا لا تَـنَـمْ لـلـدّيـدَبـانِ
فـإن آنَـسْـتَ شَـخْـصـاً مِـنْ بَـعِـيـدٍ فَـصَـفِّـقْ بـالـبـنـانِ عـلـى الـبـنـانِ
تَـراهـم خـشـيـةَ الأضْـيـافِ خُـرْسـاً ويَـأْتُـونَ الـصَّـلاةَ بـلا أذانِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حَدَّثني محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيه قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني وهب بن سعيد المَرْوزيُّ، كاتبُ حُمَيد الطوسيِّ، قال: جئت حُمَيداً في أول يوم من شهر رمضان، فدفع إليّ كيساً فيه ألف دينار، وقال: تصدَّقوا بهذه. وجاءه ابنه أصرمُ فسلَّم عليه ودعا له، ثم قال له: خادمك عليُّ بن جبلة بالباب، فقال: وما أصنع به؟ جئتني به يا بُني تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر. فقال: إنه يجيد فيك القول. قال فأنشدني بيتاً مما تستجيد له: فأنشده قوله: [الكامل]

حِـيـدي حَـيـادِ فـإنّ غَـزْوَةَ جَـيْـشِـهِ ضَـمِـنَـتْ لـجـائِـلَـةِ الـسِّـبـاعِ عِـيـالـهـا[1]

(١) حيدي حيادِ: أمر بالحياد والروغان.

فقال: أحسن. ائذنوا له، فدخل فسلّم، ثم أنسده قوله: [مخلع البسيط]

إِنَّ أَبَا غَانِمٍ حُمَيْداً غَيْثٌ على المُعْتَفِينَ هامي
صَوَّره الله سَيْفَ حَتْفٍ وبابَ رِزْقٍ على الأنامِ
يا مانِعَ الأَرْضِ بالعَوالي والنِّعَمِ الجَمَّةِ العظامِ
لَيْسَ مِنَ السُّوءِ في مَعاذٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ في ذِمامِ
وما تَعَمَّدْتُ فيكَ وَصْفاً إلا تَقَدَّمْتَهُ أمامي
فَقَدْ تناهَتْ بِكَ المعالي وانْقَطَعَتْ مُدَّةُ الكلامِ
أَجِدَّ شَهْراً وأَبْلِ شَهْراً واسْلَمْ على الدَّهْرِ أَلْفَ عامِ

قال: فالتفت إليَّ حُميد، وقال: أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره.

حَدَّثني عمي قال: حَدَّثني يعقوبُ بن إسرائيل قال: حَدَّثني أبو سُهيل بن سالم مولى حُميد الطُّوسيِّ قال: جاء عليُّ بنُ جَبلة إلى حميد الطوسيّ مستشفعاً به إلى أبي دُلَف ـ وقد كان غضب عليه وجفاه ـ فركب إلى أبي دُلَف شافعاً، وسأله في أمره، فأجابه واتصل الحديث بينهما وعليُّ بن جَبَلة محجوبٌ، فأقبل على رجلٍ إلى جانبه وقال: اكتب ما أقول لك، فكتب: [البسيط]

لا تَتْرُكَنِّي بِبابِ الدَّارِ مُطَّرَحاً فالحُرُّ لَيْسَ عَنِ الأَحْرارِ يَحْتَجِبُ
هَبْنا بلا شافِعٍ جِئْنا ولا سَبَبٍ أَلَسْتَ أَنْتَ إلى مَعْروفِكَ السَّبَبُ؟

قال: فأمر بإيصاله إليه، ورضي عنه ووصله.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حَدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: حَدَّثني أحمد بنُ مروان قال: حَدَّثني أبو سعيد المخزوميُّ قال: دخلت على حُمَيد الطوسيِّ، فأنشدته قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير، فجعل لا يمرّ ببيت إلا قال: أحسن قاتله الله! أحسن ويحه! أحسن لله أبوه! أحسن أيها الأمير. فأمر لي حُمَيد بِبَدرة، فلما خرجتُ قام إليَّ البوابون، فقلت: كم أنتم؟ عرِّفوني أولاً مَن هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: عليُّ بنُ جَبَلة العكَوَّكُ. فارفضضْتُ عرَقاً، ولو علمت أنه عليّ بن جَبَلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه.

[بينه وبين المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيه قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال: كلَّم حُمَيد الطوسيُّ المأمونَ في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جَبَلة، فيسمعَ منه مديحاً مدحهُ به، فقال: وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دُلَف: [المديد]

إنَّــمــا الــدُّنْــيــا أبــو دُلَــفٍ   بَــيــنَ مَــغْــزاهُ ومُــحْــتَــضَــرِهْ
فــإذا ولَّــى أبــو دُلَــفٍ   ولَّــتِ الــدُّنْــيــا عــلــى أَثَــرِهْ

وبعد قوله فيك: [مجزوء الكامل]

يــا واحِــدَ الــعَــرَبِ الــذي   عَــزَّتْ بِــعِــزتِــهِ الــعَــرَبْ

أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثل ما قاله في أبي دُلَف، فيجعلَني نظيراً له. هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عَنْه، فخيِّروه بين أن أسمع مِنْه، فإن كان مدحُه إياي أفضل من مدحِهِ أبَا دُلَف وصلته، وإلا ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أُقيله وأُعفيه من هذا وذا. فخيَّروه بذلك، فاختار الإِقالة. ثم مدح حُمَيداً الطوسي، فقَال له: وما عسَاك أن تقول فيَّ بعد مَا قلته في أبي دُلَف، فقَال: قد قلتُ فيك خيراً من ذلك قال: هات، فأنشده: [السريع]

دِجْــلَــةُ تَــسْــقِــي وأبــو غــانِــمٍ   يُــطْــعِــمُ مَــنْ تَــسْــقــي مِــنَ الــنَّــاسِ
الــنَّــاس جِــسْــمٌ وإمــامُ الــهُــدَى   رَأسٌ وأَنْــتَ الــعَــيْــنُ فــي الــرَّاسِ

فقال له حُمَيد: قد أجدتَ، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصلَه.

قال أحمد بن عُبَيد، ثم مات حُميد الطوسي، فرثاه عليّ بن جَبَلة، فَلقيتُه، فقُلت له: أنشدني مرثيتك حُمَيداً، فأنشدني: [الطويل]

نَــعــاءِ حُــمَــيــداً لــلــسَّــرايــا إذا غــدَتْ   تُــذادُ بِــأَطْــرافِ الــرِّمــاحِ وتــوزَعُ[١]

حتى أتى على آخرها. فقُلت له: ما ذهب على النحو الذي نحوتَه يا أبا الحسن، وقد قاربته وما بَلغته. فقَال: وما هو؟ فقُلت: أردتُ قول الخُرَيمي في

(١) نعاءِ حميداً: انعه، وأظهر خبر وفاته.

مرثيته أبا الهَيْذام: [الطويل]

وأَعْـدَدْتُـهُ ذُخْـراً لِـكُـلِّ مُـلِـمَّـةٍ وَسـهْـمُ الـمَـنَـايـا بـالـذَّخـائِـرُ مُـولَـعُ

فقال: صدقت والله، أما والله لقد نحوتُه وأنا لا أطمع في اللَّحاق به، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة.

أخبرني عمي قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني ابنُ أبي حرب الزعفرانيّ، قال: لما بلغ المأمونَ قول عليّ بن جَبَلة لأبي دُلَف: [المديد]

كُـلُّ مَـنْ فـي الأَرْضِ مِـنْ عَـرَبٍ بَـيْـنَ بـادِيـهِ إلـى حَـضَـرِهْ
مُـسْـتَـعِـيـرٌ مِـنْـكَ مـكْـرُمَـةً يَـكْـتَـسِـيـهـا يَـوْمَ مُـفْـتَـخَـرِهْ

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطُلب فلم يُقْدر عليه، وذلك أنه كان بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسط الشام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يا بن اللَّخْناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى(١): [المديد]

كُـلُّ مَـنْ فـي الأَرْضِ مِـنْ عَـرَبٍ بَـيْـنَ بـادِيـهِ إلـى حَـضَـرِهْ
مُـسْـتَـعِـيـرٌ مِـنْـكَ مَـكْـرُمَـةً يَـكْـتَـسِـيـهـا يَـوْمَ مُـفْـتَـخَـرِهْ

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله جلّ وعزّ فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه. وإنما عنَيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانَه، فقال: والله ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ، سُلّوا لسانه من قفاه.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بن موسى قال: وحدثني أحمد بنُ أبي فَنَن، أن المأمون لما أُدخل عليه عليُّ بنُ جَبَلة قال له: إني لست استحلُّ دمك لتفضيلك أبا دُلَف على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً ـ وهم آل رسول الله ﷺ وعترتُه ـ ولكني أستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه: [البسيط]

أَنْـتَ الـذِي تُـنْـزِلُ الأَيَّـامَ مَـنْـزِلَـهـا وتَـنْـقُـلُ الـدَّهْـرَ مِـنْ حـالٍ إلـى حـالِ

(١) القاسم بن عيسى: هو أبو دُلَف.

ومـا مَـدَدْتَ مـدَى طَـرْفٍ إلـى أحَـدٍ إلاَّ قَـضَـيْـتَ بِـأرْزاقٍ وآجـالِ

كذبتَ يا ماصّ بَظْرِ أُمه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله - عزّ وجلّ - الملك الواحد القهار. سُلّوا لسانه من قفاه.

صوت

[المنسرح]

لا بُـدَّ مِـنْ سَـكْـرَةٍ عـلـى طَـرَبِ لَـعَـلَّ رَوْحـاً يُـدالُ مِـنْ كُـرَبِ

- ويُروى:

لَـعَـلَّ رَوْحـاً يُـديـلُ مِـنْ كُـرَبِ

- وهو أصوب

فـعـاطِـنِـيـهـا صَـهْـبـاءَ صـافِـيَـةً تَـضْـحَـكُ مِـنْ لُـؤلُـؤ عـلـى ذَهَـبِ
خَـلِـيـفَـةَ الله أنْـتَ مُـنْـتَـخَـبٌ لِـخَـيْـرِ أُمٍّ مِـنْ هـاشِـم وأَبِ
أكْـرِمْ بِـأَصْـلَـيْـنِ أنْـت فـرْعُـهـمـا مِـنَ الإمـامِ الـمَـنْـصـورِ فـي الـنَّـسَـبِ

الشعر للتيميّ، والغناء لسُلَيم بنِ سلاّم، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، وفيها لنظم العمياءِ خفيفُ رمَل بالبِنصر عن الهِشاميّ.

أخبار التيميّ ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠٩ هـ/نحو سنة ٨٢٤ م]

[اسمه وكنيته وولاؤه وبعض شعره]

هو عبدُ الله بنُ أيوب، ويكنى أبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سُليم. ذكر ذلك ابن النطاح، وكان له أخ يقال له أبو التَّيَّحَان، وكلاهما كان شاعراً، وهما من أهل الكوفة، وهما من شعراء الدولة العباسية. أحدُ الخلعاء المُجَّان الوصَّافين للخمر، وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ وابنِه إسحاق، ونديماً لهما، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيدَ بن مَزْيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد. واستنفد شعره أو أكثره في وصفه الخمر، وهو الذي يقول: [المتقارب]

شَرِبْتُ مِنَ الخَمْرِ يَوْمَ الخَمِيـ ـسِ بالكاسِ والطَّاسِ والقَنْقَلِ(١)
فما زَالتِ الكَأْسُ تَغْتالُنا وتَذْهَبُ بالأَوَّلِ الأَوَّلِ
إلى أَنْ تَوافَتْ صلاةُ العِشا وَنَحْنُ مِنَ السُّكْرِ لَمْ نَعْقِلِ
فَمَنْ كانَ يَعْرِفُ حَقَّ الخَميسِ وَحَقَّ المُدامِ فلا يَجْهَلِ
وما إنْ جَرَتْ بَيْنَنا مَزحَةٌ تَهِيجُ مِراءً عَلى السَّلْسَلِ

وهو القائل: [الطويل]

وَلَنْ أَنْتَهِيَ عَنْ طَيِّبِ الرَّاحِ أو يَرى بَوادي عظامي في ضَريحيَ لاحِدُ
أَضَعْتُ شَبابي في الشَّرابِ تَلَذُّذاً وَكُنْتُ امْرأً غِرَّ الشَّبابِ أُكابِدُ

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال: حدّثني أبو العيناء عن محمد بن عمر، قال: أبو محمد التيميُّ اسمه عبد الله بنُ أيوب مولى بني تيم.

(١) القنقل: المكيال الضخم.

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمار عن محمد بن داود بنِ الجراح قال: قال دعبل: كان للتيميّ أبي محمد ابنٌ يقال له حبّان، مات وهو حديث السنّ، فجزع عليه، وقال يرثيه:

صوت

[البسيط]

أَوْدَى بِحَبّانَ ما لَمْ يَتْرُكِ النَّاسا ... فامْنَحْ فُؤادَكَ مَنْ أَحْبابِكَ الياسا
لما رَمَتْهُ المَنايا إذْ قَصَدْنَ لَهُ ... أَصَبْنَ مِنّي سَوادَ القَلْبِ والرَّاسا
وَإِذْ يَقولُ لي العُوَّادُ إذْ حَضَروا ... لا تَأْسَ أَبْشِرْ أبا حبانٍ لا تاسَى
فَبِتُّ أَرْعى نُجُومَ اللَّيْلِ مُكْتَئِباً ... إخالُ سُنَّتَهُ في اللَّيْلِ قُرْطاسا[1]

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات حَكَم الوادي، ولحنُه رمَل مطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق. وأول هذه القصيدة: [البسيط]

يا دَيْرَ هِنْدٍ لَقَدْ أَصْبَحْتَ لي أَنَساً ... وما عَهِدْتُكَ لي يا دَيْرُ مِئْناسا[2]

وهي مشهورة من شعره.

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبي قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيات قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قلت:

وُصِفَ الصدُّ لمن أهوَى فَصَدّ

ثم أجبلتُ، فمكثت عدة ليالٍ لا يستوي لي تمامه. فدخل عليَّ التيميّ فرآني مفكراً، فقال لي: ما قصتُك؟ فأخبرتُه، فقال:

وبدا يمزح بالهجر فجَدّ

ثم أتممتها. فقلت: [الرمل]

ما لَهُ يَعْدِلُ عَنّي وَجْهَهُ ... وهو لا يَعْدِلُهُ عِنْدي أَحَدْ؟

وخرجْت إلى مدح الفضل بن الربيع، فقلت:

---

(١) السُّنة: الوجه، أو الجبهة والجمع سنن.

(٢) دير هند: دير بالحيرة. وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة. (انظر معجم البلدان ٢/ ٥٤١).

قَـدْ أرادوا غِـرّةَ الـفَـضْـلِ وَهَـلْ تُـطْـلَـبُ الـغِـرّةُ في خِـيسِ الأسدْ[١]
مَـلِـكٌ نَـدْفَـعُ مـا نَـخْـشَـى بـه وبـه يَـصْـلُـحُ مـنّـا مـا فَـسَـدْ
يَـفْـعَـلُ الـنَّـاسُ إذا مـا وعـدوا وإذا مـا فَـعَـلَ الـفَـضْـلُ وَعَـدْ

ـ لإسحاق في هذا الشعر صَنْعَة، ونِسْبتُها:

صوت

[الرمل]

وُصِـفَ الـصَّـدُّ لِـمَـنْ نَـهْـوَى فَـصَـدْ وَبَـدا يَـمْـزَحُ بـالـهَـجْـرِ فـجَـدْ
مـا لَـهُ يَـعْـدِلُ عَـنِّـي وَجْـهَـهُ وهـو لا يَـعْـدِلُـهُ عِـنْـدي أَحَـدْ؟

الشعر والغناء لإسحاق، خفيفُ رمل بالبِنصر، وله فيه أيضاً ثقيل أول، وفيه لزكريا بنِ يحيى بن معاذ هزَج بالبِنصر عن الهشامي وغيره. قال الهشاميّ: وقيل إن الهزَج لإسحاق، وخفيف الرمل لزكريا.

أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجم عن إسحاق قال: اشتركت أنا وأبو محمد التيميّ في هذا الشعر:

وُصِـف الـصـد لـمـن نـهـوى فـصـدْ

وذكر البيتين.

[رثاؤه يزيد بن مزيد]

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ عبد الله بنِ طَهمان قال: حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدَثين على الرشيد ـ قال: قال لي الرشيد يوماً: أنشدني مرثية مروان بنِ أبي حفصة في معنِ بن زائدةَ التي يقول فيها: [الوافر]

كَـأَنَّ الـشَّـمْـسَ يَـوْمَ أُصِـيـبَ مَـعْـنٌ مِـنَ الإظْـلام مُـلْـبَـسَـةٌ جِـلالا
هُـوَ الـجَـبَـلُ الـذي كـانَـتْ مَـعَـدٌّ تَـهُـدُّ مِـنَ الـعَـدُوِّ بـه الـجِـبـالا
أَقَـمْـنـا بـالـيَـمـامَـةِ بَـعْـدَ مَـعْـنٍ مُـقـامـاً لا نُـريـدُ بـه زِيـالا[٢]

(١) الخيسة: موضع الأسد. والجمع خيس.
(٢) زيالاً: فراقاً وتنحية.

وَقُلْنا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ ... وَقَدْ ذَهَبَ النَّوالُ فلا نَوالا

قال: فأنشدته إياها، ثم قال لي: أنشدني قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيدَ بن مَزْيد، فهي والله أحب إليَّ من هذه، فأنشدته: [الوافر]

أَحَقٌّ أَنَّهُ أَوْدَى يَزِيدُ ... تَبَيَّنْ أيها النَّاعي المُشِيدُ

أَتَدْري مَنْ نَعَيْتَ وَكَيْفَ فاهَتْ ... بِهِ شَفَتاكَ، كانَ بِكَ الصَّعيدُ

أحامي المَجْدِ والإِسْلامِ أَوْدَى ... فما للأرضِ وَيْحَكَ لا تَميدُ!

تَأَمَّلْ هَلْ تَرى الإِسْلامَ مالَتْ ... دَعائِمُهُ وَهَلْ شابَ الوَليدُ!

وَهَلْ شِيمَتْ سُيوفُ بَني نِزارٍ ... وَهَلْ وُضِعَتْ عَنِ الخَيْلِ اللُّبُودُ![1]

وَهَلْ تَسْقِي البِلادَ عِشارُ مُزْنٍ ... بِدِرَّتِها وَهَلْ يَخْضَرُّ عُودُ![2]

أما هُدَّتْ لِمَصْرَعِهِ نِزارٌ ... بَلَى وَتَقَوَّضَ المَجْدُ المَشِيدُ

وحَلَّ ضَريحَهُ إذ حَلَّ فيهِ ... طَريفُ المَجْدِ وَالحَسَبُ التَليدُ[3]

أمَا والله ما تَنْفَكُّ عَيني ... عَلَيْكَ بِدَمْعِها أَبداً تَجُودُ

فإنْ تَجْمُدْ دُموعُ لَئِيمِ قَومٍ ... فَلَيْسَ لِدَمْعِ ذي حَسَبٍ جُمُودُ

أَبَعْدَ يَزيدَ تَخْتَزِنُ البَواكِي ... دُمُوعاً أو تَصَانُ لها خُدودُ؟

لِتَبْكِكَ قُبَّةُ الإِسْلامِ لَمّا ... وَهَتْ أطنَابُها وَوَهَى العَمُودُ[4]

وَيَبْكِكَ شاعِرٌ لَمْ يُبْقِ دَهْرٌ ... لَهُ نَشَباً وَقَدْ كَسَدَ القَصِيدُ[5]

فَمَنْ يَدْعُو الإِمامُ لِكُلِّ خَطْبٍ ... يَنُوبُ وَكُلُّ مُعْضِلَةٍ تَؤُودُ[6]

ومَنْ يَحْمِي الخَمِيسَ إذا تعايا ... بِحيلَةِ نَفْسِهِ البَطَلُ النَّجِيدُ؟

فإنْ يَهْلِكْ يَزيدُ فَكُلُّ حَيٍّ ... فَرِيسٌ لِلْمَنِيَّةِ أو طَرِيدُ

أَلَمْ تَعْجَبْ لَهُ أَنَّ المَنايا ... فَتَكْنَ بِهِ وَهُنَّ له جُنودُ؟

قَصَدْنَ لَهُ وَهُنَّ يَحِدْنَ عنهُ ... إذا ما الحَرْبُ شَبَّ لها وَقُودُ

لَقَدْ عَزَّى رَبيعَةَ أنَّ يوماً ... عليها مثلَ يَوْمِكَ لا يَعُودُ

---

(١) اللِّبد: ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج، وجمعه: لبود وألباد.

(٢) العشار: النوق الحديثة النتاج واحدتها عشراء.

(٣) التَّليد: القديم.

(٤) الطُّنب: حبل طويل يُشدّ به سرادق البيت، وجمعه: أطناب وطنبة.

(٥) النَّشبُ: المال الأصيل من النّاطق والصّامت.

(٦) تؤود: تُقضى.

قال: فبكى هارون الرشيد بكاءً اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة[١] لملأها من دموعه.

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال: حدثنا أبو العيناء قال: حدّثنا محمدُ بن عمرَ قال: خرج كوثرٌ خادمُ محمدِ الأمين ليرى الحرب، فأصابته رَجْمة[٢] في وجهه، فجلس يبكي، فوجَّه محمدٌ من جاءه به، وجعل يمسح الدم عن وجهه، وقال:

[مجزوء الرمل]

ضَرَبُوا قُرَّةَ عَيْنِي ... وَمِنْ أجْلِي ضَرَبُوهُ
أخَذَ اللهُ لِقَلْبِي ... مِنْ أُناسٍ أحْرَقُوهُ

قال: وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته، فقال للفضل بن الربيع: من ها هنا من الشعراء؟ فقال: الساعةَ رأيت عبد الله بنَ أيوبَ التيميَّ، فقال: عليَّ به. فلما أُدخل أنشده محمد هذين البيتين، وقال: أجِزهما، فقال: [مجزوء الرمل]

ما لِمَنْ أهْوَى شَبِيهُ ... فَبِهِ الدُّنْيا تَتِيهُ
وصْلُهُ حُلْوٌ ولكنْ ... هَجْرُهُ مُرٌّ كَرِيهُ
مَن رَأى النَّاسُ لَهُ الفَضْـ ... ـلَ عَلَيْهِم حَسَدُوهُ
مِثْلَ ما قَدْ حَسَدَ القا ... ئِمَ بالمُلْكِ أخُوهُ

فقال محمد: أحسنت، هذا والله خير مما أردنا، بحياتي عليك يا عباسي إلا نظرت، فإن جاء على الظَّهر ملأتَ أحمال ظهره دراهم، وإن كان جاء في زورق ملأته. فأوقرتُ[٣] له ثلاثة أبغل دراهم.

[وساطة الفضل له عند المأمون]

قال محمد بن يحيى: فحدثني الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدثني محمد بن إدريس قال: لما قُتل محمدُ الأمين خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه، فأوصله إلى

(١) السُّكرجة: الصحفة يوضع فيها الأكل.
(٢) الرَّجْمَة: الحجر.
(٣) أوقر الدابة: حمَّلها حملاً ثقيلاً. والوقر: الحمل الثقيل.

المأمون. فلما سلَّم عليه قال له المأمون: إيه يا تيميّ. [مجزوء الرمل]

مِثْلَ ما قَدْ حَسَدَ القا ئِمَ بالمُلْكِ أخوهُ

فقال التيميّ: بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين: [مجزوء الرمل]

نُصِرَ المأمونُ عبدُ اللَّـ ـهِ لما ظَلَمُوهُ
نَقَضوا العَهْدَ الَّذي كا نُوا قَديماً أكَّدوهُ
لَمْ يُعامِلْهُ أخوهُ بالذي أوْصَى أبوهُ

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها: [الطويل]

جَزِعْتَ ابنَ تَيْمٍ أنْ أتاكَ مشِيبُ وبانَ الشَّبابُ والشَّباب حَبِيبُ

قال: فلما أنشده إياها وفرغ منها قال: قد وهبتك لله - عزّ وجلّ - ولأخي العباسي - يعني الفضل بن سهل - وأمرت لك بعشرة آلاف درهم.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني عونُ بن محمد الكنديّ قال: حدثني عبّاد بن محمد الكاتب عن أبي محمد التّيميّ الشاعر قال: أنشدتُ الأمين محمداً أول ما ولي الخلافة قولي: [المنسرح]

لا بُدَّ مِنْ سَكْرَةٍ على طَرَبِ لَعَلَّ رَوْحاً يُديلُ مِنْ كُرَبِ

الأبيات المذكورة في الغناء. قال: فأمر لي بمائتي ألف درهم، صالحوني منها على مائة ألف درهم.

وأخبرني جعفرُ بن قُدامة[1] قال: حدّثني محمدُ بنُ يحيى المنجّم قال: وحدثني حسين بن الضحاك قال: قال لي أبو محمد التيميّ: دخلتُ على محمدٍ الأمين أوّل ما ولي الخلافة، فقال: يا تيميّ، ودِدت أنه قيل فيّ مثل قول طُريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد: [المنسرح]

طُوبَى لِفَرْعَيْكَ مِنْ هنا وهنا طُوبَى لأعْراقِكَ التي تَشجُ[2]

فإني والله أحق بذلك منه، فقلت: أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين، ثم دخلت

(١) جعفر بن قدامة بن زياد، أبو قاسم، أديب من كبار الكتّاب. (توفي سنة ٣١٩ هـ). (في تاريخ بغداد ٧/٢٠٥).

(٢) تَشِج: تمتدّ وتشتبك.

إليه من غد فأنشدته قصيدتي: [المنسرح]

لا بُدَّ مِنْ سَكْرَةٍ على طَرَبِ لَعَلَّ رَوْحاً يُديلُ مِنْ كُرَبِ

حتى انتهيت إلى قولي:

أَكْرِمْ بِفَرْعَيْنِ يَجريانِ بِهِ إلى الإمامِ المَنْصُورِ في النَّسَبِ

فتبسَّم، ثم قال لي: يا تيمي قد أحسنت، ولكنه كما قيل: مرعى ولا كالسَّعدان[1]، ثم التفَت إلى الفضل بنِ الربيع فقال: بحياتي أوقِرْ له زورقَه مالاً. فقال: نعم يا سيدي. فلما خرجت طالبت الفضل بذلك، فقال: أنت مجنون؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم.

[مدحه الفضل بن يحيى]

أخبرني وَكيع قال: حدّثني ابنُ إسحاق قال: حدّثني أبي قال: كنت على باب الفضل بنِ يحيى، فأتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس، وسألني أن أُوصلها إلى الفضل، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس، فغضب أبو محمد وقال لي: أما كفاك أن استخفَفْت بحاجتي، منعتَني أن أدفعها إلى غيرك؟ فقلت له: أنا خير لك من القرطاس! ثم دخلت إلى الفضل، فلما تحدثنا قلت له: مَعي هدية وصاحبها بالباب؛ وأنشدته، فقال كيف حفِظتها؟ قلت: الساعةَ دفعها إليّ على الباب، فحفِظتها. فقال: دع ذا الآن. فقلت له: فأُدخله، فأُدخل، فسأله عن القصة فأخبره. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك ففعل، وجعلت أُردد أبياته، وجعلت أشيّعها بالاستحسان، ثم خرج التيميّ فقلت: خذ في حاجة الرجل، فقال: أمّا إذ عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم. فقلت له: أمّا إذ أقللتَها فعجِّلها، فأمر بها فأُحضرت. فقلت له: أليس لإعناتك إياي ثمن؟ قال: نعم. قلت: فهاته. قال: لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح. فقلت: فهات ما شئت، فأمر بثلاثة آلاف درهم، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف، ووجَّهت بها إليه.

وذكر أحمدُ بنُ طاهر عن أبي هِفّان عن إسحاق قال: كان التيمي وأخوه أبو التَّيّحان وابن عم له يقال له: قَبيصة يشربون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من

(١) السعدان، أخثر العشب لبناً، وإذا خثر لبن الراعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم. ومنابت السعدان السهول. يضرب مثلاً للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله، (معجم الأمثال ٢/ ٢٩٩).

غد، فقال التيميّ يذكر ذلك ويتشوق مثله:

صوت

[الخفيف]

هَلْ إلى سَكْرَةٍ بناحِيَةِ الحَيْـ ـرَةِ شَنْعاءَ يا قَبيصُ سَبِيلُ
وأبو التَّيحانِ في كَفِّهِ القر عةُ والرَّأسُ فَوْقَهُ إكْليلُ
وعَرارٌ كأنَّهُ بَيْذَقُ الشَّطْـ ـرَنْجِ يفتن فيهِ قالٌ وقِيلُ[1]

الشعر للتيمي والغناء لمحمد بن الأشعث، رَمل بالوسطى.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا أبو العيناء عن أبي العالية، قال: أمر محمدُ الأمينُ لعبد الله بنِ أيوبَ بجائزةِ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال بعد ابتياعه إياها: [الكامل]

إنّي اشْتَرَيْتُ بما وَهَبْتَ لِيَهْ أَرْضاً أمون بها قرابَتِيَهْ
فَبِحُسْنِ وَجْهِكَ حِينَ أَسْأَلُ قُلْ يابنَ الرَّبيعِ احْمِلْ إلَيْهِ مِيَهْ

فغُنِّيَ بها الأمين، فقال للفضل: بحياتي يا عباسي، احمل إليه مائة ألف، فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً، وقال له: الخمسون الأخر لك عليّ إذا اتسعَت أيدينا.

أخبرني الحسن، قال: حدّثني أبو العيناء، عن أبي العالية قال: عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين، فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن التيميّ يجد بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إليّ بيتين يسألني فيهما ثمنها، فقال: وما هما؟ فقال: [الرمل]

يا أبا عِيسَى إلَيْكَ المُشْتَكَى وأخو الصَّبْرِ إذا عِيلَ شكا
لَيْسَ لي صَبْرٌ على فِقْدانِها وَأعافُ المَشْرِبَ المُشْتَرَكا

قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها.

أخبرني الحسن قال: حدّثني أبو العيناء عن أبي العالية قال: دخل التيميّ إلى

(١) العرار: النرجس البري.

الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده: [الطويل]

أَلا إِنَّـمـا آلُ الـرَّبِـيـعِ رَبِـيـعٌ وَغَـيْـثٌ حَـيـاً لـلـمُـرْمِـلِـيـنَ مَـرِيـعُ
إذا مـا بَـدا آل الـرَّبِـيـعِ رَأَيْـتَـهـم لَـهـم دَرَجٌ فَـوْقَ الـعِـبـادِ رَفِـيـعُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

أخبرني عيسى بن الحسن قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: مدح أبو محمد التيميّ الفضل بن يحيى بثلاث أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصليّ، فعرضها على الفضل بن يحيى، فأمر له بثلاثة آلاف درهم، والأبيات: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ مـا الأَشْـرافُ فـي كُـلِّ بَـلْـدَةٍ وإن عـظُـمـوا لِـلْـفَـضْـلِ إلا صَـنـائِـعُ
تَـرَى عُـظَـمـاءَ الـنَّـاسِ لـلـفَـضْـلِ خُـشَّـعـاً إذا مـا بَـدا والـفَـضْـلُ لله خـاشِـعُ
تَـواضَـعَ لَـمّـا زادَهُ الله رِفْـعَـةً وَكُـلُّ جَـلِـيـلٍ عِـنْـدَهُ مُـتَـواضِـعُ

أخبرني جَحظةُ قال: حدّثني عليُّ بن يحيى المنجم قال: حدّثني إسحاقُ الموصليُّ عن محمد بنِ سلام قال: كتب الحجاج إلى قُتَيبة بن مسلم: إني قد نظرت في سنِّي، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة، وأنا وأنت لِدة[1] عام. وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لَقريب أن يَرِده، والسلام.

فسمع هذا أبو محمد التيمي منّي فقال: [الطويل]

إذا ذَهَـبَ الـقَـرْنُ الـذي أَنْـتَ فِـيـهـمُ وخُـلِّـفـتَ فـي قَـرْنٍ فَـأَنْـتَ غَـرِيـبُ
وإِنَّ امْـرَأً قَـدْ سـارَ خَـمْـسِـيـنَ حِـجَّـةً إلـى مَـنْـهَـلٍ مِـنْ وِرْدِهِ لَـقَـرِيـبُ

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: حدّثني أبو دِعامة عليُّ بنُ يزيدَ قال: حدّثني التيميُّ أبو محمد قال: دخلتُ عَلَى الحسنِ بنِ سهل، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه، وعنده طاهر بن الحسين، فقال له طاهر: هذا والله أيها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع: [المنسرح]

لا بُـدَّ مِـنْ سَـكْـرَةٍ عَـلَـى طَـرَبِ لَـعَـلَّ رَوْحـاً يُـدِيـلُ مِـنْ كُـرَبِ
خَـلِـيـفَـةُ الله خَـيْـرُ مُـنْـتَـخَـبٍ لِـخَـيْـرِ أُمٍّ مِـنْ هـاشِـمٍ وأَبِ
خِـلافَـةُ الله قَـدْ تَـوارَثَـهـا آبـاؤُهُ فـي سَـوالِـفِ الـكُـتُـبِ

(١) اللِّدة: من ولد معك، أو تربى معك.

فَـهْـيَ لَـهُ دونَـكُـم مُـوَرَّثَـةٌ عَنْ خاتَم الأَنْبياءِ في الحِقَبِ
يابن الذُّرا مِنْ ذَوائِبِ الشَّرَفِ الـ أَقْدَمِ أَنْتُمْ دَعائِمُ العَرَبِ

فقال الحسن: عرَّض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين، والله لأُعلمنَّه. وقام إلى المأمون فأخبره، فقال المأمون: وما عليه في ذلك، رجل أمَّل رجلاً فمدحه، والله لقد أحسن بنا، وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر. ثم دعاني فخلع عَلَيّ وحملني، وأمر لي بخمسة آلاف درهم.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثني محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيه قال: حدّثني أبو الشِّبل البُرجمي عن أبيه قال: قال لي أبو محمدٍ التيميُّ: أولُ شعر عُرِفت به فشاع فيه ذكري ووصَلْت به إلى الخليفة قولي:

صوت

[مجزوء الرمل]

طافَ طَيْفٌ في المَنامِ بِمُحِبٍّ مُسْتَهامِ
زَوْرَةٌ أَبْقَتْ سَقاماً وَشَفَتْ بَعْضَ السَّقامِ[1]
لَمْ يَكُنْ ما كانَ فِيها مِنْ حَرامٍ بِحَرامِ
لَمْ تَكُنْ إلاّ فُواقاً وهْيَ في لَيْلِ التِّمامِ

الغناء لإسحاق: فقال: فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنى به الرشيد، فسأله عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف، يُعرف بالتيميّ، فطُلبت وأُمرت بالحضور، فسألت عن السبب الذي دُعيتُ له فعرفته، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون. ودخلت إليه فأنشدته إياها، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وصرتُ في جملة من يدخل إليه بنَوبة وأمر أن يدوَّن شعري.

[بينه وبين إسحاق الموصلي]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد بنُ إسحاق قال: حدّثني عمي طَيّاب بنُ إبراهيمَ الموصليّ قال: حدّثني أبو محمد التّيميّ الشاعر قال: اجتزت يوماً بأخيك إسحاق فقال: ادخل حتى أُطعِمُك طعاماً صِرْفاً،

(١) الزورة: المرّة من زار.

وأسقيَك شراباً صِرفاً وأُغنِّيَك غِناءً صِرفاً، فدخلتُ إليه فأطعمني لحماً مكبّباً، وشواءً حارّاً وبارداً مبزّراً، وأسقاني شراباً عتيقاً صِرفاً، وغنّاني وحده مرتجلاً:

[الطويل]

وَلَوْ أَنَّ أَنْفاسي أَصابَتْ بِحَرِّها ... حَديداً إذاً كادَ الحَديدُ يَذوبُ
وَلَوْ أن عَيْني أُطْلِقَتْ مِنْ وِكائِها ... لما كانَ في عامِ الجُدوبِ جُدوبُ[1]
ولو أن سلْمى تَطْلَعُ الشَّمْسُ دُونَها ... وأُمْسِي وَراءَ الشَّمْسِ حِينَ تَغِيبُ
لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أن تَريعَ بها النَّوَى ... وَقُلْتُ لِقَلْبِي إنَّها لَقَرِيبُ[2]

فلم تزَل تلك حالي حتى حمِلتُ من بيته سكران.

أخبرني جَحظةُ قال: حدّثنا حمادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه، قال: دخلتُ يوماً على عمرو بنِ مَسعدة، فإذا أبو محمدٍ التّيميُّ واقف بين يديه يستأذنه في الإنشاد، فقال: ذاك إلى أبي محمد ـ يعنيني ـ وكان عَلَى التّيمي عاتباً، فكَرِه أن يمنعه لِعلمه بما بيننا من المودة، فقلت له: أنشد إذ جعل الأمر إليّ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إليّ. فتبسم عمرو، وأنشده التيميّ:

[الخفيف]

يا أبا الفَضْلِ كَيْفَ تَغْفَلُ عَنِّي ... أَمْ تَخَلَّى عِنْدَ الشَّدائِدِ مِنِّي؟
أَنَسِيتَ الإِخاءَ والعَهْدَ والوُ ... دَّ حَدِيثاً ما كانَ ذُلك ظَنِّي
أنا مَنْ قَدْ بَلَوْتَ في سالِفِ الدَّهْـ ... ـرِ مَضَتْ شِرَّتي وَلَمْ تَفْنَ سِنِّي
فاصْطَنِعْنِي لما يَنُوب بِهِ الدَّهْـ ... ـرُ فَإِنِّي أجوزُ في كُلِّ فَنِّ
أنا لَيْثٌ على عَدُوِّكَ سِلْمٌ ... لَكَ في الحَرْبِ فابْتَذِلْني وصِلْني
أنا سَيْفٌ يَوْمَ الوَغَى وَسِنانٌ ... وَمِجَنٌّ إنْ لَمْ تَثِقْ بِمِجَنِّ
أنا طَبٌّ في الرَّأْيِ في مَوْضِعِ الرأْ ... يِ معين على الخَصِيمِ المعَنِّ[3]
وأَمِينٌ على الودائِعِ والسِّـ ... ـرِّ إذا ما هَوِيتَ أَنْ تَأْتَمِنِّي

قال: فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك، وقال: أتعلَّم هذا الغناء منك أم كان يَعلمهُ قديماً؟ فقلت له: لم يكذب، أعزك الله. فقال: أفي هذا وحده أو في

---

(١) الوكاء في الأصل: رباط القربة وغيرها.
(٢) تريع: ترجع.
(٣) طبٌّ: خبير.

الجميع؟ فقلت: أما في هذا فأنا أُحق كذبَه، والله أعلم بالباقي. ثم أنشده:

[الخفيف]

وإذا مــا أَرَدْتَ حَــجّــاً فَــرَحّــنــا ... لُ دَلِــيــلٌ إنْ نــامَ كُــلُّ ضِــفَــنٍّ(١)

فقال له: إذا عزمنا على الحج امتحناك في هذا، فإني أراك تصلح له، ثم أنشده:

[الخفيف]

ولَــبِــيــبٌ عــلــى مَــقــالِ أبــي الــعَــبَّـــ ... ـاسِ إنّــــي أَرَى بِــــهِ مَــــسَّ جِــــنِّ

فقال: ما أراه أبعد، فقال:

وهــو الــنّــاصِــحُ الــشَّــفِــيــقُ ولــكــن ... خــافَ هَــيْــجَ الــزَّمــانِ فــازْوَرَّ عَــنِّــي
وظَــرِيــفٌ عِــنْــدَ الــمــزاحِ خَــفِــيــفٌ ... فــي الــمــلاهــي وفــي الــصِّــبــا مُــتَــثَــنِّ
كَــيْــفَ بــاعَــدْتَ أو جَــفَــوْتَ صَــدِيــقــاً ... لا مَــــلُــــولاً، لا لا ولا مُــــتَــــجَــــنِّ
صِــرْتُ بَــعْــدَ الإكْــرام والأُنْــسِ أَرْضَــى ... مِــنْــكَ بِــالــتّــرَّهــاتِ مــا لــم تُــهِــنِّــي
لَــمْ تَــخُــنّــي وَلَــمْ أَخُــنْــكَ ولا والــلّـــ ... ـه رَبِّــي لا خُــنْــتُ مَــنْ لَــمْ يَــخُــنِّــي
إنْ أَكُــنْ تُــبْــتُ أو هَــجَــرْتُ الــمــلاهــي ... وسُــلافــاً يَــجُــنُّــهــا بَــطْــن دَنِّ(٢)
فــحــديــثــي كــالــدُّرِّ فُــصِّــلَ بــالــيــا ... قــوتِ يَــجْــري فــي جِــيــدِ ظَــبْــيٍ أَغَــنِّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم، فقال له: هذا شيء تطوعتَ به، فأين موضع حُكمي؟ فقال: مثلها، فانصرف بعشرة آلاف درهم.

أخبرني عمي قال: حدّثني محمدُ بنُ الحسن بن مسعود قال: حدّثني عليُّ بنُ عمرو قال: مرّ التيمي بالحِيرة على خَمّار كان يألفه، وقد أسنّ التيمي وأُرعش، وترك النبيذ. فقال له الخمَّار: ويحك! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى؟ فقال: نعم والله، لولا ذلك لأكثرتُ عندك. ثم أنشأ يقول:

صوت

[الخفيف]

هَــلْ إلــى سَــكْــرَةٍ بِــنــاحِــيَــةِ الــحِــيـــ ... ـرَةِ يَــوْمــاً قَــبْــلَ الــمَــمــاتِ سَــبِــيــلُ؟
وأبــو الــتَّــيَّــحــانِ فــي كَــفِّــهِ الــقــر ... عــةُ والــرَّأسُ فَــوْقَــهُ الإكْــلــيــلُ

---

(١) الضِّفنّ: الأحمق في عظم خلق.
(٢) السُّلاف: من أسماء الخمر.

وعَــرارٌ كــأنَّــهُ بَــيْــذَقُ الــشِّــطْـــ ـــرنْــجِ يَــفْــتَــنُّ فِــيــهِ قــالٌ وقــيــلُ

في هذه الأبيات لمحمدِ بنِ الأشعث رَمل بالوسطى عن الهشامي.

أخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال: كان أبو محمد التيميّ يهوَى غلاماً، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان، فكان بها مشغولاً عنه، وكانت القَينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه، فقال التيميّ:

[السريع]

وَيْــلِــي عــلــى أغْــيَــدَ مَــمْــكــورِ وســاحِــرٍ لَــيْــسَ بِــمَــسْــحــورِ[1]
تُــؤْثِــرُهُ الــحُــورُ عــلــيــنــا كــمــا نُــؤْثِــرُهُ نَــحْــنُ عــلــى الــحُــورِ
عُــلِّــقَ مَــنْ عــلّــقَ فِــيــهِ هَــوًى مُــنْــتَــظِــم الأُلْــفَــةِ مَــغْــمــورِ
وَكُــلٌّ مَــنْ تَــهْــواهُ فــي أمْــرِهِ مُــقَــلَّــبٌ صــفــقــة مَــقْــمــورِ

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدّثنا ابنُ أبي سعد قال: حدّثني أحمدُ بن محمدٍ الفارسيُّ قال: حدّثنا غَسان بنُ عبدِ الله عن أبي محمدٍ التيميِّ قال: لما أنشدت الأمين قولي فيه: [المنسرح]

خَــلِــيــفــةُ الله خَــيْــرُ مُــنْــتَــخَــبِ لِــخَــيْــرِ أُمٍّ مِــنْ هــاشِــم وأبِ
أكْــرِمْ بــعِــرقَــيْــنِ يَــجْــرِيــانِ بِــهِ إلى الإمامِ الـمَـنْـصـورِ في الـنَّـسَـبِ

طرب، ثم قال للفضل بن الربيع: بحياتي أوقرْ له زَورقه دراهم، فقال: نعم يا سيدي؛ فلما خرجنا طالبته بذلك، فقال: أمجنون أنت؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم، فقبضتها.

أخبرني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلبيُّ، قال: حدّثني محمد بن عبد الله المدنيُّ قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أحمد التيميُّ ابن أُخت أبي محمد التيميّ الشاعر، قال: أنشدني خالي لنفسه قوله: [البسيط]

لا تَــخْــضَــعَــنَّ لِــمَــخْــلوقٍ على طَــمَــعٍ فــإنَّ ذاكَ مُــضِــرٌّ مِــنْــكَ بــالــدِّيــنِ
وارْغَــبْ إلــى الله مــمَّــا فــي خــزائِــنِــهِ فــإنَّــمــا هُــوَ بَــيْــنَ الــكــافِ والــنُّــونِ
أمــا تَــرَى كُــلَّ مَــنْ تَــرْجــو وتَــأْمَــلُــهُ مِنَ الــخلائِقِ مِسْكِينُ ابن مِسْكِينِ

(١) الأغيد: الناعم. والممكور: الممتلىء الساقين.

صوت

[الوافر]

أَلَمْ تَرَ أَنَّني أَفْنَيْتُ عُمْري بِمَطْلَبِها وَمَطْلَبُها عَسِيرُ؟
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ سَبَباً إِلَيْها يُقَرِّبُني وأَعْيَتْني الأُمورُ
حَجَجْتُ وَقُلْتُ قَدْ حَجَّتْ جِنَان فَيَجْمَعُني وإِيَّاها المَسِيرُ

الشعر لأبي نواس، والغناء للزُّبير بن دَحْمان، رمَلٌ بالوُسطى من رواية أحمدَ بن المكي[1] وبَذْل، وغنّاني محمدُ بنُ إبراهيمَ قريضٌ الجَرحي ـ رحمه الله ـ فيه لحناً من خفيف الثقيل، فسألته عن صانعه فلم يَعرف.

(١) أحمد بن المكي بن يحيى بن مرزوق المكي. أبو جعفر، كان يلقب ظنيناً، وهو أحد المحسنين المبرزين، الرواة للغناء.

أخبار أبي نواس وجنان خاصة
إذ كانت أخباره قد أُفردت خاصة

[صفات جنان وهيام أبي نواس بها]

كانت جِنانُ هذه جاريةَ آل عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ المجيد الثَّقَفِيِّ المحدِّث الذي كان ابن مُناذِرٍ يصحب ابنَه عبدَ المجيد، ورثاه بعد وفاته، وقد مضَت أخبارهما. وكانت حُلوةً جميلةَ المَنظر أديبة، ويقال: إن أبا نواسٍ لم يَصدُق في حبّه امرأةً غيرَها.

أخبرني محمدُ بنُ خَلَفِ بنِ المَرْزُبَان قال: حَدَّثني إسحاقُ بن محمدٍ عن أبي هِفّان عن أصحابِ أبي نُوَّاس قالوا: كانت جنانُ جاريةً حسناءَ أديبةً عاقلةً ظريفةً، تعرف الأخبار، وتَرْوِي الأشعار قال اليؤيؤ خاصة: وكانت لِبعض الثقفيّين بالبصرة، فرآها أبو نُواسٍ فاستحلاها، وقال فيها أشعاراً كثيرةً، فقلتُ له يوماً: إنَّ جنَان قد عزمَتْ على الحج، فكان هذا سببَ حَجِّه، وقال: أما والله ـ لا يفوتني المَسِير معها والحجُّ عامي هذا إن أقامت عَلى عزيمتها، فظننتُه عابثاً مازحاً، فسبَقها والله إلى الخروج بعد أن علِم أنها خارجة، وما كان نوى الحجّ، ولا أحدث عزمَه له إلا خروجُها، وقال وقد حج وعاد: [الوافر]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّـنـي أَفْـنَـيْـتُ عُـمْـري ... بِـمَـطْـلَـبِـهـا وَمَـطْـلَـبُـهـا عَـسِـيـرُ؟
فَـلَـمَّـا لَـمْ أَجِـدْ سَـبَـبـاً إِلَـيْـهـا ... يُـقَـرِّبُـنـي وَأَعْـيَـتْـنـي الأُمـورُ
حَـجَـجْـتُ وَقُـلْـتُ قَـدْ حَـجَّـتْ جِـنـان ... فَـيَـجْـمَـعُـنـي وإِيَّـاهـا الـمَـسِـيـرُ

قال اليُؤيؤ: فحَدَّثني من شهِده لما حجّ مع جنانَ وقد أحرم، فلما جنه الليل

جعل يلبي بشعر ويَحدو به ويُطرِّب، فغنّى به كل من سمِعه، وهو قوله:

[مجزوء الرجز]

إِلٰـهَـنـا مـا أَعْـدَلَـكْ! مَـلِـيـك كُـلِّ مَـنْ مـلَـكْ
لَـبَّـيْـكَ قَـدْ لـبَّـيـتُ لـكْ لـبَّـيْـكَ إِنَّ الـحَـمْـدَ لـكْ
والـمُـلْـكَ لا شَـرِيـكَ لـكْ والـلَّـيْـلَ لـمـا أَنْ حَـلَـكْ
والـسَّـابِـحـاتِ فـي الـفَـلَـكْ عـلـى مَـجاري الـمُـنْـسَـلَـكْ
مـا خـابَ عَـبْـدٌ أَمَّـلَـكْ أَنْـتَ لَـهُ حَـيْـثُ سَـلَـكْ
لَـوْلاكَ يـا رَبِّ هَـلَـكْ كُـلُّ نَـبِـيٍّ وَمَـلَـكْ
وكُـلُّ مَـنْ أَهَـلَّ لـكْ سَـبَّـحَ أو لـبَّـى فَـلَـكْ
يـا مُـخْـطِـئـاً مـا أَغْـفَـلَـكْ! عَـجِّـلْ وبـادِرْ أَجَـلَـكْ
واخْـتُـمْ بِـخَـيْـرٍ عَـمَـلَـكْ لَـبَّـيْـكَ إِنَّ الـمُـلْـكَ لَـكْ
والـحَـمْـدَ والـنِّـعْـمَـةَ لـكْ والـعِـزَّ لا شَـرِيـكَ لَـكْ

[شعره في حبيبته جنان]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عمار وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوهريُّ قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّةَ قال:

كانت جنانُ التي يذكرها أبو نواس جاريةً لآل عبدِ الوهاب بن عبد المجيد الثقَفِيِّ، وفيها يقول:

[مجزوء الخفيف]

جَـفْـنُ عَـيْـنـي قَـدْ كـادَ يَـسْـقُـ ـطُ مِـنْ طُـولِ مـا اخْـتَـلَـجْ
وَفُـؤادِي مِـنْ حَـرِّ حُـبِّـ ـكِ والـهَـجْـرِ قَـدْ نَـضِـجْ
خَـبِّـرِيـنـي فَـدَتْـكِ نَـفْـ ـسي وأَهْـلـي: مَـتَـى الـفَـرَجْ؟
كـانَ مِـيـعـادُنـا خُـرو جَ زِيـادٍ فَـقَـدْ خَـرَجْ[1]
أَنْـتِ مِـنْ قَـتْـلِ عـائِـذٍ بـكِ فـي أَضْـيَـقِ الـحَـرَجْ

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عَمار قال: حدثني إسحاقُ بنُ محمدٍ النخعيُّ قال: حدّثني الجَمّاز، قال ابنُ عَمّارٍ: وحدثني به قُلَيبُ بنُ عيسى قال: كانت جِنانُ قد شَهِدت عُرْساً في جِوارِ أبي نُواسٍ، فانصرَفتْ منه وهو جالس معنا، فرآها

(١) زياد هو زياد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي.

فأنشدَنا بديهاً قولَه: [الخفيف]

شَهِدَتْ جَلْوةَ العَروسِ جِنانٌ فاسْتَمالَتْ بِحُسنِها النَّظارهْ(١)
حَسِبوها العَروسَ حِينَ رَأَوْها فإليها دُونَ العَروسِ الإشارهْ
قالَ أَهْلُ العَروسِ حِينَ رَأَوْها ما دَهانا بها سِواكِ عُمارهْ

قال: وعمارة زوجُ عبد الرحمٰن الثقفيّ، وهي مولاة جِنان.

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ومحمدُ بنُ خلَف قالا: حدثنا يزيدُ بنُ محمد المُهَلبيُّ عن محمدِ بن عمر، قال: غضِبتْ جِنانُ من كلامٍ كلمها به أبو نُواس، فأرسل يعتذرُ إليها، فقالت للرسول: قل له: لا بَرِح الهِجْرانُ رَبْعَك، ولا بَلَغْتَ أملك مِن أحبَّتِك، فرجع إليه، فسأله عن جوابِها، فلم يخبره فقال: [الوافر]

فَدَيْتُكِ فِيمَ عَتبُكِ مِنْ كلامٍ نَطَقْتُ بِهِ على وَجْهٍ جَميلِ؟
وقولُكِ لِلرَّسولِ عَلَيْكَ غَيْري فَلَيْسَ إلى التَّواصُلِ مِنْ سَبيلِ
فَقَدْ جاءَ الرَّسولُ لَهُ انْكِسارٌ وحالَ ما عليها مِنْ قَبولِ
وَلَوْ رَدَّتْ جِنانُ مَرَدَّ خَيْرٍ تَبَيَّنَ ذاكَ في وَجْهِ الرَّسولِ

قال أبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ: وكان أبو نواسٍ صادقاً في محبّتِه جِنانَ مِن بين مَن كان يَنسُب به من النساء ويداعبه، ورأيت أصحابنا جميعاً يُصحِّحون ذاك عنه، وكان لها مُحبّاً، ولم تكن تُحبّه، فمِما عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبهِ لها فصارت تُحبه بعد نُبُوِّها(٢) عنه قوله: [المنسرح]

جِنانُ إنْ جُدْتِ يا مُنايَ بِما آمُلُ لَمْ تَقْطُرِ السَّماءُ دَما
وإن تَمادَيْ ـ ولا تَمادَيْتِ في مَنْعِكِ ـ أُصْبِحْ بِقَفْرةٍ رِمَما(٣)
عَلِقْتُ مَنْ لَوْ أتى على أَنْفُسِ المـ ـاضِينَ والغابِرينَ ما نَدِما
لَوْ نَظَرَتْ عَيْنُهُ إلى حَجَرٍ وَلَّدَ فِيهِ فُتورُها سَقَما

(١) جِلْوَة العروس: أن تُعَرض على زوجها مجلوّةً.
(٢) نبوّها: جفاؤها.
(٣) الرّمم: العظام البالية. واحدتها: رمة.

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرِّد قال: حدّثني محمدُ بنُ القاسم عن أبي هِفّانَ عن الجَمّاز، وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال: حدثني عَوْن بن محمدٍ قال: حدثني الجَمّاز قال: كنت عند أبي نُواسٍ جالساً إذ مرّت بنا امرأةٌ ممن يداخل الثقفيِّين، فسألها عن جنانَ وألحف في المسألة واستقصى، فأخبرَتْه خبرَها وقالت: قد سمعتُها تقول لصاحبة لها مِن غيرِ أن تَعلَم أني أسمع: وَيْحك! قد آذاني هذا الفتى، وأبرمَني، وأحرج صدري، وضيّق عليّ الطرقَ بِحدةِ نظرهِ وتَهتُّكه؛ فقد لهج قلبي بذِكْره والفكرِ فيه من كثرة فِعله لذلك حتى رحمته، ثم التفتَت فأمسكَت عن الكلام؛ فسُرَّ أبو نواس بذلك، فلما قامت المرأة أنشأ يقول: [البسيط]

يـا ذا الـذي عَـنْ جِـنـانٍ ظَـلَّ يُـخْـبِـرنـا ... بـالله قُـلْ وأعِـدْ يـا طـيِّـبَ الـخَـبَـرِ
قـال اشْـتَـكَـتْـكَ وقـالَـتْ مـا ابْـتُـلِـيتُ بِـهِ ... أَراهُ مِـن حَـيْـثُـمـا أَقْـبَـلْـتُ فـي أثَـري
ويُـعْـمِـلُ الـطَّـرْفَ نَـحْـوي إنْ مَـرَرْتُ بـه ... حَـتَّـى لَـيُـخْـجِـلـني مِـنْ حِـدَّةِ الـنَّـظَـرِ
وَإنْ وَقَـفْـتُ لَـهُ كَـيْـمـا يُـكَـلِّـمُـنـي ... في المَوْضِعِ الخِلْوِ لَمْ يَنْطِقْ مِنَ الحَصَرِ[1]
مـا زالَ يَـفْـعَـلُ بـي هـذا ويُـدْمِـنُـهُ ... حَتَّى لَقَدْ صارَ مِنْ هَمِّي وَمِنْ وَطَرِي

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمار قال: حدثني عليُّ بنُ محمدٍ النّوْفَلِيُّ وأحمدُ بنُ سليمانَ بنِ أبي شَيخ قالا: قال ابنُ عائشة: وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ وابن عَمَّار عن الغَلابيّ عن ابنِ عائشةَ: قال ابنُ عَمَّار: وحُدِّثت به عن الجَمَّاز، وذكَره لي محمدُ بنُ داودَ الجرّاح عن إسحاقَ النخَعيِّ عن أحمدَ بنِ عُمَير، أنَّ محمدَ بنَ حَفصِ بنِ عُمَر التميميّ ـ وهو أبو ابن عائشةَ ـ انصرَف من المسجِدِ وهو يتولّى القضاء، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يُكلِّمها. وقال أحمدُ بنُ عُمير في خبره: وكانت المرأةُ قد جاءته برسالة جِنانَ جاريةِ عُمارةَ امرأةِ عبدِ الوهابِ بن عبدِ المجيدِ، فمرّ به عُمرُ بن عثمانَ التيميُّ وهو قاضي البصرة ـ هكذا ذكر أحمدُ بن عُمَير وحده ـ وذكر الباقون جميعاً أنه محمدُ بنُ حَفص. قال الجمّاز: وكانت عليه ثياب بَياض، وعَلَى رأسِه قَلَنْسوة مُضَرَّبة فقال له: اتَّق الله، قال: إنها حرمتي قال: فصُنْها عن هذا الموضع. وانصرف عنه، فكتب إليه أبو نُواس:

(١) الحَصَر: العيّ في النطق، وأصله من الحصر: أي الضيق.

صوت

[مجزوء الكامل]

إنَّ الـتـي أَبْـصَـرْتَـهـا بِـكْـراً أُكـلِّـمـهـا رسـولُ(١)
أدَّت إلَـيَّ رِسـالـةً كـادَتْ لـهـا نَـفْـسـي تَـسِـيـلُ
مِـنْ سـاحِـرِ الـعَـيْـنَـيْـنِ يَـجـ ـذِبُ خَـصْـرَهُ رِدْفٌ ثَـقِـيـلُ(٢)
مُـتَـقَـلِّـدٌ قَـوْسَ الـصِّـبـا يَـرْمِـي وَلَـيْـسَ لَـهُ رَسِـيـلُ(٣)
فَـلَـوْ أنَّ أُذْنَـكَ بَـيْـنَـنـا حَـتَّـى تَـسـمَّـعَ مـا تَـقـولُ
لَـرَأَيْـتَ مـا اسْـتَـقْـبَـحْـتَ مِـنْ أَمْـرِي هـو الأمْـرُ الـجَـمِـيـلُ

في هذه الأبيات لحنان من الرمل وخفيفِه، كلاهما لأبي العُبَيس بنِ حَمدونَ. قال ابنُ عُمَير: ثم وجَّه بها فأُلقِيت في الرِّقاع بين يدي القاضي، فلما رآها ضحك، وقال: إن كانت رسولاً فلا بأس.

وقال ابنُ عائشةَ في خبره: فجاءني بِرُقعة فيها هذه الأبيات، وقال لي: ادفعها إلى أبيك، فأوصلتها إليه، ووضعتُها بين يديه، فلما قرأها ضحك، وقال: قُل له: إني لا أتعرّض للشعراء.

حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال:

كان أبو عثمان أخَا مولى جِنانَ، وكان مولاها أبو مَيَّة زوج عُمارةَ وهي مولاتها، وكانت له بحَكمان(٤) ضَيعةٌ كان ينزلها هو وابنُ عمٍّ له يقال له: أبو مَيّة، فقال أبو نواس فيه قوله: [الخفيف]

أَسْـأَلُ الـقـادِمَـيْـنِ مِـنْ حَـكَـمـانِ كَـيْـفَ خـلَّـفْـتُـمـا أبـا عُـثْـمـانِ
وأبـا مَـيَّـةَ الـمُـهَـذَّب والـمـا جِـدَ والـمُـرْتَـجى لِـرَيْـبِ الـزَّمـانِ؟
فَـيَـقـولانِ لـي: جِـنـانُ كَـمَـا سَـرَّ كَ فـي حـالِـهـا فَـسَـلْ عَـنْ جِـنـانِ
مـا لَـهُـمْ لا يُـبـارِكُ الله فِـيـهِـمْ كَـيْـفَ لَـمْ يُـغْـنِ عِـنْـدَهُـم كِـتـمـانـي؟

---

(١) بكراً: أي لأول مرة.
(٢) الردف: العجز.
(٣) الرسِيلُ: الموافق لك في النضال.
(٤) حكمان: اسم ضيعة في البصرة. انظر (معجم البلدان ٢/ ٢٨٠).

[لم تكن جنان في موضع عشق]

فأخبرني ابنُ عَمار قال: حدّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الملكِ بن مروان الكاتبُ قال: كنت جالساً بِسُرّ مَنْ رأى في شارع أبي أحمد، فأنشدني قول أبي نواس: [الخفيف]

أَسْأَلُ الـمُـقْـبِـلَـيْـنِ مِـنْ حَـكَـمـانِ   كَـيْـفَ خَـلَّـفْـتُـمـا أبـا عُـثْـمـانِ؟

وإلى جانبي شيخٌ جالسٌ فضحك، فقلت له: لقد ضحكتَ من أمر، فقال: أجل، أنا أبو عثمان الذي قال أبو نواس فيه هذا الشعر، وأبو مَيَّةَ ابنُ عمي، وجِنانُ جاريةُ أخي، ولم تكن في موضع عِشْق، ولا كان مذهَبَ أبي نواسٍ النساءُ، ولكنه عبَثٌ خرج منه.

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: قال لي أبو العباسِ محمدُ بنُ يزيدَ:

قال النابغة الجَعديّ: [المنسرح]

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِها وَقَدْ عَلِم اللـ   ـه خَـفِـيّـاتِ كُـلِّ مُـكْـتَـتَـمِ

وهو سَبق الناسَ إلى هذا المعنى، وأخذوه جميعاً منه، وأحسنُ مَن أخذه أبو نُواس حيث يقول: [الخفيف]

أَسْأَلُ الـمُـقْـبِـلَـيْـنِ مِـنْ حَـكَـمـانِ   كَـيْـفَ خَـلَّـفْـتُـمـا أبـا عُـثْـمـانِ؟
فَـيَـقـولانِ لـي جِـنـانٌ كـمـا سَـرَّ   كَ فـي حـالِـهـا فَـسَـلْ عَـنْ جِـنـانِ
مـا لَـهـمْ لا يُـبـارِكُ الله فـيـهـمْ   كَـيْـفَ لـم يُـغْـنِ عـنـدهـمْ كِـتـمـانـي!

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمَّار، قال: أنشدني أحمدُ بنُ محمدِ بن صَدَقَةَ الأنباريُّ لأبي نواسٍ يذكر مأتماً بالبصرة، وحضرتْه جنان: [السريع]

يـا مُـنْـسِـيَ الـمَـأْتَـم أَشْـجـانَـهُ   لَـمَّـا أتـاهـمْ فـي الـمُـعَـزِّيـنـا
سَـرَتْ قِـنَـاعَ الـوَشْـيِ عَـنْ صُـورة   أَلْـبَـسَـهـا الله الـتّـحـاسِـيـنـا[1]
فـاسْـتَـفْـتَـنَـتْـهُـنَّ بِـتِـمْـثـالِـهـا   فَـهُـنَّ لِـلـتَّـكْـلِـيـفِ يَـبْـكِـيـنـا
حَـقٌّ لِـذاكَ الـوَجْـهِ أَنْ يَـزْدَهِـي   عَـنْ حُـزْنِـهِ مَـنْ كـانَ مَـحْـزُونـا

أخبرني عمّي قال: حدّثني إسحاقُ بنُ محمدِ النخعيُّ، قال: حدّثنا عبدُ

---

(١) سَرَتْ: ألقت.

الملك بنُ عمرَ بنِ أبان النخعيِّ، وكان صديقاً لأبي نواس: أنّ أبا نُواسٍ أشرفَ مِن دارٍ على منزل عبدِ الوهاب الثقفيِّ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم، وجِنانُ واقفة مع النساء تلطِم وجهها وفي يدها خِضاب، فقال: [السريع]

يا قَمَراً أبْرَزَهُ مَأْتَمٌ ... يَنْدُبُ شَجْواً بَيْنَ أتْرابِ
يَبْكي فيُذري الدُّرَّ مِنْ عَيْنِهِ ... ويَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنابِ(١)
لا تَبْكِ مَيْتاً حَلَّ في حُفْرةٍ ... وابْكِ قَتِيلاً لَكَ بالبابِ
أبْرَزَهُ المَأْتَمُ لي كارِهاً ... بِرَغْمِ داياتٍ وَحُجّابِ
لا زالَ مَوْتاً دَأْبُ أحْبابِهِ ... ولا تَزَلْ رُؤْيَتُهُ دابي

فحدّثني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمَّار، قال: حدّثني محمد بنُ القاسم، حدّثني محمد بنُ عائشةَ قال: قال لي سفيانُ بن عُيَيْنَةَ: لقد أحسن بَصْريُّكم هذا أبو نَوّاسٍ حيث يقول ـ وشدّد الواو وفتح النون: [السريع]

يا قَمَراً أبْصَرْتُ في مَأْتَمِ ... يَنْدُب شَجْواً بَيْنَ أتْرابِ
يَبْكي فيُذْري الدُّرَّ مِنْ عَيْنِهِ ... ويَلْطِمُ الوَرْدَ بعُنّابِ

قال: وجعل يعجَب من قوله: ويلطِم الوردَ بِعُنَّاب.

وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال: حدَّثني محمدُ بنُ محمدٍ قال: حدثني حسَينُ بنُ الضَّحّاك قال: أنشد ابنُ عُيَيْنَةَ قولَ أبي نواس: [السريع]

يَبْكي فيُذْري الدُّرَّ مِنْ طَرْفِهِ ... ويَلْطِمُ الوَرْدَ بعُنَّابِ

فعجبتُ منه، وقال: آمنت بالذي خلَقه. وقد قيل: إنّ أبا نواس قال هذا الشعر في غير جنان.

أخبرني بذلك الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهرُويه، قال: حدثني بعض الصيارف بالكَرْخ، وسماه، قال: كان حارسُ دَرْبِ عَوْن يقال له: المبارَك، وكان يلبس ثياباً نظيفةً سَرّيّةً، ويركَب حِماراً، فيطوف عليه السوق بالليل ويَكريه بالنهار، فإذا رآه مَن لا يَعرفه ظنّ أنه من بعض التجار، وكان يصل إليه في كل شهر من السُّوق ما يسَعُه ويفْضُل عنه، وكانت له بنت من أجمل النساء،

(١) يُذري: ينثر.

فمات مباركٌ وحضره الناس، فلما أُخرجَت جَنازته خرجَتْ بنتُه هذه حاسرةً بين يديه، فقال أبو نواس فيها: [السريع]

يــا قَــمَــراً أَبْــرَزَهُ مــأْتَــمٌ يَــنْــدُبُ شَــجْــواً بَــيْــنَ أَتْــرابِ

وذكر الأبيات كلّها.

أخبرني محمدُ بنُ جعفر قال: حدّثني أحمدُ بنُ القاسم عن أبي هَفّان عن الجَمّاز واليؤيؤ وأصحاب أبي نُواسٍ أنّ جِنانَ وجّهت إليه: قد شَهَرتني، فاقطع زيارتَك عَنّي أياماً لينقطعَ بعضُ القالةِ، ففعل، وكتب إليها: [المنسرح]

إنّـا اهْـتَـجَـرْنـا لـلـنَّـاسِ إذْ فَـطِـنـوا وَبَـيْـنَـنـا حِـيـنَ نَـلْـتَـقـي حَـسَـنُ
نُـدافِـعُ الأَمْـرَ وهْـو مُـقْـتَـبِـلٌ فَـشَـبَّ حَـتَّـى عَـلَـيْـهِ قَـدْ مَـرنـوا[1]
فَـلَـيْـسَ يُـقـذِي عَـيْـنـاً مُـعـايَـنَـةٌ لــه ومــا إنْ تــمــجّــه أُذنُ
وَيْـحَ ثَـقِـيـفٍ مـاذا يَـضـرّهُـمُ أنْ كـان لـي فـي دِيـارِهـمْ سَـكَـنُ[2]
أرَيْـبُ مـا بَـيْـنَـنـا الـحَـديـثُ فـإنْ زِدْنـا فَـزِيـدوا ومـا لِـذا ثَـمَـنُ

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدّثني ابنُ أبي سَعْدٍ قال: بلغني أنَّ أبا نُواسٍ كتب إلى جِنان من بغداد: [الطويل]

كَـفَـى حَـزَنـاً ألاّ أرَى وَجْـهَ حِـيـلَـةٍ أَزُورُ بـهـا الأَحْـبـابَ فـي حَـكَـمـانِ
وأُقْـسِـمُ لَـوْلا أن تَـنـالَ مَـعـاشِـرٌ جِـنـانـاً بـمـا لا أشْـتَـهـي لِـجِـنـانِ
لأَصْـبَـحْـتُ منـهـا دانيَ الـدّارِ لاصِـقـاً ولـكـنّ مـا أَخْشَـى ـ فُـدِيـتِ ـ عداني
فـواحَـزنَـا حُـزْنـاً يُـؤَدّي إلـى الـرَّدَى فَـأُصْـبِـحَ مَـأْثـوراً بِـكُـلِّ لِـسـانِ
أُرانـي انْـقَـضَـتْ أيّـامُ وَصْـلِـيَ مِـنْـكُـم وآذَنَ فـيـكـم بـالـوَداعِ زمـانـي

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويْه عن يحيى بنِ محمدٍ عن الخُرَيْميّ قال: بلغ أبا نُواسٍ أنَّ امرأةً ذَكَرت لِجِنانَ عِشقَه لها، فشتمته جِنانُ وتنقصته وذكَرَتْه أقبحَ الذكر، فقال: [المنسرح]

وابِـأَبِـي مَـنْ إذا ذُكِـرْتُ لَـهُ وَطُـولُ وَجْـدي بِـهِ تَـنَـقَّـصَـنـي
لَـوْ سـأَلـوهُ عَـنْ وَجْـهِ حُـجّـتِـهِ فـي سبِّـهِ لـي لـقـال: يَـعْـشَـقُـنـي

---

(١) مقتبل: مُقبل في مبتدئه.
(٢) السكَنُ: كل ما يسكن إليه.

نَعَمْ إلى الحَشْرِ والتّنادِ نَعَمْ أَعْشَقُهُ أو أُلَفَّ في كَفَني
أصِيحُ جَهْراً لا أسْتَسِرُّ به عَنَّفَني فيه مَنْ يُعَنِّفُني:
يا مَعْشَرَ النَّاسِ فاسْمَعوهُ وعُوا: إنَّ جِناناً صَدِيقَةُ الحَسَنِ

فبلغها ذلك، فهجرته، وأطالت هجره، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالَحته، فكتب إليها: [السريع]

إذا الْتَقَى في النّوْمِ طَيْفانا عادَ لنَا الوَصْلُ كما كانا
يا قرَّة العَيْنِ فما بالنا نَشْقى ويَلْتَذُّ خيالانا
لَوْ شِئْتِ إذْ أَحْسَنْتِ لي في الكرَى أتمَمْتِ إحْسَانَكِ يَقْظانا
يا عاشِقَيْنِ اصْطَلَحا في الكرى وأَصْبَحا غَضبى وغضبانا
كذلك الأحْلامُ غَدّارةٌ ورُبَّما تَصْدقُ أَحْيانا

الغناء في هذه الأبياتِ لابنِ جامعٍ، ثقيلٌ أول بالوُسطى عن عمرو.

وقال الخُرَيمي: ورآها يوماً في ديار ثقيف فجَبَهَتْه بما كَرِه، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فرده، ولم يصالحها، ورآها في النوم تطلب صلحَه، فقال: [البسيط]

دَسّتْ لَهُ طَيْفَها كَيْما تصالِحُهُ في النَّوْمِ حِينَ تَأَبّى الصُّلْحَ يَقْظانا
فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ طَيْفي طَيْفُها فَرَجاً ولا رثَى لِتَشَكّيهِ ولا لانا
حَسبتِ أنّ خيالي لا يَكُونُ لِما أَكُونُ مِنْ أَجْلِهِ غَضْبانَ غَضْبانا
جِنانُ لا تَسْأَلِيني الصُّلْحَ سُرْعَةَ ذا فَلَمْ يَكُنْ هيِّناً مِنْكِ الذي كانا

وأنشدني عليّ بنُ سليمانَ الأخفشُ لأبي نواس في جنان: [الوافر]

أما يَفْنَى حَدِيثُكَ عن جِنانِ ولا تُبْقِي عَلَى هذا اللِّسانِ!
أَكُلَّ الدَّهْرِ قُلْتُ لها وقالَتْ فَكَمْ هذا أما هذا بِفانِ!
جَعَلْتَ النَّاسَ كلَّهُم سَواءً إذا حدّثْتَ عنها في البَيانِ
عَدُوُّكَ كالصَّدِيقِ وذا كهذا سَواءٌ، والأباعِدُ كالأداني
إذا حدَّثْتَ عَنْ شأْنٍ تَوالَتْ عَجائِبُهُ أَتَيْتَهُم بِشانِ
فَلَوْ مَوَّهْتَ عَنْها باسْمِ أُخْرَى عَلِمْنا إذْ كنَيت مَنْ أَنْتَ عانِ؟

أخبرني الحسنُ بن عَليٍّ قال: حدّثني يحيى بنُ محمدٍ السُّلَميُّ قال: حدّثني أبو عِكرِمةَ الضبيُّ، أن رَجلاً قدِم البصرَةَ فاشترى جِنانَ من مواليها، ورحل بها،

فقال أبو نواس في ذلك: [الكامل]

أمَّا الدِّيارُ فقلَّما لَبِثُوا بها بَيْنَ اشْتِياقِ العِيسِ والرُّكْبانِ
وضَعوا سِياطَ السُّوْقِ في أعْناقها حَتَّى اطّلعْنَ بِهم على الأوْطانِ(١)

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاق قال: حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانيُّ قال: حدّثني أبو عثمان الأشنانداني قال: كتب أبو نواس إلى جنان: [الخفيف]

أَكْثِري المَحْوَ في كتابِكِ وامْحيـ ـهِ إذا مَحَوْتِه بالِّلسانِ
وأمُري بالمحاءِ بَيْنَ ثَنايا كِ العذابِ المُفلَّجاتِ الحِسانِ
إنَّني كُلَّما مَرَرْتُ بِسَطرٍ فيه مَحْوٌ لَطَعْتُهُ بلِساني(٢)
تِلْكَ تَقبيلةٌ لكمْ مِنْ بَعيدٍ أُهْدِيَتْ لي وما بَرِحْتُ مكاني

صوت

تَجَنَّى عَلَيْنا آلُ مَكْتوبةَ الذَّنْبا وكانوا لنا سِلْما فأضْحَوْا لنا حَرْبا
يَقولُونَ عَزِّ القَلْبَ بَعْدَ ذَهابِهِ فَقُلْتُ ألا طُوبايَ لَوْ أن لي قَلْبا

عروضه من الطويل. الشعر لابن أبي عُيَيْنةَ، والغناء لسليمانَ أخي جَحْظَةَ، رمَل بالوُسطى عن عمرو بن بانة.

(١) اطّلعن: أي طلعن.
(٢) لطعتُه: لحسته.

نسب ابن أبي عيينة وأخباره

[كنيته ونسبه]

أبو عُيَيْنَة ـ فيما أخبرنا به عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ عن محمدِ بنِ يزيدَ ـ اسمُه وكنيتُه أبو المِنهال، قال: وكل من يُدْعَى أبا عُيَيْنَةَ من آل المهلَّب فأبو عُيَيْنَةَ اسمُه وكنيتُه أبو المنهال، وكلُّ من يُدْعَى أبا رُهْم من بني سَدُوس فكنيتُه أبو محمدٍ.

وابنُ أبي عُيَيْنَةَ هو محمدُ بنُ أبي عيَيْنَةَ بنِ المهلَّبِ بن أبي صُفرةَ. وقال أبو خالدٍ الأسلميُّ: هو أبو عُيَيْنَةَ بنُ المِنجابِ بنِ أبي عُيَيْنَةَ، وهو الذي كان يهجو ابنَ عمه خالداً.

واسمُ أبي صُفرةَ ظالمُ بنُ سَرَّاقٍ، وقيل: غالبُ بنُ إسراق بن صبح بن كِنديٍّ بنِ عمرو بنِ عدِيّ بنِ وائلِ بنِ الحارثِ بنِ العَتيك بنِ الأسدِ بنِ عِمرانَ بنِ الوضَّاحِ بنِ عمرو بن مُزَيْقياء بنِ حارثةَ الغِطْرِيفِ بنِ امرىء القَيس البِطْرِيقِ بنِ ثَعْلَبَةَ البُهلول بنِ مازنٍ زادِ الرَّاكب بن الأزْد.

هذا النسب الذي عليه آل المهلب، وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عُمان وأنَّهم تولوا الأزدَ، فلما سارَ المهلَّب وشرُف وعلا ذِكْرُه استَلْحَقُوه.

[كتاب المثالب وبعض الأخبار حوله]

وممن ذَكَرَ ذلك الهيثَمُ بنُ عَدِيّ وأبو عُبَيْدَة وابنُ مَزْرُوع وابنُ الكَلبيّ وسائر من جَمَعَ كتاباً في المثالب وهَجتهم به الشّعراء فأكثرت.

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال: أخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال: حدّثني أبو عبد الله أحمدُ بنُ محمدٍ بن حميد بنِ سُلَيمان العَدَويّ قال: أخبرني الهيثَمُ بنُ عَدِيّ، عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال: وفَد ابنُ الجُلَنْدي

في الأَزْد، أزْدِ عُمان ومواليهم وأحلافِهم، فكان فِيمَن وَفَد منهم أبو صُفْرة، وكان يُلقَّب بذلك، لأنه كان يُصفِّر لِحْيَتَه، فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيتُه مَخْضُوبَةٌ مُصْفَرَّة، فقال عمر لابن الجلندي: أَكُلُّ مَنْ معك عَرَبيّ؟ قال: لا، فِينَا العَرَبِيّ وفِينا غَيْرُ ذلك، فالتفت عُمرُ - رحمه الله - إلى أبي صُفْرة، فقال له: أعَربيّ أنتَ؟ قال: لا، أنا ممَّن مَنّ الله عليه بالإسلام.

قال: وقدِم الحكم بنُ أبي العاصي الثَّقَفِيّ أخو عُثمان بأعلاج[1] من شهرك في خلافة عمر قد أسلمُوا، فأمر عُمَرُ عثمان بن أبي العاصي أن يَخْتِنَهم، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال: ما لهؤلاء يُطَهَّرون ليُصلوا! قال: إنَّهم يختنون. قال: إنا والله هكذا مِثلُهم، قال: فَسمِع ذلك عثمانُ بن أبي العاص، فأمر بأبي صُفْرة فأُجلس عَلَى جَفْنةٍ فخُتن وإنّه لشيخٌ أشمَطُ فكان بها مَنْ قال: لسنا نشكُ في أنَّ زوجتَه كذلك، فأُحضِرت وهي عجوز أدماء، فأمر بها القابلَةَ فنظرت إليها وكشفتها، وإذا هي غير مختونة، وذلك منها قد أَحْشَفَ[2]، فأمر بها فخُفِضت.

وقال في ذلك زياد الأعجم، وقد غضب عَلَى المهلّب: [المتقارب]

نَـحْـنُ قَـطَـعْـنـا مِـنْ أبـي صُـفْـرةٍ ... قُـلْـفَـتَـهُ كَـيْ يَـدْخُـلَ الـبَـصْـرَهْ
لـمـا رَأى عُـثْـمـانُ غُـرْمـولَـهُ ... أَتَـنَّ عَـلَـى قُـلْـفَـتِـهِ الـشَّـفْـرَهْ

وليس هذا من الأقوال المعوّل عليها، لأن أصلَ المثالب زِيادٌ لعنه الله، فإنه لَمَّا ادُّعِي إلى أبي سُفيان، وعَلم أن العرب لا تُقرّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم، عمل كتاب المَثَالب، فألصَق بالعَرب كلِّها كلَّ عَيْب وعار، وحقٍّ وباطل، ثم بَنَى عَلَى ذلك الهَيثَمُ بنُ عَدِيّ - وكان دَعِيّاً[3] - فأراد أن يَعُرّ[4] أهلَ البيوتات تَشَفِّياً منهم، وفعل ذلك أبو عُبَيدة مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى، وكان أصلُه يهودياً، أسلم جدُّه عَلَى يَدَيْ بعضِ آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فانتَمى إلى ولاء بني تَيْم فجدَّد كِتابَ زِياد وزاد فيه، ثم نشأ غَيْلان الشُّعُوبيّ لَعَنه الله، وكان زِنْدِيقاً ثنويّاً لا يُشَكُّ فيه، عُرف في حياته بعضُ مذهبه، وكان يورّي عنه في عداوته للإسلام

---

(١) العلج: الكافر من العجم. وشهرك: لعلها شهر كند التي وردت في معجم البلدان. وهي مدينة في طرف تركستان. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٧٨.
(٢) أَحْشَفَ: تقبض.
(٣) دعيّاً: متهماً في نسبه.
(٤) يعرّ: يسيء.

بالتشعّب والعصبية، ثم انكشف أمرُه بعد وفاته، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين[١]، وكان شديدَ التَّشَعُّب والعَصَبِيّة، خارجاً عن الإِسلام بأفاعيله، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأُمهاتِهم وصَنائعهم، وبدأ منهم بالطّيّب الطاهر، رسول اللهﷺ فَغَمصه[٢] وذكره، ثم والى بين أهل بَيته الأذكياء النجباء عليهم السلام، ثم ببطون قريش على الوِلاء، ثم بسائر العرب، فألصق بهم كلَّ كذب وزور، ووضع عليهم كل خبر باطل، وأعطاه طاهر على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني.

وإنما جرّ هذا القول، ذكرُ المهلب وما قيل فيه، وأنّي ذكرتُه فلم أجد بُدّاً من ذكر ما رُوي فيه؛ وفيما مرَّ عن أهل النَّسب، ثم قُلتُ ما عِنْدي.

[عبد الملك يأمر بإحراق كتاب المثالب]

أخبرني حبيبُ بن نَصْر قال: أخبرني عُمر بن شَبَّة قال: حدّثني محمد بن يحيى أبو غُثمان عن أبيه قال: دخل بعضُ النّاس عَلَى عبدِ الملك بن مَرْوان فقال له: هل عِنْدك كتابُ زِياد في المَثالب؟ فتلكّأ، فقال له: لا بأس عليك، ويحَقِّي إلا جئْتَنِي به. فمضى فجاء به، فقال له: اقرأ عليَّ، فقرأه، وجَعَل عبد الملك يتغَيَّظ ويَعْجَب مِمَّا فيه من الأباطيل، ثم تَمَثَّل قول الشاعر: [الوافر]

وأَجْـرَأُ مَـنْ رَأَيْـتُ بِـظَـهْـرِ غَـيْـبٍ ... عَـلَى عَـيْـبِ الـرِّجـالِ أُولُـو الـعُـيُـوب

ثم أمَر بالكتاب فأُحْرِق.

رجع الخبر إلى سياقة أخبار ابن أبي عُيَيْنَة

وهو شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ غَزل هَجّاءٌ. وأنفدَ أكثرَ أشعارِه في هجاءِ ابن عمِّه خالد. وأخبارهما تُذكر على أثر هذا الكلام وما يَصْلُح تصديرُ أخباره به. وكان من شعراءِ الدولة العباسية من ساكني البصرة.

حدّثني عمّي والصوليُّ قالا: حدّثنا أحمدُ بنُ يزيدَ المهلبيُّ قال: حدّثني أبي

---

(١) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيّب. وأبو طلحة. من كبار الوزراء والقواد أدباً وحكمة وشجاعة. توفي سنة ٢٠٧ هـ. (البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٠، وابن الأثير ٦/ ١٢٩).

(٢) غَمصه: انتقص من حقه.

قال: أبو عُيَيْنةَ اسمه كنيتُه، وهو ابنُ محمدِ بنِ أبي عُيينةَ بن المهلَّب بنِ أبي صفرة.

وأخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيُّ قال: حدّثني العَنَزي قال: حدّثني أبو خالد الأسلميُّ قال: أبو عيينة الشاعرُ هو أبو عُيَيْنَةَ بنُ المِنجاب بنِ أبي عُيَيْنَةَ بنِ المهلَّب، وكان محمدُ بنُ أبي عُيينةَ أبو أبي عيينة الشاعر يتولى الرَّيّ لأبي جعفر المنصور، ثم قَبض عليه وحبسه وغرّمه.

وأخبرني محمدُ بنُ خلَفِ بنِ المَرْزُبانِ قال: حدّثني يزيدُ بنُ محمدٍ المهلَّبيُّ قال: قال وَهبُ بن جرير: رأيتُ في منامي كأن قائلاً يقول لي: [الهزج]

مـا يَـلْـقـى أبـو حَـرْبِ تـعـالـى الله مـن كـرب

فلم ألبَث أن أخذ المنصورُ أبا حرب محمَّد بن أبي عُيينةَ المهلبيّ فحبسه، وكان ولاه الرَّي فأقام بها سنين.

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورَّاقُ ومحمدُ بنُ يحيى الصوليُّ وعمِّي قالوا: حدّثنا الحَزَنْبَلُ الأصبهانيّ قال: حدّثني الفَيضُ بنُ مخلَّد مولى أبي عُيينةَ بنِ المهلَّب قال: كان أبو عُيَينة بنُ محمدِ بنِ أبي عُيينة يهوَى فاطمةَ بنتَ عُمر بنِ حفصٍ الملقَّبِ هَزارَ مَرْدَ، وكانت امرأةً نبيلةً شريفةً، وكان يخاف أهلَها أن يَذكرَها تصريحاً، ويَرهبُ زوجَها عيسى بنَ سليمانَ، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها: دُنيا، وكانت قيّمة دارها، ووالية أمورها كلِّهَا. وأنشدنا لابنِ أبي عُيينةَ فيها، ويَكني باسم دنيا هذه: [الخفيف]

مـا لِـقَـلْـبـي أَرَقَّ مِـنْ كُـلِّ قَـلْـبِ ولِـحُـبِّـي أَشَـدَّ مِـنْ كُـلِّ حُـبِّ!
ولِـدُنْـيـا عـلـى جُـنـونـي بِـدُنْـيـا أَشْـتَـهـي قُـرْبَـهـا وَتَـكْـرَهُ قُـربـي
نَـزَلَـتْ بـي بَـلِـيَّـةٌ مِـنْ هَـواهـا والـبـلايـا تَـكـونُ مِـنْ كُـلِّ ضَـرْبِ
قُـلْ لـدُنْـيـا إِنْ لَـمْ تُـجِـبْـكَ لِـمـا بـي رَطـبـةٌ مِـنْ دُمـوعِ عَـيـنـي كُـتْـبـي
فَـعَـلامَ انْـتَـهَـرْتِ بـالله رُسْـلـي وَتَـهَـدَّدْتِـهـم بَـحـبْـسٍ وَضَـرْبِ
أيُّ ذَنْـبٍ أَذْنَـبْـتُـهُ لَـيْـتَ شِـعْـري كـان هـذا جَـزاءَهُ أَيُّ ذَنْـبِ؟

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ قال حدّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال: كان أبو عُيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً، من غير أدَب موصوفٍ ولا روايةٍ كثيرة، وكان يقرِّب

البَعيد، ويحذِف الفضول، ويُقِلّ التكلف. وكان أصغرَ مِن أخيه عبدِ الله ومات قبله. وقيل لعبد الله: أنت أشعرُ أم أخوك؟ فقال: لو كان له علمي لكان أشعرَ منّي.

وكان يتعشق فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفصٍ هزار مَرْدَ التي تزوَّجها عليُّ بن سليمان، ويُسِرُّ عشقها، ويلقِّبها دُنيا كتماناً لأمرها. وكانت امرأةً جليلة نبيلة سَرِيّة[1] من النساء، وكان أبوها من أشدِّ الفُرسان وشُجعانِهم، فذكر عيسى بنُ جعفرٍ أن عيسى بنَ موسى قال للمهلّب بنِ المغيرةِ بنِ المهلّب: أكان يزيدُ بن خالدٍ أشجعَ أم عُمرُ بنُ حفصٍ هَزَارَ مَرْدَ؟ فقال المهلَّب: لم أشهد من يَزيد ما شهدته من عُمَر بن حفص، وذلك أني رأيته يركُض في طلب حمارٍ وحشيٍّ حتى إذا حاذاه جمع جَراميزَه[2] وقفز، فصار على ظهره، فقمص الحمار، وجعل عُمر بنُ حفص يَحُزُّ مَعرفَته[3] إما بِسيفٍ وإما بسكين معه حتى قتله.

قال محمدُ بنُ يزيدَ: وحُدّثتُ عن محمدِ بنِ المهلّب أنه أنكر أن يكون أبو عُيَينةَ يهوَى فاطمة، وقال: إنما كان جنديّاً في عِداد الشُّطّار[4]، وكانت فاطمة من أنبلِ النساء وأسراهنّ، وإنما كان يتعشق جاريةً لها، وهذه الأبياتُ التي فيها الغناءُ من قصيدةٍ له جيدةٍ مشهورةٍ من شعره، يقولها في فاطمةَ هذه أو جاريتها، ويَكني عنها بدُنيا، فمما اختير منها قوله: [الطويل]

وقالُوا تَجَنَّبْنَا فَقُلْتُ أَبَعْدَ ما ... غَلَبْتُمْ على قَلْبي بسُلطانِكم غَصْبا!
غِضابٌ وقد مَلّوا وُقُوفي بِبابِهِمْ ... ولكنّ دُنْيا لا مَلولاً ولا غَضْبَى
وَقَدْ أَرْسَلَتْ في السِّرِّ إني بريَّةٌ ... وَلَمْ تَرَ لي فيما تَرى مِنْهُمُ ذَنْبا
وقالَتْ لكَ العُتبى وعِندي لكَ الرِّضا ... وما إن لهمْ عِنْدي رِضاءٌ ولا عُتْبَى
ونُبِّئْتُها تَلْهُو إذا اشْتَدَّ شَوْقُها ... بِشِعْري كما تُلهِي المُغنِّيةُ الشَّربا
فَأَحْبَبْتُها حُبّاً يَقرُّ بِعَيْنِها ... وحُبِّي إذا أَحْبَبْتُ لا يُشْبِهُ الحُبّا
فيا حَسْرَتا نَغَّصْتُ قُرْبَ دِيارها ... فلا زُلفةً منها أُرجّي ولا قُرْبا[5]

(١) سريّة: شريفة كريمة.
(٢) جراميزه: أطرافه.
(٣) المعرفة: موضع العُرف من الفرس. والجمع معارف.
(٤) الشطار: جمع شاطر: وهو الذي عصى أباه وعاش في الخلاعة بعيداً عنه.
(٥) الزلفة: القربة.

لَقَدْ شَمِتَ الأعداءُ أَنْ حِيلَ بَيْنَها ... وبيني ألاَ للشَّامِتينَ بنا العُقْبَى[1]

ومما قاله فيها وغُنِّي فيه:

صوت

[الكامل]

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فَتًى لِعهْدِكِ حافِظٍ ... في حِفْظِهِ عَجَبٌ وفي تَضْيِيعِكِ
وَنَأَيْتِ عَنْهُ فما لَهُ مِنْ حِيلَةٍ ... إلا الوُقوفُ إلى أوانِ رُجُوعِكِ
مُتَخَشِّعاً يُذْري عَلَيْكِ دُموعَهُ ... أَسَفاً ويَعجَبُ مِنْ جُمودِ دُموعِكِ
إِنْ تَقْتُليهِ وَتَذْهَبي بِفُؤادِهِ ... فبِحُسْنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنِيعِكِ

عروضه من الكامل، الغناء في هذه الأبيات من الثقيل الأول بالوُسطى. ذَكر عَمرو بنُ بانةَ أنه له، وذكر الهِشاميُّ أنه لمحمدِ بن الحارث بن بسخنّر، وذكر عبدُ الله بنُ موسى بن محمد بنِ إبراهيم الإمامُ أنه لإبراهيم المَوصليّ.

فذكَر العتَّابيُّ ومحمدُ بنُ الحسنِ جميعاً، أنّ محمدَ بنَ أحمدَ بن يحيى المكيَّ حدثهما قال: حدّثني عمرُو بنُ بانَةَ قال: ركبت يوماً إلى دار صالح بن الرشيد، فاجتزتُ بمحمدِ بنِ جعفرِ بنِ موسى الهادي ـ وكان مُعاقراً للصبوح ـ فألفيتُه في ذلك اليوم خالياً منه، فسألته عن السبب في تعطيله إياه، فقال: نيرانُ عليّ غضبى ـ يعني جارية لبعض النَّخاسين ببغداد ـ وكانت إحدى المحسِنَات، وكانت بارعةَ الجمال ظريفةَ اللسان، وكان قد أفرط في حُبّها حتى عُرف به، فقلت له: فما تحبّ؟ قال: تجعل طريقَك على مولاهَا فإنه يستخرجها إليك، فإذا فعل دفعتَ رقعتي هذه إليها ـ ودفع إليّ رقعة فيها:

[الكامل]

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فَتًى لِعَهْدِكِ حَافِظٍ ... في حِفْظِهِ عَجَبٌ وفي تَضْيِيعِكِ
إن سُمْتِهِ أَنْ تَذْهَبي بِفؤادِهِ ... فبِحُسْنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنِيعِكِ

فقلت له: نعم، أنا أتحمّل هذه الرسالةَ وكرامةً، على ما فيها، حفظاً لروحك عليك، فإني لا آمن أن يتمادَى بك هذا الأمر. فأخذتُ الرقعة وجعلتُ طريقي على منزِل النخاس، فبعثتُ إلى الجارية: اخرجي، فخرجت، فدفعت إليها الرقعةَ،

---

(١) العقبى: جزاء الأمر.

وأخبرتها بخبري فضحكت، ورجعت إلى الموضع الذي أقبَلْتُ منه فجلستُ جِلسةً خفيفةً، ثم إذا بها قد وافتني ومعها رقعة، فيها:

صوت

[الطويل]

وما زِلْتَ تَعْصِيني وتُغري بيَ الرَّدى وَتَهْجُرُني حَتَّى مَرِنْتَ على الهَجْرِ
وتَقْطَعُ أَسْبابي وَتَنْسَى مَوَدَّتي فَكَيْفَ تَرَى يا مالِكي في الهَوَى صَبْري!
فَأَصْبَحْتُ لا أَدْري أَيَأْساً تَصَبُّري على الهَجْرِ أَمْ جِدَّ البَصيرَةِ لا أَدْري

غنّى في هذه الأبياتِ عمْرو بنُ بانةَ، ولحْنه ثقيل أولُ بالبِنصر، ولِمقَّاسة بنِ ناصح فيها ثقيل آخر بالوُسطى. لحن عمرو في الأول والثالث بغير نشيد.

قال: فأخذْت الرّقعة منها وأوصلْتها إليه، وصرت إلى منزلي، فصنَعْت في بَيتَي محمدِ بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً، ثم صرتُ إلى الأمير صالحِ بنِ الرشيد، فعرّفته ما كان من خبَري، وغنَّيته الصوتين، فأمر بإسراج دوابه فأُسرجت، وركب فركبت معه إلى النخّاس مولى نِيرانَ، فما بَرِحنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار، وحملها إلى دار محمد بن جَعفر فوهبها له، فأقمنا يومنا عنده.

أخبرنا محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال: حدّثني يزيدُ بن محمدِ المهلبيُّ قال: دخلت على الواثق يوماً وهو خليفةٌ ورَبابُ في حِجره جالسة، وهي صبية، وهو يلقي عليها قوله:

[الكامل]

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فَتًى لِعَهْدِكِ حافِظٍ في حِفْظِهِ عَجَبٌ وفي تَضْييعِكِ

وهي تغنّيه ويردده عليها، فما سمعت غناءً قطّ أحسن من غنائهما جميعاً، وما زال يردّده عليها حتى حفظته.

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: حدّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال: قال عبد الله بن محمدِ بن أبي عُيَينةَ أخو أبي عُيينةَ في فاطمة ـ التي كان يُشبّب بها أخوه ـ بنت عمرَ بنِ حفص لمّا تزوجها عيسى بنُ سليمانَ بنِ عليّ، وكان عيسى مبخّلاً[1]،

---

(١) المبخّل: الذي يرمى بالبخل.

وكانت له محابسُ يَحبس فيها البيَاح[١] ويبيعه، وكانت له ضيعة تُعرف بِدالية[٢] عيسى يبيع منها البقولَ والرياحينَ، وكان أولَ من جمع السَّمادَ بالبصرة وباعه، فقال فيه أبو الشمقمق: [الوافر]

إذا رُزِقَ العِبادُ فإنَّ عِيسى ... لَهُ رِزْقٌ مِن اسْتاهِ العِبادِ

فلما تزوّج عيسى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفص قال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة في ذلك: [الطويل]

أفاطمَ قَدْ زُوّجْتِ عِيسى فَأَبْشِري ... لَدَيْهِ بِذُلٍّ عاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ
فَإِنَّكِ قَدْ زُوّجْتِ عَنْ غَيْرِ خبرَةٍ ... فَتًى مِن بني العبَّاسِ لَيْسَ بعاقِلِ
فَإِنْ قُلْتِ مِنْ رَهطِ النَّبِيِّ فإنّهُ ... وإن كانَ حُرَّ الأَصْلِ عَبْدُ الشَّمائِلِ
وَقَدْ قالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ ... أقاوِيلَ حَتَّى قالَها كُلُّ قائِلِ
وما قُلْتُ ما قالا لأَنَّكِ أُخْتُنا ... وفي البَيْتِ منَّا والذُّرا والكَواهِلِ
لعَمْري لَقَدْ أَثْبَتِّهِ في نِصابِهِ ... بأنْ صِرْتِ منه في مَحَلِّ الحلائِلِ
إذا ما بَنُو العبّاسِ يَوْماً تنازَعُوا ... عُرا المَجْدِ واخْتاروا كِرامَ الخَصائِلِ
رَأَيْتَ أبا العبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ ... إلى بَيْعِ بَيّاحاتِهِ والمباقِلِ

قال مؤلف هذا الكتاب: وكان عبدُ الله، أخو أبي عُيَينة شاعراً، وكان يقدَّم على أخيه، فأخبرني جَحْظةُ قال: حدثني عليُّ بنُ يحيى المنجّمُ قال: قال إسحاق الموصليّ: شعرُ عبدِ الله بنِ أبي عُيَينةَ أحبُّ إليّ من شِعر أبيه وأخيه. قال: وكان عبدُ الله صديقاً لإسحاق.

قال محمدُ بنُ يزيدَ: ومما قاله في فاطمة وصرّح بذكر القرابة بينهما، وحقق على نفسه أنه يعنيها قوله: [الوافر]

دَعَوْتُكِ بالقرابةِ والجِوارِ ... دُعاءَ مُصَرِّحٍ بادِي السِّرارِ
لأني عَنْكِ مَشْغُولٌ بِنَفْسي ... ومُحْتَرِقٌ علَيكِ بِغَيْرِ نارِ
وَأَنْتِ تَوقَّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدي ... على نارِ الصَّبابَةِ مِنْ وَقارِ
فَأَنْتِ لأنَّ ما بِكِ دُونَ ما بي ... تُدارِينَ العَدُوَّ ولا أُداري

---

(١) البياح: ضرب من السمك.

(٢) الدَّالية: مدينة على شاطىء الفرات. (انظر معجم البلدان ٢/ ٤٣٣).

وَلَـوْ واللهِ تَـشْـتـاقـيـنَ شَـوْقـي … جَـمـحْـتِ إلى مُـخـالـعـةِ الـعِـذارِ(١)
ألا يـا وهـبُ فِـيـمَ فَـضَـحْـتَ دُنـيـا … وبُـحْـتَ بـسِـرِّهـا بَـيْـنَ الـجَـواري
أمـا والـراقـصـات بِـكُـلِّ وادٍ … غـوادٍ نَـحْـوَ مَـكَّـةَ أو سَـواري
لَـقَـدْ فَـضَـلَـتْـكِ دُنـيـا فـي فـؤادي … كَفضْلِ يَدِي اليَمِينِ عَلَى اليسارِ
فـقُـولـي مـا بـدا لـكِ أَنْ تـقـولـي … فـإنِّـي لا أَلُـومُـكِ أَنْ تـضـاري

[من أروع شعره في فاطمة]

قال وقال فيها، وهو من ظريف أشعاره: [المديد]

رَقَّ قَـلْـبـي لـكِ يـا نُـورَ عَـيْـنـي … وأبـى قَـلْـبُـكِ لـي أَنْ يَـرِقَّـا
فـأَراكِ اللهُ مَـوْتـي فـإنِّـي … لَـسْـتُ أَرْضَـى أَنْ تَـمُـوتـي وَأَبْـقَـى
أنـا مِـن وَجْـدٍ بِـدُنْـيـايَ مـنـهـا … ومِـنَ الـعُـذَّالِ فـيـهـا مُـلَـقَّـى

صوت

[المديد]

زَعَـمـوا أنّـي صَـدِيـقٌ لِـدُنـيـا … لَـيْـتَ ذا الـبـاطـلَ قَـدْ صـارَ حـقّـا

في هذا البيت ثُمّ الذي قبله، ثم الأول لإبراهيم لحنٌ ماخوري بالوُسطى عن الهِشاميّ.

قال: وقال فيها أيضاً في هذا الوزن، وفيه غناء محدَث رَمل طُنبوريّ:

[المديد]

عَـيْـشُـهـا حُـلْـوٌ وَعَـيْـشُـكَ مُـرٌّ … لَـيْـسَ مَـسْـرورٌ كَـمَـنْ لا يُـسَـرُّ
كـمَـدٌ فـي الـحُـبِّ تَـسْـخُـنُ فِـيـهِ … عَـيْـنُـهُ أَكْـثَـرَ مِـمَّـا تَـقَـرُّ(٢)
قُـلْـتُ لـلاّئِـم فِـيـهـا الْـهُ عَـنْـهـا … لا يَـقَـعْ بَـيْـنـي وبَـيْـنَـكَ شَـرُّ
أَتُـرانـي مُـقْـصِـراً عَـنْ هَـواهـا … كُـلُّ مَـمْـلـوكٍ إذاً لـيَ حـرُّ

وقال فيها أيضاً، وأنشدَناه الأخفشُ عن المبرِّد، وأنشدَناه محمدُ بنُ العباسِ اليزيديُّ قال: أنشدني عمي عُبَيد الله لأبي عيينة: [الخفيف]

حِـيـنَ قـالَـتْ دُنـيـا عَـلامَ نَـهـاراً … زُرْتَ؟ هَـلاَّ انْـتَـظَـرْتَ وَقْـتَ الـمَـساءِ!

(١) العِذار: الحياء.
(٢) تقرّ: تهدأ.

إنْ تَكُنْ مُعْجَباً بِرَأْيِكَ لا تَفْـ ـرَقْ فاسْتَحْي يا قَلِيلَ الحَياءِ
ذاك إذْ رُوحها ورُوحي مِزاجا نِ كَأَصْفى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ ماءِ

قال محمدُ بنُ يزيدَ: وقد أخذ هذا المعنى غيرُه منه، ولم يسمّه، وهو البحتريّ، فقال:

صوت

[البسيط]

جَعَلْتُ حُبَّكِ مِنْ قَلْبي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ المُصافاةُ بَيْنَ الماءِ والرَّاحِ
تَهْتَزُّ مِثْلَ اهْتِزازِ الغُصْنِ حَرَّكَهُ مُرورُ غَيْثٍ مِنَ الوَسْميِّ سَحّاحِ(١)

الغناء في هذين البيتين لِزَذاذٍ ثقيل أولُ مطلَق في مجرى البِنصَر.

ومما قاله أبو عيينة في فاطمة هذه، وكَنى فيه بدنيا قوله:

صوت

[المتقارب]

أَلَمْ تَنْهَ قَلْبَكَ أَنْ يَعْشَقا وما لكَ والعِشْقَ لَوْلا الشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ النُّهى وشَمِّكَ رَيْحانَ أَهْلِ التُّقى
عَشِقْتَ فَأَصْبَحْتَ في العالَمِيـ ـنَ أَشْهَرَ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقا
أَدُنْيايَ مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الهَوَى خُذي بِيَدي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقا
أنا ابنُ المُهَلَّبِ ما مِثْلُهُ لَوَ اَنَّ إلى الخُلْدِ لي مُرْتَقى

غنى فيه أبو العُبَيس بنُ حمدونَ، ولحنُه ثاني ثقيلٍ مطلقٌ، وفيه لِعَريبَ ثقيل أول، رواه أبو العُبَيس عنها.

[قصيدته في دنيا ومآثر المهلب]

وهذه قصيدة طويلة يَذكر فيها دنيا ويفخَر بعَقِبِ النسيب بأبيه، ويذكر مآثر المهلَّب بالعراق، ولكن مما قاله في دنيا منها قوله: [المتقارب]

أَدُنْيايَ من غَمرِ بَحْرِ الهَوَى خُذي بِيدي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقا
أنا لكِ عَبْدٌ فَكُوني كَمَنْ إذا سَرَّهُ عَبْدُهُ أَعْتَقا

(١) الوسمي: مطر الربيع الأول، نسبته إلى الوسم. وسحاح: غزير.

أَلَـمْ أَخْـدَعِ الـنَّـاسَ عَـنْ وَصْـلِـهـا وَقَـدْ يَـخْـدَعُ الـعـاقِـلُ الأَحْـمَـقَـا
بـلـى فَـسَـبَـقْـتُـهـمُ إِنَّـنـي أُحِـبُّ إلـى الـخَـيْـرِ أَنْ أَسْـبِـقَـا
وَيَـوْمَ الـجَـنـازَةِ إِذْ أَرْسَـلَـتْ عـلـى رُقْـعَـةٍ أَنْ جُـزِ الـخَـنْـدَقَـا
وعُـجْ ثَـمَّ فَـانْـظُـرْ لـنـا مَـجْـلِـسـاً بِـرِفْـقٍ وَإِيّـاكَ أَنْ تَـخْـرَقَـا[1]
فَـجِـئْـنـا كَـغُـصْـنَـيْـنِ مِـنْ بـانَـةٍ قَـرِيـنَـيْـنِ خِـدْنَـيْـنِ قَـدْ أَوْرَقَـا[2]
فَـقَـالَـتْ لأُخْـتٍ لـهـا اسْـتَـنْـشِـدِيــهِ مِنْ شِعْرِهِ المحكم المُنْتَقَى
فَـقُـلْـتُ أَمَـرْتِ بِـكِـتْـمـانِـهِ وَحَـذَّرْتِ إِنْ شـاعَ أَنْ يُـسْـرَقَـا
فَـقـالَـتْ بِـعَـيْـشِـكِ قُـولـي لَـهُ تَـمَـنَّـعْ لَـعَـلَّـكَ أَنْ تَـنْـفُـقَـا

ومن مشهور قوله في دنيا، وهو مما تهتَّك فيه وصرّح وأفحش، وهي من جيد قوله قصيدتُه التي يقول فيها: [الطويل]

أنا الفارِغُ المَشْغولُ والشّوْقُ آفتي فلا تَسْأَلُوني عَنْ فَراغي وَعَنْ شُغْلي
عَجِبْتُ لِتَرْكِ الحُبِّ دُنيا خَلِيَّةً وإعْراضِهِ عَنْها وَإِقْبالِهِ قُبْلي[3]
وما بالُها لما كَتَبْتُ تَهاوَنَتْ بكُتْبي وَقَدْ أَرْسَلْتُ فانتَهَرَتْ رُسْلي
وَقَدْ حَلَفَتْ ألاّ تَخُطَّ بِكَفِّها إلى قابِلٍ خَطّاً إِليَّ ولا تُمْلي[4]
أَبُخْلاً عَلَيْنا كُلُّ ذا وَقَطِيعةً قَضَيْتِ لِدُنيا بالقَطِيعَةِ والبُخْلِ
سَلُوا قَلْبَ دُنيا كَيْفَ أَطْلَقَهُ الهَوَى فَقَدْ كانَ في غُلٍّ وثِيقٍ وفي كَبْلِ
فإن جَحَدَت فاذكر لها قصر مَعْبَدٍ بمَنْصَفِ ما بَيْنَ الأُبُلَّةِ والحَبْلِ[5]
ومَلْعَبَنا في النَّهرِ والماءُ زاخِرٌ قَرِينَيْنِ كالغُصنَيْنِ فَرْعَيْنِ في أَصْلِ
ومِنْ حَوْلِنَا الرَّيْحانُ غَضّاً وَفَوْقَنا ظِلالٌ مِنَ الكَرْمِ المُعَرَّشِ والنَّخْلِ
إذا شِئْتُ مالَتْ بي إِلَيْها كَأَنَّني إلى غُصْنِ بانٍ بَيْنَ دِعْصَيْنِ مِنْ رَمْلِ[6]
لَيالِيَ أَلْقاني الهَوَى فاسْتَضَفْتُها فكانَتْ ثَناياها بِلا حِشْمَةٍ نُزْلي
وَكَمْ لَذَّةٍ لي في هَواها وَشَهْوَةٍ ورَكْضي إِلَيْها راكِباً وعلى رِجْلِ

---

(١) خرق الرجل: أكثر الكذب. والأخرق: الذي لا يحسن عمله.
(٢) الخِدن: الحبيب والصاحب، والجمع أخدان.
(٣) إقباله قُبلي: قصده نحوي.
(٤) القابل: يعني العام المقبل.
(٥) الأُبلَّة: بلدة على شاطىء دجلة. وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ١/ ٧٧). والحَبْلَ: موضع في البصرة على شاطىء الفيض. (معجم البلدان ٢/ ٢١٤).
(٦) الدِّعْصُ: قور من الرمل مجتمع.

وفي مَأْتَم المَهْدِيِّ زاحَمْتُ رُكْنَهَا بِرُكْنِي وَقَدْ وطَّنْتُ نَفْسي على القَتْلِ
وبِتْنَا عَلَى خَوْفٍ أُسَكِّنُ قَلْبَها بِيُسراي واليُمْنَى على قائِم النَّصْلِ
فيا طِيبَ طَعْم العَيْشِ إذْ هِيَ جارَةٌ وإِذْ نَفْسُها نَفْسي وَإِذ أَهْلُها أَهْلي
وَإِذْ هِيَ لا تَعْتَلُّ عَنِّي بِرقبَةٍ ولا خَوْفِ عَيْنٍ مِنْ وُشاةٍ ولا بَعْلِ(١)
فَقَدْ عَفَتِ الآثارُ بَيْني وَبَيْنَها وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنِّي إلى دارِها سُبْلي
وَلَمَّا بَلَوتُ الحُبَّ بَعْدَ فِراقِها قَضَيْتُ عَلَى أُمِّ المُحِبِّينَ بالثُّكْلِ
وأَصْبَحْتُ مَعْزولاً وَقَدْ كُنْتُ والِياً وَشَتانَ ما بَيْنَ الولايةِ والعَزْلِ

ومما قاله فيها وفيه غناء:

صوت

[الطويل]

أَلا في سَبِيل اللَّهِ ما حَلَّ بي مِنْكِ وَصَبْرُكِ عَنِّي حِينَ لا صَبْرَ لي عَنْكِ
وَتَرْكُكِ جِسْمي بَعْدَ أَخْذِكِ مُهْجَتي ضئِيلاً فَهَلاً كَانَ مِنْ قَبْلِ ذا تَرْكي
فَهَلْ حاكِمٌ في الحُبِّ يَحْكُم بَيْننا فَيَأْخُذَ لي حَقِّي ويُنْصِفَني مِنْكِ

لِسُلَيم في هذه الأبيات هزَج مطلَق في مجرى الوُسطى، وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه، وهي من عجيب شعره: [الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ يَوْمَ القَصْرِ مِمَّا ظَنَنْتِ بي بَرِيئاً كما أَنِّي بَرِيءٌ مِنَ الشِّرْكِ
يذَكِّرني الفِردَوْسَ طَوْراً فأَرعَوي وَطوْراً يُواتِيني إلى القَصْفِ والفَتكِ
بِغَرْسٍ كَأَبْكارِ الجَواري وتُرْبَةٍ كَأَنَّ ثَراها ماءُ وَرْدٍ على مِسْكِ
وسِرْبٍ مِنَ الغِزْلانِ يَرْتَعْنَ حَوْلَهُ كما اسْتُلَّ مَنْظُومٌ مِنَ الدُّرِّ مِنْ سِلْكِ
وَوَرْقاء تَحْكي المَوْصِلِيّ إذا غَدَتْ بِتَغْرِيدها أَحْبِبْ بها وبِمَنْ تَحْكِي
فيا طِيبَ ذاكَ القَصْرِ قَصْراً ومَنْزِلاً بِأَفْيَحَ سَهْلٍ غَيْرِ وَعْرٍ ولا ضَنْكِ(٢)
كَأَنَّ قُصورَ القَوْمِ يَنْظُرْنَ حَوْلَهُ إلى مَلِكٍ مُوفٍ عَلَى مِنْبَرِ المُلْكِ
يُدِلُّ عَلَيْها مُسْتَطِيلاً بِظِلِّهِ فيَضْحَك مِنها وهي مُطْرِقَةٌ تَبْكي

(١) الرِّقبة: الحراسة والمراقبة.
(٢) الضنك: الضيق من كل شيء.

[رأي الفضل بن الربيع به]

أخبرني أحمد بنُ عُبيدِ الله بنِ عَمار قال: حدّثني عليّ بنُ عمرو الأنصاريُّ، قال: سمِعت الأصمعي يذكر أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه: مَن أشعر أهل عصرِنا؟ فقالوا فأكثروا، فقال الفضل بن الربيع: أشعر أهلِ زماننا الذي يقول في قصرِ عيسى بنِ جعفر بالخُرَيْبة[1] ـ يعْني أبا عُيَينَةَ: [البسيط]

زُرْ واديَ القَعْرِ نِعم القَصْرُ والوادي ... وحَبَّذا أَهْلُهُ مِنْ حاضِرٍ بادي
تُرْفا قَراقِيرُهُ والعِيسُ واقِفَةٌ ... والضَّبُّ والنُّونُ والملاّحُ والحادي[2]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ مُجمع قال: تزوَّج سَعيد بنُ عَبادِ بنِ حبيب بن المهلَّب بنتَ سفيانَ بنِ معاويةَ بنِ المهلّب ـ وقد كان تزوجها قبله رجلان فدفنتهما، فكتب إليه أبو عُيَينة: [الوافر]

رَأَيْتَ أثاثَها فَرَغِبْتَ فِيهِ ... وَكَمْ نَصَبَتْ لِغَيْرِكَ بالأثاثِ
إلى دارِ المَنونِ فَجَهَّزَتْهم ... تَحُثُّهُمُ بِأَرْبَعَةٍ حِثاثِ
فَصَيِّرْ أَمْرَها بِيَدَيْ أَبِيها ... وعَيشِك مِنْ حِبالِكَ بالثَّلاثِ
وإلا فالسَّلامُ عَلَيْكَ مِنِّي ... سَأَبْدَأُ مِنْ غَدٍ لكَ بالمراثي

أخبرني محمد بنُ مَزْيد الصوليُّ قال: حدّثنا حَماد بنُ إسحاق عن أبيه، قال: كان عليُّ بن هشام قد دعاني ودعا أبا عُيَينة وتأخرْتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً، وتشاغلْتُ برجُل كان عندي من الأعراب، وكان فصيحاً لأكتبَ عنه، وكان عنده بعضُ من يعاديني ـ قال حماد: كأنه يومىء بهذا القول إلى إبراهيمَ بنِ المهديّ ـ فسأل أبا عُيينة أن يعاتبني بشعر يَنسبني فيه إلى الخُلف فكتب إليّ: [الخفيف]

يا مَلِيئاً بالوَعْدِ والخُلْفِ والمَطْـ ... ـلِ بَطِيئاً عَنْ دَعْوَةِ الأَصْحابِ[3]
لَهِجاً بالأَعْراب إنَّ لَدَيْنا ... بَعْضَ مَنْ تَشْتَهي مِنَ الأَعْرابِ
قَدْ عَرَفْنا الذي شُغِلْتَ بِهِ عَـ ... ـنّا وإنْ كانَ غَيْر ما في الكِتابِ

(١) الخُريبة: موضع بالبصرة. (انظر معجم البلدان ٢/ ٣٦٣).
(٢) رفأ السفينة: أوفاها من الشط. والنُّون: الحوت.
(٣) المطل: التسويف. يقال: مطله حقّه وبحقّه: سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد الأخرى.

قال: فكتبْتُ إلى الذي حَمل أبا عُيَينة على هذا - يعني إبراهيم بن المهدي:

[الخفيف]

قَدْ فَهِمْتُ الكِتابَ أَصْلَحَكَ اللَّـ ـه وَعِنْدي إِلَيْكَ رَدُّ الجَوابِ
ولَعَمْري ما تُنْصِفُونَ ولا كا نَ الذي جاءَ مِنْكُمُ في حِسابي
لَسْتُ آتِيكَ فاعْلَمَنَّ ولا لي فِيكَ حَظ مِنْ بَعْدِ هذا الكِتابِ

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقيّ قال: حدثني عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال: حدّثني إبراهيمُ بن إسحاق العُمَريّ قال: حدّثنا أبو هاشم الإسكندرانيُّ، عن ابن أبي لَهيعة قال: حُفِر حَفرٌ في بعضِ أفنيةِ مكةَ، فوُجد فيه حَجرٌ عليه منقوش:

[الكامل]

ما لا يَكونُ فلا يَكونُ بِحِيلةٍ أَبَداً وما هُوَ كائِنٌ فَيكُونُ
سَيَكونُ ما هُوَ كائِنٌ في وقْتِهِ وأخو الجَهالةِ مُتْعَبٌ مَحْزونُ
يَسْعَى القَوِيُّ فلا يَنالُ بِسَعْيِهِ حَظّاً ويَحْظَى عاجِزٌ ومَهِينُ

قال ابنُ أبي سعدٍ: هكذا في الحديث، وقد أنشدني هذه الأبياتَ جماعةٌ لأبي عُيَيْنة.

حَدَّثني عمّي قال، حَدَّثني عُمرُ بن محمدِ بنِ عبد الملك، قال: حَدَّثني عليّ بنُ عمروس الأنصاريُّ عن الأصمعيّ قال: قال لي الفضلُ بنُ الرَّبيع: يا أصمعيّ، من أشعرُ أهل زمانك؟ فقلت: أبو نُواس قال: حيث يقول ماذا؟ قلت: حيث يقول:

[المنسرح]

أما تَرَى الشَّمْسَ حَلَّتِ الحَمَلا وقامَ وَزْنُ الزَّمانِ فاعْتَدلا

فقال: والله إنه لَذِهِنٌ فطِن، وأشعر عندي منه أبو عُيَينة.

حَدَّثني عمي، قال: حَدَّثني فضلٌ اليزيديُّ عن إسحاق أنه أنشده لأبي عُيَينة في دُنيَا التي كان يُشبِّب بها، وقد زوّجت وبلغه أنها تُهدَى إلى زوجِها، وكَان إسْحاقُ يستحسن هذا الشعر ويستجيده:

[الطويل]

أَرَى عَهْدَها كالوَرْدِ لَيْسَ بِدائِمٍ ولا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ

وَعَهْدي لها كالآسِ حُسْناً وَبَهْجَةً ... لَهُ نَضْرةٌ تَبْقى إذا ما انْقَضَى الوَرْدُ[١]
فما وَجَدَ العُذريُّ إِذْ طالَ وَجْدُهُ ... بِعَفْراءَ حتَى سَلَّ مُهْجَتَهُ الوَجْدُ[٢]
كوَجْدي غَداةَ البَيْنِ عِنْدَ الْتِفاتِها ... وَقَدْ شَفَّ عَنْها دُونَ أَتْرابِها البُرْدُ[٣]
فَقُلْتُ لأصْحابي هِيَ الشَّمْسُ ضَوؤها ... قَريبٌ ولكن في تَناوُلِها بُعْدُ
وإنّي لِمَنْ تُهْدَى إِلَيْهِ لَحاسِدٌ ... جَرَى طائِري نَحْساً وطائِرُهُ سَعْدُ

أخبرني عمي قال حَدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ المهلبيُّ قال: سألْتُ أبي عن دُنيا التي ذَكَرها أبو عُيَينة بنُ محمدِ بنِ أبي عُيينة في شعره، وقلت: إن قوماً يقولون: إنها كانت أمَةً لبعض مُغَنِّي البصرة، فقال: لا، يا بنيّ، هي فاطمةُ بنتُ عُمرَ بنِ حفصٍ هَزارَ مرْدَ بن عثمانَ بنِ قَبيصةَ أخي المهلَّب، وكان عيسى بنُ سليمان بنِ عليٍّ أخو جعفرٍ ومحمدٍ ابنيْ سليمان تزوّجها، وهجاه عبدُ الله بنُ محمدِ بن أبي عُيينة، أخو أبي عُيَيْنة فقال: [الطويل]

أَفَاطِمُ قَدْ زُوِّجْتِ عِيسى فَأَبْشِري ... لَدَيْهِ بِذُلٍّ عاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ
فَإِنَّكِ قَدْ زُوِّجْتِ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ ... فَتًى مِنْ بَني العبَّاسِ لَيْسَ بعاقِلِ

وذكر باقيَ الأبيات، وقد مضَت متقدماً.

قال أحمد بن يزيد: ثم أنشدني أبي لأبي عُيينة يُصرِّح بنَسبِه الجامع له ولفاطمةَ من أبيات له: [الكامل]

ولأنتِ إنْ مِتُّ المُصابةُ بي ... فَتَجَنَّبي قَتْلي بلا وِتْرِ
فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَتَلْطِمنْ جَزَعاً ... خدَّيْكِ قائِمةً على قَبْري

قال أحمد: وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك، وأنه كان يَكني بدُنيَا عن غيرها: [الخفيف]

ما لِدُنيا تَجْفوكَ والذَّنْبُ مِنْها ... إنَّ هذا مِنْهَا لَخَبٌّ ومَكْرُ[٤]
عَرَفَتْ ذَنْبَها إِلَيَّ فَقالَتْ ... ابدأوا القَوْمَ بالصِّياحِ يَفِرّوا

---

(١) الآس: ضربٌ من الرياحين دائم الخضرة.
(٢) العُذريُّ: المنسوب إلى عُذرة، حي من قضاعة، ينسب إليهم العشق. والمراد به عروة بن حزام، أحد العشاق المضروب بهم المثل في شدة الوجد وعفراء محبوبته.
(٣) البُرد: من الأثواب المخططة. والترب: المماثل في السنّ.
(٤) الخبّ: المكر والخداع.

قَدْ أَمَرْتُ الفُؤادَ بالصَّبْرِ عَنْها غَيْرَ أنْ لَيْسَ لي مَعَ الحُبِّ أَمْرُ
وَكَتَمْتُ اسْمَها حِذاراً مِنَ النّا سِ ومِنْ شَرِّهِمْ وَفي النَّاسِ شَرُّ
وَيقولونَ بُحْ لنا باسْمِ دُنيا واسْمُ دُنيا سِرٌّ على النَّاسِ ذُخْرُ
ثُمَّ قالوا لِيَعْلَمُوا ذاتَ نَفْسي أَعَوَانٌ دُنياكَ أَمْ هِيَ بِكْرُ
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ أَبِكْرٌ شَبَّ يا إِخْوتي عَنِ الطَّوْقِ عَمْرو[١]

أخبرني جعفر بنُ قدامةَ قال: حَدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيات قال: حَدَّثني أبو خالد الأسلميّ قال: كان ابنُ أبي عُيَينة المهلبي صديقي، وهو أبو عُيَينة بنُ المِنجاب بنِ أبي عُيَينة، فجاءه رجل من جيرانه كان يستثقله، فسأله حاجة فقضاها، ثم سأله أُخرى فوعده بها، ثم سأله ثالثة فقال: [الكامل]

خَفِّفْ عَلَى إِخْوانِكَ المُؤَنا إنْ شِئْتَ أنْ تَبْقَى لَهُمْ سَكَنا
لا تُلْحِفَنَّ إذا سَأَلْتَ فَفِي الـ إِلْحافِ إِجْحافٌ بِهِمْ وعَنا[٢]

فقام الرجل وانصرف.

[خبره مع أمير البصرة]

أخبرني أبو دُلَفٍ هَاشمُ بنُ محمدٍ قال: حَدَّثنا المبرد قال: وفد ابن أبي عُيَينة إلى طاهرِ بنِ الحُسين يسأله أن يعزِلَ أمير البصرة، وكان من قِبَله فدافعه، وعرض عليه عِوَضاً خطيراً من حاجته، ووعده أن يستصلحَ له ذلك الأمير ويزيلَه عما كرهه، فأبى عزله وأجزل صلتَه، فقال ابن أبي عيينة فيه: [البسيط]

يا ذا اليَمِينَيْنِ قَدْ أَوْقَرْتَنِي مِنَنا تَتْرَى هِيَ الغايةُ القُصْوى مِنَ المِنَنِ[٣]
وَلَسْتُ أَسْطِيعُ مِنْ شُكْرٍ أَجِيءُ بِهِ إلا اسْتِطاعَةَ ذي رُوحٍ وذي بَدَنِ
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنْزِلَةً أَوْفى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللّهِ في الثَّمَنِ
أَخْلَصْتُها لَكَ مِنْ قَلْبي مُهَذَّبَةً حَذْوًا عَلَى مِثْلِ ما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباريّ قال: حَدَّثني أبي عن أبي عِكرمةَ عامرِ بن

(١) هو عمرو بن عدي، وخاله جذيمة. وشبّ عمرو عن الطوق مثل يُضرب لمن يلابس ما هو دون قدره.
(٢) الإلحاف: الإلحاح. والعناء: التعب والمشقة.
(٣) ذو اليمينين: طاهر بن الحسين. ولقب بهذا اللقب لأنه ضرب رجلاً بيساره فقده نصفين، فلقبه المأمون به. وتترى: متتابعة.

عِمران، وأخبرني به عمي عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلّبيّ عن أبيه قال: كان إسماعيل بنُ سليمانَ والياً عَلَى البصرة خَليفة لطاهرِ بنِ الحُسين، فأساء مَجاورةَ ابنِ أبي عُيَينة حتى تباعد بينهما وقبح، وأظهر إسماعيل تنقّصَه وعيبَه، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل، ويسعى في عزله عن البصرة، فبَعُد ذلك عليه بعض البُعد، وسافر طاهرُ بن الحُسين إلى وجهٍ أُمر بالخروج إليه، فصحِبه ابنُ أبي عُيينة في سفره، فتذمّم من ذلك، وأمر بإيصاله إليه، فلما دخل ابنُ أبي عُيينة إليه سأله عن حوائجه وأدناه، وأمره برفعها فأنشده: [المنسرح]

مَـنْ أوْحَـشَـتْـهُ الـبِـلادُ لـم يُـقِـم ... فـيـهـا ومَـن آنَـسَـتْـهُ لـم يَـرِمِ[1]
ومَـن يَـبِـتْ والـهُـمُـومُ قـادِحَـةٌ ... فـي صَـدْرِهِ بـالـزِّنـادِ لـم يَـنَـمِ
وَمَـنْ يَـرَ الـنَّـقْـصَ مِـن مَـوَاطِـئِـهِ ... يُـزِلْ عـن الـنَّـقْـصِ مَـوْطِـىءَ الـقَـدَمِ
وَالـقُـرْب مِـمَّـنْ يَـنْـأى بـجَـانِـبِـهِ ... صَـدْعٌ عَـلَـى الشَّـعْـبِ غَـيْـرُ مُـلْـتَـئِـمِ
ورُبَّ أمْـرٍ يَـعْـيـا الـلَّـبِـيـبُ بـهِ ... يَـظَـلُّ مـنـهُ فـي حَـيْـرَةِ الـظُّـلَـمِ
صَـبْـرٌ عـلـيـهِ كَـظْـمٌ عَـلَـى مَـضَـضٍ ... وَتَـرْكُـهُ مِـنْ مَـواقِـعِ الـنَّـدَمِ
يـا ذا الـيَـمِـيـنَـيْـنِ لـم أزُرْكَ وَلَـمْ ... آتِـكَ مِـنْ خَـلَّـةٍ وَمِـنْ عَـدَمِ[2]
إنّـي مـنَ الـلّـهِ فـي مَـراحِ غِـنًـى ... وَمُـغْـتَـدًى واسِـعٍ وَفـي نِـعَـمِ
زارَتْـكَ بِـي هِـمَّـةٌ مُـنـازِعَـةٌ ... إلـى الـعُـلا مِـنْ كَـرائِـمِ الـهِـمَـمِ
وإنَّـنِـي لِـلْـجَـمِـيـلِ مُـحْـتَـمِـلٌ ... فِي القَدْرِ مِن مَنصِبي ومِنْ شِيَمِي
وَقَـدْ تَـعَـلَّـقْـتُ مـنـكَ بـالـذِّمَـمِ الـ ... كُبْرَى الـتـي لاَ تَـخِـيـبُ في الـذِّمَـمِ
فَـإنْ أنَـلْ بُـغْـيَـتِـي فَـأنْـتَ لَـهـا ... فـي الـحَـقِّ حَـقُّ الـرَّجـاءِ وَالـرَّحِـمِ
وإنْ يَـعُـقْ عـائِـقٌ فَـلَـسْـتَ عَـلـى ... جَـمِـيـلِ رأيِ عِـنْـدِي بِـمُـتَّـهَـمِ
فِـي قَـدَرِ الـلَّـهِ مـا أُحَـمِّـلُـهُ ... تَـعْـوِيـق أمْـرِي فـي الـلَّـوحِ والـقَـلَـمِ
لَـمْ يَـضِـقِ الـصَّـبْـرُ والـفِـجاجُ عـلـى ... حُـرٌّ كَـرِيـم بـالـصَّـبْـرِ مُـعْـتَـصِـمِ
مـاضٍ كَـحَـدِّ الـسِّـنـانِ فـي طَـرَفِ الـ ... ـعـامِـلِ أوْ حَـدِّ مُـصْـلَـتٍ خَـذِمِ[3]

(١) لم يرم: لم يبرح.
(٢) الخلة، والعدم: الحاجة والفقر.
(٣) العامل: طرف الرمح مما يلي السنان. والسنان الخذم: القاطع.

إذا ابْتَلاهُ الزَّمانُ كَشَّفَهُ عَنْ ثَوْبِ حُرِّيَّةٍ وَعَنْ كَرَمِ
ما ساءَ ظَنِّي إلا بِواحِدَةٍ في الصَّدْرِ مَحْصُورَةٍ عَنِ الكَلِمِ
لِيَهْنَ قَوْمٌ جُزْتَ المَدَى بِهِمُ وَلَمْ تُقَصِّرْ فِيهِمْ ولم تُلَمِ
وَلَيْسَ كُلُّ الدِّلاءِ راجِعَةً بالنِّصْفِ مِنْ مَلْئِها إلى الوَذَمِ[١]
تَرْجِعُ بالحَمْأَةِ القليلةِ أحـ ـياناً ورَنْق الصَّبابَةِ الأَمَمِ[٢]
ما تُنْبِتُ الأرْضُ كُلَّ زَهْرَتِها ولا تَعُمُّ السَّماءُ بالدِّيَمِ
ما فِيَّ نَقْصٌ عَنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ شَرِيفَةٍ والأُمُورُ بالقِسَمِ

فأجابه طاهر: [المنسرح]

مَن تَسْتَضِفْهُ الهُمُومُ لم يَنَمِ إلاَّ كَنَوْمِ المَرِيضِ ذي السَّقَمِ
ولا يَزَلْ قَلْبُهُ يُكابِدُ ما تُولِدُ فِيهِ الهُمُومُ من أَلَمِ
وَقَدْ سَمِعْتُ الَّذِي هَتَفْتَ بِهِ وما بأُذْنِي عنكَ من صَمَمِ
وقد عَلِمْنا أن لَسْتَ تَصْحَبُنا لِفاقَةٍ فِيكَ لا ولا عَدَمِ
إلا لِحَقٍّ وحُرْمَةٍ وَعَلى مِثْلِكَ رَعْيُ الحُقُوقِ والحُرَمِ
أنْتَ امْرُؤٌ لا تَزولُ عن كَرَمٍ إلا إلى مِثْلِهِ من الكَرَمِ
وَأنْتَ من أُسْرَةٍ جَحاجِحَةٍ فازوا بِحُسْنِ الفعالِ والشِّيَمِ
فَما تَرُمْ مِن جَسِيمِ مَنْزِلَةٍ فالحُكْمُ فيهِ إليكَ فاحْتَكِمِ
إن كُنْتَ مُسْتَسْقِياً سَماحَتَنا مِنّا تَجُدْكَ اليَدانِ بالدِّيَمِ
أو تَرِمْ في بَحْرِنا بِدَلْوِكَ لا نُعْدِمْكَ مَلْئاً لها إلى الوَذَمِ
إنّا أُناس لَنا صَنائِعُنا في العُرْبِ مَعْرُوفَةٌ وفي العَجَمِ
مُغْتَنِمُو كَسْبِ كُلِّ مَحْمَدَةٍ والكَسْبُ لِلْحَمْدِ غَيْرُ مُغْتَنَمِ

فاحتكم عليه أبو عُيَينة في عزل إسماعيلَ بنِ جعفر عن البصرة، فعزله عنها وأمر له بمائة ألفِ درهم، فقال أبو عُيَيْنة في عزْله إسماعيل بنَ جعفر عن إمارة البصرة: [السريع]

لا تَعْدَمِ العَزْلَ يا أبا الحَسَنِ ولا هُزَالاً في دولةِ السِّمَنِ
ولا انتِقالاً مِن دارِ عافِيَةٍ إلى ديارِ البلاءِ والمِحَنِ

(١) الوذم: السيور من آذان الدلو إلى العراقي جمع عرقوة. وهي من الدلو خشبتان تعرضان عليها كالصليب.

(٢) الحمأة: الطين الأسود. والصُّبابة: البقية من الماء. والأمم: اليسير.

أنــا الَّــذي إن كَـفَـرْتَ نِـعْـمَـتَـهُ أذابَ مـا فـي جَـنْـبـيـكَ مِـنْ عُـكَـنِ

حدّثني عيسى بنُ الحسين قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الله الحَزَنْبَلُ الأصبهانيّ قال: كان ابنُ أبي عُيَيْنة قد هجا نِزاراً بقصيدة له مشهورةٍ، وفضَّل عليها قحطان، فقال ابن زَعْبل يهجوه ويرد عليه، واسمه عمرُو بن زَعْبل: [مجزوء الوافر]

بُـنَـيَّ أَبـي عُـيَـيْـنَـةَ مـا نَـطَـقْـتَ بـهِ مـن الـلَّـغَـطِ؟
عـلـى مـا أنْـتَ مُـلْـتَـحِـفٌ مـن الأوْجـاع فِـي الـوَسَـطِ
لِـمـا فـي الـدُّبْـرِ مـن نَـغَـلٍ ومـا فـي الـعِـرْضِ مِـنْ سَـقَـطِ[1]
أتَـتْـنـا الـخَـمْـسُ والـمـائـتـا نِ بـالـنَّـعْـمـاءِ والـغِـبَـطِ
أمِـيـرِ مـن هـلالٍ مـسـ تـطـيـلِ الـبـاعِ مُـنْـبَـسِـطِ
شَـرِيـفٍ لِـيـسَ بـالـمَـدْخُـو لِ فـي عِـرْضٍ ولا رَهَـطِ
أظـنُّـكَ مِـنْ يَـدَيْـهِ وا قـعـاً لا شـكَّ فـي وَرَطِ
وَوَالـي الـخَـرْجِ فـيـاض الـ يَـدَيْـن بـنـائِـل سَـبِـطِ[2]
لـه نِـعَـمٌ حـبـاكَ بـهـا فـلـم تَـحْـفَـظْ ولـم تَـحُـطِ[3]
وقـاضٍ مـن أمِـيـرِ الـمـؤ مـنـيـنَ يـقـومُ بـالـقِـسَـطِ
يَـسُـرُّكَ أنَّـهُ مـن آ لِ قَـحْـطـانٍ عـلـى شَـحَـطِ
وأنَّـكَ إنْ ذُكِـرْتَ يـقـا لُ شـيـخٌ فـاسِـقُ الـشَّـمَـطِ[4]
أعَـبْـدٌ مـن عَـبِـيـدِ عُـمـا نَ عـابَ مـنـاقِـبَ الـسَّـبِـطِ
وَتَـهْـجُـو الـغُـرَّ مـن مُـضَـرٍ كَـفَـى هـذا مِـنَ الـشَّـطَـطِ
تَـيَـمَّـمْ فـي مُـقَـيَّـرَةٍ مَـسِـيـراً غـيـرَ مُـغْـتَـبِـطِ[5]
مُـجَـوَّفَـةٍ مُـزَيَّـنَـةٍ بِـوَدْعٍ لاحَ كـالـرَّقَـطِ[6]
بـنُـوكَ تَـجُـرُّهـا بـالـقَـلْـ سِ مـؤتـزِريـنَ بـالـفُـوَطِ[7]

---

(١) النغل: الفساد.

(٢) السبط: الممتدّ.

(٣) حباك: منحك.

(٤) الشمط: اختلاط سواد الشعر بالبياض الناتج عن الشيب.

(٥) المقيرة: السفينة المطلية بالقار، وهو الزفت. والمغتبط: المغبوط.

(٦) الودع: خرز بيض تخرج من البحر.

(٧) القلس: حبل للسفينة.

مَـتَـى غَـمَـسُـوا مَـرادِيَـهُـمْ لِـجِـدّ الـسَّـيْـرِ تَـحْـتَـلِـطِ[١]
وأنْـتَ بِـمَـوْضِـعِ الـسُّـكـا نِ يُـمْـسِـكُـهُ بِلا غَـلَـطِ
عَـلَـيْـكَ عـبـاءَةٌ مـشـكـو كَـةٌ بـالـشَّـوْكِ لَـمْ تُـخَـطِ
فَـطَـيَّـبَ رِيـحَ بَـلْـدَتِـنـا فِـرارُكَ خِـيـفَـةَ الـشُّـرَطِ[٢]
وَأنَّـكَ قـد عُـرِفْـتَ بِـكَـشْـ ـرَةِ الـتَّـخْـلِـيـطِ وَالـغَـلَـطِ
تَـرَى الـخُـسْـرانَ إنْ لَـمْ تَـزْ نِ فـي يَـوْمٍ وَلَـمْ تَـلُـطِ

[فراره من المأمون بعد أن نذر دمه]

قال: وكان ابنُ أبي عُيَينة لما هجا نِزاراً بلغ شعرُه المأمون، فنذر دمه، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمانٍ، فلم يزَل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون.

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عَمّار قال: حدّثني ابن مَهْرُويه عن أبيه بِقصة ابنِ أبي عُيَينة مع ابنِ زَعْبلٍ، فذكر نحو الخبرِ المتقدم.

[تشبيبه بوهبة ودنيا]

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمدُ بن يزيدَ المهلبيُّ؛ قال: حدّثني أبي قال: كان ابنُ أبي عُيينة يشبّبُ بوَهبةَ جاريةِ القَروي، وهي التي يقول فيها فروج الزنى قوله: [البسيط]

يـا وَهْبَ لَـمْ يَـبـقَ لـي شَـيْءٌ أُسَـرُّ بِـهِ إلا الـجُـلُـوسُ فَـتَـسْـقِـيـنِـي وأسْـقِـيـكِ

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا، وذكرهما جميعاً في شعره فقال: [المديد]

أرْسَـلَـتْ وَهْـبَـةُ لـمـا رأتْـنِـي بَـعـدَ سُـقْـم مـنْ هَـواهـا مُـفِـيـقـا:
أتَـغَـيَّـرْتَ كـأنْ لَـمْ تَـكُـن لِـي قـبـلَ أن تَـعْـرِفَ دُنـيـا صَـدِيـقـا
قَـدْ لَـعَـمْـرِي كـانَ ذاكَ ولـكـنْ قَـطَـعَـتْ دُنـيـا عَـلَـيْـكِ الـطـريـقـا

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال: لما وُلي عُمَر بنُ

(١) المرادي: جمع مرداة وهي خشبة تدفع بها السفينة. وتحتلط: تسرع.
(٢) الشّرط: جمع شرطي.

حفص هَزارَ مَرْدُ[1] البصرة ـ قال ابن أبي عُيَيْنة في ذلك وفي دنيا يكني بها عن فاطمة بنتِ عُمر بن حفص صاحبته: [المتقارب]

هـنـيـئـاً لِـدنـيـا هـنـيـئـاً لـهـا قـدومُ أبـيـهـا عـلـى الـبَـصْـرَهْ
عـلـى أنَّـهـا أظْـهَـرَتْ نَـخْـوَةً وقـالـت لِـيَ الـمُـلْـكُ والـقُـدْرَهْ
فـيـا نُـورَ عَـيْـنِـي كـذا عـاجِـلاً عَـلَـيَّ تَـطَـاوَلْـتِ بـالإمْـرَهْ

قال: وهذا دليل على أنه كان يَكني عن فاطمة بدنيا، لا أنه يهوَى جاريتها دنيا. قال أحمدُ بن يزيدَ: وفيها يقول أيضاً: [البسيط]

يـا حُـسْـنَـهـا يَـوْمَ قـالـتْ لي مُـودِّعَـةً لا تَنْسَ ما قُلْت، مِن فيها إلى أُذني
كـأنَّـنـي لـم أصِـلْ دنـيـا عـلانِـيَـةً ولـم أَزُرْ أهْـلَ دنـيـا زَوْرَةَ الـخَـتَـنِ[2]
جِسْمِي معي غيرَ أن الرُّوحَ عِنْدَكُمُ فَالرُّوحُ في وَطَنٍ والجِسْمُ في وَطَنِ
فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ مني أنَّ لي جَسداً لا رُوحَ فـيـهِ ولـي رُوحٌ بـلا بَـدَنِ

وفي هذه الأبيات هزَج طُنبوريّ مُحدَث.

[رثاؤه أخاه داود]

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بنُ يزيدَ عن أبيه قال: وَرد على ابنِ أبي عُيينة كتابٌ من بعض أهله بأن أخاه داودَ خرج إليه ببريد، فمات بهمذان، فقال ابنُ أبي عُيينة عند ذلك يرثيه: [الوافر]

أنـائِـحَـةَ الـحَـمَـامِ قِـفـي فَـنُـوحِـي عـلـى داودَ رَهـنـاً فـي ضَـرِيـحِ
لـدى الأجـيـالِ مـنَ هَـمَـذانَ راحَـتْ بـه الأيـامُ لـلـمـوتِ الـمُـريـحِ
ولـمْ يَـشْـهَـدْ جـنـازَتَـهُ الـبَـواكـي فـتـبـكـيَـهُ بـمُـنْـهَـلٍّ سَـفـوحِ
وَكُـونِـي مـثـلَـهُ إذ كـانَ حَـيّـاً جـواداً بـالـغَـبُـوقِ وبـالـصَّـبُـوحِ
أنـائـحَـةَ الـحَـمـامِ فـلا تَـشِـحّـي عـلـيـهِ فَـلَـيْـسَ بـالرَّجُـلِ الـشَّـحِـيـحِ
ولا بِـمُـشَـمِّـرٍ مـالاً لِـدُنْـيـا ولا فِـيـهـا بـمِـغـمـارٍ طَـمُـوحِ
يَـبِـيـعُ كَـثِـيـرَ مـا فِـيـهـا بـبـاقٍ ثَـمِـيـنٍ مِـنْ عَـواقِـبِـهِ رَبِـيـحِ
ومـن آلِ الـمُـهَـلَّـبِ فـي لُـبـابٍ لُـبابِ الخالِص المَحْضِ الصَّرِيحِ

(١) هزار مرد: كلمة فارسية تعني ألف رجل.
(٢) الختن: زوج الابنة.

هُـــمُـــو أبـــنـــاءُ آخِـــرَةٍ وَدُنْـــيـــا وأهْـــدافُ الـــمَـــراثِـــي والـــمَـــدِيـــحِ

أخبرني عمي، قال: حدّثنا أحمد بنُ يزيدَ عن أبيه قال: قدِم أبو عُيَينة إلى الكوفةِ في بعض حوائجه، فعاشره جماعة من وجوه أهلها، وأقام بها مدة، وألِف فيها قَينة كان يعاشرها وأحبها حبّاً شديداً، فقال فيها: [الطويل]

لَعَمْري لقد أُعْطِيتُ بالكوفَةِ المُنَى وفوقَ المُنى بالغانياتِ النَّواعِمِ
ونادمْتُ أُخْتَ الشَّمْسِ حُسْناً فوافَقَتْ هَوَايَ ومثلي مِثْلَها فليُنادِمِ
وَأنْشَدْتُها شِعْري بِدُنيا فَعَرْبَدَت وقالت: مَلولٌ عَهْدُهُ غيرُ دائِمِ
فقلْتُ لها يا ظبيَةَ الكُوفَةِ اغْفِري فَقَدْ تُبْتُ مما قلْتُ تَوْبَةَ نادمِ
فقالتْ قد استوجَبْتَ منا عقوبةً ولكن سَنَرْعى فيكَ رُوحَ ابنِ حاتمِ

قال أحمدُ بن يزيد، قال لي أبي: كان لابنِ أبي عُيَينة بُستانٌ وضَيعةٌ في بعض قطائع المهلَّب بالبصرة، فأوطنَها[1] وصيّرها منزله، وأقام بها، وفيها يقول:

[المنسرح]

يا جَنَّةً فاقَتِ الجِنانَ فما تَبْلُغُها قِيمَةٌ ولا ثَمَنُ
أَلِفْتُها فاتَّخَذْتُها وَطَناً إنَّ فُؤادِي لأهْلِها وَطَنُ
زُوِّجَ حِيتانُها الضِّبابَ بها فَهٰذِهِ كَنَّةٌ وذا خَتَنُ[2]
فانْظُرْ وفكِّر فيما نطقْتُ بهِ إنّ الأرِيبَ المُفَكِّرُ الفَطِنُ
من سفنٍ كالنَّعامِ مُقبلةٍ ومن نعامٍ كأنَّها سُفُنُ

أخبرني عيسى بن الحُسين قال: حدّثنا الزبير بن بَكّار قال: حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوصليُّ، أن أبا عيينة أنشده لنفسه:

صوت

[الخفيف]

لا يَكنْ منكِ ما بَدا لي بعينيـ ـكِ من اللَّحْظِ حِيلةً واختداعا
إنْ يَكُنْ في الفؤادِ شيء وإلاّ فَدَعِيني لا تَقْتُليني ضَياعا
فَلَعَلِّي إذا قَربتُ تباعدْ تِ وأظْهَرْتِ جَفوةً وامتناعا
حينَ نفسي لا تستطيعُ لِما قد وقَعَتْ فيه مِن هواها ارتجاعا

---

(١) أوطنها: اتخذها وطناً.

(٢) الكنَّة: زوجة الابن.

في هذه الأبيات رَمل مطلَق محدَث.

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال: حدّثني أبي قال: كان عبدُ الله بن محمدِ بن أبي عُيَينة أخو أبي عُيينة شاعراً، وهو القائل يعاتب محمدَ بنَ يحيى بنِ خالدِ البرمكيِّ بأبيات رائية أولها: [مخلع البسيط]

اسْلَمْ وإنْ كانَ فيكَ عَنّي قَبْضٌ لِكَفَّيْكَ وازورارُ
تَلْحَظُني عابساً قَطُوباً كأنَّما بي إليكَ ثارُ
لو كانَ أمْرٌ عَتبتَ فيهِ يجوزُ مِنْهُ لِيَ اعتذارُ
أو كُنْتُ سآلةً حَرِيصاً لَحَانَ مِنّي لك الفِرارُ
أو كُنْتُ نَذلاً عَديمَ عَقْلٍ لا مَنصِبٌ لي ولا نِجارُ[1]
أوْ لَمْ أكُنْ حامِلاً بِنَفْسِي ما تَحْمِلُ الأنفُسُ الكِبارُ
وأنَّني من خِيارِ قومي وَكُلُّ أهْلي فَتًى خِيارُ
عَذَرْتُ إن نالَني جفاءٌ منكَ وإن نالَني ضِرارُ
لكنَّ ذنبي إليكَ أنّي قَحْطانُ لي الجَدُّ لا نِزارُ
عليكَ مني السَّلامُ، هذا أوانُ يَنْأى بيَ المَزارُ
ما كُنْتُ إلا كَلَحْمِ مَيْتٍ دعا إلى أكْلِهِ اضطرارُ
راحَتْ عَلَى النّاسِ لابنِ يَحْيَى محمدٍ دِيمَةٌ غِزارُ
ولم يَكُنْ ما أنلْتُ منهُ بقدْرِ ما يَنْجَلي الغبارُ
قد أصْبَحَ النّاسُ في زمانٍ أعلامُهُ السِّفْلَةُ الشِّرارُ
يَسْتَأخِرُ السابقُ المُذَكّى فيهِ ويَستقدِمُ الحِمارُ
وَلَيسَ للمرءِ ما تَمَنَّى يوماً وما إنْ لهُ اختيارُ
ما قَدَّرَ الله فَهْوَ آتٍ وفي مقادِيرِهِ الخِيارُ

[هجاؤه قبيصة بن روح المهلبي]

أخبرني عمي قال: حدّثنا أبو هَفَّان، قال: كان ابنُ أبي عُيَيْنة قد قصد ربيعةَ بنَ قبيصة بن رَوحِ بن حاتم المهلَّبيَّ واستماحه، فلم يجِد عنده ما قدّر فيه،

---

(١) النجار: الأصل.

فانصرف مُغاضِباً، فوجه إليه داودُ بنُ مَزْيدِ بنِ حاتمِ بنِ قَبِيصة، فترضّاه، وبلغ ما أحبه ورضيه من بِرّه ومعونته، فقال يمدحه ويهجو قبيصة: [الكامل]

أَقَبِيصَ لستَ وإن جهدتَ بمُدركٍ سَعْيَ ابنِ عَمِّكَ ذي العلا داودِ
شَتَّانَ بينَكَ يا قبيصَ وبينهُ إن المُذَمَّمَ ليس كالمحمودِ
اختارَ داودُ بِناءَ محامِدٍ واخترْتَ أكْلَ شَبارقٍ وثَريدِ[1]
قد كانَ مَجْدُ أبيكَ لو أحببتَه رَوْحِ أبي خَلَفٍ كَمَجْدِ يَزيدِ
لكِنْ جَرَى داودُ جَرْيَ مُبَرِّزٍ فَحَوَى المَدَى وجريتَ جَرْيَ بليدِ
داودُ مَحْمُودٌ وأنت مُذَمَّمٌ عَجَباً لذاكَ وأنتما مِنْ عُودِ
وَلَرُبَّ عُودٍ قد يُشَقُّ لِمَسْجِدٍ نِصْفاً وسائِرُهُ لِحُش يهودِ[2]
فالحُشُّ أنتَ لهُ وذاك لِمَسْجِدٍ كم بينَ مَوْضِعِ مَسْلَحٍ وَسجُودِ
هذا جزاؤكَ يا قَبِيصَ لأنَّهُ جادَتْ يداهُ وأنْتَ قُفْلُ حَديدِ

حدّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال: حدّثنا حَماد بنُ إسحاقَ قال: حدّثني أبي قال: كانت لأبي حُذَيفة مولى جعفرِ بنِ سليمانَ جاريةٌ مُغنِّية يقال لها: بُستانُ، فبلغه أن أبا عُيَيْنة بنَ محمدِ بن عيينة ذكر لبعض إخوانه محبّته لها ولاستماع غنائها، فدعاه، وسأله أن يطرح الحِشمة بينه وبينه، فأجابه إلى ذلك، وقال لما سكِر وانصرف من عنده في ذلك: [الوافر]

ألم تَرَني على كَسَلِي وفَتْرِي أجَبْتُ أبا حُذَيْفَةَ إذ دعاني[3]
وكنتُ إذا دُعِيتُ إلى سَماعٍ أجبْتُ ولم يكنْ مِنّي تَوانِي
كأنّا مِنْ بَشاشَتِنا ظَلِلْنا بِيَوْمِ ليسَ من هذا الزمانِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدثني محمد بنُ عثمان قال: كانت لِعيسى بنِ موسى ضَيعةٌ إلى جانب ضَيعةِ ابن أبي عُيَينة بالبصرة، وكان له إلى جانب ضَيعتِه سَماد كثير، فسأله أن يعطيَه بعضَه لِيَعْمُرَ ابنُ أبي عُيَينة به ضَيعته، فلم يفعل فقال فيه: [الوافر]

رأيتُ الناسَ هَمُّهُمُ المعالي وَعيسى هَمُّهُ جَمْعُ السّمادِ

---

(١) الشبارق: جمع شبرق، وهو نبات، وانظر في معانيه لسان العرب.
(٢) الحشّ: في الأصل البستان، وأطلق على بيت الخلاء. لأنهم كانوا قديماً يتغوطون في الحشوش.
(٣) الفَتْر: الضعف والفتور والانكسار.

وِرزق العالَمِين بِكَفِ ربِّي وعِيسى رزقُهُ في اسْتِ العِبادِ

هكذا ذكره ابنُ مَهْرُويه، وهذا بيت فاسد، وإنما هو:

إذا رُزِق العِبادُ فإنَّ عيسَى لـه رِزقٌ مِنَ اسْتاهِ العِبادِ

[بينه وبين خالد بن يزيد]

ولابن أبي عُيَينة مع ابن عمه خالدٍ أخبارٌ جَمةٌ أذكرها هاهنا والسببَ الذي حَمله عَلَى هجائه:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ ببعضِها، عن محمدِ بنِ يزيدَ المبرِّدِ، وببعضها عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيِّ عن أبيه، وقد جمعتُ روايتهما فيما اتفقَا عليه، ونسبْت كلَّ ما انفرد به أحدُهما أو خالفَ فيه إليه، وذكرْتُ في فُصولِ ذلك وخِلالِه ما لم يأتيا به مما كتبْتُه عن الرواة، قالا جميعاً:

وَلِيَ خالدُ بنُ يزيدَ بنِ حاتمِ بنِ قَبِيصة بنِ المهلَّبِ جُرْجَانَ، فسأل يزيدُ بنُ حاتم أبا عُيَينة أن يَصحَبه ويخرج معه، ووعده الإحسانَ والولاية، وأوسع له المواعيد. وكان أبو عُيَينة جنديّاً، فجَرَد اسمه في جريدته[1]، وأخرج رزقه معه، فلما حصل لِجُرجان أعطاه رِزقه لشهر واحد، واقتصر على ذلك، وتشاغل عنه وجفاه، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه، وبسط لسانه فيه، وذكره بكل قبيح عند أهل عملِه ووجوهِ رعيّته، فلم يقدر على معاقبته، لموضع أبيه وسنِّه ومحَلِّه في أهله، فدعا به، وقال له: إنه قد بلغني أنك تريد أن تَهرُب فإما أن أقمْتَ لي كَفيلاً برزقِك أو رددته، فأتاه بكفيل فأعْنَتَه، ولم يقبله، ولم يَزل يردِّده حتى ضجِر، فجاءه بما قبض من الرزق فأخذَه؛ ولجّ أبو عُيينة في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه، فقال في هذا عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيّ:

دنيا دعوتكِ مسرِعاً فأجيبي وبما اصْطَفَيتُك في الهَوَى فأثيبي
دُومي أَدُمْ لكِ بالصَّفاءِ على النَّوَى إنِّي بعَهْدِكِ واثِقٌ فَثِقي بي
ومِنَ الدَّليلِ على اشْتِياقي عَبْرَتي ومَشِيبُ رأسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيبي
أبْكِي إليكِ إذا الحَمامَةُ طَرَّبَتْ يا حُسْنَ ذاكَ إلَيَّ من تَطْرِيبِ
تَبْكِي على فَنَنِ الغُصُونِ حزِينَةً حُزْنَ الحَبِيبَةِ من فِراقِ حَبِيبِ

---

(١) الجريدة: جماعة الخيل.

وأنا الغَرِيبُ فلا أُلامُ على البُكا ... إن البُكا حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبِ
أفلا يُنَادَى لِلْقُفُولِ بِرِحْلَةٍ ... تَشْفِي جَوًى مِنْ أنْفُسٍ وقلوبِ
ما لي اصْطَفَيْتُ على التَّعَسُّفِ خالداً ... واللهِ ما أنا بَعْدَها بأرِيبِ
تَبّاً لِصُحْبَةِ خالدٍ من صحبةٍ ... ولِخَالدِ بنِ يَزِيدَ من مَصْحُوبِ
يا خالدَ بنَ قَبِيصَةٍ هَيَّجْتَ بي ... حَرْباً فدُونَكَ فاصْطَبِرْ لِحُرُوبي
لما رأيتَ ضميرَ غِشِّكَ قد بَدا ... وأبَيْتَ غيرَ تَجَهُّمٍ وقُطُوبِ(١)
وَعَرَفْتُ منكَ خلائقاً جَرَّبْتُها ... ظَهَرَتْ فَضائحُهَا علَى التَّجْرِيبِ
خَلَّيْتُ عنكَ مُفارِقاً لكَ عن قِلًى ... وَوَهَبْتُ لِلشَّيْطانِ منكَ نَصِيبي
فلَئِنْ نَظَرْتُ إلى الرُّصافَةِ مَرَّةً ... نَظراً يُفَرِّجُ كُرْبَةَ المَكْرُوبِ
لأُمَزِّقَنَّكَ قائِماً أو قاعِداً ... ولأروينَّ عليكَ كلَّ عَجِيبِ
ولتأتِيَنَّ أباكَ فيكَ قصائدٌ ... حَبَّرْتُها بِتَشَكُّرٍ مَقْلُوبِ
ولَيُنْشَدَنَّ بها الإمامُ قصيدةً ... وَلَتُشْتَمَنَّ وأنتَ غيرُ مَهِيبِ
ولأوذِيَنَّكَ مثلما آذَيْتَني ... ولأُشْلِيَنَّ على نِعاجِكَ ذِيبي(٢)

قال أحمدُ بنُ يزيدَ في خبره: حدّثني أبي قال: أعرَسَ داودُ بنُ محمدِ بنِ أبي عُيَيْنة أخو أبي عُيَيْنَة بالبصرة، وأخوه غائب يومئذٍ مع ابنِ عمه خالدٍ بِجُرجان، فكتب داودُ إلى أخيه يخبره بسلامتِه وسلامةِ أهل بيتِه، وبِخَبرِ نقله أهله إليه، فقال أبو عُيَيْنة في ذلك: [المتقارب]

ألا ما لِعَيْنِكَ مُغْتَلَّهْ ... وما لِدُمُوعِكِ مُنْهَلّهْ
وكيفَ بِجُرجانَ صَبْرُ امْرِئٍ ... وحيدٍ بها غَيْرِ ذي خُلَّهْ(٣)
وأطْوِلْ بِلَيْلِكَ أطْوِلْ بِهِ ... إذا عَسْكَرَ القَوْمُ بالأثْلَهْ(٤)
وراعَكَ مِن خَيْلِهِ حاشِرٌ ... مِنَ القَوْمِ لَيْسَتْ له قِبْلَهْ
يَسُوقُكَ نَحْوَهُمُ مُكْرَهاً ... وداودُ بالمِصْرِ في غَفْلَهْ
عَروس ينعَّمُ مِن تَحْتِهِ ... سَرِيرٌ ومِن فَوْقِهِ كِلَّهْ(٥)
وما مُذْنَفٌ بينَ عُوّادِهِ ... ينادى وفي سَمْعِهِ ثَقْلَهْ

(١) القطوب: العبوس والتقطيب والتجهم.
(٢) أشلاه: أغراه.
(٣) الخلّة: الحبيبة.
(٤) الأثلة: قرية بالجانب الغربي من بغداد. (معجم البلدان ١/ ٩١).
(٥) الكلة: الستارة الرقيقة.

بأَوْجَعَ منّي إذا قِيلَ لي: تأَهَّبْ إلى الرّيِّ بالرِّحْلَهْ
وما لِي ولِلرَّيِّ لولا الشَّقا ءُ إن كُنْتُ عنها لَفِي عُزْلَهْ
أُكلَّفُ أجبَالَها شاتِياً على فَرَسٍ أو على بَغْلَهْ
وأهْوَنُ مِن ذَاكَ لو سَهَّلُوهُ رُكُوبُ القَراقِيرِ في دِجْلَهْ(١)
تَروحُ إلينا بها طَرْبَةٌ رواحَ النَّدامَى إلى دَلَّهْ
أخالدُ خُذْ مِن يَدِي لَطْمَةً تَغيظُ وَمِن قَدَمِي رَكْلَهْ
جَمَعْتَ خِصالَ الرَّدَى جُمْلَةً وَبِعْتَ خِصالَ النَّدَى جُمْلَهْ
فَما لَكَ في الخَيْرِ مِن خَلَّةٍ وَكَمْ لَكَ فِي الشَّرِّ مِن خَلَّه(٢)
ولما تَناضَلَ أهلُ العلا نُضِلْتَ فأَذْعَنْتَ لِلنَّضْلَهْ
فما لَكَ في المَجْدِ يا خالِدٌ مُقَرْطَسَةٌ لا ولا خَصْلَهْ(٣)
وأسْرَعْتَ في هَدْمِ ما قَدْ بَنَى أبوكَ وأشياخُهُ قَبْلَهْ
وكانَتْ مِنَ النَّبْعِ عِيدانُهُمْ نُضاراً وَعُودُكَ مِنْ أثْلَهْ(٤)
فيا عَجَبا نَبْعَةٌ أنْبَتَتْ خِلافاً ورَيْحانَةٌ بَقْلَهْ(٥)
ثِيابُكَ لِلْعَبْدِ مَطْوِيَّةٌ وعِرْضُكَ لِلشَّتْمِ والبِذْلَهْ
أجَعْتَ بَنِيكَ وأعْرَيْتَهُمْ ولَمْ تُؤتَ في ذاكَ مِن قِلَّهْ
إذا ما دُعِينا لِقَبضِ العطاءِ وَهَيَّأْتَ كِيسَكَ لِلغَلَّهْ
وَجُلَّةُ تَمْرٍ تُغادَى بها فَتأتِي على آخِرِ الجلَّهْ(٦)
وَتُقصِي بَنِيكَ وهُم بالعَرا ءِ نُزْلُهُمُ المِلْحُ والمُلَّهْ(٧)
ولو كانَ خُبزٌ وتَمرٌ لَدَيْكَ لَمَا طَمِعُوا منكَ في فَضْلَهْ
وتُصْبِحُ تَقْلِسُ عن تُخَمَةٍ كأنَّ جُشَاءَكَ عن فُجْلَهْ(٨)
إذا الحَيُّ راعَهُمْ رائِعٌ فأَوْهَنُ مِنْ غادَةٍ طَفْلَهْ
وَلَيْثٌ يَصُولُ على قِرْنِهِ إذا ما دُعِيتَ إلى أكْلَهْ

(١) القراقير: جمع قرقور: وهو ضرب من السفن العظيمة.
(٢) خلة: خصلة، صفة.
(٣) المقرطسة: الرمية التي تصيب الغرض.
(٤) النبع: شجر تتخذ منه القسي. والأثل: شجر يشبه الطرفاء تتخذ منه الأقداح.
(٥) الخلاف: شجر يشبه الصفصاف.
(٦) الجُلَّة: القفة الكبيرة.
(٧) الملة: الرماد الحار.
(٨) قلس: خرج من بطنه الطعام إلى فيه، كالقيء.

فَـلِـلّـهِ دَرُّكَ عـنـدَ الـخُـوا ... نِ مِـن فـارسٍ صـادِقِ الـحَـمْـلَـهْ
وإن جـاءكَ الـنّـاسُ فـي حـاجَـةٍ ... تَـفَـكَّـرْتَ يـومـيـنِ فـي الـعِـلَّـهْ
وَتَـلْـقَـاهُـمُ أَبَـداً كـالِـحـاً ... كَـأنْ قَـدْ عَـضَـضْـتَ عـلـى بَـصْـلَـهْ
فَـهَـذا نَـصِـيـبـيَ مـن خـالـدٍ ... لَـكـم هَـنـة بَـتّـةٌ بَـتْـلَـهْ[1]
وإنّـي لِـصُـحْـبَـتِـهِ مُـبْـغِـضٌ ... ولا خَـيْـرَ فـي صُـحْـبَـةِ الـسِّـفْـلَـهْ

حدّثني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمار الثقفيُّ قال: حدّثني أبو الحسن بن المنجِّم قال: رأيتُ مُسلم بنِ الوليد الأنصاريَّ يوماً عند أبي، ثم خرج من عنده، فلقيه ابنُ أبي عُيَينة، فسلّم عليه وتحفّى به، ثم قال له: ما خبرُك مع خالد؟ قال: الخبر الذي تعرفه، ثم أنشده قوله فيه:

يـا حَـفْـصُ عـاطِ أخـاكَ عـاطِـهْ ... كـأسـاً تُـهَـيِّـجُ مـنْ نَـشـاطِـهْ

قال: ومسلمٌ يتبسم من هجائه إياه حتى مر فيها كلّها، ثم ختمها بقوله:

وإذا تـطـاولـتِ الـرُّؤو ... سُ فَـغَـطِّ رأسَـكَ ثـم طـاطِـهْ

فقال مسلم: مَه، إنا لله! هتكته والله وأخزيته، وإنما كنتُ أظن أنك تمزح وتهزِل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجِدّ القبيح، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه، ثم مضى وهو يقول: فضحتَه والله، هتكتَه والله!

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال: حدّثني أبي قال: لَقي دِعبل أبا عُيَينة فقال له: [مجزوء الكامل]

يـا حَـفْـصُ عـاط أخـاكَ عـاطِـهْ ... كـأسـاً تُـهَـيِّـجُ مـن نَـشـاطِـهْ
صِـرْفـاً يـعـودُ لِـوقْـعِـهـا ... كـالـظَّـبْـيِ أُطْـلِـقَ مـن رِبـاطِـهْ
صَـبّـاً طَـوَتْ عـنـهُ الـهُـمـو ... مُ نَـعِـيـمَـهُ بـعـدَ انْـبِـسـاطِـهْ
فَـبَـكـى وَحُـقَّ لَـهُ الـبُـكـا ... لِـشَـقـائِـهِ بـعـدَ اغْـتِـبـاطِـهْ
جَـزِعَ الـمُـخَـنَّـثُ خـالـدٌ ... لـمّـا وقـعـتُ عـلـى قِـمـاطِـهْ
فـانْـظُـرْ إلـى نَـزَواتِـهِ ... مـن مَـنـطِـقِـي وإلـى اخـتـلاطِـهْ
دَعْـنِـي وإيّـا خـالـدِ ... فـلأقْـطَـعَـنَّ عُـرَى نِـيـاطِـهْ[2]

---

(١) بتلة: بائنة منقطعة.

(٢) النياط: عرق نيط به القلب إلى الوتين. فإذا قطع مات صاحبه.

إنِّـــي وجـــدْتُ كـــلامَـــهُ فـيــهِ مَـشـابِـهُ مـن ضُـراطِـهْ
رجُـلٌ يَـعـدّ لـك الـوَعِـيـ ـدَ إذا وَطِـئْـتَ عَـلَـى بِـسـاطِـهْ
وإذا انْـتَـظَـرْتَ غَـداءَهُ فَـخَـفِ الـبَـوادِرَ مـن سِـيـاطِـهْ
يـا خـالِ صَـدّ الـمَـجْـدُ عـنـ ـكَ فـلـن تَـجُـوزَ عـلـى صِـراطِـهْ
وَعَـرِيـتَ مـن حُـلَـلِ الـنَّـدَى عُـرْيَ الـيَـتِـيـم ومِـن رِيـاطِـهْ
فـإذا تَـطَـاولَـتِ الـرُّؤو س فَـغَـطّ رأسَـكَ ثـم طـاطِـهْ

فقال له دِعبلٌ: أغرقت والله في النَّزْع وأسرفت، وهتكتَ ابنَ عمّك وقتلتَه وغضضت منه، وإنما استنشدْتك وأنا أظن أنك قلتَ كما يقول الناسُ قولاً متوسطاً، ولو علمْتُ أنك بَلَغْتَ به هذا كله لما استنشدْتك.

أخبرني بهذا الخبرِ الحسنُ بنُ عليٍّ وعمي قالا: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدّثني الحسين بنُ السريّ قال: لقِي دِعبل أبا عُيَيْنة فقال له: أنشدني بعضَ ما قلتَ في ابنِ عمك، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيدَ، وقال فيه: إنما ظننتُ أنك قلتَ فيه قولاً أبقيتَ معه عليه بعضَ الإبقاء، ولو علمتُ أنك بَلَغتَ به هذا كلَّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما استنشدتك، وجعل يعيد «فغطّ رأسَك ثم طاطه» ويقول: قتله والله!

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال: حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال: ومِن مختار ما قاله في خالد قوله: [الخفيف]

قُـل لِـدُنـيـا بـالله لا تَـقْـطَـعِـيـنـا واذْكُـرِينـا فـي بَـعْـضِ مـا تَـذْكُـرِيـنـا
لا تَـخُـونـي بـالـغـيـبِ عَـهْـدَ صَـدِيـقٍ لـم تـخـافـيـهِ سـاعَـةً أن يَـخُـونـا
واذكـري عَـيْـشَـنـا وإذْ نَـفَـض الـرِّيـ ـحُ عـلـيـنـا الـخِـيـرِيَّ والـيـاسَـمـيـنـا
إذ جَـعَـلْـنـا الـشـاهِـسْـفَـرام فِـراشـاً مِـن أذى الأرض والـظـلالَ غُـصـونـا[١]
حَـفِـظ الـلّـه إخْـوَتـي حـيـثُ كـانُـوا مـن بِـلادٍ سـارِيـنَ أمْ مُـدْلِـجـيـنـا[٢]
فِـتْـيَـةٌ نَـازِحُـونَ عـن كُـلِّ عَـيْـبٍ وَهُـمُ فـي الـمَـكـارِمِ الأوَّلـونـا
وهـم الأكـثـرونَ يَـعْـلَـمُ ذاكَ الـنّـ ـاسُ، والأطـيـبـونَ لِـلأَطْـيَـبـيـنـا
أزْعـجَـتْـنـي الأقْـدارُ عـنـهـم وقـد كـنـ ـتُ بِـقُـرْبـي مـنـهـم شَـحِـيـحـاً ضَـنِـيـنـا

---

(١) الشاهسفرام: الريحان.
(٢) سرى: سار ليلاً. والمدلج: السائر الليل كله.

وتَبَدَّلْتُ خالداً لَعْنَةُ اللـ ـه عليهِ وَلَعْنَةُ اللاعِنينا
رَجُلٌ يَقْهَرُ اليَتِيمَ ولا يؤ تي زكاةً ويَنْهَرُ المِسْكينا
ويصونُ الثِّيابَ والعِرْضُ بالٍ وَيُرائي ويَمْنَعُ الماعُونا[(١)]
نزعَ اللهُ منهُ صالِح ما أعـ ـطاهُ آمِينَ عاجلاً آمينا
فَلَعَمْرُ المُبادرين إلى مَكَّـ ـةَ وَفْداً غادِينَ أو رائِحينا
إنَّ أضيافَ خالدٍ وَبَنِيهِ لَيَجوعونَ فَوْقَ ما يَشْبَعُونا
وَتَرَاهُمْ من غَيْرِ نُسْكٍ يصومو نَ ومن غَيْرِ عِلَّةٍ يَخْتِمُونا
يا بَنِي خالدٍ دعُوهُ وَفِرُّوا كم على الجُوعِ وَيْحَكُمْ تَصْبِرُونا

قال محمد بن يزيد: ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أولها: [الطويل]

ألا خَبِّروا إنْ كانَ عِنْدَكُمْ خَبَرْ أنقفُلُ أم نَثوِي على الهَمِّ والضَّجَرْ؟
نفى النَّوْمَ عَنْ عَيْني تَعَرُّضُ رِحْلَةٍ بها الهَمُّ واسْتَوْلى بها بعدهُ السَّهَرْ
فإنْ أشكُ من ليلِي بجُرْجانَ طولَهُ لقد كنتُ أشْكو فيها بالبَصْرَةِ القِصَرْ
فيا حَبَّذا بَطْنُ الخَرِيرِ وظَهْرُهُ ويا حُسْنَ واديهِ إذا ماؤه زَخَرْ[(٢)]
ويا حَبَّذا نَهْرُ الأُبُلَّةِ مَنْظَراً إذا مَدَّ في إبّانِهِ النَّهْرُ أوْ جَزَرْ[(٣)]
وفتيانُ صِدْقٍ هَمُّهُمْ طلبُ العُلا وسيماهُمُ التَّحْجِيلُ في المَجْدِ والغَرَرْ[(٤)]
لَعَمْرِي لَقَدْ فارَقْتُهُمْ غيرَ طائعٍ ولا طَيِّبٍ نَفْساً بذاكَ ولا مُقِرْ
وقائلةٍ ماذا نَأى بكَ عَنْهُمُ فَقُلْتُ لها لا عِلْمَ لي فَسَلِي القَدَرْ
فيا سفراً أوْدَى بِلَهْوِي وَلَذَّتي وَنَغَّصَنِي عَيْشِي عَدِمْتُكَ مِن سَفَرْ
دَعُوني وإيّا خالدٍ بعدَ ساعةٍ سَيَحْمِلُه شِعْري على الأبْلَقِ الأغرْ
كأنِّي بصِدْقِ القولِ لما لَقِيتُهُ وأعْلَمْتُه ما فيه ألْقمتُهُ الحَجَرْ
دَنِيءٍ بهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بَلادةٌ لِكُلِّ قَبِيحٍ عَنْ ذراعَيْهِ قَدْ حَسَرْ
لَهُ مَنْظَرٌ يُعْمِي العُيونَ سَماجَةً وإنْ يُخْتَبَرْ يَوْماً فيا سُوءَ مُخْتَبَرْ
أبوكَ لنا غيثٌ يعاشُ بوَبْلِهِ وأنتَ جَرادٌ لَيْسَ يُبقِي ولا يَذَرْ
له أثَرٌ في المَكْرُماتِ يَسُرُّنا وأنتَ تُعَفِّي دائِماً ذلكَ الأثَرْ

(١) يمنع الماعون: يمنع الزكاة.
(٢) الخرير: المكان المطمئن بين الربوتين.
(٣) نهر الأبلة: نهر ضارب إلى البصرة. والأبلة: بلدة على شاطىء دجلة (معجم البلدان ١/ ٧٧).
(٤) التحجيل: البياض. والعلو والرفعة.

لقد قُنِّعَتْ قَحطانُ خِزْياً بخالِدٍ فَهَلْ لكِ فيه يخزكِ الله يا مُضَرْ

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال: حدّثني الزبَيرُ بن بَكّار قال: حدّثني عمي قال: أُنشد الرشيد قولَ ابن أبي عُيينة: [الطويل]

لَقَدْ قُنِّعَتْ قحطانُ خِزْياً بخالدٍ فهلْ لَك فيه يخزك الله يا مُضَرْ

فقال الرشيد: بل يُوَقَّرون ويُشكرون.

أخبرني محمدُ بن يحيى الصوليُّ قال: قال لنا أبو العباس محمدُ بن يزيد: لم يجتمع لأحد من المحدَثين في بيت واحد هجاء رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله: [الطويل]

أبوك لنا غيثٌ يعاشُ بوَبْلِهِ وأنْتَ جَرادٌ لَيْسَ يُبقِي ولا يَذَرْ

وقال محمدُ بن يزيد: ومن جيّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا: [الطويل]

على إخْوَتي مِنّي السَّلامُ تَحِيَّةً تحيةَ مُشْنٍ بالأُخوَّةِ حامِدِ
وقلْ لهمُ بعد التَّحِيَّةِ أنْتُمُ بِنفسي ومالي من طَريفٍ وتالِدِ
وَعَزَّ عليهمْ أنْ أُقِيمَ بِبَلْدَةٍ أخا سَقَمٍ فيها قَليلَ العَوائِدِ
لئن ساءَهُمْ ما كانَ مِن فِعل خالدٍ لقد سَرَّهُمْ ما قَدْ فَعَلْتُ بخالدِ
وقد علموا أن ليس مني بِمُفْلِتٍ ولا يَوْمُهُ المِسْكينُ مِنِّي بِواحِدِ
أخالدُ لا زالتْ مِنَ اللّهِ لعنةٌ عليكَ وإن كنتَ ابن عمي وقائدي
أخالدُ كانَتْ صُحْبَتِيك ضلالَةً عَصَيْتُ بها ربِّي وخالفْتُ والدي
وأرسلَ يَبغي الصُّلْحَ لما تَكَنَّفَتْ عوارِضَ جنْبيهِ سِياطُ القصائدِ
فأرْسَلْتُ بعدَ الشَّرِّ أنِّي مسالمٌ إلى غَيْرِ ما لا تشتهي غيرُ عائدِ

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: زعم القَحْذَميّ أن الرشيد قال للفضل بن الربيع: مَن أهجى المحدثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا؟ قال: الذي يقول في ابن عمه: [مجزوء الرمل]

لو كما يَنْقُصُ يزدا وَ إذاً نالَ السَّماء
خالدٌ لولا أبوهُ كانَ والكَلْبَ سَواء
أنا ما عِشْتُ عليهِ أسْوَأُ النّاسِ ثناء
إنَّ مَنْ كانَ مُسِيئاً لَحَقِيقٌ أن يُساء

فقال الرشيد: هذا ابنُ أبي عُيَينة، ولعمري لقد صدقت.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدّثني أبي قال: كان ابنُ أبي عُيينة مع ابنِ عمه خالد بجُرجانَ، فأساء به وجفاه، وكان لابن أبي عُيينة صديقان من جُند خالدٍ من أهل البصرة، أحدهما مُهلَّبي والآخر مَولى لِلأَزْد، وكلهم شاعر ظريف، فكانوا يمدحون السَّراة من أهل جُرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم. ووليَ موسى الهادي الخِلافةَ فكتب ابنُ أبي عُيَينة إلى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة: [الخفيف]

كيف صَبري ومنزلي جُرْجانُ والعِراقُ البلادُ والأوطانُ؟
نحنُ فيها ثلاثةٌ خُلَفاء ونَدامَى على الهَوَى إخوانُ
نَتَساقى الهَوَى ونَطربُ لِلذّكـ ـرِ كما تُطْرِبُ النَّشاوَى القِيانُ
وإذا ما بَكَى الحَمامُ بَكَينا لِبُكاهُ كأنَّنا صِبيانُ
يا زماني الماضِي بِبغدادَ عُذْلي طالما قد سَررْتَني يا زمانُ
يا زماني المُسيء أحْسِنْ فَقِدْماً كان عندي مِن فعلكَ الإِحْسانُ
ما يريدُ العُذّالُ مني أمَا يُتْـ ـرَكُ أيضاً بِغَمِّه الإِنسانُ؟
ويقولونَ املُك هواكَ وأقْصِر قلتُ ما لِي على الهَوَى سلطانُ
أيها الكاتمُ الحَدِيثَ وقد طا لَ به الأمرُ وانتهى الكتمانُ
قد لَعَمْرِي عَرَّضْتَ حِيناً فَبيّنْ ليسَ بعد التَّعْرِيض إلا البَيانُ
واتَّخِذْ خالداً عَدُوّاً مُبيناً ما تعادَى الإِنسان والشَّيطانُ
والْهُ عنهُ فما يَضُرُّكَ منهُ عَضُّ كَلْبٍ ليستْ لهُ أسنانُ
ولَعَمْري لولا أبوه لنالَتْـ ـهُ بسوءٍ مِنّي يَدٌ وَلِسانُ
قُلْ لِفتيانِنا المُقِيمينَ بالبا بِ ثِقُوا بالنجاحِ يا فِتيانُ
لا تخافوا الزَّمانَ قد قام موسى فَلَكُمْ من رَدَى الزمانِ أمانُ
أوَلَمْ تأتِه الخلافةُ طَوْعاً طاعَةً ليسَ بَعْدَها عِصيانُ؟
فَهْيَ منقادَةٌ لِمُوسَى وَفيها عن سِواهُ تَقاعُسٌ وحِرانُ
قُلْ لِمُوسَى يا مالكَ المُلْكِ طَوْعاً بِقيادٍ وفي يَدَيْكَ العِنانُ
أنتَ بَحْرٌ لنا ورأيُكَ فينا خَيْرُ رأيٍ رأى لنا سلطانُ
فاكفِنا خالداً فقد سامنا الخَسْـ ـفَ رماهُ لِحَتْفِهِ الرَّحْمٰنُ
كَمْ إلى كَمْ يُغضَى على الذُّلِ منهُ وإلى كَمْ يكونُ هذا الهَوانُ؟

قال: فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة، وأعطاه ما فات من رزقه، وأقفله من جيش خالد إليه.

صوت

[السريع]

أيْـنَ مَـحَـلُّ الـحَـيِّ يـا وادي؟ خَـبِّـرْ سـقـاكَ الـرائـحُ الـغـادي
مُـسْـتَـصْـحِـب لِـلـحـربِ خَـيـفـانَـةً مِـثْـلَ عُـقـابِ الـسَّـرْحَـةِ الـعـادي[1]
بَـيْـنَ خُـدورِ الـظُّـعْـنِ مَـحْـجُـوبَـةٌ حَـدا بِـقَـلْـبِـي مَـعَـهـا الـحـادي
وأسـمَـر فـي رأسِـهِ أزْرَقٌ مِـثْـلُ لِـسـانِ الـحَـيَّـةِ الـصّـادِي

الشعر لِدعبلِ بنِ عليّ الخُزاعيِّ، والغناء لأحمدَ بن يحيى المكيِّ، خفيف ثقيل مطلَق في مجرى الوُسطى عن أبي عبد الله الهِشامي.

(١) الخيفانة: الفرس السريعة، الخفيفة. والسرحة: الشجرة العظيمة.

أخبارُ دِعبل بن عليّ ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٤٦ هـ/ نحو سنة ٨٦٠ م]

[اسمه ونسبه وكنيته]

هو دِعْبلُ بنُ عليٍّ بنِ رَزِين بنِ سليمان بنِ تميم بن نَهشلِ بنِ خداشِ بن خالد بنِ عبدِ بنِ دِعْبلِ بن أَنَسِ بنِ خُزَيمةَ بنِ سلامانَ بنِ أسلَم بنِ أفصَى بنِ حارثةَ بنِ عمرِو بنِ عامرِ بنِ مُزَيْقيا، ويكنى أبا علي. شاعرٌ متقدِّم مطبوع هجاءٌ خبيثُ اللسان، لم يَسلم عليه أحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهةٍ، أحسنَ إليه أو لم يحسن، ولا أفلَت منه كبيرُ أحد.

وكان شديد التعصب على النِّزارية لِلقحطانيّة، وقال قصيدة يردّ فيها على الكُميتِ بنِ زيد، ويناقضه في قصيدته المُذهَبة التي هجا بها قبائل اليمن:

ألا حُـيِّـيـتِ عـنـا يـا مـديـنـا

فرأى النبيﷺ في النوم، فنهاه عن ذكر الكُميت بسوء.

وناقَضه أبو سعد المخزوميُّ في قصيدته وهاجاه، وتطاول الشرّ بينهما، فخافتْ بنو مخزوم لسانَ دِعبل وأن يعمَّهم بالهجاء، فنَفَوا أبا سعد عن نسبهم، وأشهدوا بذلك على أنفسهم.

[تشيعه]

وكان دِعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه، وقصيدته:

مـدارس آيـاتٍ خَـلَـتْ مـن تـلاوةٍ

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت، عليهم السلام، وقَصد بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا، عليه السلام، بخُراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خِلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهلُ قُمّ[1] ثلاثين ألفَ دِرهم، فلم يَبِعها، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنها إنما تراد لله عزّ وجل، وهي محرَّمة عليكم، فدَفعوا إليه ثلاثين ألف دِرهم، فحلف ألاّ يبيعها أو يعطوه بعضَها ليكون في كفَنه، فأعطوه فَرْد كُمّ، فكان في أكفانه.

وكتب قصيدتَه: «مدارسُ آيات» فيما يقال على ثوب، وأحرَم فيه، وأمر بأن يكون في أكفانه. ولم يزل مرهوبَ اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء، فهو دهرَه كلَّه هارب مُتوارٍ.

حدّثني إبراهيم بن أيوبَ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتَيبة قال: رأيت دِعبلَ بنَ عليّ وسمعتُه يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفِي منذ خمسين سنة، لست أجد أحداً يصلبني عليها.

حدّثني عمي قال: حدّثنا ميمونُ بن هارونَ قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً في دِعبل يحرضه عليه، فضحك المأمون، وقال: إنما تحرضني عليه لقوله فيك: [السريع]

يـا مَـعْـشَـرَ الأجْـنَـادِ لا تَـقْـنَـطُـوا ... وَارْضَـوْا بِـمَـا كَـانَ ولا تَـسْـخَـطُـوا
فَـسَـوْفَ تُـعْـطَـونَ حُـنَـيْـنِـيَّـةً ... يَـلْـتَـذُّهـا الأمْـرَدُ والأشْـمَـطُ[2]
والـمَـعْـبَـدِيّـات لِـقُـوّادِكُـمْ ... لا تَـدْخُـلُ الـكِـيـسَ ولا تُـرْبَـطُ[3]
وَهَـكَـذا يَـرْزُقُ قُـوّادَهُ ... خَـلِـيـفَـةٌ مُـصْـحَـفُـهُ الـبَـرْبَـط[4]

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين، فقال: دَعْ هذا عنك فقد عفَوتُ عنه في هجائه إياي لقوله هذا، وضحك. ثم دخل أبو عبّاد فلما رآه المأمون من بُعْد قال لإبراهيم: دِعبلٌ يَجسُر على أبي عبّادٍ بالهجاء ويُحجم عن أحد؟ فقال له: وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين؟ قال لا، ولكنه

(١) قم: مدينة بفارس ذات مكانة علمية إسلامية.
(٢) حُنينيّة: يريد أغاني منسوبة إلى حنين المغني. والأمرد: الشاب طرَّ شاربه ولم تنبت لحيته.
(٣) المعبديات: أغاني منسوبة إلى معبد المغني.
(٤) البربط: العود.

حَديد جاهل لا يؤمنُ، وأنا أحلُم وأصفَح. والله ما رأيت أبا عبّاد مقبلاً إلا أضحكني قول دعبل فيه: [الكامل]

أوْلَى الأمُورِ بِضَيْعَةٍ وَفَسادِ أمْرٌ يُدَبِّرُهُ أبو عَبَّادِ
وكأنَّه مِنْ دَيرِ هِزْقَلَ مُفلِتٌ حَرِدٌ يَجُرُّ سَلاسِلَ الأقيادِ(١)

أخبرني الحسن بن علي الخَفّاف قال: حدّثني محمد بن القاسم بنِ مَهْرويه قال: حدّثني أبي قال: أخبرني دِعبلُ بن عليٍّ قال: قال لي أبي عليُّ بنُ رَزِين: ما قلت شيئاً من الشعر قَطّ إلا هذه الأبيات: [الطويل]

خَلِيلَيّ ماذا أرْتَجِي مِن غَدِ امْرِئٍ طَوَى الكَشْحَ عَنّي اليَوْمَ وهْو مَكِينُ
وإنَّ امْرأً قد ضَنَّ منهُ بِمَنْطِقٍ يُسَدُّ بهِ فَقْرُ امرئٍ لَضَنِينُ

وبيتين آخرين وهما: [البسيط]

أقولُ لمَّا رأيتُ المَوْتَ يَطْلُبُني يا ليتني دِرْهَمٌ في كِيسِ مَيّاحِ
فيا لَهُ دِرْهَماً طالَتْ صِيانَتُهُ لا هالِكٌ ضَيْعَةً يوماً ولا ضاحِ

أخبرني عليُّ بنُ صالحِ بن الهَيْثم الكاتبُ قال: حدّثني أبو هَفّان قال: قال لي دِعبلٌ قال لي أبو زيد الأنصاريُّ: مِمَّ اشتُق دِعبل؟ قلت: لا أدري. قال: الدِّعبل: الناقة التي معها ولدُها.

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيُّ قال: حدثني العَنَزي قال: حدّثني محمدُ بن أيوبَ قال: دِعبلٌ اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، ودعبل: لَقب لُقّب به.

وحدّثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشيبانيِّ قال: الدِّعبل: البعير المُسِنّ.

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: سمعتُ حُذَيفة بنَ محمد الطائيَّ يقول: الدِّعبِل: الشيء القديم. قال ابن مَهْرُويه: سمعت أبي يقول: خُتم الشعر بدِعبَل. قال: وقال أبي: كان أبو محلِّم يقول: خُتم الشعر بعُمارة بنِ عقيل.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: سمعْتُ أبي يقول: لم

(١) دير هزقل: هو دير مشهور بين البصرة وعسكر مُكَرم، وقيل غير ذلك. انظر (معجم البلدان ٢/ ٥٤٠). وحرد: غضبان.

يزَل دِعبِل عند الناس جليل القدر حتى رَدَّ على الكَميت بنِ زيد:

ألا حُـيِّـيـت عـنـا يـا مـديـنـا

فكان ذلك مما وضعه. قال: وقال فيه أبو سعد المخزوميّ: [الوافر]

وأعْـجَـبُ مـا سَـمِـعْـنـا أو رأيـنـا هـجـاءٌ قـالَـه حَـيٌّ لِـمَـيْـتِ
وهــذا دِعْـبِـلٌ كَـلِـفٌ مُـعَـنًّـى بِتَسْطِيرِ الأهاجي في الكُمَيْتِ
وما يَهْجُو الكُمَيْتَ وقد طواه الرَّدَى إلا ابْـنُ زانـيَـةٍ بـزَيْـتِ

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثني محمدُ بن يزَيد قال: حدّثني دِعبل قال: كنتُ جالساً مع بعض أصحابنا ذاتَ يوم، فلما قمت سأل رجل لَمْ يَعرفني أصحابَنا عنّي، فقالوا: هذا دِعبل، فقال: قولوا في جليسِكم خيراً. كأنه ظن اللقب شَتماً.

أخبرني عليُّ بنُ سُليمانَ قال: حدّثني محمدُ بن يزيدَ قال: حدّثني دعبل قال: صُرع مجنون مرة فصِحت في أذنه: دِعبل، ثلاث مرات، فأفاق.

وأخبرني بهذين الخبرين الحسنُ بنُ علي عن ابن مَهْرُويَه عن محمد بنِ يزيدَ عن دِعبل ـ وزاد فيه: قال دعبل: وصُرع مرة مجنون بحضرتي فصِحْت به: دعبل، ثلاث مرات فأفاق من جنونه.

[سبب خروجه من الكوفة]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفِيُّ أبو أحمد قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنْزَي قال: حدّثني عليُّ بن عمرو بن شيبان قال: حدّثني أبو خالد الخُزاعيُّ الأسلَمِيُّ ـ قال العَنزِيّ: وقد كتبْتُ عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر ـ قال: كان سبب خروج دِعبل بن عليّ من الكوفة أنه كان يَتَشطّر ويصحب الشُّطار، فخرج هو ورجل من أشجعَ فيما بين العِشاء والعَتمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكِيسِه إلى منزله، فلما طلع مقبلاً إليهما وثَبا إليه فجرَحاه، وأخذا ما في كُمِّه، فإذا هي ثلاث رُمانات في خِرقة، ولم يكن كيسُه ليلتئذ معه، ومات الرجل مكانَه، واستتر دعبل وصاحبُه، وجَدّ أولياء الرجل في طلبهما، وجَدّ السلطان في ذلك، فطال على دعبل الاستتار، فاضطُر إلى أن

هرب من الكوفة. قال أبو خالد: فما دخلها حتى كتبْتُ إليه أُعلمه أنه لم يَبق من أولياء الرجل أحد.

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ قال: حدّثني أبو خالد الخُزَاعيُّ الأسْلميُّ قال: قلت لدِعبل: ويحَك! قد هجَوْت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترتَ[1] الناس جميعاً، فأنت دهركَ كلَّه شَريد طريد هارب خائف، فلو كففْتَ عن هذا وصرفْتَ هذا الشرَّ عن نفسك! فقال: ويحك! إني تأملْتُ ما تقول، فوجدْتُ أكثرَ الناس لا يُنْتَفع بهم إلا على الرهبة، ولا يبالى بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَف شرُّه، ولَمنْ يتقيك على عرضه أكثرُ ممن يرغب إليك في تشريفه. وعيوبُ الناس أكثر من محاسنهم، وليس كلّ من شرَّفته شرُف، ولا كلُّ من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفَع بقولك، فإذا رآك قد أوجعْتَ عرض غيره وفضحتَه ـ اتقاك على نفسه وخاف من مثلِ ما جرى على الآخر. ويحك، يا أبا خالد إن الهجاء المقْذع آخذٌ بِضَبع الشاعر من المديح المضْرِع. فضحكْتُ من قوله، وقلت: هذا والله مقالُ مَن لا يموت حَتْفَ أنفه.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدّثني الحمدويّ الشاعر قال: سمعْت دِعبل بنَ عليّ يقول: أنا ابن قولي:

لا تَعجبي يا سَلْمُ مِن رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فَبَكَى

وسمعت أبا تمام يقول: أنا ابن قولي:

نَقِّلْ فُؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهَوَى ... ما الحُبُّ إلاّ لِلْحبيبِ الأوَّلِ

قال الحمْدَوي: وأنا ابن قولي في الطيْلَسان: [الخفيف]

طالَ تَردادُهُ إلى الرَّفْوِ حَتَّى ... لو بَعَثْناهُ وَحْدَهُ لَتَهَدَّى

قال الحمْدَويّ: معنى قولنا: أنا ابنُ قولي، أي أني به عُرِفت.

أخبرني عليُّ بنُ صالحٍ قال: حدّثني أبو هَفَّان قال: قال مسلم بن الوليد:

[السريع]

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكي على دِمْنَةٍ ... وَرَأسُهُ يَضْحَكُ فيهِ المَشِيبْ

---

(١) وترت الناس: أصبح لهم عندك وتر. والوتر: الثأر.

فسرَقه دعبل، فقال: [الكامل]

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ من رَجلٍ ضَحِكَ المَشيبُ بِرَأسِهِ فَبَكَى

فجاء به أجود من قول مسلم، فصار أحقَّ به منه.

قال أبو هَفّان: فأنشدت يوماً بعض البصريين الحَمقى قول دِعبل:

ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبكى

فجاءني بعد أيام، فقال: قد قلتُ أحسن من البيت الذي قاله دعبل، فقلت له: وأيَّ شيء قلت؟ فتمنّع ساعة، ثم قال: قلت:

قَهْقَهَ في رأسِكَ القَتِيرُ[1]

أخبرني بهذه الحكاية الحسنُ بنُ عليّ عن ابن مَهْرُوَيه عن أبي هفَّان، قال: ذكر نحوه، وزاد فيه ابن مَهْرُوَيه: وحدَّثني الحَمْدَوِيّ قال: سمع رجل قول المأمون: [المجتث]

قَبَّلْتُهُ مِنْ بَعِيدِ فاعْتَلَّ مِنْ شَفَتَيْهِ

فقال: [الخفيف]

رَقَّ حَتَّى تَوَرَّمَتْ شَفَتاهُ إذ تَوَهَّمْتُ أنْ أُقَبِّل فاهُ

أخبرني عليّ بن الحسن قال: حدثني ابن مَهْرُوَيه قال: حدّثني أبو ناجية ـ وزعم أنه من وَلد زُهير بن أبي سُلمى ـ قال: كنتُ مع دِعبل في شَهْرزُورَ[2]، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنة محسنة فغنَّت الجارية بشعر دعبل:

أيْنَ الشبابُ وأيَّةً سلَكا؟ لا، أيْنَ يُطْلَبُ؟ ضَلَّ، بَلْ هَلَكا

قال: فارتاح دعبل لهذا الشعر وقال: قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة.

---

(1) القتير: الشيب.

(2) شهرزور: كورة بين إربل وهمذان. (معجم البلدان ٣/ ٣٧٥).

[نسبة هذا الصوت]

صوت

[الكامل]

أيْنَ الشَّبابُ وأيَّةً سَلَكا؟ لا، أيْنَ يُطْلَبُ؟ ضَلَّ، بَلْ هَلَكا
لا تَعْجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فَبَكى
يا ليتَ شِعري كيفَ نَوْمُكما يا صاحِبَيَّ إذا دَمِي سُفِكا
لا تأخُذوا بِظُلامَتِي أحَداً قلبي وطرْفي في دَمي اشتركا

قال: والغناء لأحمدَ بنِ المكيِّ، ثقيل أولُ بالوُسطى مطلَق.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني أبو المثنّى أحمدُ بنُ يعقوبَ ابن أختِ أبي بكرٍ الأصمِّ قال: كنا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدِعبل قوله: [الكامل]

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فَبَكَى

فاستحسناه، فقال الأصمعي: إنما سرقه من قول الحُسَين بن مُطَير الأسَديّ[١]: [الخفيف]

أيْنَ أهْلُ القِبابِ بالدَّهناءِ؟ أينَ جيرانُنا على الأحْساءِ[٢]
فارَقونا والأرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ رَ الأقاحِي تُجادُ بالأنْواءِ
كُلَّ يومٍ بِأُقْحُوانٍ جَديدٍ تَضْحَكُ الأرْضُ من بُكاءِ السَّماءِ

[هجاؤه للآخرين]

أخبرني أحمدُ بن العباسِ العسكريُّ قال: حدّثني الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثني أحمدُ بنُ خالدٍ قال: كنا يوماً بِدار صالح بنِ عليٍّ مِن عبد القيس ببغدادَ، ومعنا جماعة من أصحابنا، فسقط على كنينة[٣] في سطحه - ديكٌ طار من دار دِعبل، فلما رأيناه قلنا هذا صَيدُنا، فأخذناه. فقال صالح: ما نصنع به؟ قلنا:

---

(١) الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي مولاهم، شاعر متقدم في القصيد والرجز. (توفي سنة ١٦٩ هـ). وترجمته في: (تهذيب ابن عساكر ٤/ ٣٦٢).

(٢) الدهناء: اسم لعدة مواضع (انظر معجم البلدان ٢/ ٤٩٣). والأحساء: جمع حسى: وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وقيل غير ذلك. انظر (معجم البلدان ١/ ١١٢).

(٣) الكنينة: الظّلة. وهي تصغير الكنة.

نذبحه، فذبحناه، وشويناه. وخرج دِعبل فسأل عن الديك فعَرف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا، فجحَدناه، وشربنا يومنا، فلما كان من الغد خرج دِعبل فصلّى الغداة، ثم جلس على المسجد، وكان ذلك المسجد مجمعَ الناس، يجتمع فيه جماعة من العلماء، وينتابهم الناس، فجلس دعبل على المسجد وقال: [الكامل]

أَسَرَ الـمـؤذِّنَ صـالـحٌ وضـيـوفُـهُ ... أَسْرَ الكَمِيِّ هفا خلال الماقِطِ[1]
بَـعَـثُـوا عـلـيـهِ بَـنِـيـهُـمُ وبَـنـاتِـهِـمْ ... مـن بَـيْـنِ نـاتـفـةٍ وآخَـرَ سـامِـطِ
يـتـنـازعـونَ كـأنَّـهُـمْ قـد أوْثَـقُـوا ... خـاقـانَ أو هَـزَمُـوا كـتـائـبَ نـاعِـطِ[2]
نَـهَـشُـوهُ فـانْـتُـزِعَـتْ لـهُ أَسْـنَـانُـهُـمْ ... وَتَـهَـشَّـمَـتْ أقـفـاؤهُـمْ بـالـحـائـطِ

قال: فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت: ويحكم، ضاقت عليكم المآكل، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دِعبل؟ ثم أنْشَدنا الشعر، وقال لي: لا تدَع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته، وبَعثْتَ به إلى دعبل، وإلا وقعنا في لسانه، ففعلْت ذلك. قال: وناعط قبيلة من هَمْدان ومُجالد بنُ سعيد ناعطيٌّ قال: وأصله جَبَل نزلوا به، فنُسبوا إليه.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثني ابن مَهْرُويه قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال: كان دعبل يُنشدني كثيراً هجاءً قاله، فأقول له: فيمن هذا؟ فيقول: ما استَحقه أحدٌ بعَينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وَجِد على رجل جعل ذلك الشعر فيه، وذكر اسمه في الشعر.

وقد أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ عن ابنِ مَهْرُويه عن أحمدَ بن أبي كامل بهذا الخبر بعَينه، وزاد فيه - فيما ذكر ابن أبي كامل - أنه كان عند صالح هذا في يوم أخْذِه ديكَ دعبل، قال: وهو صالح بنُ بِشرِ بن صالحِ بنِ الجارودِ العَبْديُّ.

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال: حدّثني العَنَزيّ قال: حدّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي أيوبَ قال: مدح دِعبلٌ أبا نَصيرِ بنِ حُمَيدٍ الطُّوسيَّ، فقصّر في أمرِه ولم يُرضه من نفسه، فقال عند ذلك دِعبِل فيه يهجوه:

أبـا نَـصِـيـرٍ تَـحَـلْـحَـلْ عَـنْ مَـجـالـسِـنـا ... فـإنَّ فِـيـكَ لِـمَـنْ جـاراكَ مُـنْـتَـقَـصـا
أنـتَ الـحِـمـارُ حُـرُونـاً إنْ وقـعْـتَ بـهِ ... وإنْ قَـصَـدْتَ إلـى مَـعْـروفِـهِ قَـمَـصـا

---

(١) الماقط: المضيق في الحرب.
(٢) الخاقان: اسم لكل ملك خقنه الترك، أي ملكوه عليهم. وناعط: قبيلة من همدان.

إنِّي هَـزَزْتُـكَ لا آلُـوكَ مُـجْـتَـهِـداً لَوْ كُنْتَ سَيْفاً وَلٰكِنِّي هَزَزْتُ عَصا

قال: فشكاه أبو نَضير إلى أبي تمام الطائيّ، واستعان به عليه، فقال أبو تمام يجيب دِعبلاً عن قوله، ويهجوه ويتوعده: [الوافر]

أدِعْـبِـلُ إنْ تَـطـاولَـتِ الـلَّـيـالِـي عـلـيـكَ فـإنَّ شِـعْـرِي سـمُّ سـاعَـهْ
ومـا وَفَـدَ الـمَـشِـيـبُ عـلـيـكَ إلاَّ بـأخْـلاقِ الـدَّنـاءَةِ والـضَّـراعَـهْ[1]
وَوَجْـهُـكَ إنْ رَضِـيـتَ بـهِ نَـدِيـمـاً فـأنْـتَ نَـسِـيجُ وَحْدِكَ في الرَّقاعَهْ[2]
ولَـوْ بُـدِّلْـتَـهُ وَجْـهـاً بِـوَجْـهٍ لـمـا صَـلَّـيْـتَ يَـوماً فـي جَـمـاعَـهْ
وَلٰـكِـنْ قـد رُزِقْـتَ بـه سِـلاحـاً لـو اسْـتَـعْـصَـيْـتَ ما أعْـطَـيْـتَ طاعَـهْ
مَـنـاسِـبُ طَـيِّـيءٍ قُـسِـمَـتْ فَـدَعْـهـا فَـلَـيْـسَـتْ مِـثْـلَ نِـسْـبـتِـكَ الـمُـشـاعَـهْ
وَرَوِّحْ مَـنْـكِـبَـيْـكَ فَـقَـدْ أُعِـيـدا حُـطـامـاً مـن زِحـامِـكَ فـي خُـزاعَـهْ

قال العَنزيّ: يقول إنك تزاحم خُزاعة، تدّعي أنك منهم ولا يقبلونك.

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال: حدّثني العَنزيّ قال: حدّثني محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي أيوبَ قال: تعرَّض الخارَكيّ النصري - وهو رجل من الأزد - لدعبلِ بن عليٍّ فهجاه، وسبّه، فقال فيه دعبل: [السريع]

وشـاعِـرٍ عَـرَّضَ لـي نَـفْـسَـهُ لـخـارك آبـاؤه تَـنْـمِـي
يَـشْـتُـمُ عِـرْضِـي عـنـدَ ذِكْـرِي ومـا أمْـسَـى ولا أصْـبَـحَ مِـن هَـمِّـي
فَـقُـلْـتُ لا بَـلْ حَـبَّـذا أمُّـهُ خَـيِّـرَةٍ طـاهِـرَةِ عِـلْـمِـي
أكْـذِبُ والـلَّـهِ عـلـى أمِّـهِ كَـكِـذْبِـهِ كـانَ عَـلـى أمِّـي

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُوَيه قال: حدّثني إبراهيم بنُ المدبّر قال: لقيتُ دعبلَ بنَ عليّ، فقلت له: أنتَ أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول: [الكامل]

إنِّـي مِـنَ الـقَـوْمِ الَّـذِيـنَ سُـيُـوفُـهـم قَـتَـلَـتْ أخاكَ وشَـرَّفَـتْـكَ بِـمَـقْـعَـدِ[3]
رَفَـعـوا مَـحَـلَّـكَ بـعـدَ طـولِ خُـمـولِـهِ واسـتـنـقـذوكَ مـن الـحَـضـيـضِ الأوْهَـدِ

---

(١) الضراعة: الخضوع والذلّ.

(٢) الرَّقاعة: قلة الحياء.

(٣) يشير إلى ما فعله طاهر بن الحسين من قتل الأمين وعقد البيعة للمأمون. وكان طاهر خزاعياً بالولاء.

فقال: يا أبا إسحاق، أنا أحمِل خشبتي منذ أربعين سنة، فلا أجد من يصلِبني عليها.

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمدُ بن يزيدَ قال: قال دِعبِل بنُ عليٍّ يَرثي ابنَ عم له من خُزاعة نُعي إليه، قال محمدُ بنُ يزيدَ: ولقد أحسن فيها ما شاء: [البسيط]

كانت خُزاعة مِلء الأرض ما اتسعَت ... فقَصَّ مَرُّ الليالي من حواشيها
هَذا أبو القاسِم الثَّاوي بِبَلْقَعَةٍ ... تَسْفِي الرِّياحُ عليهِ منْ سَوافِيها
هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أنْ لا هُبُوبَ بِهِ ... وَقَدْ تكونُ حَسِيراً إذ يباريها
أضْحَى قِرًى لِلْمَنايا إذْ نَزلْن بهِ ... وكانَ في سالِفِ الأيَامِ يَقْرِيها

حدّثني الحسن بنُ مَهْرُوَيه عن أبيه، فذكر أن المَنعيّ إلى دِعبلٍ أبو القاسم المطّلِب بنُ عبدِ الله بنِ مالك، وأنه نُعِي إلى دِعبل، وكان هو بالجَبل، فرثاه بهذه الأبيات.

أخبرني الأخفش قال: حدّثنا محمدُ بنُ يزيدَ، قال: بلغ إسماعيلَ بنَ جعفرِ بنِ سليمانَ أن دِعبلاً هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز، فهرب من زيدِ بنِ موسى بنِ جعفر بنِ محمد لما ظهر وبيّض في أيام أبي السرايا، فقال دعبل بن علي يعيّر إسماعيل بذلك: [الطويل]

لَقَدْ خَلَّفَ الأهْوازَ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ ... يريدُ وراءَ الزابِ منْ أرْضِ كَسْكَرِ[1]
يُهَوِّلُ إسماعيلُ بالبِيضِ وَالقَنا ... وَقَدْ فَرَّ مِن زَيْدِ بنِ موسى بن جَعْفَرِ[2]
وعايَنتهُ في يَوْمَ خَلَّى حَرِيمَهُ ... فيا قُبْحَها منهُ ويا حُسْنَ مَنْظَرِ

[تشطره في شبابه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُوَيه قال: حدّثني ابنُ الأعرابيّ عن أبي خالدٍ الأسلميّ قال: كان دِعبِل بنُ عليٍّ الخُزاعيُّ بالكوفة يتشطر وهو شابّ، وكانت له شَعرة جَعْدة، وكان يدْهُنها ويُرجّلها حتى تكاد تَقطر دهناً، وكان يُصلت على الناس بالليل، فقَتل رجلاً صَيرفياً، وظن أن كيسَه معه، فوجد في كُمه

(١) كسكر: كورة واسعة قصبتها واسط. (معجم البلدان ٤/٤٦١).
(٢) البيض: السيوف. والقنا: الرماح.

رمّاناً، فهرب من الكوفة، وكنتُ إذا رأيت دِعبلاً يَمشي رأيت الشطارة في مِشيتِه وتبختُره.

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدثني الحَسنُ بنُ أبي السَّرِيّ قال: كان عُميرٌ الكاتب أقبحَ الناس وجهاً، فلقي دِعبلاً يوماً بُكْرةً وقد خرج لحاجة له، فلما رآه دعبل تَطيَّر من لقائه، فقال فيه: [الوافر]

خَرَجْتُ مُبَكِّراً من سُرَّ مَن را أُبادِرُ حاجَةً فإذا عُمَيْرُ
فلم أثْنِ العِنانَ وقلتُ أمْضِي فَوَجْهُكَ يا عُمَيْرُ خِراً وخَيْرُ

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: حدّثني الحسنُ بن أبي السّريّ قال: حدثني دعبل قال: مدحت عبد الرحمٰن بنَ خاقان، وطلَبْت منه بِرْذوناً، فبعث إلي بِبِرْذَونٍ غامز[١]، فكتبت إليه: [المتقارب]

حَمَلْتَ على قارحٍ غامِزٍ فلا لِلرُّكُوبِ ولا للثَّمَنْ[٢]
حَمَلْتَ على زَمِنٍ ظالِعٍ فَسَوْفَ تُكافا بشُكْرٍ زَمِنْ

فبعث إليّ ببرذون غيره فاره[٣] بسرجه ولجامه، وألفي درهم.

قال ابن مَهْرُوَيه وحدثني إسحاقُ بنُ إبراهيم العُكْبَريّ عن دِعبلٍ أنه مدح يحيى بنَ خاقان، فبَعث إليه بهذا البِرْذَوْن.

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: قال الحُسَيْن بنُ دِعبل: كان أبي يختلف إلى الفضل بن العباسِ بنِ جعفرِ بنِ محمدٍ بنِ الأشعث، وهو خرّجه وفهَّمه وأدّبه، فظهر له منه جفاء، وبلغه أنه يَعيبه ويذكره، وينال منه، فقال يهجوه:

[البسيط]

يا بؤسَ لِلْفَضْلِ لَوْ لَمْ يأتِ ما عابَهْ يَسْتَفْرِغُ السُّمَّ منْ صَمَّاءَ قرضابَهْ[٤]
ما إن يزالُ وفيهِ العيبُ يجمعهُ جَهْلاً لأعراضِ أهْلِ المَجْدِ عَيَّابَهْ
إن عابَنِي لَمْ يَعِبْ إلا مُؤَدِّبَهُ وَنَفْسَهُ عابَ لما عابَ أدّابَهْ

---

(١) الغامز: الظالع.
(٢) القارح: الذي شقّ نابه وانتهت أسنانه.
(٣) الفارة: النشيط.
(٤) الصماء: الداهية. والقرضابة: الذي لا يدع شيئاً إلا أكله.

فكانَ كالكَلْبِ ضَرّاهُ مُكَلِّبُهُ لِصَيْدِهِ فَعَدا فاصْطادَ كَلاّبَهْ

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدثني أبو جعفرٍ العِجليُّ قال: كان أحمدُ بنُ أبي دُوادٍ يَطعن على دِعبل بحَضرة المأمون والمعتصم، ويسبه تقرباً إليهما لِهجاء دِعبل إياهما، وتزوج ابنُ أبي دُواد امرأتين من بَني عِجل في سنة واحدة، فلما بَلغ ذلك دعبلاً قال يهجوه: [البسيط]

غَصَبْتَ عِجلاً على فَرجَيْنِ في سَنَةٍ أفْسَدْتَهُمْ ثمَّ ما أصْلَحْتَ من نَسَبِكْ
وَلَوْ خَطَبْتَ إلى طَوقٍ وأُسْرَتِهِ فَزَوَّجُوكَ لما زادوكَ في حَسَبِكْ
نِكْ مَن هَويتَ ونَلْ ما شِئْتَ منْ نَشَبٍ أنْتَ ابنُ زرياب مَنْسُوباً إلى نَشَبِكْ[1]
إن كان قومٌ أرادَ الله لِخِزْيَهُمُ فَزَوَّجُوكَ ارتغاباً منكَ في ذَهَبِكْ
فذاكَ يُوجِبُ أنَّ النَّبْعَ تَجْمَعُهُ إلى خلافِكَ في العِيدانِ أو غَرَبِكْ
ولو سَكَتَّ ولم تَخْطب إلى عَرَبٍ لما نَشَبْتَ الذي تَطْوِيهِ من سَبَبِكْ
عُدَّ البيوتَ التي تَرْضَى بِخِطْبَتِها تَجِدْ فزارَةَ العُكْليَّ مِنْ عَرَبِكْ

قال: فلقيه فَزارة العُكليّ، فقال له: يا أبا عليّ، ما حملك على ذكري حتى فضحتني، وأنا صديقك؟ قال: يا أخي والله ما اعتمدتُك بمكروه، ولكن كذا جاءني الشعر لِبلاءٍ صبه الله عزّ وجلّ عليك لم أعتمدك به.

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزياتِ قال: حدثني أبو خالد الأسلميُّ الكوفيّ قال: اجتمعْتُ مع دِعبل في منزل بعض أصحابنا، وكانت عنده جارية مغنِّية صفراء مليحة حسنة الغناء، فوقع لها العَبث بِدِعبل والعنَت والأذى له، ونهيناها عنه، فما انتهت، فأقبل علينا فقال: اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة، فقلنا: هات، فقد نهَيناها عنك، فلم تنته، فقال: [الرجز]

تَخْضِبُ كفّاً قُطِعَتْ مِنْ زَنْدِها فَتَخْضِبُ الحِنّاء مِنْ مُسودّها
كأنَّها وَالكحلُ في مِرْوَدِها تَكْحَلُ عَيْنَيْها بِبعضِ جِلْدِها
أشبهُ شيء استُها بخدّها

قال: فجلست الجارية تبكي، وصارت فضيحة، واشتهرت بالأبيات، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك.

(١) النشب: المال.

[سجنه وبعض أخباره]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدّثني هارون قال: حدّثني أبي وخالدٌ قالا: كان دِعبل قد جَنى جنايةً بالكوفة وهو غلام، فأخذه العَلاءُ بنُ منظورٍ الأسديُّ، وكان على شُرْطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى، فحبسه، فكلمه فيه عمُّه سليمان بن رَزِين، فقال: أضرِبه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطَع يده، فلعله أن يتأدب بضربي إياه، ثم ضربه ثلاثمائة سوط، فخرج من الكوفة، فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيه قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي كامل قال: كان دِعبل يخرج فيغيب سنين، يدور الدنيا كلّها، ويرجع وقد أفاد وأثرى. وكانت الشُّراة والصعاليك يلقَوْنه فلا يؤذونه، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبَرّونه، وكان إذا لقيهم وضَع طعامَه وشرابه، ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثَقيف وشعف، وكانا مغنيين، فأقعدهما يغنيان، وسقاهم وشرب معهم، وأنشدهم، فكانوا قد عرفوه، وألِفوه لكثرة أسفاره. وكانوا يواصلونه ويصلونه. وأنشدني دِعبل بنُ علي لنفسه في بُعْدِ أسفاره: [الطويل]

حَلَلْتُ مَحَلاً يقصرُ البرقُ دُونَهُ ... ويَعْجِزُ عنهُ الطَّيْفُ أنْ يَتَجَشَّما

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوْيه قال: قال لي البحتريّ: دِعبِل بنُ عليّ أشعر عندي من مُسلِمِ بنِ الولَيدِ، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: لأن كلام دِعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبُه أشبه بمذاهبهم. وكان يتعصب له.

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصريُّ قال: بات دِعبِل ليلةً عند صديق له من أهل الشأم، وبات عندهم رجل من أهل بيت لَهياني[1] يقال له حَوى بنُ عمرو السَككيّ جميلُ الوجه، فدبّ إليه صاحب البيت، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين، فقال فيه دعبل:

[السريع]

لولا حَوًى لبيتِ لهياني ... ما قام أيرُ العَزَبِ الفانِي

(١) بيت لهيا: موضع على باب دمشق. (معجم البلدان ٥/ ٢٨ ومعجم ما استعجم ١/ ٢٩٠).

لَــهُ دواةٌ فِـي سَـرَاوِيـلِـهِ　　　يَـلِـيـقُـهـا الـنَّـازِحُ وَالـدَّانِـي

قال: وشاع هذان البيتان، فهرب حوى من ذلك البلدِ، وكان الشيخ إذا رأى دِعبلاً سبّه، وقال: فضحتَني أخزاك الله.

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثني ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثني محمدُ بنُ الأشعث قال: سمعْتُ دِعبلاً يقول: ما كانت لأحد قطُّ عندي مِنّة إلا تمنيت موته.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا ابن مَهْرُوَيه قال: حدّثنا محمدُ بن عُمر الجُرجانيُّ قال: دخل دِعبلُ بنُ عليٍّ الرّيّ في أيام الربيع، فجاءهم ثَلْج لم يَرَوا مثله في الشتاء، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً، وكتبه في رقعة هو: [الخفيف]

جاءنا دِعْبِلٌ بِثلجٍ مِنَ الشِّعْرِ　　　فجادَتْ سماؤنا بالثُّلُوجِ
نَزَلَ الرّيَّ بعدَما سكنَ البَرْ　　　دُ وقد أينَعَتْ رياضُ المُرُوجِ
فَكَسانا بِبَرْدِهِ لا كَسَاهُ اللّـ　　　ـهُ ثَوْباً من كُرْسُفٍ مَحْلُوجِ[1]

قال: فألقى الرقعة في دِهليز دِعبِل، فلما قرأها ارتحل عن الرّيّ.

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال: حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثنا أبو خالد الأسلميُّ قال: عرضَتْ لدِعْبِل حاجةٌ إلى صالح بنِ عطية الأضجم، فقصّرَ عنها، ولم يَبلغ ما أحبّه دعبل فيها، فقال يهجوه: [السريع]

أحْسَنُ ما في صالِحٍ وَجْهُهُ　　　فَقِسْ على الغائِبِ بالشّاهِدِ
تأمَّلَتْ عَيْنِي لَهُ خِلْقَةً　　　تَدْعُو إلى تَزْنِيَةِ الوالِدِ

فتحمل عليه صالحٌ بي وبجماعة من إخوانه حتى كف عنه، وعَرض عليه قضاء الحاجة، فأباها.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثني محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيه قال: حدّثني أبي قال: فَخَرَ قوم من خُزاعة على دِعبِل بن عليٍّ يقال لهم بنو مُكلِّم الذئب، وكان جدّهم جاء إلى النبيﷺ فحدّثه أن الذئب أخذ من غنمِهِ شاة فتبعه، فلما غشِيه بالسيف قال له: ما لي ولك تمنعني رزقَ الله؟ قال: فقلت: يا عَجَبًا لِذئب يتكلم! فقال: أعجَبُ منه أن محمداً نبي قد بُعث بين أظهُركم وأنتم لا

(١) الكرسف: القطن. والمحلوج: المندوف.

تتبعونه، فبَنُوه يفخرون بتكليم الذئبِ جدَّهم، فقال دِعبِلُ بنُ عليّ يهجوهم:

[البسيط]

تِهْتُمْ عَلَيْنا بأنَّ الذِّئْبَ كَلَّمَكُمْ فَقَدْ لَعَمْرِي أبوكُمْ كَلَّم الذِّيبا
فكيفَ لو كَلَّمَ اللَّيْثَ الهَصورَ إذاً أفنَيْتُمُ النّاسَ مأكُولاً ومَشْرُوبا
هَذا السُّنَيدِيُّ لا أصْلٌ ولا طُرَفٌ يُكَلِّمُ الفِيلَ تَصْعِيداً وتَصْوِيبا[١]

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مَهْرُويه قال حدّثني أبي قال: كان دِعبل قد مدح محمد بن عبد الملكِ الزياتَ، فأنشده ما قاله فيه، وفي يده طُومارٌ[٢] قد جعله على فمِه كالمتكىء عليه وهو جالس، فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه، فقال: يهجوه:

[البسيط]

يا مَنْ يُقَلِّب طُوماراً وَيَلْثَمُهُ ماذا بِقلبكَ من حُبِّ الطَّوامِيرِ
فيهِ مَشابِهُ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بهِ طُولاً بطولٍ وَتَدْوِيراً بتدويرِ
لَوْ كنْتَ تَجْمَعُ أمْوالاً كَجَمْعِكَها إذاً جَمَعْتَ بيوتاً من دنانيرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني أبي قال: نزل دِعبلٌ بِحمص على قوم من أهلها، فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما أشعث وللآخر أبو الصَّناع، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما:

[الوافر]

إذا نَزَلَ الغريبُ بأرض حِمْصٍ رأيْتَ عَلَيْهِ عِزّ الإمتناعِ
سُمُوُّ المكرماتِ بآل عِيسى أحَلَّهُمُ على شرفِ التِّلاعِ[٣]
هناكَ الخَزّ يَلْبَسُهُ المُغَالِي وَعِيسَى مِنْهُمُ سَقَطُ المَتاعِ[٤]
فَسُدَّ لاستِ أشْعَثَ أيْرَ بَغْلٍ وَآخَرَ في حِرِ أمّ أبي الصّناعِ
فلَيْسَ بِصانِعٍ مَجْداً ولكنْ أضاعَ المَجْدَ فهْو أبو الضَّياعِ

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسمِ بن مَهْرُويه عن الحسين بن

(١) الطُّرَف: جمع طرفة، وأراد به المستحدث من الكرم.
(٢) الطومار: الصحيفة.
(٣) التلاع: جمع تلعة، وهي المرتفع من الأرض.
(٤) الخز: الحرير. وسقط المتاع: ما لا قيمة له من المتاع.

دعبل قال: قال أبي في الفضل بنِ مروان: [الطويل]

نَصَحْتُ فأخْلَصْتُ النَّصِيحَةَ لِلْفَضْلِ وقلتُ فَسَيَّرْتُ المقالةَ في الفَضْلِ
ألا إنَّ في الفَضْلِ بنِ سَهْلٍ لَعِبْرَةً إن اعْتَبَرَ الفَضْلُ بنُ مَرْوانَ بِالفَضْلِ
وَلِلْفَضْلِ في الفَضْلِ بنِ يَحْيَى مَواعِظٌ إذا فَكَّرَ الفَضْلُ بنُ مروان في الفَضْلِ
فأَبْقِ جَمِيلاً من حديثٍ تَفُزْ بهِ ولا تَدَعِ الإِحسانَ والأخْذَ بالفَضْلِ
فإنَّكَ قَدْ أصْبَحْتَ لِلْمُلْكِ قَيِّماً وَصِرْتَ مكانَ الفَضْلِ وَالفَضْلِ وَالفَضْلِ
ولم أرَ أبياتاً من الشِّعْرِ قَبْلَها جَمِيعُ قوافيها على الفَضْلِ والفَضْلِ
وليسَ لها عَيْبٌ إذا هِيَ أُنْشِدَتْ سوى أنَّ نُصْحِي الفَضْلَ كانَ مِنَ الفَضْلِ

فبعث إليه الفضل بنُ مروانَ بِدنانيرَ، وقال له: قد قبلْتُ نصحك، فاكفني خيرَك وشرَّك.

حدّثني عمي قال: حدثني ميمونُ بنُ هارونَ قال: حدّثني أبو الطيِّب الحرّانيُّ قال: أنشد رجل دِعبلَ بن عليّ شعراً له، فجعل يعيبه وينبِّهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً، ويقول: أيَّ شيء صنعْتَ بنفسك! ولِم تقول الشعر إذا لم تقدر إلا على مثلِ هذا منه؟ إلى أن مرَّ له بيت جيد، فقال دِعبل: أحسنت، أحسنت ما شئت. فقال له: يا أبا عليّ أتقول لي هذا بعد ما مضَى؟ فقال له: يا حبيبي لو أن رجلاً ضرَط سبعين ضَرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دَسْتنبويةٌ[1] واحدة.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثني محمدُ بن حاتمٍ المؤدِّبُ قال: قيل للمأمون: إن دِعْبل بنَ عليّ قد هجاك، فقال: وأيّ عجب في ذاك؟ هو يهجو أبا عبّاد ولا يهجوني أنا! ومن أقدَمَ على جُنون أبي عباد أقدم على حِلمي، ثم قال للجلساء: من كان منكم يحفظ شعره في أبي عبّاد فلْيُنْشِدْنيه، فأنشده بعضهم: [الكامل]

أولى الأُمورِ بِضَيْعَةٍ وَفسادِ أَمْرٌ يُدَبِّرُهُ أبو عَبّادِ
خَرِقٌ على جُلَسائِهِ فَكَأنَّهُم حَضَروا لِمَلْحَمَةٍ وَيَوْمِ جِلادِ
يَسْطو على كُتّابِهِ بِدَواتِهِ فَمُضَمَّخٌ بِدَمٍ ونَضْحِ مِدادِ
وكأنَّهُ مِنْ دَيْرِ هِزْقِلَ مُفْلِتٌ حَرِدٌ يَجُرُّ سَلاسِلَ الأَقْيادِ
فاشْدُدْ أميرَ المُؤْمِنينَ وثاقَهُ فأَصَحُّ مِنْهُ بَقِيَّةُ الحَدادِ

(١) دستنبوية: نوع من البطيخ الأصفر.

قال: وكان بَقية هذا مجنوناً في المارَسْتان، فضحك المأمون. وكان إذا نظر إلى أبي عبّاد يضحك، ويقول لمن يقرب منه: والله ما كذب دِعبِل في قوله.

حدّثني جَحْظةُ عن ميمون بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريباً منه.

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمار ومحمدُ بنُ أحمدَ الحكيمُ قالا: حدّثنا أنسُ بنُ عبدِ الله النبْهانيُّ قال: حدّثني عليُّ بنُ المنذرِ قال: حدثني عبدُ الله بنُ سعيدٍ الأشقريُّ قال: حدثني دِعبِل بنُ عليّ قال: لما هرَبْت من الخليفة بتّ ليلة بنَيْسابورَ وحدي، وعزمْتُ على أن أعمل قصيدة في عبد الله بنِ طاهر في تلك الليلةِ، فإني لفي ذلك إذ سمِعْتُ والباب مردود عليّ: السلام عليكم ورحمة الله، انج يرحمُك الله، فاقشعَرّ بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم، فقال لي: لا تُرَع عافاك الله؛ فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طرأ إلينا طارىء من أهل العراق فأنشدَنا قصيدتك: [الطويل]

مَـدَارِسُ آيـاتٍ خَـلَـتْ مِـنْ تِـلاوةٍ وَمَـنْـزِلُ وَحْـيٍ مُـقْـفـرُ الـعـرَصـاتِ

فأحْببْت أن أسمَعها منك، قال فأنشدْتُه إياها، فبكى حتى خرّ، ثم قال رحمك الله! ألا أُحدثك حديثاً يَزيد في نِيّتك ويُعينك على التمسك بمذهبِك؟ قلت: بلى قال: مكثْت حيناً أسمع بِذِكر جعفرِ بن محمدﷺ، فصرْتُ إلى المدينة فسمعْتُه يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول اللهﷺ قال: عليٌّ وشيعتُه هم الفائزون، ثم ودّعَني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله، إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل، قال: أنا ظَبْيانُ بنُ عامر.

أخبرني الحسين بنُ القاسمِ الكوكبيُّ قال: حدّثني إسحاق بنُ محمدٍ النخَعيُّ وأخبرني به الحَليمي عن يعقوبَ بنِ إسرائيلَ عن إسحاق النخَعيّ قال: كنت جالساً مع دِعبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثَقيف، فمرّ به أعرابي يرفُل في ثيابِ خَزّ، فقال لغلامه: أُدع لي هذا الأعرابيّ، فأومأ الغلام إليه، فجاء، فقال له دِعبِل: ممن الرجل؟ قال: من بني كِلاب. قال: من أيِّ كِلاب أنت؟ قال: منَ ولد أبي بكر، فقال دعبل: أتعرف القائل: [الطويل]

ونُـبِّـئْتُ كَـلْـبـاً مِـنْ كـلابٍ يَـسُـبُّـنـي وَمَـحْـضُ كِـلابٍ يَـقْـطَـعُ الـصَّـلـواتِ
فَـإِنْ أنـا لَـمْ أُعْـلِـمْ كِـلابـاً بِـأنَّـهـا كِـلابٌ وأنّـي بـاسِـلُ الـنَّـقِـمـاتِ

فـكـانَ إذاً مِـنْ قَـيْـسِ عَـيْـلانَ والـدي وكـانَـتْ إذاً أُمّـي مِـنَ الـحَـبَـطـاتِ[١]

قال وهذا الشعر لِدِعبِل يقوله في عمرو بن عاصم الكلابيّ، فقال له الأعرابي: ممن أنت؟ فكرِه أن يقول له من خزاعة فيهجوَهم، فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر: [الطويل]

أُنـاسٌ عَـلـيُّ الـخَـيْـرِ مِـنْـهُـم وَجَـعْـفَـرٌ وَحَـمْـزَةُ والـسَّـجَّـادُ ذو الـثَّـفِـنـاتِ[٢]
إذا فـخَـروا يَـوْمـاً أَتَـوا بِـمُـحَـمَّـدٍ وَجِـبْـرِيـلَ والـفُـرْقـانِ والـسُّـوَراتِ

فوثب الأعرابي وهو يقول: ما لي إلى محمد وجبريلَ والفرقان والسورات مرتقى.

أخبرني الكوكبي قال: حدثني ابن عبدوسٍ قال: سأل دعبل نصرَ بنَ منصورِ بنِ بَسّام حاجة، فلم يَقضِها لشغلٍ عرض له دونها، فقال يهجو بني بَسام:

[مخلع البسيط]

حَـواجِـبٌ كـالـجِـبـالِ سُـودٌ إلـى عَـثـانِـيـنَ كـالـمَـخـالـي
وأوجُـهٌ جَـهْـمَـةٌ غِـلاظٌ عُـطْـلٌ مِـنَ الـحُـسْـنِ والـجَـمـالِ

أخبرني الكوكبيُّ قال: حدثني ميمونُ بن هارون قال: لما ولي أحمدُ بنُ أبي خالدٍ الوزارة في أيام المأمون قال دعبل بنُ علي يهجوه: [المتقارب]

وكـانَ أبـو خـالِـدٍ مَـرَّةً إذا بـاتَ مـتَّـخِـمـاً عـاقِـدا[٣]
يَـضـيـقُ بِـأَوْلادِهِ بَـطْـنُـهُ فَـيَـخْـراهُـمُ واحِـداً واحِـدا
فَـقَـدْ مَـلأَ الأَرْضَ مِـنْ سَـلْـحِـهِ خَـنـافِـسَ لا تُـشْـبِـهُ الـوالـدا

[هربه إلى الجبل وهجاؤه المعتصم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدّثنا أبو ناجيةَ قال: كان المعتصم يُبغض دِعبلاً لطول لسانه، وبلَغ دِعبلاً أنه يريد اغتياله

(١) الحبطات: أولاد الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم، وسمي بالحبط لأنه أكل شيئاً فورم بطنه. (وانظر لسان العرب مادة حبط).
(٢) ذو الثفنات: زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وسمي بذي الثفنات لأن مساجده كانت كثفنة البعير من كثرة صلاته.
(٣) العاقد: الناقة الحامل.

وقتْلَه، فهرب إلى الجبل، وقال يهجوه: [الطويل]

بَكى لِشتاتِ الدِّينِ مُكْتَئِبٌ صَبُّ وفاضَ بفَرْطِ الدَّمعِ مِنْ عَيْنِهِ غربُ(١)

وقامَ إمامٌ لَمْ يَكُنْ ذا هِدايةٍ فَلَيْسَ لَهُ دِينٌ وَلَيْسَ لَهُ لُبُّ(٢)

وما كانَتِ الآباءُ تَأْتي بِمِثْلِهِ يُمَلَّكُ يَوْماً أو تَدِينُ لَهُ العُرْبُ

ولكن كما قالَ الذينَ تَتَابعوا مِنَ السَّلَفِ الماضينَ إذْ عَظُمَ الخَطْبُ

مُلوكُ بني العبَّاسِ في الكُتْبِ سَبْعَةٌ وَلَمْ تَأْتِنا عَنْ ثامِنٍ لَهُمُ كُتْبُ

كَذلِكَ أَهْلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعَةٌ خيارٌ إذا عُدّوا وثامِنُهُم كَلْبُ

وإنِّي لأُعْلِي كَلْبَهُم عَنْكَ رِفْعَةً لأنَّكَ ذو ذَنْبٍ وَلَيْسَ لَه ذَنْبُ

لَقَدْ ضاعَ مُلْكُ النَّاسِ إذْ ساسَ مُلْكَهُم وَصِيفٌ وأَشْناسٌ وَقَدْ عَظُمَ الكَرْبُ(٣)

وَفَضْلُ بنُ مروانٍ يُثَلِّمُ ثَلْمَةً يَظَلُّ لها الإِسْلامُ لَيْسَ لَهُ شَعْبُ(٤)

أخبرني عمي قال حدثني ميمونُ بنُ هارونَ قال: لما مات المعتصم قال محمدُ بنُ عبد الملك الزياتُ يرثيه: [المنسرح]

قَدْ قُلْتُ إذْ غَيَّبُوهُ وانْصَرفوا في خَيْرِ قَبْرٍ لِخَيْرِ مَدْفُونِ

لَنْ يَجْبُرَ الله أُمَّةً فَقَدَتْ مِثْلَكَ إلا بِمِثْلِ هارونِ

فقال دعبل يعارضه: [المنسرح]

قَدْ قُلْتُ إذْ غَيَّبُوهُ وانْصَرَفُوا في شَرِّ قَبْرٍ لِشَرِّ مَدْفُونِ

اذْهَبْ إلى النَّارِ والعَذابِ فما خِلْتُكَ إلاَّ مِنَ الشَّياطِينِ

ما زِلْتَ حَتَّى عَقَدْتَ بَيعَةَ مَن أَضَرَّ بِالمُسْلِمينَ والدِّينِ

قال عمي: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني محمدُ بنُ عُمرَ الجُرجانيّ قال: أنشد دِعبِلُ بنُ عليّ يوماً قول بعض الشعراء:

قَدْ قُلْتُ إذْ غَيَّبوهُ وانْصَرفُوا

(١) الغرب: الدلو العظيمة. والمراد هنا الدمع الكثير الغزير.
(٢) اللبّ: العقل.
(٣) وصيف وأشناس: من الموالي الأتراك وكانا في زمن المعتصم من قواد الجيش الكبار.
(٤) الشعب: رأب الصدع.

وذكر البيتين والجوابَ ولم يُسمِّ قائل المرثيّة ولا نسبَه إلى محمدِ بنِ عبد الملك الزيات ولا غيره.

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال: سألت دِعبلاً عن هذه الأبيات:

مُلوكُ بني العبَّاس في الكتْبِ سَبْعَةٌ

فأنكر أن تكون له، فقلْتُ له: فمن قالها؟ قال: من حشا الله قبرَه ناراً، إبراهيمُ بن المهديّ، أراد أن يُغرِيَ بي المعتصمَ فيقتلني لهجائي إياه.

أخبرني عمي والحسنُ بن عليّ جميعاً قالا: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: حدثني أبي قال: كنتُ عند أحمدَ بنِ المدبِّر ليلة من الليالي، فأنشدته لدعبل في أحمد بنِ أبي دُوادٍ قوله: [الخفيف]

إنّ هذا الذي دُواد أبوه ... وإياد قَدْ أكْثَرَ الأَنْباءَ
ساحَقَتْ أُمُّهُ ولاطَ أبوهُ ... لَيْتَ شِعْري عَنْهُ فَمِنْ أيْنَ جاءَ!
جاءَ مِنْ بَيْنِ صَخْرَتَيْنِ صَلَدَيْـ ... ـنِ عَقامَينِ يُنْبِتان الهَباءَ[1]
لا سِفاحٌ ولا نِكاحٌ ولا ما ... يُوجِبُ الأمهاتِ والآباءَ

قال: فاستعادها أربعَ مرات، فظننت أنه يريد أن يحفظها، ثم قال لي: جئني بدِعبِل حتى أُوصلَه إلى المتوكل، فقلت له: دِعبل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع، وإنما غايتُه أن يُخملَ ذكره، فأمسك عني. ثم لقيت دِعبلاً فحدثتُه بالحديث، فقال: لو حضرْتُ أنا أحمدَ بنَ المدبِّر لما قدرْتُ أن أقولَ أكثر مما قلْتَ.

أخبرني الحسن قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويه قال: حدثني محمدُ بنُ جَرير قال: أنشدَني عُبيد الله بنُ يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعبِل يهجو به المتوكل، وما سمعت له غيره فيه: [الوافر]

وَلَسْتُ لقائِلٍ قَذْعاً ولكن ... لأمْرٍ ما تَعَبَّدكَ العَبِيدُ

قال: يرميه في هذا البيت بالأبنة.

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرويه قال: كنتُ مع دِعبِل

(١) الصخرة الصلود: القاسية الصلبة الصلدة. والعقام: من لا يولد له.

بالصَّيْمَرة[١] وقد جاء نَعي المعتصم وقيامُ الواثق، فقال لي دِعْبِل: أمعَك شيء تكتب فيه؟ فقلت: نعم، وأخرجْتُ قِرْطاساً، فأملى عليّ بديهاً: [البسيط]

الـحَـمْـدُ لله لا صَـبْـرٌ ولا جـلَـدُ ... ولا عـزاءٌ إذا أهْـلُ الـبَـلا رَقَـدوا
خَـلِـيـفَـةٌ مـاتَ لَـمْ يَـحْـزَنْ لَـهُ أحَـدُ ... وآخَـرٌ قـامَ لَـمْ يَـفْـرَحْ بِـهِ أحَـدُ

حدّثني عمي قال: حدّثنا أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ ناصح قال: قلتُ لِدِعبِل، وقد عرض عليّ قصيدة له يمدح بها الحسنَ بنَ وَهْب، أولها:

أعـاذِلَـتـي لـيـس الـهـوَى مـن هـوائـيـا

فقلت له: ويحك، أتقول فيه هذا بعد قولك: [السريع]

أيْـنَ مَـحَـلُّ الـحَـيِّ يـا حـادي ... خَـبِّـرْ سَـقـاكَ الـرَّائِـحُ الـغـادي

وبعد قولك: [البسيط]

قـالَـتْ سَـلاَمَـةُ أيـنَ الـمـالُ قُـلْـتُ لـهـا ... المالُ وَيْحَكِ لاقَى الحَمْدَ فاصْطَحَبا

وبعد قولك: [الرمل]

فَـعَـلـى أيْـمـانِـنـا يَـجْـري الـنَّـدَى ... وعـلـى أسْـيـافِـنـا تَـجْـري الـمُـهَـجْ

والله إني أراك لو أنشدْتَه إياها لأمر لك بصَفع قفاك، فقال: صدقْتَ والله، ولقد نَبّهتني وحذّرتَني، ثم مزقها.

أخبرني عمّي قال: حدثني العَنَزِيّ قال: حدثني الحُسَيْنُ بنُ أبي السَّرِيّ قال: غضِب دِعبِل على أبي نصرِ بن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ ـ وكان دِعبِلٌ مؤدبَه قديماً ـ لشيء بلغه عنه، فقال يهجو أباه: [الكامل]

مـا جَـعْـفَـرُ بـنُ مـحـمَّـدِ بـنِ الأشْـعَـثِ ... عِـنْـدي بِـخَـيْـرِ أُبـوَّةً مِـنْ عَـثْـعَـثِ
عَـبَـثـاً تُـمـارِسُ بـي تُـمَـارِسُ حَـيَّـةً ... سَـوّارة إنْ هِـجْـتَـهـا لَـمْ تَـلْـبَـثِ
لَـوْ يَـعْـلَـمُ الـمَـغْـرورُ مـاذا حـازَ مِـنْ ... خِـزْيٍ لِـوالِـدِهِ إذاً لَـمْ يَـعْـبَـثِ

(١) الصيمرة: بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان. (انظر معجم البلدان ٣/ ٤٣٩).

قال: فلقيه عثعث، فقال له: عليك لعنة الله، أيُّ شيء كان بيني وبينك حتى ضربْتَ بي المثل في خِسة الآباء، فضحك، وقال: لا شيء والله، اتفاق اسمك واسم ابنِ الأشعث في القافية. أولا ترضى أن أجعلَ أباك ـ وهو أسود ـ خيراً من آباء الأشعث بنِ قيس!

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ سهل القاري، وكان يلقب أرُزة قال: حدّثني دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيّ قال: كتبْتُ إلى أبي نَهْشَلِ بنِ حُمَيد الطوسيّ قوله: [الخفيف]

إنَّما العَيْشُ في مُنادمةِ الإخـ ـوانِ لا في الجُلوسِ عَنْدَ الكَعَابِ
وبِصِرْفٍ كأنَّها ألْسُنُ البَرْقِ إذا اسْتَعْرَضَتْ رَقيقَ السَّحابِ
إنْ تَكُونوا تَرَكْتُمُ لَذَّةَ العَيْـ ـشِ حِذارَ العِقابِ يَوْمَ العِقابِ
فَدَعُوني وما ألَذُّ وأهْوَى وادْفَعوا بي في صَدْرِ يَوْمِ الحِسابِ

[دعبل وعلي بن موسى الرضا عليه السلام]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابنُ مُهْرُويه قال: حدّثني موسى بنُ عيسى المَرْوَزِيّ ـ وكان منزله بالكوفة في رَحَبة طيّيء ـ قال: سمعْت دِعبِلَ بنَ عليّ وأنا صبي يتحدث في مسجد المَرْوَزية قال: دخلْتُ على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقال لي: أنشدني شيئاً مما أحدثت، فأنشدته: [الطويل]

مَدارِسُ آياتٍ خلَتْ مِنْ تلاوةٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي: [الطويل]

إذا وُتِروا مدّوا إلى واتِريهم أكُفّاً عَنِ الأوْتارِ مُنْقَبِضاتِ

قال: فبكى حتى أُغمي عليه، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه؛ أن اسكت، فسكتّ ساعة، ثم قال لي: أعِد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضاً، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرة الأولى، وأومأ الخادم إليّ: أن أسكت، فسكت، فمكث ساعة أُخرى ثم قال لي: أعد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها، فقال لي: أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمَرَ لي بعشرة آلاف درهم مما ضُرب باسمه، ولم تكن دُفعت إلى أحد بعدُ، وأمَر لي مَن في منزله بحَلْي كثير أخرجه إليَّ الخادم، فقدِمْتُ

العراق، فبِعت كل درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها مِني الشيعة، فحصل لي مائةُ ألف دِرهم، فكان أول مال اعتقدْتُه.

قال ابن مَهْرُويه وحدَّثني حُذَيفةُ بنُ محمد أن دِعبِلاً قال له: إنه استوهَب من الرِّضا عليه السلام ثوباً قد لبِسه ليجعله في أكفانه فخلع جُبة كانت عليه، فأعطاه إياها وبلغ أهلَ قمٍّ خبرُها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألفَ درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في طريقه، فأخذوها منه غصباً، وقالوا له: إن شئتَ أن تأخذ المال فافعل، والا فأنت أعلم. فقال لهم: إني والله لا أُعطيكم إياها طَوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام. فصالحوه على أن أعطَوه الثلاثين الألفَ الدرهم وفرْدَ كمٍّ من بطانتها فرضي بذلك.

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيدٍ قال: حدثنا حَمادُ بنُ إسحاق عن أبيه قال: بويع إبراهيمُ بنُ المهدي ببغدادَ، وقد قلّ المال عنده، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس، فاحتبس عنهم العطاء، فجعل إبراهيم يسوّفهم ولا يرَون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسولُه يوماً وقد اجتمعوا وضجُّوا فصرَّح لهم بأنه لا مال عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد: أخرجوا إلينا خليفتنا ليغَنّي لأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات، ولأهل هذا الجانبِ ثلاثَة أصوات، فتكونَ عطاءً لهم، فأنشدني دِعبِل بعد ذلك بأيام قوله: [الطويل]

يا مَعْشَرَ الأجْنادِ لا تَقْنَطوا ... وارْضَوْا بما كانَ ولا تَسْخَطوا
فَسَوْفَ تُعْطَوْنَ حُنَيْنِيّة ... يَلْتَذُّها الأمْرَدُ والأشْمَطُ[1]
والمَعْبَدِيَّاتُ لقوّادِكم ... لا تَدْخُلُ الكِيسَ ولا تُرْبَطُ
وهكذا يَرْزُقُ قوّادَهُ ... خَليفةٌ مُصْحَفُهُ البَرْبَطُ

وزادني فيها جعفر بن قدامة:

قَدْ خَتَمَ الصَّكَّ بِأرْزَاقِكُم ... وَصَحَّحَ العَزْمَ فلا تَسْخَطُوا
بَيْعَةُ إبْراهيمَ مَشْؤومةٌ ... يُقْتَلُ فيها الخَلْقُ أو يُقْحَطُ

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: حدّثني أبو عليٍّ يحيى

---

(١) الأشمط: الذي اختلط سواد شعره ببياض الشيب.

بنُ محمد بنِ ثَوابة الكاتبُ قال: حدّثني دِعبِل قال: كان لي صديق متخلّف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أنهاه عنه إذا أنشدني، فأنشدني يوماً:

إنَّ ذا الحُبَّ شَديدٌ ... لَيْسَ يُنْجِيهِ الفِرارُ
ونَجا مَنْ كانَ لا يَعْشَقُ مِنْ ذُلِّ المَخازي

فقلت له: هذا لا يجوز، البيت الأول على الراء، والبيت الثاني على الزاي. فقال: لا تَنقُطْه، فقلت له: فالأول مرفوع، والثاني مخفوض. فقال: أنا أقول له لا تَنقُطْه وهو يَشكُله.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال: حدّثنا محمدُ بنُ زكريا بنِ ميمونٍ الفَرْغانيّ قال: سمعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول في كلام جرى: لَيْسَك، فأنكرتُه عليه. فقال: دخل زيدُ الخيلِ على النبيﷺ فقال له: يا زيدُ ما وُصف لي رجل إلا رأيته دون وصفِه ليسك ـ يريد غيرَك.

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا عليُّ بنُ عبد الله بنِ سعدٍ قال: قال لي دِعبلٌ، وقد أنشدته قصيدةَ بكرِ بنِ خارجة في عيسى بنِ البَراء النصرانيّ الحربيّ: [الرجز]

زُنّارُه في خَصْرِهِ مَعْقُود ... كَأَنَّهُ مِنْ كَبِدي مَقْدود

فقال: والله ما أعلَمُني حسدْتُ أحداً على شعر كما حسدْتُ بَكراً على قوله: كأنه من كبدي مقدود.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال: سمعْتُ الجاحظ يقول: سمعْتُ دعبل بن عليٍّ يقول: مكثْت نحوَ ستين سنة ليس مِن يوم ذَرّ شارقُه إلا وأنا أقول فيه شعراً.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثني محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُويَه قال: حدّثني أبي قال: سمعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول: دخلْت على أبي الحارث جُمّيز ـ وقد فُلج ـ لأعوده، وكان صديقي، فقلت: ما هذا يا أبا الحارث؟ فقال: أخذْتُ من شَعري ودخلت الحمام، فغلِط بي الفالجُ، وظن أني قد احتجمْتُ. فقلت له: لو

تركْتَ خِفة الرُّوح والمُجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال.

[طلب المأمون من جلسائه أن ينشدوه شعره]

أخبرني الحسينُ بنُ القاسِم الكوكبيُّ قال: حدثنا أحمدُ بن صَدَقة قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عمرُو بنُ مَسْعدة قال: حضرْت أبا دُلَف عند المأمون، وقد قال له المأمون: أيَّ شيء تَروِي لأخي خُزاعة يا قاسم؟ فقال: وأيُّ أخي خُزاعةَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ومَن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أما مِنْ أنفُسِهم فأبو الشِّيص ودِعبل وابنُ أبي الشِّيص وداودُ بن أبي رَزِين، وأما مِن مواليهم فطاهرٌ وابنُه عبدُ الله. فقال: ومَن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دِعبل! هات أيَّ شيء عندك فيه. فقال: وأيَّ شيء أقول في رجل لم يَسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم، فقَرن إحسانهم بالإساءة، وبَذْلهم بالمنع، وجودَهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة! قال: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول في المطّلب بنِ عبد الله بنِ مالك، وهو أصدق الناس له، وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة، وولاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه: [البسيط]

اضْرِبْ ندَى طَلْحَةِ الطّلحاتِ مُتئِداً ... بِلَوْمِ مُطّلبٍ فينا وَكُنْ حَكَما
تَخْرُجْ خُزاعَةُ مِنْ لُؤمٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... فلا تُحِسُّ لها لُؤماً ولا كَرَما

قال: فقال المأمون: قاتَله الله! ما أغوصَه وألطفه وأدهاه! وجَعل يضحك، ثم دخل عبد الله بنُ طاهر، فقال له: أيَّ شيء تحفظ يا عبدَ الله لِدِعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتها ويحك، فأنشده عبدُ الله قولَ دعبل: [البسيط]

سَقياً ورَعياً لأيامِ الصَّباباتِ ... أَيّام أرفُل في أثْوابِ لَذّاتي
أيام غُصْني رَطيبٌ مِنْ لَيانتِهِ ... أَصْبُو إلى غَيْرِ جاراتٍ وكَنّاتِ
دعْ عَنْكَ ذِكْرَ زمانٍ فاتَ مَطْلَبُهُ ... واقذِفْ برِجلِكَ عَنْ مَتْنِ الجَهالاتِ
واقْصِدْ بِكُلِّ مَديحٍ أنتَ قائِلُهُ ... نَحْوَ الهُداةِ بني بَيْتِ الكراماتِ

فقال المأمون: إنه قد وَجد والله مقالاً فقال، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم، ثم قال المأمون: لقد أحسن في وصف سَفرٍ سافره، فطال ذلك

السفر عليه، فقال فيه: [الطويل]

أَلَمْ يَأْنِ لِلسَّفْرِ الَّذينَ تَحَمَّلوا ... إلى وَطَنٍ قَبْلَ المَماتِ رُجُوعُ![1]
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سوابقَ عَبْرَةٍ ... نَطَقْنَ بما ضُمَّتْ عليْهِ ضُلوعُ
تَبَيَّنْ فَكَمْ دارٍ تَفَرَّقَ شَمْلُها ... وَشَمْلٍ شَتِيتٍ عادَ وهو جَمِيعُ[2]
كذاك اللَّيالي صَرْفُهُنّ كما تَرَى ... لِكُلِّ أُناسٍ جَدْبَةٌ وَرَبِيعُ

ثم قال: ما سافرت قطّ إلا كانت هذه الأبيات نُصب عيني في سفري، وهِجِّيري[3] ومسلّيتي حتى أعود.

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدثني المبرِّد ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا: قال دِعبِل:

خرجتُ إلى الجبل هارباً من المعتصِم، فكنت أسير في بعض طريقي والمُكاري يسوق بي بغلاً تحتي، وقد أتعبني تعباً شديداً، فتغنّى المُكاري في قولي:

لا تَعْجَبي يا سلم مِنْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكى

فقلت له ـ وأنا أُريد أن أتقرّبَ إليه وأكفَّ ما يستعمله من الحثّ للبغل لئلا يتعبني ـ: تَعرِف لِمن هذا الشعر يا فتى؟ فقال: لِمن ناك أُمّه وغرِم درهمين، فما أدري أيّ أموره أعجب: من هذا الجوابِ أم من قلة الغُرْم على عِظم الجناية!

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمدُ بن الطيب السرْخَسيّ قال: حضرت مجلس محمدِ بنِ عليِّ بنِ طاهرٍ وحضرَتْه مغنّية يقال لها: شنين مشهورة، فغنّت: [الكامل]

لا تَعْجَبي يا سلم مِنْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكى

ثم غنّت بعده:

لَقَدْ عَجِبَتْ سَلْمى وذاكَ عَجِيبُ

فقلت لها: ما أكثر تعجبَ سلمى هذه! فعلمَت أني أعبث بها لأسمع جوابها،

(١) السَّفْر: الجماعة المسافرون.
(٢) جميع: مجتمع قوي شديد.
(٣) هجيري: دأبي، عادتي.

فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة: [الطويل]

فـهُـلـك الـفـتـى ألا يَـراحَ إلـى نَـدًى وألا يَرى شَيْئاً عَجِيباً فَيَعْجَبا[1]

فعجبْتُ والله من جوابها وحِدّته وسرعته، وقلت لمن حضر: والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الطويل]

لَقَدْ عَجِبَتْ سَلْمى وذاكَ عَجِيبُ رَأَتْ بـيَ شَـيْـبـاً عَـجَّـلَـتْـهُ خُـطـوبُ
ومـا شـيَّـبَـتْـنـي كَـبْـرَةٌ غَـيْـرَ أَنَّـنـي بِـدَهْـرٍ بِـهِ رَأْسُ الـفَـطِـيـمِ يَـشـيـبُ

الغناء ليحيى المكيِّ ثقيل أول بالوُسطى من كتاب ابنه أحمدَ.

حدّثني جعفرُ بنُ قدامةَ قال: حدّثني محمدُ المرتجلُ بنُ أحمدَ بن يحيى المكيُّ قال: كان أبي صديقاً لِدِعبِل، كثيرَ العِشرة له؛ حافظاً لِغَيبه، وكلّ شِعر يُغَنَّى فيه لِدِعبل فهو من صنعةِ أبي، وغناني من صنعة أبيه في شعر دِعبل، والطريقةُ فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر:

صوت

[الطويل]

سَرَى طَيْفُ لَيْلَى حِينَ آنَ هُبـوبُ وَقَـضَّـيْـتُ شَـوْقـاً حِـيـنَ كـادَ يَـذوبُ
فَـلَـمْ أرَ مَـطْـروقـاً يُـحَـلُّ بِـرَحْـلِـهِ ولا طـارِقـاً يَـقْـري الـمُـنـى ويُـثِـيـبُ

وأنشدني عمي هذين البيتين عن أحمدَ بنِ يحى بن أبي طاهرٍ وابنِ مَهْرُويه جميعاً لِدِعبل.

حدّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: سألتُ دعبلاً من الذي يقول:

مُـلـوكُ بـنـي الـعـبَّـاس فـي الـكُـتْـبِ سَـبْـعَـةٌ

(١) يراح: يرتاح.

فقال: مَن أضرم الله قبرَه ناراً، إبراهيم بنُ المهديّ. قال ابن أبي سعد: وحدثني عبدُ العزيز بنُ سهل أنه سأله عنها فاعترف بها.

حدّثني عمي قال: أنشدني ابنُ أخي دعبِل لعمه في طاهر بنِ الحسين، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه: [الرجز]

وذي يَمِينَيْنِ وَعَيْنٍ واحِدهْ   نُقْصانُ عَيْنٍ وَيَمِينٌ زائدهْ
نَزْرُ العَطياتِ قَليلُ الفائِدهْ   أَعَضَّهُ الله بِبَظْرِ الوالِدهْ

حدثني جحظة قال: حدّثني ميمونُ بنُ هارون قال: كان دعبل قد مدح دِينارَ بنَ عبد الله وأخاه يحيى، فلم يَرْضَ ما فعلاه، فقال يهجوهما: [البسيط]

ما زالَ عِصْيانُنا للَّهِ يُرذِلُنا   حَتَّى دُفِعْنا إلى يَحْيَى ودِينارِ
وَغْدَيْنِ عِلْجَيْنِ لَمْ تُقطَعْ ثِمارُهما   قَدْ طالَ ما سَجدا للشَّمْسِ والنَّارِ(١)

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دعبل يهجوهم، والحسنِ بنِ رجاء وأبيه أيضاً: [الطويل]

ألا فاشْتَروا مِنِّي مُلوكَ المخزمِ   أَبِعْ حَسناً وابنَي رجاءٍ بِدِرْهَمِ
وأُعطِ رجاء فَوْقَ ذاكَ زيادَةً   وأَسْمَحْ بِدِينارٍ بِغَيْرِ تَنَدُّمِ
فإنْ رُدّ مِنْ عَيْبٍ عَلَيّ جَمِيعُهم   فَلَيْسَ يَرُدُّ العَيْبَ يَحْيَى بنُ أَكْثَمِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرَوَيه قال: حدثني أبو الطيب الحرانيُّ قال: كان دعبل منحرفاً عن الطاهرية مع ميلهم إليه وأياديهم عنده، فأنشدني لنفسه فيهم: [الوافر]

وأَبْقَى طاهِرٌ فِينا ثَلاثاً   عجائِبَ تُسْتَخَفُّ لها الحلومُ
ثَلاثةَ أَعْبُدٍ لأَبٍ وَأُمٍّ   تُمَيِّزُ عَنْ ثلاثَتِهم أُرومُ
فَبَعْضٌ في قُرَيْشٍ مُنْتَماهُ   ولا غَيْرٌ وَمَجْهولٌ قَدِيمُ
وَبَعْضُهُم يَهشُّ لآلِ كِسْرى   وَيَزْعُمُ أَنَّهُ عِلْجٌ لَئِيمُ
فَقَدْ كَثُرَتْ مناسِبهم عَلَيْنا   وَكُلُّهم عَلَى حالٍ زَنِيمُ(٢)

---

(١) الوغد: الدنيء، الأحمق. والعلج: الكافر من العجم.
(٢) الزنيم: المستلحق فيمن ينتمي إليهم، ليس منهم ولا حاجة بهم إليه.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثني أبي قال:

كان صالحُ بن عطيةَ الأضجم من أبناء الدعوة وكان من أقبح الناس وَجهاً، وكان ينزل واسطاً، فقال فيه دعبل: [السريع]

أَحْسَنُ ما في صالِحٍ وَجْهُهُ ... فَقِسْ على الغائِبِ بالشّاهِدِ
تَأَمَّلَتْ عَيْنِي لَهُ خِلْقَةً ... تَدْعو إلى تَزْنِيَةِ الوالِدِ

قال وقال فيه أيضاً، وخاطب فيها المعتصم: [الكامل]

قُلْ للإمام إمامِ آلِ مُحَمَّدٍ ... قَوْلَ امْرِئٍ حَدِبٍ عليكَ مُحامِ
أَنْكَرْتُ أَنْ تفتر عَنْكَ صَنِيعةٌ ... في صالحِ بنِ عطيةَ الحَجَّامِ
لَيْسَ الصَّنائِعُ عِنْدَهُ بصنائِعٍ ... لَكِنَّهُنَّ طَوائِلُ الإسْلامِ
اضرِبْ بِهِ جَيْشَ العَدُوِّ فَوَجْهُهُ ... جَيْشٌ مِنَ الطّاعونِ والبِرسامِ[(١)]

[بينه وبين مسلم بن الوليد]

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ محمدٍ الوراقُ قال: حدّثني الحسينُ بن أبي السّريِّ قال: قال لي دعبل: ما زلتُ أقول الشعر وأعرضُه على مُسلِم، فيقول لي: أكتُم هذا حتى قلت: [الكامل]

أَيْنَ الشَّبابُ وَأَيَّةً سَلَكا ... لا، أَيْنَ يَطْلُبُ؟ ضَلَّ بَلْ هَلَكا

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئتَ لمن شئت.

قال إبراهيم: وحدّثني الفتح غلامُ أبي تمام الطّائيِّ، وكان أبو سعيد الثّغريّ اشتراه له بثلثمائةِ دينار ليُنشد شعره، وكان غلاماً أديباً فصيحاً، وكان إنشاد أبي تمام قبيحاً، فكان يُنشد شعره عنه، فقال: سألت مولاي أبا تمام عن نَسَب دِعبِل فقال: هو دِعبِل بنُ عليّ الذي يقول:

ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأسِهِ فَبَكَى

قال الفتح: وحدثني مولاي أبو تمام قال: ما زال دِعبِل مائلاً إلى مُسلِم بن الوليد مُقِرّاً بأستاذيته حتى وَرَد عليه جُرجان فجفاه مسلم، وكان فيه بخل، فهجره

(١) البرسام: التهاب الحجاب الحاجز. (لسان العرب مادة برسم).

دعبل وكتب إليه:

[الطويل]

أبـا مَـخْـلـدٍ كُـنَّـا عَـقِـيـدَيْ مَـوَدَّةٍ هَـوانَـا وقـلبانا جَـمِيعاً مَعاً مَعا[١]
أحُوطُكَ بـالغيبِ الّذِي أنتَ حائِطِي وأيْـجَـعُ إشـفـاقـاً لأنْ تَـتَـوَجَّـعـا
فَصَيَّرْتَني بعد انتكاسِكَ مُتْهِماً لِنَفْسِي، عليها أرْهَبُ الخَلْقَ أجْمَعا
غَشَشْتَ الهَوَى حتى تَداعَتْ أُصُولُهُ بنا وابْتَذَلْتَ الوَصْلَ حتى تَقَطَّعا
وأنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الجَوانِحِ وَالحَشا ذَخِيرَةَ وُدٍّ طالَما تَمَنَّعا
فلا تَعْذِلَنِّي ليسَ لي فيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقْتَ حَتَّى لَمْ أجِدْ لكَ مَرْقَعا
فَهَبْكَ يَمِيني اسْتَأكَلَتْ فَقَطَعْتُها وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَهُ مُتَشَجِّعا

ويُروى: وحملت قلبي فقدها. قال ثم تهاجرا، فما التقيا بعد ذلك.

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني إبراهيمُ بنُ محمد قال: حدثنا الحسينُ بنُ عليٍّ قال: قلت لابن الكلبي: إن دِعبلاً قُطَعِيٌّ[٢]، فلو أخبرتَ الناس أنه ليس من خُزاعة، فقال لي: يا فاعل، مِثلُ دِعبلٍ تنفيه خُزاعة! والله لو كان من غيرها لرغِبَت فيه حتى تدّعيه. دِعبل والله يا أخي خُزاعةُ كلها.

[بينه وبين المطلب بن عبد الله بن مالك]

أخبرني محمدُ بنُ المَرْزبان قال: حدّثني إبراهيمُ بن محمدٍ الوراقُ عن الحسين بن أبي السرِيّ عن عبد الله بن أبي الشِّيص قال: حدّثني دِعبل قال: حججْت أنا وأخي رَزين وأخذْنا كُتباً إلى المطَّلب بن عبد الله بنِ مالك وهو بمصر يتولاها، فصِرنا من مكة إلى مصر، فصحبنا رجل يُعرف بأحمدَ بن فلانٍ السراجِ، نَسِي عبد الله بنُ أبي الشِّيص اسم أبيه، فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خدمَتَنا كما يتولاها الرفَقاء والأتباع. ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً، ولم نعلم، وكتمنا نفسه، وقد عَلِم ما قصدنا له فعَرَضْنا عليه أن يقول في المطّلب قصيدة نَنحَله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا بذلك سروراً وتقبُّلاً له، فعملنا قصيدة، وقلنا له: تُنشدها المطلب فإنك تنتفع بها. فقال: نَعم. ووردْنا مصرَ بِه، فدخلْنا إلى المطّلب، وأوصلْنا إليه كتباً كانت معنا، وأنشدناه. فسُرَّ بموضِعنا، ووصفنا له

(١) العقيد: المعاقد، المعاهد.
(٢) القطعيّ: المنسوب إلى قطيعة، وهي بطن من زبيد ومن قيس عيلان.

أحمد السراجَ هذا، وذكرنا له أمره، فأذن له، فدخل عليه ونحن نظن أنه سيُنشد القصيدة التي نحلناه إياها، فلما مثَل بين يديه عدَل عنها وأنشده: [البسيط]

لـم آتِ مُـطَّـلِـبـاً إلا بِـمُـطّـلِـبِ وَهِـمَّـةٍ بَـلَـغَـتْ غـايَـةَ الـرُّتَـبِ
أفـردتُـهُ بـرجـاءٍ أنْ تُـشـارِكَـهُ فَيَّ الـوَسـائِلُ أو ألـقـاهُ فـي الـكُـتُـبِ

قال: وأشار إلى كتبي التي أوصلْتُها إليه وهي بين يديه، فكان ذلك أشدّ من كل شيء مر بي منه عليّ، ثم أنشده:

رَحَلْتُ عَنْسِي إلى البيتِ الحرامِ على ما كانَ من وَصَبٍ فيها ومن نَصَبِ[1]
ألـقـى بـهـا وبـوجـهـي كـلَّ هـاجِـرة تـكـاد تـقـدح بـيـن الجلد والـعَـصَـبِ
حتى إذا ما قَضَتْ نُسْكِي ثَنَيتُ لها عِطْفَ الـزّمـامِ فـأمَّتْ سَيِّدَ الـعَـرَبِ
فَيَمَّمَتْكَ وقـد ذابَتْ مـفـاصِـلُـهـا من طولِ ما تَعَبٍ لاقتْ ومن نَقَبِ[2]
إني اسْتَجَرْتُ بإستارينِ مُسْتَلِماً رُكنَينِ مُطَّلِباً والبَيْتَ ذا الحُجُبِ[3]
فَـذاكَ لـلآجـلِ الـمـأمُـولِ ألْـمَـسُـهُ وأنـتَ لـلـعـاجـل الـمَـرْجُـوِّ وَالـطَّـلَـبِ
هـذا ثـنـائـي وَهَـذِي مـصـرُ سـانِـحَـةً وأنـتَ أنـتَ وقـدَ نـاديـتُ مِـنْ كَـثَـبِ

قال: فصاح مطّلب: لبيك لبيك! ثم قام إليه فأخذه بيده، وأجلسه معه، وقال: يا غلمان، البِدَر، فأُحضِرت، ثم قال: الخِلَع، فنُشرت، ثم قال: الدواب، فقِيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينَه وأعيننا وصدورَنا وحسدناه عليه، وكان حسدُنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظُنا بكتمه إيانا نفسَه واحتياله علينا أكثرُ وأعظم، فخرج بما أمر له به، وخرجنا صِفْراً، فمكثنا أياماً، ثم ولّى دِعبلَ بن عليّ أُسوان، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه، فقال: [المتقارب]

تُـعَـلِّـقُ مِـصْـرُ بـكَ الـمـخـزيـاتِ وَتَـبْـصُـقُ فـي وَجْـهِـكَ الـمَـوْصِـلُ
وَعَـادَيْـتَ قَـوْمـاً فـمـا ضَـرَّهُـمْ وَشَـرَّفْـتَ قَـوْمـاً فـلـم يَـنْـبُـلـوا
شِـعـارُكَ عـنـدَ الـحـروبِ الـنَّـجـاءُ وصـاحِـبُـكَ الأخْـوَرُ الأفْـشَـلُ
فـأنْـتَ إذا مـا الْـتَـقَـوْا آخِـرٌ وأنْـتَ إذا انْـهَـزَمُـوا أوّلُ

---

(١) الوصب: المرض. والنصب: التعب.
(٢) النقب: الحفا.
(٣) استارين: مثنى إستار، وهو من العدد: أربعة.

وقال فيه: [البسيط]

اضرِبْ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلَحاتِ مُتَّئداً بِلُؤْم مُطَّلِبٍ فِينا وكُنْ حَكَما
تخرج خزاعة من لؤمٍ ومن كَرَمٍ فلا تَعدُّ لها لُؤماً ولا كَرَما

قال: وكانت القصيدة التي مدح بها دعبل المطلبَ قصيدته المشهورة التي يقول فيها: [المنسرح]

أبَعْدَ مِصْرٍ وَبَعْدَ مُطَّلِبٍ تَرْجُو الغِنَى إنَّ ذا من العَجَبِ
إن كاثَرُونا جئنا بأسْرَتِهِ أو واحَدُونا جئنا بِمُطَّلِبِ

قال وبلغ المطلبَ هجاؤه إياه بعد أن ولاه، فعزله عن أُسوان، فأنفذ إليه كتاب العَزل مع مولى له، وقال: انتظره حتى يصعدَ المنبر يومَ الجمعة، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه، وامنعه من الخطبة، وأنزلْه عن المِنبر: واصعد مكانه. فلما أن علا المِنبرَ وتنحنحَ ليخطب ناوله الكتاب، فقال له دِعبِل: دعني أخطب، فإذا نزلتُ قرأته. قال: لا، قد أمرني أن أمنعَك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً.

قال: فحدّثني عبد الله بن أبي الشِّيص قال: قال لي دعبل قال لي المطلب: ما تفكرت في قولك قط: [المنسرح]

إن كاثرونا جئنا بأسْرَتِهِ أو واحَدُونا جئنا بِمُطَّلِبِ

إلا كنتَ أحب الناس إليّ، ولا تفكرْت والله في قولك لي: [المتقارب]

وعاديْتَ قَوْماً فما ضَرَّهُمْ وَقَدَّمْتَ قَوْماً فلم يَنْبُلوا

إلا كنت أبغضَ الناس إلي.

قال ابنُ المَرْزبانِ: حدّثني مَن سأل الرّياشي عن قوله: إستارين، قال: يجوز على معنى إستار كذا، وإستار كذا. وأنشدنا الرياشي: [البسيط]

سعى عقالاً فلم يَتْرُكْ لنا سَبَدا فكيفَ لَوْ قَدْ سَعَى عمرو عِقالَيْنِ[1]
لأَصْبَحَ القومُ أوفاضاً فلم يَجِدُوا يومَ التَّرَحُّلِ والهَيْجا جِمالَيْنِ[2]

(١) سعى: باشر جباية الصدقات. والعقال: زكاة عام من الإبل والغنم.
(٢) الأوفاض: جمع وَفْض، وهو الفقير.

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال: حدّثني عبدُ العزيز بنُ سهل قال: لما قصد دِعبل عبد المطلب بنَ عبد الله بنِ مالك إلى مصر ولم يرضَ ما كان منه إليه قال فيه: [المتقارب]

أمُطَّلِبٌ أنتَ مستعذِبٌ حُمَيّا الأفاعِي وَمُسْتَقْبِلُ
فإنْ أشْفِ منكَ تَكُنْ سُبَّةً وإن أعْفُ عنكَ فما تَعْقِلُ
ستأتيكَ إما وردْتَ العِراقَ صحائفُ يأثِرُها دِعبلُ
مُنَمَّقَةٌ بينَ أثنائِها مَخازٍ تَحُطُّ فلا تَرْحَلُ
وضعْتَ رجالاً فما ضَرَّهُمْ وَشَرَّفْتَ قوماً فلم يَنْبُلوا
فأيُّهُمُ الزَّيْنُ وسْطَ المَلا عَطِيَّةُ أم صالِحُ الأحْوَلُ؟
أم الباذِجانِيّ أم عامرٌ أمِينُ الحَمَامِ الَّتي تَزْجُلُ
تُنَوِّطُ مصرُ بكَ المخزياتِ وَتَبْصُقُ في وَجْهِكَ المَوْصِلُ
ويومَ السَّراةِ تَحَسَّيْتَها يطيبُ لدى مثلِها الحَنْظَلُ
تَوَلَّيْتَ ركْضاً وفتيانُنا صُدُورُ القَنا فِيهُمُ تَعْمَلُ
إذا الحَرْبُ كنتَ أميراً لها فَحَظُّهُمُ منكَ أن يُقْتَلوا
فمِنكَ الرؤوسُ غداةَ اللِّقاءِ ومِمَّنْ يحارِبُكَ المُنْصُلُ
شِعارُكَ في الحَرْبِ يومَ الوغى إذا انْهَزَموا: عَجِّلوا عَجِّلوا
هزائِمُكَ الغُرُّ مَشْهُورَةٌ يُقَرْطِسُ فيهنَّ مَنْ يَنْضُلُ(١)
فأنتَ لأوَّلِهِمْ آخِرٌ وأنتَ لآخِرِهِمْ أوَّلُ

أخبرني عمِّي قال: أنشدنا المبرِّدُ لدِعبل يهجو المطّلبَ بنَ عبد الله ويُعيِّره بغلامَين عليٍّ وعمرٍو، وكان يُتّهم بهما: [المتقارب]

فأيْرُ عليٍّ له ألَّةٌ وفَقْحَةُ عَمْرٍو له رَبَّةْ(٢)
فَطوراً تصادِفُهُ جَعْبَةٌ وَطَوْراً تصادِفُهُ حَرْبَةْ

وأنشِدني ابنُ عمار عن أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ أبي شيخ لِدِعبل يمدح المطَّلب بنِ عبد الله بنِ مالك، وفيه غناء.

---

(١) يقرطس: يصيب الهدَف. وينضل: يرمي.
(٢) الألَّة: الحَرْبة. وربَّة: صاحبة.

صوت

[الكامل]

زَمِنِي بِمُطَّلِبٍ سُقِيتَ زمانا ما كُنتَ إلا رَوْضَةً وجِنانا
كُلُّ النَّدَى إلا نداكَ تَكَلُّفٌ لَمْ أرْضَ بعدكَ كائناً مَن كانا
أصْلَحْتَني بالبِرِّ بَلْ أفْسَدْتَني فَتَرَكْتَني أتَسَخَّطُ الإحْسانا

وقد أخبرني بخبره الأولِ الطويل مع المطلب الحسنُ بن عليٍّ عن أحمدَ بنِ محمد حدّان عن أحمدَ بنِ يحيى العدَوي أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويِّين كان قد تحرك بطنجة[1]، فكان يَبُث دعاته إلى مصر، وخافه المطلب، فوكَّل بالأبواب مَن يمنع الغرباء دخولها.

فلما جاء دِعبلُ مُنع فأغلظ لِلذي منعه، فقنّعه بالسوط وحبسه، فمضى رَزِين فأخبر المطلب، فأمر بإطلاقه، ودعا به فخلع عليه. فقال له: لا أرضى أو تقتلَ الموكَّل بالباب فقال له: هذا لا يمكن لأنه قائد من قُوّاد السلطان، فغضب ثم أنشده الرجل الأبيات المذكورة، فأجازه. وحَكى أن اسمه محمدُ بنُ الحجاج، لا أحمد بن السراج. وسائر الخبر مثلُه.

[بينه وبين أبي سعد المخزومي]

وكان سببَ مناقضته أبا سعد المخزوميّ وما خرج إليه الأمر بينهما قولُ دعبِل قصيدته التي هجا فيها قبائل نِزار، فحمِي لذلك أبو سعد، فهجاهم، فأجابه أبو سعد، ولجَّ الهجاء بينهما. ورُوي أنه نَزل بقوم من بني مخزوم، فلم يُضَيِّفوه، فهجاهم، فأجابه أبو سعد ولجّ الهجاء بينهما.

أخبرني عمي والحسنُ بنُ علي الخفّافُ قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدّثني محمدُ بنُ الأشعث قال: حدّثني دعبل أنه ورَزِيناً العَروضيَّ نزلا بقوم من بني مخزوم، فلم يَقْروهما، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دعبل: فقلت فيهم: [البسيط]

عِصابةٌ من بني مَخْزُومَ بِتُّ بِهِم بحيثُ لا تطمعُ المِسْحاةُ في الطِّين[2]

(١) طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء.
(٢) المسحاة: أداة كالمجرفة يقشر بها التراب والطين ويستعملها الفلاحون.

ثم قلت لرزين: أجز فقال: [البسيط]

في مَضْغِ أعراضِهِمْ من خُبْزِهِمْ عِوَضٌ بَنِي النفاقِ وأبناء الملاعِينِ

قال ابن الأشعث: فكان هذا أولَ الأسباب في مهاجاته لأبي سعد.

أخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفيُّ قال: حدّثني العَنَزيّ قال: حدّثني عليُّ بن عمرٍو الشيبانيُّ أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودِعبِل قصيدته القحطانية التي هجا فيها نَزَاراً، فأجابه عنها أبو سعد، ولجّ الهجاء بينهما.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم قال: حدّثني أحمد بنُ أبي كامل قال: كان سببَ وقوع الهجَاء بين دعبل وأبي سعد قولُ دعبل في قصيدة يفخر فيها بخُزاعة، ويهجو نِزاراً، وهي التي يقول فيها: [الهزج]

أتانا طالباً وَغْرا فأعْقَبْناهُ بالوَغْرِ
وتَرْناهُ فَلَمْ يَرْضَ فأعْقَبْناهُ بالوِتْرِ

فغضب أبو سعد، وقال قصيدته التي يقول فيها لدعبل، وهي مشهورة: [الهزج]

وبالكَرخِ هَوًى أبْقَى على الدَّهْرِ من الدَّهْرِ
هَوًى والحَمْدُ لله كفانِي كُلفَةَ العُذْرِ

قال: ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك.

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم بنُ مَهْرويه قال: حدثني أحمدُ بنُ هارونَ قال: دخلتُ على أبي سعدٍ المخزوميّ يوماً وهو يقول: وأي شيء ينفعني؟ أُجَوِّد الشعر فلا يُروى، ويُرذل فيُروَى، ويفضحني برديئه، ولا أفضحه بجيّدي، فقلْتُ: من تَعني يا أبا سعد؟ فقال: مَن تراني أعني إلا مَن عليه لعنةُ الله دِعبِلاً! فقلت فيه: [مجزوء الخفيف]

لَيْسَ لُبْسُ الطَّيالِسِ مِن لِباسِ الفوارسِ
لا ولا حَوْمَةُ الوَغَى كصُدورِ المَجالس
ضَرْبُ أوتارِ نَفْنَفٍ غَيْرُ ضَرْبِ القَوانِسِ(١)

(١) نفنف: غلام دعبل، وكان مغنياً. والقوانس: أعلى الخوذات، وهي لباس من حديد يضعه المحارب على رأسه ليقيه.

وظُهورِ الجيادِ غيـ ـرِ ظهورِ الطنافسِ
ليسَ مَن ضارَسَ الحُرو بَ كَمَنْ لمْ يُضارِسِ (١)
بأبي غَرْسُ فِتْيَةٍ مِن كرامِ المَغارِسِ
فِتيةٍ من بني المُغيـ ـرةِ شُمّ المعاطِسِ (٢)
يُطعِمونَ السَّديفَ في كُلّ شَهْباءَ دامِسِ (٣)
في جِفانٍ كأنَّها من جِفانِ العَرائِسِ
ثم يَمْشُونَ في السَّنّو رِ مَشْيَ العَنابِسِ (٤)
ويخوضونَ بالِّلوا ءِ دماءَ الأبالِسِ
نحنُ خَيْرُ الأنامِ عنـ ـدَ قياسِ المُقايِسِ

فوالله ما التفَت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر! وقال هو فيّ:

[مجزوء الخفيف]

يا أبا سَعْدِ قَوْصَرَهْ زانِيَ الأخْتِ والمَرَهْ (٥)
لو تَراهُ مُحَنَّباً خِلْتَهُ عَقْدَ قَنْطَرَهْ (٦)
أو تَرَى الأيْرَ في اسْتِهِ قلتَ ساقٌ بِمِقْطَرَهْ (٧)

قال: فوالله لقد رواه صبيان الكتاب ومارة الطريق والسِّفَل، فما أجتاز بموضع إلا سمعته من سِفْلة يَهْذِرُون به، فمنهم مَن يعرفني فيَعيبُني به، ومنهم من لا يعرفني، فأسمعه منه لسهولته على لسانه.

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمي قالوا: حدّثنا الحسنُ بن عُلَيل العَنَزيُّ قال: حدّثني عليُّ بن أبي عمرو الشيبانيُّ قال: جاءني إسماعيل بنُ إبراهيمَ بنِ ضَمْرة الخُزاعيُّ، فقال لي: إني سألت دِعبلاً أن

(١) ضارس الحروب: جربها.
(٢) شم المعاطس: شم الأنوف.
(٣) السديف: شحم السنام. والشهباء: السنة المجدبة لا خضرة فيها ولا مطر.
(٤) السنور: لبوس من قدّ كالدرع. وجملة السلاح. والعنابس: جمع عنبس وهو الأسد.
(٥) القوصرة: كناية عن المرأة.
(٦) المحنّب: المحني.
(٧) المقطرة: خشبة فيها خروق. سعة الخرق على قدر الساق يدخل فيها أرجل المحبوسين، وتسمى الفلق.

أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت: [الوافر]

أفيقي من مَلامك يا ظعينا كفاك اللومَ مرُّ الأربعينا

فقال لي إسماعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن فيها أخبار وغَريب، فليكن معك رجل يقرأها عليّ وأنت معه، فيكونَ أهونَ عليّ منك، فقلت له: لقد اخترْتُ صديقاً لي يقال له: عليّ، فقال: أمِن العرب هو؟ قلت: نعم. قال: مِنْ أيّ العرب؟ قلت: مِن بني شيبانَ. قال: شيبانُ كندة؟ فقلت: بل شيبانُ ربيعة. فقال لي: ويحك! أتأتيني برجل أُسمعه ما يكره في قومه؟ فقلت له: إنه رجل يَحتمل، ويحب أن يسمع ما له وعليه. فقال: في مثل هذا رغبة، فأتني به، فصِرنا إليه، فلما لقيه قال: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررتُ به؛ أن كنت رجلاً من العرب تُحب أن تَسمع ما لك وعليك لكيلا تَغبِن، فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله: [الوافر]

مِنَ أي ثَنيّة طلعَت قريش وكانوا معشراً متنبّطينا

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي، ثم قال: لعنه الله وانتَقَم منه ـ يعني أبا سعد المخزوميّ ـ دَسّه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجَرَد البيت بحدها ثم قال لنا: أُحدثكم عنه بحديث طَريف:

جاءني يوماً ببغدادَ أشدَّ ما كان بيني وبينه من الهجاء، وبين يدَيّ صحيفة ودواة، وأنا أهجوه فيها، إذ دخل عليّ غلام لي فقال: أبو سعد المخزومي بالباب. فقلتُ له: كذبْت. فقال ـ وهو عارف بأبي سعد ـ بلى والله يا مولاي، فأمرته برفع الدواةِ والجلدِ الذي كان بين يدَي، وأذِنت له في الدخول، وجعلْتُ أحمَد الله في نفسي، فأقول: الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هَتْك الأعراض وذِكرِ القبيح، وكان الابتداء منه. فقمْت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور، فأبديتُ له مثلَ ذلك من السرور به، ثم قلت: أصبحتُ والله حاسداً لك. قال: على ماذا يا أبا علي؟ فقلت: بسَبْقك إياي إلى الفضل. فقال لي: أنا اليوم في دعوى عندك، فقلت: قل ما أحببتَ. فقال: إن كان عندك ما نأكله، وإلا ففي منزلي شيء مُعَدّ. فسألت الغلمان فقالوا: عندنا قِدْر أُمْسيّة. فقال: غايةٌ واتفاق جيّد. فهل عندك شيء نشرَبُه، وإلا وجهت إلى منزلي ففيه شراب مُعَد؟ فقلت له: عندنا ما نَشرب، فطَرح ثيابه ورَدّ دابته، وقال: أُحب ألا يكون معنا غيرُنا، فتغدينا وشرِبنا، فلما أن

أخذ الشراب منا قال: مُرْ غلامَيك يغنياني، فأمرت الغلامَين فغنياه، فطرب وفرح، واستحسن الغناء حتى سرّني وأطربني معه، ثم قال: حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرَهما بأن يغنياني في هجائك لي - وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه مني في هجائي قد حفِظا منه أشياء ولحْناها - فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد قد طَفِئت النائرة[1]، وذهبت العداوة بيننا، وانقطع الشر. فما حاجتك إلى هذا؟ فقال لي: سألتك بالله إلا فعلْت، فليس يَشُق ذلك عليّ. ولو كرهتُه لما سألته. فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن عليّ؟ يا غلمان، غنّوه بما يريد، فقال غنّوني:

[مجزوء الخفيف]

يـــا أبـــا ســـعـــدٍ قَـــوْصَـــرَهْ زانِـــيَ الأخْـــتِ وَالـــمَـــرَهْ

فغنَّوه، وهو يحرك رأسه وكتفيه، ويطرب ويصفق، فما زلنا يومنا مسرورَين. فلما ثَمِل ودّعني وقام فانصرف، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بِقطعةِ قرطاس، وقال: دفعها إليّ أبو سعد المخزوميّ، وأمرني أن أدفعها إليك. قال: فقرأتها، فإذا فيها: [المنسرح]

لِـدِعْـبِـلٍ مِـنّـةٌ يَـمُـنُّ بـهـا فـلـسـتُ حتـى الـمـماتِ أنسـاهَـا
أدْخَـلَـنـا بـيـتـهُ فـأكْـرَمَـنـا ودَسَّ بـامْـرَأتِـهِ فَـنِـكْـنـاهـا

فقال: ويْلي على ابن الفاعلة، هاتوا جِلداً ودَواة، قال فرَدُّوهما عليَّ، فعدتُ إلى هجائه، ولقِيته بعد يومين أو ثلاثة، فما سلَّم عليّ، ولا سلمت عليه.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدَّثنا عليّ بن عبد الله بن سعد، أنه سمع دِعبِلا يحدث بخبره هذا مع أبي سعد، فذكر نحو ما ذكره العَنَزيّ. أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم قال: حدّثني أحمدُ بنُ أبي كامل قال: رأيت دِعبِلاً قد لَقِيَ أبا سعد في الرُّصافَة، وعليهما السّواد وسيفاهما على أكتافهما، فشدّ دِعبِل على أبي سعد فقنّعه، فركض أبو سعد بين يديه هارباً، وركض دِعبِل في أثره وهو يهرُب منه حتى غاب. قال: وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون، فتظلموا منه إلى المأمون، وذكروا أنهم لا

---

(١) النائرة: الشحناء.

يعرفون له فيهم نسباً، فأمرهم المأمون بنفيه، فانتفوا منه، وكتبوا بذلك كتاباً. فقال دِعبل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة: [مجزوء الرمل]

غـيـرَ أن الـصِّـيـدَ مـنـهـمْ قَـنَّـعـوه بِـخَـزايَـةْ
كَـتَـبُـوا الـصَّـكَّ عـلـيـهِ فَـهْـوَ بـيـنَ الـنّـاسِ آيَـةْ
فـإذا أقْـبَـلَ يـومـاً قـيـلَ قـد جـاءَ الـنُّـفَـايَـةْ

وقال فيه أيضاً:

هـمُ كتبوا الصَّكَّ الذي قد علمْتَهُ عليكَ وشنُّوا فوقَ هامَتِكَ القفدا

قال: وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبهِ قال: أنا عبدٌ ابنُ عبد. قال: ونظر دِعبل فرأى على أبي سعد قَباء[١] مَرْوِيّاً[٢] مصبوغاً بسواد، فقال: هذا دعيّ على دعيّ.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويه قال: حدّثني أحمدُ بنُ مروانَ مولى الهادي قال: لقِيني أبو سعد المخزوميُّ على ظهر الطريق فقال لي: يا أحمد أنا أدرس شِكايتك إلى أبيك، قال فقلت: ولِمَ أبقاك الله؟ قال: فما فعل دفتر البَزاريات[٣]؟ قلتُ: هو ذا أجيئك به. فلما صلّيتُ الظهر جئت بالدفتر أريده، فمررْتُ بدعبل فدققتُ بابه، فسمعته يقول لجارية له: يا دراهم، انظري من بالباب. فقالت له: أحمدُ بنُ مروان. فقال: افتحي له، فلما دخلْتُ قلت له: أيشٍ هو دراهم من الأسماء؟ قال: سميتم جواريكم دنانير، فسمينا جوارينا بدراهم. ثم قال: ما هذا معك؟ قلت: دفترٌ فيه شِعر أبي سعد في البزاريات، فأخذه فنظر فيه وابنهُ عليُّ بنُ دعبل بن عليٍّ معه، فلما بلغ من نظره إلى شِعره الذي يقول فيه: [السريع]

مـالَـتْ إلـى قـلـبِـكَ أحْـزانُـهُ فَـهْـوَ مُـجِـمُّ الـهَـمِّ خـزّانُـهْ

قال له ابنه علي: فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره:

عـادت إلـى قـلـبـكَ أحـزانُـهُ؟

(١) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب.
(٢) المرويّ: المنسوب إلى مرو.
(٣) البزاريات: لعلها منسوبة إلى بزار، وهي بلدة على بعد فرسخين من نيسابور.

فقال دِعبِل: صدقْتَ واللهِ يا بنيّ، أنت والله أشعر منه، قال: ثم إنه أملى عليَّ دِعبل إملاء: [البسيط]

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الدهرَ يمْهِلُني ... حَتَّى أرى أحَداً يهجوه لا أحَدُ
إنِّي لأعْجَبُ مِمَّنْ في حَقِيبَتِهِ ... من المَنِيِّ بُخُورٌ كيفَ لا يَلِدُ؟
فإنْ سِمعْتُ بِهِ بِعْتُ القَنا عَبَثاً ... فقد أرادَ قَناً لَيْسَتْ له عُقَدُ

ثم صِرْت إلى أبي سعد، فلما رآني من بعيد قال: يا أحمد، من أين أقبلت؟ قلت: من عند دعبل. قال: وما دعبَلْت عنده؟ فأنشدته شِعر دِعبِل فيه، وأخبرْتُه بما قال ابنه في شعره، فقال: صدق والله، في أي سن هو؟ قلت: قد بلَغ. فدعا بدواة وقرطاس وقال: اكتب فكتبت: [البسيط]

لا والَّذي خلقَ الصَّهباءَ من ذَهَبٍ ... والماءَ من فِضَّةٍ لا سادَ مَن بَخِلا
يقولُ لي دعبلٌ في بَطْنِه حَبَلٌ ... ولو أصابَتْ ثيابي دعبل حَبِلا
وَدِعْبِلٌ رَجُلٌ ما شئتَ من رجلٍ ... لو كانَ أسفلُهُ من خلقِه رجُلا

قال: ثم هجاني أبو سعد، فقال: [الوافر]

عَدُوٌّ راحَ في ثَوْبَيْ صَدِيقِ ... شريك في الصَبوحِ وفي الغَبوقِ
له وجهانِ ظاهِرُهُ ابنُ عَمٍّ ... وباطِنُهُ ابنُ زانيةٍ عَتِيقِ
يَسُرُّك مُعْلِناً ويَسُوءُ سِرّاً ... كذاكَ يكونُ أبناءُ الطَّريقِ

أخبرني عمي والحسنُ بن عليٍّ قالا: حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال: حدّثنا أبو ناجيه ـ شيخٌ من ولد زُهَيرِ بن أبي سُلمى ـ قال: حضرْتُ بني مخزوم وهم ببغدادَ، وقد اجتمعوا على أبي سعد لمّا لجّ الهجاء بينه وبين دِعبِل، وقد خافوا لسان دعبل، وأن يقطعَهم ويهجوَهم هجاءً يعُمّهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً، وأشهدوا أنه ليس منهم. فحدّثني غيرُ واحد أنه أتى حينئذٍ بخاتمه النقاشَ، فنقَش عليه: أبو سعدِ العبدُ ابنُ العبد بَرِيء من بني مخزوم، تَهاوُناً بما فعلوه.

أخبرني علي بنُ سليمان الأخفشُ قال: حدّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال: كان أبو سعد المخزوميُّ قد كان يستعلي على دعبل في أول أمره، وكان يدخل إلى المأمون فيُنشده هجاء دعبل له وللخلفاء، ويحرّضه عليه وينشده جوابه، فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه. وكان يقول: الحقّ في يدك والباطل في يد غيرك، والقول لك

ممكن، فقل ما يكذبه، فأما القتل فإني لسْتُ أستعمله فيمن عظُم ذنبه، أفأستعمله في شاعر! فاعترض بينهما ابن أبي الشيص، فقال يهجو أبا سعد: [مجزوء الرمل]

أنــا بَــشَّــرْتُ أبــا ســعــــ ـدِ فــأعــطــانــي الــبــشــارَهْ
بــأبٍ صِــيــدَ لــه بــالــ ـأمــسِ فــي دارِ الإمــارهْ
فَــهْــو يــومــاً مــن تــمــيــمٍ وهــو يــومــاً مــن فَــزارهْ
كــلَّ يــوم لأبــي ســعــ ـدِ عــلــى الأنــســابِ غــارَهْ
خَــزَمَــتْ مَــخــزومُ فــاه فــادعــاهــا بــالإشــارهْ

قال: وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً: [الهزج]

أبــا ســعــدٍ بــحــقِّ الــخــمــ ـس والــمــفــروضِ مــن صَــوْمِــكْ
أقُــلْــتَ الــحَــقَّ فــي الــنــســبــ ـةِ أم تَــحْــلُــمُ فــي نَــوْمِــكْ؟
أبِــنْ لــي أيّــهــا الــمَــعْــرو رُ مِــمّــن أنــتَ فــي قــومِــكْ؟[1]
فَــوَلّــى قــائــلاً لــو شــئْــ ـتَ قــد أقْــصَــرْتَ مــن لَــوْمِــكْ
وَدَعْــنِــي أكُ مــن شــئْــتُ إذا لَــمْ أكُ مــن قَــوْمِــكْ

وقال فيه دعبل: [السريع]

إن أبــا ســعــدٍ فَــتًــى شــاعــرٌ يُــعــرَفُ بــالــكُــنــيــةِ لا الــوالــدِ
يَــنْــشُــدُ فــي حَــيّ مَــعَــدٍّ أبــاً ضَــلَّ عــن الــمــنــشــودِ والــنــاشِــدِ
فــرحــمــة الله عــلــى مُــســلــمٍ أرشــدَ مَــفْــقُــوداً إلــى فــاقــدِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا ابنُ مَهرُوَيه قال: حدّثني أحمدُ بن عثمان الطبريُّ قال: سمعْتُ دِعبل بنَ عليّ يقول: لما هاجيت أبا سعد أخذت معي جَوْزاً ودعَوت الصبي

ان فأعطيتهم منه، وقلت لهم: صِيحوا به قائلين: [مجزوء الخفيف]

يــا أبــا سَــعْــدٍ قَــوْصَــرَهْ زانِــيَ الأخــتِ والــمَــرَهْ

فصاحوا به، فغلبْتُه.

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني ابن مَهْرُوَيه، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ

(١) المعرور: الأجرب.

مروانَ قال: حدَّثني أبو سعد المخزوميُّ واسمه عيسى بنُ خالد بنِ الوليد قال: أنشدْتُ المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله: [الكامل]

وَيَسُومُني المأمون خطةَ عاجِزٍ ... أوَ ما رأى بالأمْسِ رأسَ مُحَمَّدِ!

وأول قصيدتي: [الكامل]

أخَذَ المشيبُ من الشبابِ الأغْيَدِ ... والنائبات من الأنامِ بِمَرْصَدِ

ثم قلت له: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أجيئك برأسه. قال: لا، هذا رجل فخَر علينا فافخر عليه كما فخر علينا، فأمَّا قتله بلا حجة فلا.

أخبرني عَمِّي والحسنُ بنُ عليٍّ عن أحمدَ بن أبي طاهر قال: حدّثني أبو السّريّ عمرٌو الشيبانيُّ قال: نظر دِعبِل يوماً في المرآة، فجعل يضحك، وكانت في عَنْفَقَته[1] سَلْعة[2]، فقلتُ له: مِن أيّ شيء تضحك؟ قال: نظرت إلى وجهي في المرآة، ورأيت هذه السَّلْعَةَ التي في عَنْفَقَتِي، فذكرْت قول الفاجر أبي سعد:

[المتقارب]

وسَلْعَةِ سَوْءٍ بهِ سَلْعَةٌ ... ظَلمتُ أباه فلم ينتصرْ

أخبرني محمدُ بن عمرانَ الصيرفيُّ قال: حدّثنا الحَسَن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ قال: قال عبدُ الله بنُ الحسن بنِ أحمدَ مولى عمرَ بنِ عبد العزيز قال: حدّثنا محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ قال: لقِيت دِعبِل بنَ عليّ، فحدّثني أن أبا عمرو الشيبانيَّ سأله: ما هو دعبل؟ فقلت له: لا أدري، فقال: إنها الناقة المسنّة. قال محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ: ثم تحدثنا ساعة، فقلتُ: أما ترى لأبي سعد يا أبا عليّ وانهماكه في هجائك؟ فقال دِعبِل: لكني لم أقُل فيه إلا أبْياتاً سخيفة يلعب بها الصبيانُ والإماء، وأنشدني قوله فيه: [مجزوء الخفيف]

يا أبا سَعْدٍ قَوْصَرَهْ ... زانيَ الأختِ والمَرَهْ
لو تراهُ مُحَنَّباً ... خلتهُ عقدَ قنطرهْ
أو ترى الأيْرَ في استهِ ... قُلْتَ ساقٌ بِمِقْطَرَهْ

قال محمد، فقلت لِدِعبل: دع عنك ذا، فقد والله أوجعك الرجل، فإن أجبته

(١) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٢) السلعة: زيادة في البدن كالغدة.

بجواب مثله انتصفتَ، وإلا فإن هذا اللغو الذي فَخرْتَ به يَسقط وتُفْضَح آخرَ الدّهر، قال: ثم أنشدته قول أبي سعد فيه: [البسيط]

لم يبقَ لي لَذَّةٌ من طِيَّةٍ بَدَدِ ... ولا المنازلِ من خَيْفٍ ولا سَنَدِ[1]
أبَعْدَ خمسينَ عادت جاهليتُهُ ... يا ليتَ ما عادَ منها اليومَ لم يَعُد
وما تُريدُ عيونُ العِينِ من رَجُلٍ ... كَرَّ الجديدانِ في أيّامِهِ الجُدُدِ[2]
أبدى سرائرَهُ وَجْداً بغانيةٍ ... ولو أطاعَ مَشيبِ الرأسِ لم يَجِدِ
واستمطرتْ عبراتِ العَيْنِ منزلةٌ ... لم يَبْقَ منها سِوَى الآرِيِّ والوَتِدِ[3]
وما بكاؤكَ داراً لا أنيسَ بها ... إلا الخَواضِبُ من خيطانها الرُّبُدِ[4]
لِدعْبِلٍ وطَرٌ في كُلِّ فاحِشَةٍ ... لَوْ بادَ لؤمُ بني قحطانَ لم يَبِدِ
وَلِي قوافٍ إذا أنْزَلْتُها بَلَداً ... طارتْ بهنَّ شياطِيني إلى بلَدِ
لم يَنجُ من خيرِها أو شَرِّها أحَدٌ ... فاحْذَرْ شآبِيبَها إنْ كُنْتَ مِن أحَدِ[5]
إنّ الطِّرِمَّاحَ نالَتْهُ صَواعِقُها ... في ظلمةِ القبرِ بينَ الهامِ والصُّرَدِ[6]
وأنتَ أوْلَى بها إذْ كنتَ وارِثَهُ ... فابْعُدْ وَجَهْدُكَ أنْ تَنْجُو على البُعُدِ
تَهْجُو نِزاراً وتَرْعَى في أرومتِها ... وَتَنْتَمي في أناسٍ حاكَةِ البُرُدِ
إنّي إذا رجُلٌ دَبَّتْ عقارِبُهُ ... سَقَيْتُهُ سمَّ حَيّاتِي فلم يَعُدِ
زِدني أزدك هواناً أنتَ مَوْضِعُهُ ... ومَن يزيدُ إذا ما نحنُ لم نَزِدِ؟
لو كُنْتَ مُتَّئِداً فيما تُلَفِّقُهُ ... لكان حَظُّكَ منهُ حَظَّ مُتَّئِدِ
أو كنتَ مُعْتَمِداً منهُ على ثقةٍ ... من المكارمِ قلنا: طَوْل مُعْتَمِدِ[7]
لَقَدْ تَقَلَّدْتَ أمراً لستَ نائلَهُ ... بلا وَلِيٍّ ولا مَولًى ولا عَضُدِ
وقد رَمَيْتَ بياضَ الشَّمْسِ تَحْسَبُهُ ... بياضَ بَطْنِكَ من لُؤمٍ وَمِنْ نَكَدِ

---

(١) الطيّة: الحاجة والوطر. والبدد: المتباعدة. والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى. والسند: اسم ماء لبني سعد.
(٢) الجديدان: الليل والنهار.
(٣) الآري: عود في الحائط. أو في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرف كالحلقة تشدّ فيها الدابّة.
(٤) الخواضب: جمع خاضب وهو ذكر النعام.
(٥) الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو حدّ كل شيء وشدّة دفعه.
(٦) الهام: من طيور الليل وهو البوم واحدته بومة. والصُّرَد: طائر ضخم الرأس يصطاد العصافير.
(٧) الطَّوْل: القوة والمقدرة والسعة.

لا تُوعِدَنّي بقومٍ أنت ناصِرُهُمْ واقْعُدْ فإنَّكَ نَوْمانٌ من القَعَدِ(١)
لله معتصمٌ بالله، طاعَتُهُ قَضِيَّةٌ من قضايا الواحِدِ الصَّمَدِ

قال، فلما أنشدتها دعبلاً قال: أنا أشتُمه وهو يشتُمني، فما إدخال المعتصم بيننا؟ وشق ذلك عليه وخافه، ثم قال نقيض هذه القصيدة:

منازلُ الحَيِّ من غُمدانَ فالنَّضَدِ(٢)

وهي طويلة مشهورة في شعره. هكذا قال العَنَزيّ في الخبر، ولم يأت بها.

حدّثنا محمدٌ قال: حدّثنا العَنَزيّ قال: حدّثني عبدُ الله بنُ الحسين عن محمدِ بن عليٍّ الطالبيِّ قال: عَبَر دِعبِل الجَسر ببغداد، وأبو سعد واقف على دابته عند الجَسر، وعليه ثوبُ صوفٍ مشبَّه بالخز مصبوغ، فضرب دِعبِل بيده عَلَى فخذه، وقال: دَعِيٌّ عَلَى دَعِيّ(٣).

[بين ابن طاهر والضَّبِّيّ]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدَلانيُّ صهر المبرِّد قال: حَدَّثني محمدُ بنُ موسى الضبيُّ راوية العَتَّابيّ، وكان نديماً لعبد الله بن طاهر قال: بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهلِه وشعراء الجاهليةِ والإسلام إذ بلغ إلى ذِكر المحدَثين حتى انتهى إلى ذِكر دِعبِل، فقال: ويحك يا ضَبّيّ!، إني أُريد أن أحدثك بشيء عَلَى أن تستره طول حياتي، فقلت له: أصلحك الله أنا عندك في موضع ظِنة؟ قال: لا، ولكن أطيَبُ لنفسي أن تُوثّق لي الأيمان لأركن إليها، ويسكنَ قلبي عندها، فأُحدّثك حينئذٍ.

قال: قلت: إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إليّ، واستعفيته مراراً فلم يُعفني، فاستحييت من مراجعته، وقلت: فليرَ الأمير رأيه. فقال لي: يا ضبّيّ، قل: والله. قلت: واللّه. فأمّرها عليّ غَموساً موكّدة بالبَيعة والطلاق وكلّ ما يَحلف به مسلم. ثم قال: أشَعرتَ أنّ دعبلا مدخول النسب؟ وأمسك، فقلت: أعز الله الأمير، أفي هذا أخذْتَ العهود والمواثيق ومغلّظ

(١) النومان: الكثير النوم.
(٢) غمدَان: قصر مشهور باليمن هدم في زمن عثمان.
(٣) الدعيّ: المشكوك في نسبه.

الأيمان؟ قال: إي واللّه، فقلت: ولم؟ قال: لأني رجل لي في نفسي حاجة، ودِعبل رجل قد حَمل نفسه عَلَى المهالك، وحمَل جذعه عَلَى عنقه، فليس يجد من يصلبه عليه، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عَلَيّ عاره عَلَى الدهر، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمَته اليمنُ ـ وما أراها تفعل؛ لأنه اليوم لسانُها وشاعرها والذابُّ[1] عنها والمحامي لها والمرامِي دونها ـ فأضربه مائة سوط، وأُثقِله حديداً، وأُصيّره في مُطْبِق[2] باب الشام. وليس في ذلك عِوض مما سار فيّ من الهجاء وفي عِقبي من بعدي. فقلت: ما أراه يفعل ويُقدِم عليك. فقال لي: يا عاجز، أهوَنُ عليه مما لم يكن. أتراه أقدَم عَلَى الرشيد والأمين والمأمون وعَلَى أبي ولا يقدم عليّ؟ فقلت: فإذا كان الأمر كذا فقد وُفق الأمير فيما أخذه عَلَيّ.

قال: وكان دِعبل صديقاً لي، فقلت: هذا شيء قد عرفتَه، فمن أين؟ قال الأمير: إنّه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة، لا يتقدمهم غير بني أُهبانَ مكلّمِ الذئب. فقال: أسمع أنه كان أيامَ ترعرع خاملاً لا يُؤبه له، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد، لا يملكان غيره. ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أمرد يخدمه، ودعبل حينئذ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال: [الكامل]

لا تعجبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فَبَكى

وغنّى فيه بعض المغنين وشاع، فغُنّي به بين يدي الرشيد، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكي، فطرب الرشيد، وسأل عن قائل الشعر، فقيل له: دِعبِل بن عليٍّ، وهو غلام نشأ من خزاعة. فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلْعة من ثيابه، فأُحضر ذلك، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته، وقال له: اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دِعبِل بنِ عَليٍّ، فإذا دُللتَ عليه فأعطه هذا، وقل له: لِيحضرْ إن شاء، وإن لم يُحب ذلك فدعه. وأمر للمغني بجائزة، فسار الغلام إلى دِعبِل، وأعطاه الجائزة، وأشار عليه بالمسير إليه. فلما دخل عليه وسلّم أمره بالجلوس فجلس، واستنشده الشعر فأنشده إياه، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنيّاً، فكان أولَ من حرضه على قول الشعر، فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله، من العَطاء السنيِّ، والغِنى بعد الفقرِ، والرفعةِ بعد الخمولِ

(١) ذبّ: ذاد، دافع.
(٢) المطبق: السجن تحت الأرض.

بأقبح مكافأة. وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت ﷺ، وهجا الرشيد: [البسيط]

وليسَ حَيٌّ من الأحياءِ نَعْلَمُهُ ... من ذي يَمانٍ ومن بَكرٍ ومن مُضَرِ
إلا وَهُمْ شركاءُ في دِمائِهِمُ ... كما تَشارَكَ أيسارٌ عَلَى جُزُرِ[1]
قَتْلٌ وأسْرٌ وتحريقٌ ومَنْهَبَةٌ ... فعل الغُزاةِ بأرْضِ الرُّومِ والخَزَرِ
أرى أُمَيَّةَ مَعْذورينَ إنْ قَتَلُوا ... ولا أرى لِبَنِي العبّاسِ من عُذُرِ
أرْبَعْ بطُوسٍ عَلَى القَبْرِ الزَّكِيِّ إذا ... ما كنتَ تَرْبَعُ من دينٍ عَلَى وطَرِ[2]
قبرانِ في طُوسَ خَيْرُ النّاسِ كُلِّهِمُ ... وَقَبْرُ شَرِّهِمُ هذا من العِبَرِ
ما ينفعُ الرِّجْسَ من قُربِ الزَّكِيِّ ولا ... عَلَى الزَّكِيِّ بِقُرْبِ الرِّجْسِ مِن ضَرَرِ
هيهاتَ كلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بما كَسَبَتْ ... لَهُ يَداهُ فَخُذْ ما شئتَ أوْ فَذَرِ

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا ﷺ، فهذه واحدة. وأما الثانية فإن المأمون لم يَزَل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله: [الكامل]

عِلْمٌ وتحكيمٌ وشَيْبُ مَفارِقِ ... طَمَّسْنَ رَيعانَ الشَّبابِ الرَّائِقِ
وإمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ ... كانتْ على اللذاتِ أشْغَبَ عائِقِ
أنّى يكونُ وليسَ ذاك بكائنٍ ... يَرِثُ الخلافَةَ فاسِقٌ عن فاسِقِ
إن كان إبراهيم مضطلعاً بها ... فَلَتَصْلُحَنْ منْ بَعْدِهِ لِمُخارِقِ

فلما قرأها المأمون ضحك، وقال: قد صَفحْتُ عن كلِّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ في الخلافة، وولاه عهدَه.

وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان، ويحمِل إليه مالاً. وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل. فكتب إلي أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه، وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون ففَعل. فلما دخل وسلَّم عليه تبسم في وجهه، ثم قال: أنشدني:

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ ... ومنزلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ

فجزع، فقال له: لك الأمان فلا تخف، وقد رَوَيتُها ولكني أُحبُّ سماعها من فيك. فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضَل لِحيته بدمعِه، فوالله ما

---

(١) الأيسار: المجتمعون على الميسر.
(٢) طوس: مدينة بخراسان (معجم البلدان ٤/٤٩).

شعرْنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأُنسه به حتى كان أولَ داخل، وآخر خارج من عنده.

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال: حَدَّثني أبو بكرٍ العامريُّ، قال: استَدعى بعضُ بني هاشمٍ دِعبل وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام، فقصده إليها، فلم يقع منه بحيثُ ظن وجفاه، فكتب إليه دعبل: [الكامل]

دَلَّـيْـتَـنـي بـغُـرورِ وَعْـدِكَ فـي ... مُـتَـلاطِـمٍ مـن حَـوْمَـةِ الـغَـرَقِ
حـتـى إذا شَـمِـتَ الـعَـدُوُّ وقـد ... شُـهِـرَ انْـتِـقـاضُـكَ شُـهْـرَةَ الـبَـلَـقِ
أنـشـأتَ تـحـلـفُ أنّ وُدَّكَ لـي ... صـافٍ وَحَـبْـلَـكَ غَـيْـرُ مُـنْـحَـذِقِ(١)
وحـسـبـتَـنـي فَـقْـعـاً بِـقَـرْقَـرة ... فـوطـئـتَـني وَطـئـاً عـلـى حَـنَـقِ(٢)
ونـصـبـتَـني عَـلـمـاً عـلـى غَـرَضٍ ... تَـرْمِـيـنِـيَ الأعـداءُ بـالـحَـدَقِ
وَظَـنَـنْـتَ أرضَ الـلَّـهِ ضـيِّـقَـةً ... عَـنّـي وأرضُ الـلَّـهِ لـم تَـضِـقِ
مِـن غَـيْـرِ مـا جُـرْمٍ سِـوَى ثِـقَـةٍ ... مـنّـي بـوعـدِكَ حـيـنَ قُـلْـتَ: ثِـقِ
وَمَـوَدَّةٍ تَـحْـنُـو عـلـيـكَ بـهـا ... نَـفْـسـي بـلا مَـنٍّ ولا مَـلَـقِ
فَـمَـتَـى سـألـتُـك حـاجَـةً أبـداً ... فـاشْـدُدْ بـهـا قُـفْـلاً عـلـى غَـلَـقِ(٣)
وقِـفِ الإخـاء عـلـى شـفـا جُـرُف ... هـارٍ فـبِـعْـه بـيـعـة الـخَـلَـقِ(٤)
وأعِـدَّ لـي قُـفْـلاً وجـامِـعَـةً ... فـاشْـدُدْ يَـدَيَّ بـهـا إلـى عُـنُـقـي(٥)
أُغْـفِـيـكَ مـمـا لا تُـحِـبُّ بـهـا ... واسْـدُدْ عَـلَـيَّ مـذاهِـبَ الأُفُـقِ
مـا أطْـوَلَ الـدُّنْـيـا وأعْـرَضَـهـا ... وأدَلَّـنـي بـمـسـالـكِ الـطُّـرُقِ

[يهرب بعد اتهامه بشتم صفية بنت عبد المطّلب]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حَدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: حَدَّثني أبي قال: قدِم

(١) منحذق: منقطع.
(٢) الحنق: الغيظ.
(٣) الغلق: المغلاق.
(٤) الجرف الهار: المنهار.
(٥) الجامعة: الغلّ.

دِعبِل الدِّينورَ[١]، فجرى بينه وبين رجل من ولَد الزُّبَير بنِ العوام كلام وعَرْبدة عَلَى النبيذ، فاستعدى عليه عمرَو بن حميد القاضي، وقال: هذا شتم صفيةَ بنتَ عبد المطلب، واجتمع عليه الغوغاء، فهرب دِعبِل، وبعث القاضي إلى دار دِعبِل فوكّل بها وختَم بابه، فوجّه إليه بِرُقعة فيها: ما رأيتُ قطُّ أجهلَ منك إلا مَن ولاّك، فإنه أجهل، يقضِي في العَرْبدَة علَى النبيذ، ويحكم عَلَى خصم غائب، ويقْبلُ عقلُكَ أني رافِضيٌّ شتْم صفيةَ بنتَ عبد المطلب. سخِنَتْ عينك، أفمِن دِين الرافضة شَتَم صفية! قال أبي: فسألني الزبيريُّ القاضي عن هذا الحديث فحدثته، فقال: صدَق والله دعبِل في قوله، لو كنتُ مكانهُ لوصلته وبررْتُه.

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حَدَّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدثني إبراهيم بن سهل القارىء قال: حَدَّثني دِعبِل قال: كتبتُ إلى أبي نَهشل بن حميد، وقد كان نسك وترك شُرب النبيذ، ولزِم دار الحرَم: [الخفيف]

إنـمـا الـعَـيـشُ فـي مـنـادَمَـةِ الإخـ ـوانِ لا في الـجُلوس عندَ الكَعابِ
وَبِـصِـرْفٍ كـأنَّـهـا ألْـسُـنُ الـبَـرْ قِ إذا استعرَضَتْ رقيقَ السحابِ
إن تَـكُـونُـوا تـركـتـمُ لَـذَّة الـعـيـ ـشِ حِـذَارَ الـعِـقـابِ يَوْمَ الـعِـقـابِ
فَـدَعُـونِـي ومـا ألَـذُّ وأهْـوَى وادْفَـعُوا بي في نَحْرِ يَوْمِ الحِسابِ

قال: فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي، فنشرب بين يديه، ويستمع الغناء، ويقتصر على الأُنس والحديث.

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: حَدَّثنا إبراهيم بنُ المدبِّر قال: كنت أنا وإبراهيمُ بنُ العباس رفيقَين نتكسّبُ بالشعر. قال: وأنشدني قصيدة دِعبل في المطّلب بنِ عبد الله: [المتقارب]

أمُـطَّـلِـبٌ أنْـتَ مُـسْـتَـعْـذِبٌ سِـمـامَ الأفـاعِـي وَمُـسْـتَـقْـبِـلُ

قال، وقال لي دعبل: نِصفها لإبراهيمَ بنِ العباس، كنتُ أقول مِصراعاً فيجيزُه، ويقول هو مِصراعاً فأُجيزه.

(١) الدينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين. (معجم البلدان ٢/ ٥٤٥).

قال ابنُ مَهْرُويه: وحدثني إبراهيم بنُ المدبر أن دِعبلاً قصد مالكَ بنَ طَوْق ومدحه، فلم يرضَ ثوابه، فخرج عنه وقال فيه: [السريع]

إنْ ابْنَ طَوقٍ وَبَني تَغْلِبٍ ... لَوْ قُتِلُوا أو جُرِحُوا قُصْرَهْ[١]
لَمْ يأخذُوا من دِيةٍ دِرْهَماً ... يوماً ولا من أرْشِهِمْ بَعْرَهْ[٢]
دِماؤهُمْ ليسَ لها طالبٌ ... مَطْلولَةٌ مثلُ دَمِ العُذْرَهْ
وَجُوهُهُمْ بِيضٌ وأحسابُهُمْ ... سُودٌ وفي آذانِهِمْ صُفْرَهْ

حَدَّثنا محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ قال: حَدَّثني العَنَزِيّ قال: حدثنا عبدُ الله بنُ الحسن قال: حَدَّثني عمرُ بنُ عبد الله أبو حفص النحويُّ مؤدب آل طاهر قال:

دخل دِعبِلُ بن عليٍّ على عبد الله بن طاهر، فأنشده وهو ببغداد: [المنسرح]

جئتُ بلا حُرْمَةٍ ولا سَبَبِ ... إليكَ إلا بحرمةِ الأدَبِ
فاقْضِ ذِمامِي فإنَّني رجلٌ ... غَيْرُ مُلِحٍّ عليكَ في الطَّلَبِ

قال فانتعل عبد الله، ودخل إلى الحُرَم، ووجّه إليه بصُرّة فيها ألفُ درهم، وكتب إليه: [الكامل]

أعْجَلْتَنا فأتاكَ عاجلُ بِرِّنا ... ولَوِ انتظرْتَ كَثِيرَهُ لم يَقْلِلِ
فَخُذِ القليلَ وكن كأنَّكَ لم تَسَلْ ... ونكونُ نَحْنُ كأنَّنا لم نَفْعَلِ

أخبرني أحمدُ بن عاصم الحُلْوانيُّ قال: حَدَّثنا أبو بكر المدائنيُّ قال: حدثنا أبو طالب الجعفريُّ ومحمدُ بنُ أُميّة الشاعرُ جميعاً قالا: هجا دِعبلُ بنُ عليٍّ مالكَ بنَ طوق فقال: [السريع]

سألْتُ عَنْكُمْ يا بَني مالِكٍ ... في نازِحِ الأرضِين والدّانِيَهْ
طُرّاً فلم تُعْرَفْ لكم نِسْبَةٌ ... حتى إذا قلتُ بني الزانيَهْ
قالوا فَدَع داراً على يَمْنَةٍ ... وتلكَ ها دارُهمُ ثانيَهْ
لا حَدَّ أخشاهُ على ... من قالَ أمُّكَ زانِيَهْ

وقال أيضاً في:

(١) قُصْرَة: أراد أنهم قاصرون عن إدراك الثأر.
(٢) الأرش: دية الجراح.

يـــا زانِــــيَ ابْـــنَ الـــزَّانِ إبـــ ـنِ الـــزَّانِ ابْـــنَ الـــزانـــيَـــهْ
أنـــتَ الـــمُـــرَدَّدُ فـــي الـــزّنـــا ءِ عـــلـــى الـسِّـنِـيـنَ الـخـالـيَـهْ
ومـــرَدَّدٌ فـــيـــهِ عـــلـــى كـــرٌ الـــسـّـنـيـنَ الـــبـــاقـــيَـــهْ

وبلغَت الأبيات مالكاً، فطلبه، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاقُ بنُ العباس بنِ عليٍّ بن عبدِ الله بنِ العباس بنِ عبدِ المطلب، وكان بلغه هجاء دِعبِل وابن أبي عُيَينة نِزاراً. فأما ابنُ أبي عُيَيْنَة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه. وأما دِعبِل فإنه حين دخل البصرة بَعث فقبض عليه، ودعا بالنِّطْع[1] والسيف ليضربَ عنقه، فجحد القصيدة وحلف بالطلاق عَلَى جَحدها وبِكلّ يمين تبرّىء من الدم أنه لم يقلها وأن عدواً له قالها، إما أبو سعد المخزومي أو غيرُه ونسبها إليه ليُغريَ بدمه، وجعل يتضرع إليه ويقبّل الأرض ويبكي بين يديه، فرقَّ له، فقال: أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرَكَ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سَلَح، وأمر به فأُلقي عَلَى قفاه، وفُتح فمُه فرُدّ سَلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه، وهو يحلف ألا يكفّ عنه حتى يستوفيَه ويبلعَه أو يقتله. فما رُفِعت عنه حتى بَلَعَ سلحه كله، ثم خلاَّه، فهرب إلى الأهواز.

وبعثَ مالك بنُ طَوق رجلاً حَصيفاً[2] مِقداماً، وأعطاه سمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه عَلَى ذلك عشرة آلاف درهم، لم يَزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السُّوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتَمة، فضَرب ظَهر قدمه بعُكاز لها زُجّ مسموم فمات من غد، ودُفن بتلك القرية، وقيل بل حُمل إلى السوس، فدفن فيها. وأمر إسحاق بنُ العباس شاعراً يقال له الحسنُ بنُ زيد ويُكنَى أبا الذّلفاء، فنَقض قصيدتي دِعبِل وابن أبي عيينة بقصيدة أولها: [الوافر]

أمـــا تَـــنـــفـــكُّ مـــتـــبـــولاً حـــزيـــنـــا تُـحِـبُّ الـبـيضَ تَـعْـصِـي الـعـاذلـيـنـا[3]

يهجو بها قبائل اليمن، ويذكر مثالبهم، وأمره بتفسير ما نظمه، وذكر الأيام والأحوال، ففعل ذلك وسماها الدامغة، وهي إلى اليوم موجودة.

(١) النطع: بساط من جلد يفرش تحت المحكوم بالعذاب أو قطع الرأس.
(٢) الحصيف: العاقل، ذو الرأي السديد.
(٣) المتبول: السقيم. والعاذلون: اللائمون.

صوت

[الوافر]

أتـهـجـرُ مَـن تُـحِـبُّ بـغـيـرِ جُـرْمِ أسـأتَ إذاً وَأنْـتَ لـه ظَـلُـومُ[١]
تـؤرِّقُـنـي الـهـمـومُ وأنـتَ خِـلْـوٌ لَـعَـمْـرُكَ مـا تُـؤرِّقُـكَ الـهُـمـومُ

الشعر لجعيفران الموسوِس، أنشدنيه عمي عن عبد الله بن عثمانَ الكاتبِ عن أبيه عن جده، وأنشد فيه جَحظةُ عن خالدٍ الكاتبِ له، وأنشدنيه ابن الوشّاء عن بعض شيوخه عن سلَمة النحويّ له. ووجدته في بعض الكتب منسوباً إلى أم الضحاك المُحاربيةِ، والقول الأول أصح. والغناء لابن أبي قَباحة، ثاني ثقيل بالوُسطى في مجرى البِنصر. وفي أبيات أُخر من شعر جعيفران غناء، فإن لم يصح هذا له فالغناء له في أشعاره الأُخر صحيح، منها: [السريع]

مـا يـفـعـلُ الـمـرءُ فَـهْـوَ أهْـلُـهْ كُـلُّ امْـرِىءٍ يـشـبـهـهُ فِـعْـلُـهْ
ولاَ تَـرَى أعْـجَـزَ مـنْ عـاجِـزٍ سَـكَّـتَـنـا عـن ذَمِّـهِ بَـذْلُـهْ

الشعر لجعيفران، والغناء لمتيَّم، وممّا وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعه وفيه له غناء: [الكامل]

قـلـبي بِـصـاحـبـةِ الـشُّـنُـوفِ مُـعَـلَّـقُ وَتَـفِـرُّ صـاحِـبَـةُ الـشُّـنُـوفِ وَألْـحَـقُ

(١) ظلوم: كثير الظلم. صيغة مبالغة من اسم الفاعل.

أخبار جعيفران ونسبه

[اسمه وكنيته ونسبه]

هو جعيفرانُ بن عليٍّ بن أصفرَ بنِ السريِّ بنِ عبد الرَّحمٰن الأبناوي، من ساكني سُرَّ من رأى، ومولده ومنشؤه ببغداد. وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية، وكان يتشيّع، ويُكثر لِقاء أبي الحسن عليٍّ بن موسى بنِ جعفر.

أخبرني بذلك أبو الحسن عليُّ بنُ العباس بنِ أبي طلحة الكاتبُ عن أبيه وأهله. وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً، وغلبَت عليه المِرّة[١] السوداء، فاختلط[٢] وبطل[٣] في أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه، فقال الشعر الجيد. وكان أهله يزعمون أنه من العجم ولد أذين.

فأخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفّاف قال: حَدَّثني محمدُ بنُ مَهْرُوَيه قال: حَدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ النَّوفليُّ قال: حدثني صالحُ بن عطيةَ قال: كان لجُعَيفران الموسوِس قبل أن يَختلِط عقله أب يقال له عليُّ بنُ أصفر، وكان دِهقان الكَرْخ ببغداد، وكان يتشيَّع، فظهر على ابنِه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرِّية[٤]، فطرده عن داره.

وحجّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفرٍ، فقال له موسى: إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يَفقدَ عقله، وإن كنت قد تحققْتَ ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك، ولا تطعمْه شيئاً من مالِك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك.

---

(١) المرّة السوداء: خلط من أخلاط البدن تفرزه المرارة.

(٢) خلط في الكلام: هذى.

(٣) بطل في كلامه: هزل.

(٤) السُرِّيّة: الأمة التي تقام في بيت.

فقدِم فطرده، وأخرجه من منزله، وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهِد بها في ماله حتى يخرجه عن ميراثه، فدلّوه على السبيل إلى ذلك، فأشهد به، وأوصى إلى رجل. فلما مات الرجل حاز ميراثه ومَنع منه جعيفران، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي، فأحضر الوصيّ، وسأل جعيفران البينة على نَسبه وتركة أبيه، فأقام على ذلك بينة عِدة، وأحضر الوصيّ بيّنة عُدولاً على الوصية يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه.

فلم يَرَ أبو يوسف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورِّثه، فدفعه الوصيّ عن ذلك مَرات بِعِلَل. ثم عزم أبو يوسف على أن يُسجّل لجعيفران بالمال، فقال له الوصيّ: أيها القاضي، أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي، فأبى أبو يوسف أن يقبل منه، وجعل جعيفران يُحَرّج عليه، ويقول له: قد ثبت عندك أمري، فبِأي شيء تدافعني؟ وجعل الوصيّ يسأله أن يسمع منه منفرداً، فيأبى، ويقول: لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك. فقال له: أجّلني إلى غد، فأجله، فجاء إلى منزله وكتب رقعة خبّره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بنُ جعفر، ودفعها إلى صديق لأبي يوسف، فدفعها إليه، فلما قرأها دعا الوصيّ واستحلفه أنه قد صدَق في ذلك. فحلف باليمين الغَموس[1]. فقال له: أُغْدُ عليّ غداً مع صاحبك، فحضر وحضر جعيفران معه، فحكم عليه أبو يوسف للوصي. فلما أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلَط منذ يومئذٍ.

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب عليُّ بن العباس بنِ أبي طلحة الكاتبُ، عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب، ولم أر أخباره عند أحد أكثر مما وجدتها عنده إلا ما أذكره عن غيره فأنسبُه إليه.

قال عليّ بنُ العباس: وذكر عبد الله بنُ عثمان الكاتبُ أن أباه عثمانَ بنَ محمد حدّثه قال: كنتُ يوماً بِرُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جعيفران وهو مغضَب، فوقف عليّ وقال:

اسْتَوْجَبَ العالَم مِنّي القتلا

فقلت: ولم يا أبا الفضل؟ فنظر إليّ نظرة منكَرة خِفْت منها، وقال:

---

(١) اليمين الغموس: هنا الشديدة القاطعة.

لـــمّــا شَــعــرت فــرأونــي فــحـــلا

ثم سكتَ هنيهة، وقال: [الرجز]

قــالُــوا عــلــيَّ كَــذِبــاً وبُــطْــلا إنّــي مَــجْــنُــونٌ فَــقَــدْتُ الــعَــقْــلا
قــالُــوا الــمــحــالَ كَــذِبــاً وَجَــهْــلا أقْــبِــحْ بِــهــذا الــفِــعْــلِ مــنــهــم فِــعــلا

ثم ذهب لينصرف، فخِفْت أن يؤذيَه الصبيان، فقلت: اصبر فدَيتك حتى أقوم معك؛ فإنك مغضَب، وأكره أن تخرج على هذه الحال. فرجع إليّ، وقال: سبحان الله، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل، وأستقبح فعلهم، وتتخوّف مني مكافأتهم! ثم إنه ولّى وهو يقول: [الرجز]

لَــسْــتُ بِــراضٍ مــن جَــهــولٍ جَــهْــلا ولا مُــجــازيــهِ بِــفــعــلٍ فِــعْــلا
لَــكِــنْ أرَى الــصَّــفْــحَ لِــنَــفْــسِــي فَــضْــلا مَــن يُــرِدِ الــخَــيْــرَ يَــجِــدْهُ سَــهْــلا

ثم مضى.

وقال عليُّ بنُ العباس، وقال عثمان بنُ محمد: قال أبي: كنتُ أُشرِف سرة من سطح لِي على جُعَيفرانَ وهو في دارٍ وحدَه وقد اعتلّ وتحركَت عليه السوداء، فهو يدور في الدار طول ليلته، ويقول:

طــافَ بــه طَــيــفٌ مــن الــوَسْــوَاسِ نَــفَّــرَ عــنــهُ لَــذَّةَ الــنُّــعــاسِ
فَــمَــا يُــرَى يــأنَــسُ بــالأنــاسِ ولا يَــلَــذُّ عِــشْــرَةَ الــجُــلاّسِ
فــهــو غــريــبٌ بــيــنَ هــذا الــنّــاس

حتى أصبح وهو يرددها، ثم سقط كأنه بَقْلة ذابلة.

قال علي: وحَدَّثني عليُّ بن رستمَ النحويّ، قال: حَدَّثني سَلَمة بن محارب قال: مررْت ببغداد، فرأيتُ قوماً مجتمِعين على رجل، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: جعيفران المجنون، فقلت: قُل بيتاً بنصف درهم. قال: هاته، فأعطيته، فقال:

[مجزوء الخفيف]

لَــجَّ ذا الــهَــمُّ واعْــتَــلَــجْ كُــلُّ هَــمٍّ إلــى فَــرَجْ[1]

(١) اعتلج: كثر، التطم.

ثم قال: زِد إن شئت حتى أزيدَك.

قال عليّ: وحدثني عبد الله بن عثمان، عن أبيه قال: غاب عنا جُعَيفران أياماً ثم جاءنا والصبيان يَشُدون خلفه وهو عُريانٌ وهم يصيحون به: يا جعيفران يا خرا في الدار. فلما بلغ إليّ وقف، وتفرّقوا عنه فقال: يا أبا عبد الله: [الهزج]

رأيـتُ الـنـاسَ يَـدْعُـونَـنـي بِـمَـجْـنُـونٍ عـلـى حـالِـي
ومـا بـي الـيَـوْمَ مـن جِـنٍّ ولا وَسْـواسٍ بَـلْـبَـالِ[1]
ولـكـنْ قَـوْلُـهُـمْ هـذا لإفـلاسِـي وإقـلالِـي[2]
وَلَـوْ كـنـتُ أخـا وَفْـرٍ رَخِـيّـاً نـاعِـمَ الـبـالِ
رأونِـي حَـسَـنَ الـعَـقْـلِ أَحُـلُّ الـمَـنْـزِلَ الـعـالِـي
ومـا ذاكَ عـلـى خُـبْـرٍ ولـكـنْ هَـيْـبَـةُ الـمـالِ

قال: فأدخلْتُه منزلي، فأكل، وسقيته أقداحاً، ثم قلتُ له: تقدِر على أن تغَيِّر تلك القافية؟ فقال: نعم، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف: [الهزج]

رأيْـتُ الـنـاسَ يـرمـونِـي أحْـيـانـاً بـوِسـواسِ
ومَـن يَـضْـبِـطُ يـا صـاحِ مَـقـالَ الـنـاسِ فـي الـنـاسِ؟
فَـدَعْ مـا قـالَـهُ الـنّـاسُ ونـازِعْ صَـفْـوَةَ الـكـاسِ
فَـتًـى حُـرّاً صَـحِـيـحَ الـوُدِّ ذا بـرٍّ وإيـنـاسِ
فـإنَّ الـخَـلْـقَ مَـغْـرُورٌ بـأمـثـالِـي وأجـنـاسِـي
ولـو كُـنْـتُ أخـا مـالٍ أَتَـوْنِـي بـيـنَ جُـلاّسِـي
يُـحِـبُّـونِـي ويَـحْـبُـونِـي عـلـى الـعَـيْـنَـيْـنِ والـرّاسِ
ويـدعـونِـي عَـزِيـزاً غـيـرَ أنَّ الـذُّلَّ إفـلاسِـي

ثم قام يبول، فقال بعض مَن حضر: أيُّ شيء معنى عشرتِنا هذا المجنون العريان؟ والله ما نأمنه وهو صاحٍ، فكيف إذا سَكِر؟ وفَطِن جُعَيفران للمعنى، فخرج إلينا وهو يقول: [مجزوء الرمل]

وَنَـدَامَـى أكَـلُـونِـي إذ تَـغَـيَّـبْـتُ قَـلـيـلا
زَعَـمُـوا أنِّـيَ مَـجْـنـونٌ أرَى الـعُـرْيَ جَـمِـيـلا

---

(١) البلبال: شدة الهم والوسواس.
(٢) الإقلال: الفقر والحاجة.

كـيـف لا أعـرَى ومـا أُبـ ـصِـرُ فـي الـنـاسِ مَـثِـيـلا؟
إن يـكـن قـد سـاءكُـمْ قُـرْ بِـي فَـخَـلُّـوا لـي سَـبِـيـلا
وأتِـمُّـوا يَـوْمَـكُـمْ سَـرَّكُـمُ الـلّـهُ طَـوِيـلا

قال: فرقّقْنا لهُ، واعتذرنا إليه وقلنا له: والله ما نلتذّ إلا بِقُربك، وأتيناه بثوب، فلبسه، وأتممنا يومنا ذلك معه.

أخبرني جَحظةُ قال: حَدَّثني ميمونُ بن هارونَ قال: تقدّم جُعَيفرانُ إلى أبي يوسف الأعور القاضي بِسُرَّ مَنْ رأى في حكومة في شيء كان في يده من وَقفٍ له، فدفعه عنه، وقضى عليه. فقال له: أراني الله أيها القاضي عينَيك سواء، فأمسَك عنه، وأمر بردّه إلى داره.

فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم، ثم دعا بِهِ فقال له: ماذا أردتَ بدعائك؟ أردتَ أن يَرُد الله على بصري ما ذهب؟ فقال له: والله لئن كنْتَ وهبْتَ لي هذه الدراهم لأسخَر منك؛ لأنت المجنون لا أنا. أخبِرْني كم من أعورَ رأيتَه عَمِيَ؟ قال: كثيراً، قال: فهل رأيت أعورَ صحّ قطُّ؟ قال: لا. قال: فكيف توهمتَ عليّ الغلط! فضحك وصرفه.

[مدحه أبا دُلف]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال: حَدَّثني أحمدُ بنُ القاسمِ البرتيّ قال: حَدَّثني علي بن يوسف قال: كنتُ عند أبي دُلَف القاسِم بن عيسى العِجْليّ فاستأذن عليه حاجبه لجعَيفرانَ الموسوس، فقال له: أيَّ شيء أصنع بموَسْوِس! قد قضَينا حقوق العقلاء، وبقي علينا حقوق المجانين! فقلت له: جُعلت فداء الأمير موسوسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء، وإن له لساناً يُتَّقى وقولاً مأثوراً يبقى، فالله الله أن تَحجبه، فليس عليك منه أذى ولا ثِقَل، فأذن له، فلما مَثَل بين يديه قال: [السريع]

يـا أكْـرَمَ الـعـالَـمِ مَـوْجُـودا ويـا أعَـزَّ الـنـاسِ مَـفْـقُـودا
لـمـا سـألْـتُ الـنّـاسَ عـن واحِـدٍ أصـبـحَ فـي الأمَّـةِ مَـحْـمُـودا
قـالـوا جـمـيـعـاً إنَّـهُ قـاسِـمٌ أشْـبَـهَ آبـاءً لَـهُ صِـيـدا
لـو عَـبَـدُوا شـيـئـاً سِـوَى رَبِّـهِـمْ أصْـبَـحْـتَ فـي الأمَّـةِ مَـعْـبُـودا
لا زِلْـتَ فـي نُـعْـمَـى وفـي غِـبْـطَـةٍ مُـكَـرَّمـاً فـي الـنّـاسِ مَـعْـدودا

قال، فأمر له بِكُسوة وبألف درهم، فلما جاء بالدراهم أخذ منها عشرة، وقال: تأمر القَهْرمان[١] أن يُعطِيَني الباقي مفرّقاً كلما جئت؛ لئلا يضيع مني، فقال للقهرمان: أعطه المال، وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا، فبكى عند ذلك جُعَيفران، وتنفَّس الصعداءَ، وقال: [مخلع البسيط]

يَـمُـوتُ هـذا الَّـذي أراهُ ... وَكُـلُّ شَـيْءٍ لـهُ نَـفَـادُ
لـو غَـيْـرَ ذي الـعَـرْشِ دامَ شَـيْءٌ ... لَـدامَ ذا الـمُـفْـضِـلُ الـجَـوادُ

ثم خرج، فقال أبو دُلفٍ: أنتَ كنتَ أعلَم به مني. قال: وغَبَر عني مدة، ثم لقيني وقال: يا أبا الحسن، ما فعل أميرُنا وسيّدُنا وكيف حاله؟ فقلت: بِخيرٍ وعلى غاية الشّوق إليك. فقال: أنا والله يا أخي أشوقُ، ولكنني أعرِف أهلَ العسكر وشرهم وإلحاحَهم والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم، ولا يتركه كرمُه أن يُخْلِيَهم من العطيّة حتى يخرجَ فقيراً. فقلت: دع هذا عنك وزُرْه، فإن كثرة السؤال لا تضرّ بماله، فقال: وكيف؟ أهو أيسرُ من الخليفة؟ قلت: لا. قال: والله لو تبذّل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلَفٍ وأطمعهم في ماله كما يُطمعهم لأفقروه في يومين، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا، فقلت: هاته يا أبا الفضل فأنشأ يقول:

[المتقارب]

أبـا حَـسَـنٍ بَـلِّـغَـنْ قـاسِـمـاً ... بـأنّـيَ لَـمْ أجْـفُـهُ عـن قِـلَـى
ولا عـن مَـلالٍ لإتـيـانـهِ ... ولا عـن صُـدودٍ ولا عَـنْ غِـنَـى
ولـكـن تَـعَـفَّـفْـتُ عـن مـالـهِ ... وأَصْـفَـيْـتُـه مِـدْحَـتِـي والـثَّـنـا
أبـو دُلَـفٍ سَـيِّـدٌ مـاجـدٌ ... سَـنِـيُّ الـعَـطِـيَّـةِ رَحْـبُ الـفِـنـا
كَـريـمٌ إذا انـتـابَـهُ الـمُـعْـتَـفُـو ... نَ عَـمَّـهُـمُ بـجـزيـلِ الـحِـبـا[٢]

قال: فأبلغتُها أبا دُلَف، وحدَّثته بالحديث الذي جرى، فقال لي: قد لقِيتُه منذ أيام؛ فلما رأيته وقفتُ له، وسلّمت عليه، وتحفَّيت به، فقال لي: سِرْ أيها الأمير على بركة الله، ثم قال لي: [الرجز]

يـا مُـعـدِيَ الـجُـودِ عـلـى الأمـوالِ ... ويـا كَـريـمَ الـنـفْـس في الـفـعـال
قـد صُـنْـتَـنـي عـن ذِلَّـةِ الـسُّـؤالِ ... بِـجُـودِكَ الـمُـوفِـي عـلـى الآمـالِ

---

(١) القهرمان: الوكيل، أو أمين الدخل والخرج.
(٢) الحبا: جمع حبوة، وهي العطية.

صـانَـكَ ذو الـعِـزَّةِ والـجـلالِ مِـن غِـيَـرِ الأيـامِ والـلـيـالِـي

قال: ولم يَزَلْ يختلف إلى أبي دُلَف ويَبَرّه حتى افترقا.

[هجاؤه نفسه]

سمعْتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ، عمِّ أبي رحمه الله يحدّث فحفظت الخبر، ولا أدري أذَكر له إسناداً فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد، قال: كان جعيفرانُ خبيثَ اللسان هَجّاء، لا يسلم عليه أحد، فاطّلع يوماً في الحُب[١]، فرأى وجهه قد تغيّر، وعفا[٢] شعره فقال: [المجتث]

مـا جَـعْـفَـرٌ لأبـيـهِ ولا لَـهُ بِـشَـبِـيـهِ
أضـحَـى لـقـومٍ كَـثِـيـرٍ فَـكُـلُّـهُـمْ يَـدَّعِـيـهِ
هـذا يـقـولُ بُـنَـيِّـي وذا يُـخـاصِـمُ فـيـهِ
والأمُّ تَـضْـحَـكُ مـنـهـم لِـعِـلْـمِـهـا بـأبـيـهِ

حَدَّثني محمد بنُ الحسنِ الكِنديّ خطيب القادسية قال: حَدَّثني رجل من كتّاب الكوفة قال: اجتاز بي جُعَيفرانُ مرة فقال: أنا جائع، فأيَّ شيء عندك تُطعِمني؟ فقلت: سَلْق بِخَرْدَل. فقال: اشترِ لي معه بِطّيخاً، فقلت: أفعل، فادخُل، وبعثْت بالجارية تجيئه به، وقدَّمتُ إليه الخبز والخَرْدل والسّلق، فأكل منه حتى ضجِر، وأبطأت الجاريةُ، فأقبَل عليّ وقد غضب فقال: [مجزوء الخفيف]

سَـلَـقَـتْـنـا وخَـرْدَلَـتْ ثُـمَّ وَلَّـتْ فـأَدْبَـرَتْ
وأراهـا بـواحِـدٍ وافِـرِ الأيْـرِ قَـدْ خَـلَـتْ

قال فخرجْتُ ـ يشهد الله ـ أطلبها، فوجدتُها خالية في الدِّهليز بسائس لي على ما وصف.

صوت

[الخفيف]

ولـهـا مَـرْبَـعٌ بِـبُـرْقَـةِ خـاخٍ ومَـصِـيـفٌ بـالـقَـصْـرِ قَـصْـرِ قُـبـاءِ[٣]

---

(١) الحب: الجرّة الضخمة.
(٢) عفا: طال وكثر.
(٣) روضة خاخ: موضع بين الحرمين. (معجم البلدان ٢/ ٣٣٥).

كَفِّنُونِي إن مِتُّ في دِرْعِ أَرْوَى واجْعَلُوا لي مِنْ بِئْرِ عُرْوَةَ مائِي[(١)]
سُخْنَةٌ في الشِّتاءِ باردةُ الصَّيْـ فِ سِراجٌ في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ

الشعر للسّرِيّ بن عبد الرحمٰن، والغناء لمعبَد، ثقيل أول بالوُسطى عن الهشامي. قال: وفيهما ـ يعني الثالث والأول ـ رمَل مطلَق في مجرَى الوسطى.

(١) بئر عروة: بعقيق المدينة. (معجم البلدان ١/ ٣٠٠).

أخبار السري ونسبه

[اسمه ونسبه]

السريُّ بن عبد الرحمٰن بن عُتبة بن عُوَيم بنِ ساعدة الأنصاريّ، ولجده عويم بن ساعدَة صحبة بالنبيﷺ.

[شاعر مقلّ من الغزلين]

والسريّ شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمُكثِر ولا فحلٍ، إلا أنه كان أحدَ الغَزِلين والفتيانِ والمنادمين على الشراب. كان هو وعُتَير بن سهل بن عبد الرحمٰن بن عَوف، وجُبَيرُ بنُ أيمنَ، وخالدُ بن أبي أيوبَ الأنصاري يتنادمون. قال: وفيهم يقول: [الطويل]

إذا أنتَ نادَمْتَ العُتَيْرَ وذا النَّدَى ... جُبَيْراً ونازَعْتَ الزُّجاجَةَ خالِدا
أمِنْتَ بإذْنِ اللّهِ أن تُقْرَعَ العَصا ... وَأنْ يُنْبِهُوا مِنْ نَوْمَةِ السُّكْرِ راقِدا

غناه الغَريض ثقيلاً. وكان السريّ هذا هَجا الأحوص، وهَجا نُصَيباً؛ فلم يجيباه.

أخبرني الحرَميّ بنُ أبي العلاء قال: حَدَّثني الزبير بن بَكّار قال: حدثني عمي، وأخبرني الحسين بن يحيى المَرْداسي قال: حَدَّثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيّ قالا: حُبس النُّصيب في مسجد النبيﷺ فأنشدَ، وكان إذا أنشد لوى حاجبَيه، وأشار بيده، فرآه السريُّ بنُ عبد الرحمٰن الأنصاريُّ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال: [الوافر]

فَقَدْتُ الشِّعْرَ حينَ أتى نُصيباً ... ألَمْ تَسْتَحْي مِنْ مَقْتِ الكرامِ

إذا رَفع ابنُ ثَوْبَةَ حاجِبَيهِ حَسِبْتَ الكَلْبَ يُضْرَبُ في الكِعامِ[1]

قال: فقال نصيب: مَن هذا؟ فقالوا: هذا ابنُ عُوَيم الأنصاريُّ، قال: قد وهبتُه لله عز وجل ولرسولِهﷺ ولعُوَيم بنِ ساعدة. قال: وكان لعُوَيم صحبةٌ ونصرةٌ.

أخبرني الحَرَميُّ قال: حَدَّثنا الزبيرُ قال: حَدَّثني عمي عن عبدِ الرحمٰن بن عبد الله العُمَريِّ قال: كان السريُّ قصيراً دميماً أزرقَ، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويُشبِّب بها، فخرج إلى البادية، فرآها في نِسوةٍ فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابَه، وأخذ منه جُبَّته وعصاه، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النِّسْوة فلم يحفِلن به، وظَنَنّ أنه أعرابيّ، فأقبل يُقلِّب بعصاه الأرضَ وينظر إليهن فقلن له: أذهَب منك يا راعيَ الغنمِ شيء فأنتَ تَطلُبه؟ فقال: نعم. قال: فضربتْ زينب بكمِّها على وجهها وقالت: السريُّ والله، أخزاه الله! فأنشأ يقول:

صوت

[البسيط]

مـا زالَ فِـيـنـا سَقِيـمٌ يُسْتَطَـبُّ لَـهُ مـن ريـحِ زيـنـبَ فـيـنـا لـيـلـةَ الأحَـدِ
حُزْتِ الجَمالَ وَنَشْراً طيِّباً أرِجاً فـمـا تُـسَـمَّـيْـنَ إلا مَـسْـكَـةَ الـبَـلَـدِ
أمّـا فـؤادِي فَـشَـيْءٌ قـد ذَهَـبْـتِ بـهِ فـمـا يَـضُـرُّكِ ألاّ تَـحْـرُبـي جَـسَـدِي![2]

[المهدي يستحسن شعره في الغزل]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال: حدثنا مُصعبٌ الزُّبَيْريّ قال: قال أبي: قال لي المهديّ: أنشدني شعراً غزِلاً، فأنشدتُه قولَ السريِّ بنِ عبد الرحمٰن:

مـا زالَ فـيـنـا سَقِيـمٌ يُسْتَطَـبُّ لَـهُ مـن رِيـحِ زَيْـنَـبَ فـيـنـا لَـيْـلَـةَ الأحَـدِ

فأعجبَتْه، وما زال يَستعيدها مِراراً حتى حفِظها.

أخبرني الحسنُ قال: حَدَّثني أحمدُ قال: حدثني محمدُ بنُ سلاّم الجُمَحيُّ قال: كان السريُّ بنُ عبد الرحمٰن ينادم عُتير بن سَهل بنِ عبد الرحمٰن بنِ عوفٍ

(١) الكعام: الكمامة.
(٢) حربه: سلبه.

وجُبيرَ بن أيمنَ بنِ أُمِّ أيمن مولى النبيِّ ﷺ وخالدَ بن أبي أيوب الأنصاريِّ، وكانوا يشربون النبيذَ، وكلُّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ، جليلَ القدرِ مستوراً، فقال السريّ: [الطويل]

إذا أنتَ نادمتَ العُتَيْرَ وذا الندى جُبَيْراً ونازَعْتَ الزُّجاجَة خالدا
أمِنتَ بإذنِ اللَّهِ أن تُقْرَعَ العَصا وأنْ يُنْبِهُوا من نَوْمَةِ السُّكْرِ راقدا

فقالوا: قبحَك الله! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعة لسرنا؟ إنك لحقيق ألاَّ ننادمَك. قال: والله ما أردتُ بكم سوءاً، ولكنه شِعر طفح فنَفثته عن صدري، قال: وخالدُ بن أبي أيوب الأنصاريُّ الذي يقول:

صوت

[الطويل]

ألا سَقِّني كأسِي وَدَعْ قولَ من لَحَى وَرَوِّ عظاماً قَصْرُهُنَّ إلى بِلَى[1]
فإنَّ بُطوءَ الكأسِ مَوْتٌ وَحَبْسَها وإنَّ دِراكَ الكأسِ عِنْدِي هُوَ الحَيا

الغِناءُ في هذين البيتين هو لِعبدِ الله بنِ العباس الرّبيعي، خفيف رمل بالبِنْصر عن عَمْرو بن بانةَ.

أخبرني أبو الحسنِ الأسديُّ قال: حدثني سليمانُ بنُ أبي شيخ قال: حدثني مصعبُ بنُ عبد الله الزبيريُّ قال: حدثني مصعبُ بنُ عثمانَ قال: حدثني عُبَيدُ الله بن عروةَ بنِ الزُّبيرِ قال: خرجتُ وأنا غلام أدُور في السككِ بالمدينةِ فانتهيتُ إلى فناءِ مَرشوش وشابٌّ جميلِ الوجهِ جالسٍ، فلما رآني دعاني، ثم قال لي: مَن أنتَ يا غلامُ؟ فقلت: عُبيدُ الله بنُ عروة بن الزبير. فقال: اجلس، فجلستُ، فدعا بالغَداء فتغدَّينا جميعاً، ثم قال: يا جارية؛ فأقبَلتْ جارية تتهادى كأنها مَهاةٌ، وفي يدها قِنِّينةٌ فيها شرابٌ صافٍ وقلةُ ماءٍ وكأسٌ، فقال لها: اسقيني؛ فصبّت في الكأسِ وسَكَبتْ عليه ماءً وناولتْه، فشرب ثم قال: اسقيه، فصبَّتْ في الكأس وسكَبتْ عليه ماءً وناولتْني. فلما وجدتُ رائحتَه بَكيتُ، فقال: ما يبكيك يا بنَ أخي؟ فقلت: إنَّ أهلي إن وجدوا رائحةَ هذا مني ضربوني، فأقبل على الجاريةِ

(١) قصرهنّ: غايتهن.

بوجهِهِ، وقال لها يخاطبها: [الطويل]

ألا سَقِّني كأسِي وَدَعْ عَنْكَ مَنْ أبى وَرَوِّ عِظاماً قَصْرُهُنَّ إلى بِلىٰ

فأخذتُه من يدي وأعطتُه؛ فشربه، وقمتُ فلما جاوزتُه سألت عنه فقيل لي: هذا خالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر: [الطويل]

إذا أنْتَ نادَمْتَ العُتَيْرَ وذا النَّدَى جُبَيْراً ونازَعْتَ الزُّجاجَةَ خالدا
أمِنتَ بإذنِ الله أن تُقْرَعَ العَصا وأنْ يُوقِظُوا من سَكْرَةِ النَّوْم راقِدا
وَصِرْتَ بحمدِ الله في خَيْرِ عُصْبَةٍ حسانِ النَّدَامَى لا تخاف العَرَابدا(١)

[السري وابن الماجشون]

أخبرنا وكيعٌ قال: حدثنا محمد بن عليِّ بنِ حمزةَ قال: حدثني أبو غَسان عن محمدِ بن يحيى بنِ عبد الحميد قال: كان السريُّ بن عبد الرحمٰن يختلف إلى فِتْيةٍ، فجاء ابن الماجشونِ فقال: لا أدخل حتى يخرج السريّ؛ فأخرجتْه فقال السري:

[الخفيف]

قَبَّحَ الله أهلَ بَيْتٍ بِسَلْعٍ أخْرَجُوني وأدْخَلُوا الماجشونا(٢)
أدخَلُوا هِرَّةً تُلاعِبُ قِرْداً ما نَرَاهُمْ يَرَوْنَ ما يَصْنَعُونا

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا أحمد بن زهيرٍ قال: حدثني مصعبٌ قال: أنشدني أبي لِلسَّريّ بنِ عبد الرحمٰن في أمَة الحميدِ بنتِ عبدِ الله بنِ عباس وفي ابنتها أمةِ الواحد: [مجزوء الكامل]

أمَةُ الحَمِيدِ وَبِنْتُها ظَبيانِ في ظِلِّ الأراك
يَتَتَبَّعانِ بَرِيرَهُ وظِلالَهُ فهُما كذاك(٣)
حُذِيَ الجَمَالُ عَلَيْهِما حَذْوَ الشِّراكِ على الشِّراك

أخبرني محمد بن العباسِ اليزيديُّ قال: حَدَّثني محمد بن الحسنِ بن مسعود الزُّرَقي قال: حدثني يحيى بن عثمانَ بنِ أبي قَباحةَ الزُّهْريّ قال: أنشدني أبو غَسان

(١) العرابد: جمع عِرْبِد، وهو الذي يؤذي نديمه إذا سكر.
(٢) سلع: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٣٦).
(٣) البرير: ثمر الأراك. والأراك شجر معروف.

صالح بن العباسِ بنِ محمدٍ ـ وهو إذ ذاك على المدينة ـ لِلسريّ بن عبد الرحمٰن:

[الخفيف]

لـيـتـنـي فـي الـمُـؤذّنـيـنَ نَـهـاراً إنـهـم يـبـصـرونَ مَـن فـي الـسُّـطـوحِ
فـيـشـيـرونَ أو يُـشـارُ إلَـيْـهِـمْ حَـبَّـذا كـلُّ ذاتِ جِـيـدٍ مَـلـيـحِ

قال: فأمر صالحٌ بسَدِّ المنار، فلم يقدر أحدٌ على أن يُطْلِعَ رأسَه حتى عُزل صالح.

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ، قال: حَدَّثنا عبد الله بن شبيب قال: حَدَّثني زبير بن بكار عن عمِّه: أن السريّ بنَ عبد الرحمٰن وقف على عمرَ بنِ عمرو بنِ عثمانَ، وهو جالسٌ على بابه والناس حولَه، فأنشأ يقول: **[الخفيف]**

يـا بْـنَ عُـثْـمـانَ يـا بـنَ خَـيْـرِ قُـرَيْـشٍ أبْـغِـنـي مـا يَـكْـفُـنـي بـقُـبـاءِ[1]
رُبَّـمـا بَـلَّـنـي نـداكَ وجَـلَّـى عـن جَـبِـيـنـي عَـجـاجَـةَ الـغُـرَمـاءِ

فأعمرَه أرضاً بقُباء، وجعلها طُعْمةً له أيامَ حياته، فلم تزَلْ في يده حتى مات.

أخبرني وسواسة بن الموصليّ، قال: حَدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عزيز بن طلحة، قال: قال معبد: خرجت من مكة أُريد المدينة، فلما كنت قريباً من المنزل أُريت بيتاً فعدلت إليه، فإذا فيه أسود عنده حُبّان من ماء وقد جَهدني العطش، فسلّمت عليه واستسقيت، فقال: تأخر عافاك الله، فقلت: يا هذا، اسقني بسرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً، فقال: والله لا تذوق منه جُرعة ولو متّ، فرجعت القهقرى، وأنخت راحلتي واستظللت بظلها من الشمس، ثم اندفعت أُغني ليبتلّ لساني: **[الخفيف]**

كَـفِّـنُـونـي إن مـتُّ فـي دِرْعِ أرْوَى وَاسْـتَـقُـوا لـي مِـنْ بـئـرِ عُـرْوَةَ مـائـي

فإذا أنا بالأسود قد خرج إليّ ومعه قدح خيشاني[2] فيه سَويق ملتّ بماء بارد، فقال: هل لك في هذا أرب؟ قلت: قد منعتني ما هو أقل منه: الماء. فقال: اشرب ـ عافاك الله ـ ودع عنك ما مضى. فشربت ثم قال: أعد ـ فديتك ـ الصوت، فأعدته، فقال: هل لك ـ بأبي وأمي ـ أن أحمل لك قربة من ماء، وأمشي بها معك

(١) قباء: قرية قريبة من المدينة على يسار القاصد إلى مكة (معجم البلدان ٤/ ٣٠٢).
(٢) الخيشاني: لعله منسوب إلى خيشان، وهو موضع في سمرقند (معجم البلدان ٢/ ٤١٢).

إلى المنزل وتعيد علي هذا الصوت حتى أتزود منه، وكلما عطشت سقيتك؟ قلت: افعل، فَفعل وسار معي، فما زلت أُغنيه إياه، وكلما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاءً.

صوت

[مجزوء الكامل]

سَلَبَ الشَّبابُ رِداءَهُ عَنِّي وَيَتْبَعُهُ إزارُهْ
ولقد تَحُلُ عَلَيَّ حُلَّتُهُ ويعجبني افْتِخارُهْ
سائِلْ شَبابي هَلْ مسكتُ بِسَوْءَةٍ أو ذَلَّ جارُهْ
ما إن مَلَكْتُ المالَ إلاّ كانَ لي وله خِيارُهْ

ويروى: هل أسأت مساكه.

الشعر لمسكينٍ الدارميِّ، والغناء لِمقّاسة بن ناصح، خفيف رملٍ بالبِنصر عن عمرو.

أخبار مسكين ونسبه

[توفي نحو سنة ٨٩ هـ/نحو سنة ٧٠٨ م]

[اسمه ولقبه ونسبه]

مسكينٌ لقبٌ غلَب عليه، واسمه ربيعةُ بنُ عامر بنِ أُنيفِ بن شريح بن عمرِو بنِ زيدِ بنِ عبد الله بنِ عُدُسِ بنِ دارِم بنِ مالكِ بن زيدِ مناةَ بنِ تميم. وقال أبو عمرو الشيبانيُّ: مسكينُ بن أُنيفِ بن شُريح بنِ عمرِو بنِ عُدُسِ بنِ زيدِ بنِ عبد الله بنِ دارِم بنِ مالكِ بنِ حنظلةَ بنِ زيدِ مناةَ بن تميمٍ. قال أبو عمرو: وإنما لُقب مسكيناً لقوله: [الرمل]

أنـا مِـسْـكِـيـنٌ لِـمَـنْ أنْـكَـرَنـي ... وَلِـمَـنْ يَـعْـرِفُـنـي جِـدُّ نُـطُـقْ
لا أبِـيـعُ الـنَّـاسَ عِـرْضِـي إنّـنـي ... لَـوْ أبِـيـعُ الـنـاسَ عِـرْضِـي لَـنَـفَـقْ

وقال أيضاً: [الطويل]

سُـمِّـيـتُ مِـسْـكـيـنـاً وكـانَـتْ لَـجَـاجَـةً ... وإنّـي لَـمِـسْـكِـيـنٌ إلـى الله راغِـبُ

وقال أيضاً: [الطويل]

إنْ أُدعَ مـسـكـيـنـاً فَـلَـسْـتُ بِـمُـنْـكَـرٍ ... وَهَلْ يُنْكَرَنَّ الشَّمْسُ ذَرَّ شُعاعُها[1]
لَـعَـمْـرُكَ مـا الأسْـمـاءُ إلا عـلامَـةٌ ... مَـنـارٌ وَمِـنْ خَـيْـرِ الـمـنـارِ ارتـفـاعُـهـا

شاعر شريف من سادات قومه، هاجى الفرزدق ثم كافّه، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلَت منها.

(١) ذرّ: ظهر.

[مهاجاته الفرزدق]

حَدَّثني حبيبُ بنُ أوسِ بن نصر المهلبيُّ قال: حدثنا عُمر بن شَبّة عن أبي عبيدة قال: كان زياد قد أرْعى مسكيناً الدارميَّ حِمًى له بناحية العُذَيب[١] في عام قَحطٍ حتى أخصب الناسُ وأحْيَوا، ثم كتب له بِبُرٍّ وتَمر وكَساه، قال: فلما مات زيادٌ رثاه مسكين، فقال: [الوافر]

رأيْتُ زيادةَ الإسْلامِ وَلَّتْ جِهاراً حِينَ وَدّعَنا زِيادُ

فعارضه الفرزدق، وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه إياه وإخافته له، فقال:

[الطويل]

أمسكينُ أبْكَى الله عَيْنَكَ إنَّما جَرَى في ضلالٍ دَمْعُها فَتَحَدَّرا
بَكَيْتَ على عِلْجٍ بِمَيْسانَ كافِرٍ كَكِسْرَى على عِدَّانِهِ أو كَقَيْصَرا[٢]
أقولُ له لَمَّا أتاني نَعِيُّهُ: بهِ لا بِظَبْيٍ بِالصَّرِيمَةِ أعْفَرا[٣]

فقال مسكين يجيبه: [الطويل]

ألا أيها المرءُ الذي لستُ قاعِداً ولا قائماً في القَوْمِ إلا انْبَرَى لِيَا
فَجِئْنِي بِعَمٍّ مثلِ عَمِّي أو أبٍ كَمِثْلِ أبي أو خالِ صدقٍ كَخَالِيا
كَعَمْرِو بن عَمْرٍو أو زرارةَ ذي النَّدى أو البِشْرِ مِن كُلٍّ فَرَعْتُ الرَّوابيا

قال: فأمسك الفرزدق عنه، فلم يجبه، وتكافّا.

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلاّم، فذكر نحواً مما ذكره أبو عبيدة وزاد فيه، قال: والبشر خال لمسكين من النَّمِر بن قاسِط، وقد فخرَ به، فقال: [الوافر]

شُرَيْحٌ فارسُ النّعمانِ عَمّي وخالي البِشْرُ بِشْرُ بني هِلالِ
وقاتِلُ خالِهِ بأبِيهِ مِنّا سماعةُ لم يَبِعْ حَسَباً بمالِ

وأخبرني عمي قال: حدثنا الحَزنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه بمثل

(١) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة. (معجم البلدان ٤/ ٩٢).
(٢) ميسان: كورة بين البصرة وواسط. (معجم البلدان ٥/ ٢٤٢).
(٣) الصريمة: موضع. والأعفر: الظبي الذي لونه لون التراب.

هذه الحكاية، وزاد فيها: قال: فتكافّا واتّقاه الفرزدق أن يُعين عليه جريراً، واتّقاه مسكين أن يعين عليه عبد الرحمٰن بنَ حسان بن ثابت. ودخل شيوخ بني عبد الله وبني مُجاشع، فتكافا.

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال: حَدَّثنا أبو غسانَ دَماذُ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: قال الفرزدق: نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوتُ من زياد حين طلبني، ونجوت من ابنيْ رُمَيلة وقد نذَرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قطٌّ، ونجوتُ من مهاجاة مِسكينِ الدارميّ؛ لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدِم شَطر حسَبي وفخري، لأنه مِن بُحبوحَة نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولساني.

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال: حَدَّثني محمود بن داودَ عن أبي عِكرمة عامِر بنِ عمران عن مسعود بنِ بِشر عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول: أشعرُ ما قيل في الغَيْرة قول مسكين الدارمي: [المتقارب]

ألا أيـهـا الـغـائـرُ الـمـسـتـشـيـ ـطُ فـيـمَ تـغـارُ إذا لـم تُـغَـرْ؟
فـمـا خـيـرُ عـرْسٍ إذا خِـفْـتَـهـا ومـا خـيـرُ عِـرْسٍ إذا لـم تُـزَرْ؟[1]
تـغـارُ عـلـى الـنّـاسِ أن يَـنْـظُـروا وَهَـلْ يَـفْـتِـن الـصـالـحـاتِ الـنَّـظَـرْ؟
وإنِّـي سـأُخْـلِـي لـهـا بَـيْـتَـهـا فَـتَـحْـفَـظُ لـي نَـفْـسَـهـا أو تَـذَرْ
إذا الله لـم يُـعْـطِـنـي حُـبَّـهـا فَـلَـنْ يُـعـطـيَ الـحُـبَّ سَـوْطٌ مُـمَـرْ[2]

[وفوده على معاوية]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال: حَدَّثني عبدُ الله بنُ عمرٍو بن أبي سعدٍ قال: حَدَّثني عبدُ الله بنُ مالك الخزاعي قال: حَدَّثني عبدُ الله بنُ بشير قال: أخبرني أيوب بن أبي أيوب السعديُّ قال: لما قدِم مسكينٌ الدارميّ على معاوية فسأله أن يَفْرض له فأبى عليه، وكان لا يفرض إلا لليمن، فخرج مِن عنده مسكين وهو يقول: [الطويل]

أخـاكَ أخـاكَ إن مَـن لا أخـا لـه كـسـاعٍ إلى الـهـيـجـا بـغـيـرِ سـلاحِ[3]

---

(١) العِرْس: الزوجة.
(٢) الممرّ: المفتول فتلاً جيداً.
(٣) الهيجا: الحرب.

وإنَّ ابنَ عَمِّ المرء فاعْلَمْ جَناحُهُ وَهَلْ ينهضُ البازي بغير جَناحِ؟
وما طالِبُ الحاجاتِ إلا مُغَرَّرٌ وما نالَ شيئاً طالِبٌ كنجاحِ

قال السعديّ: فلم يزل معاوية كذلك حتى غَزَت اليمنُ وكثرت، وضُعضعتْ عدنانُ، فبلغ معاويةَ أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً: لهَممتُ ألا أدع بالشأم أحداً من مُضَرَ، بل هممْتُ ألاَّ أحُل حبوتي حتى أُخرج كل نِزاريّ بالشأم! فبلَغت معاويةَ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِندف، وقَدِمَ على تفيئةِ[1] ذلك عُطارد بن حاجب عَلَى معاوية، فقال له: ما فعل الفتى الدارميُّ الصبيح الوجه الفصيح اللسان؟ ـ يعني مسكيناً ـ فقال: صالح يا أمير المؤمنين، فقال: أعلمْه أني قد فرضت له في شرَف العطاء وهو في بلاده، فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل، فإنّ عطاءه سيأتيه، وبشِّره أني قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خِندفٍ؛ قال: وكان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمنَ في البحر، ويُغزي قيساً في البرّ، فقال شاعر اليمن: [الطويل]

ألا أيها القومُ الذينَ تَجَمَّعُوا بِعَكَّا أُناسٌ أنتُمُ أم أباعرُ؟
أتُتْرَكُ قيسٌ آمنينَ بِدارِهِمْ ونركبُ ظَهرَ البَحْرِ والبحرُ زاخِرُ؟
فواللهِ ما أدْري وإنِّي لسائلٌ أهَمْدانُ يُحْمَى ضَيْمُها أم يُحابِرُ؟
أم الشرفُ الأعلى منَ أولادِ حِمْيَرٍ بنو مالِكٍ إذ تَسْتَمِرُّ المَرائِرُ[2]
أأَوصى أبوهم بينهم أن تَواصَلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

قال، ويقال: إن النجاشيّ قال هذه الأبيات.

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمدَ بنِ الحارثِ العدَويّ عن محمد بنِ عائد عن الوليدِ بنِ مسلمٍ عن إسماعيلَ بن عَياشٍ وغيره، قالوا: فلما بلغَت هذه الأبياتُ معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم، وقال: ما أغزيتكُم البحرَ إلا لأني أتيمن بكم، وأن في قيس نَكَداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، وأنا عارف بطاعتكم ونُصحكم. فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقَباً[3] بينكم، فرضُوا فِعلَ ذلك فيما بعد.

(١) على تفيئة ذلك: على أثر ذلك.
(٢) تستمر المرائر: تستحكم العزائم.
(٣) عُقَباً: مناوبة، جمع عقبة، وهي النوبة والبدل.

حَدَّثني الحسنُ بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ زهَير بن حرب قال: حدثني مصعبُ بنُ عبد الله قال: وحدثنيه زُبيرٌ عن عمه قال: كان أصاغر ولَد مروان في حِجر ابنه عبد العزيز بن مروان، فكتب عبد العزيز إلى بِشر كتاباً، وهو يومئذٍ عَلَى العراق، فورد عليه وهو ثَمِل، وكان فيه كلام أحفظه، فأمَر بِشْر كاتبه فأجاب عبدَ العزيز جواباً قبيحاً، فلما ورَد عليه عَلِم أنه كتبه وهو سكران، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً. وبلغ بشراً عَتْبه عليه، فكتب إليه: لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل. ولو احتَمل الكتاب أكثر مما ضمّنته لزدتُ فيه، وبَقِيَّةُ[1] الأكابر عَلَى الأصاغر من شيم الأكارم. ولقد أحسن مسكينٌ الدارميُّ حين يقول:

[الطويل]

أخـاكَ أخـاكَ إنَّ مـن لا أخـا لـه كسـاعٍ إلى الـهَـيْـجا بـغـيـرِ سلاحِ
وإنَّ ابـنَ عـمِّ الـمَـرْءِ فـاعْـلَـمْ جنـاحُـهُ وهَـلْ يـنـهـضُ الـبـازي بـغـيـر جنـاحِ!

قال: فلما وصل كتابُه إلى عبد العزيز دَمَعت عينه، وقال: إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرَى منه ما جرى، فسلُوا عمن شهِد ذلك المجلس؛ فسئل عنهم، فأُخبر بهم، فقَبِل عذره، وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس، وأن يعزلَ كاتبه عن كتابته، ففعل.

أخبرني محمدُ بنُ الحسين الكِنديُّ خطيبُ القادسية قال: حدثنا عمر بن شَبَّة عن أبي عُبيدة عن أبي عمرو قال: كان الفرزدق يقول: نجوتُ من ثلاث أَرجو ألاَّ يصيبني بَعدهن شر: نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ، ونجوتُ من ضربة رئاب بن رُمَيلة أبي البَذال فلم يقع في رأسي، ونجوتُ من مهاجاة مسكين الدارمي. ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عَمِّي، وقطع لساني عن الشعراء.

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال: حَدَّثنا أبو العيناء عن الأصمعي قال: خطب مسكينٌ الدارميّ فتاةً من قومِه فكرِهَته لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجَتْ بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثلُ نسب مسكين، فمرّ بهما مسكين ذات يوم، وتلك المرأة جالسة مع زوجها، فقال:

[الرمل]

أنـا مِـسْـكِـيـنٌ لِـمَـن يَـعْـرِفُـنـي لَـوْنِـيَ الـسُّـمْـرَةُ أَلْـوانُ الـعَـرَبْ

(١) بقية: إبقاء.

مَن رأى ظَبْياً عليهِ لؤلؤٌ واضِحَ الخَدَّيْنِ مَقْرُوناً بِضَبْ
أكْسَبَتْهُ الورِقُ البِيضُ أباً ولقد كانَ وما يُدْعَى لأبْ
رُبَّ مَهْزولٍ سَمِينٌ بيتُهُ وَسَمِينِ البَيْتِ مهزُولُ النَّسَبْ
أصْبَحَتْ تُرْزَقُ مِن شَحْمِ الذُّرا وتخالُ اللؤمَ دُرّاً يُنْتَهَبْ[1]
لا تَلُمْها إنَّها من نِسْوَةٍ صَخِباتٍ مِلْحُها فَوْقَ الرُّكَبْ[2]
كَشَمُوسِ الخَيْلِ يَبْدُو شَغْبُها كُلَّما قِيلَ لَها هالٌ وَهَبْ[3]

[بينه وبين يزيد بن معاوية]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدثني حماد بن إسحاق الموصليُّ قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عديٍّ عن عبد الله بن عياش قال: كان يزيد بن معاوية يُؤْثر مسكيناً الدارميّ، ويَصِله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعةَ ليزيدَ تهيّب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس، لِحُسن البقيّة فيهم، وكثرة من يُرَشَّح للخلافة، وبلغه في ذلك ذَرْء[4] وكلام كرهه من سعيدِ بن العاص ومروانَ بنِ الحكم وعبدِ الله بن عامر، فأمَر يزيدُ مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول: [الطويل]

إن أُدْعَ مسكيناً فإنّي ابنُ مَعْشَرٍ مِن النّاس أَحْمِي عنهمُ وأذودُ[5]
إليكَ أميرَ المؤمنينَ رَحَلْتُها تُثِيرُ القَطا ليلاً وهنّ هُجُودُ
وهاجِرَةٍ ظَلَّتْ كأنَّ ظِباءها إذا ما اتّقَتْها بالقرونِ سُجُودُ

صوت

ألا لَيْتَ شِعْرِي ما يقولُ ابنُ عامِرٍ ومروانُ أم ماذا يقولُ سعيدُ؟
بَنِي خلفاءِ اللّهِ مَهْلاً فإنّما يُبَوِّئها الرَّحمٰنُ حيثُ يريدُ

---

(١) الذرا: أعالي السنام.
(٢) ملحها فوق الركب: كثيرة الخصام، وصخابة: كثيرة الصخب.
(٣) الفرس الشموس: الشرسة. وهال وهب: كلمتا زجر للخيل.
(٤) ذَرْء: شيء.
(٥) أذود: أدافع.

إذا المِنبرُ الغَرْبِيُّ خلاَّهُ رَبُّهُ فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يَزِيدُ

ـ الغناء لمَعبد ثقيلٌ أولُ بالبِنصَر، عن عمرو بن بانة:

على الطائرِ المَيْمُونِ والجَدُّ صاعِدٌ لِكُلِّ أناسٍ طائرٌ وجُدودُ
فلا زِلْتَ أعلى الناسِ كَعْباً ولا تَزَلْ وُفُودٌ تُساميها إليكَ وُفُودُ[1]
ولا زالَ بَيتُ المُلكِ فَوْقَكَ عالياً تُشَيَّدُ أطنابٌ لَهُ وعَمودُ[2]
قُدُور ابْنِ حَرْبٍ كالجَوابي وتحتها أثافٍ كأمثالِ الرئالِ رُكودُ[3]

فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين، ونستخير الله. قال: ولَم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد ليَعلم ما عندهم، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته.

أخبرني محمدُ بن خلَفٍ قال: حَدَّثنا العَنَزِيّ قال: حَدَّثنا أبو معاويةَ بنُ سعيدِ بنِ سالم قال: قال لي عَقيد:

غنيت الرشيد:

إذا المِنبرُ الغربيُّ خلاَّهُ رَبُّهُ

ثم فطِنْت لخطابي، ورأيت وجه الرشيد قد تغير، قال: فتداركتها وقلت:

[الطويل]

فإن أميرَ المُحْسِنين عقيدُ

فطرِب، وقال: أحسنت والله، بحياتي قل:

فإن أميرَ المؤمنين عقيدُ

فوالله لأنت أحق بها من يزيدَ بن معاوية، فتعاظمتُ ذلك، فحلف لا أُغنيه إلا كما أمر، ففعلت، وشرب عليه ثلاثة أرطال، ووصلني صلة سنية.

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال: حَدَّثنا عبد الرحمٰن ابن أخي

(١) أعلى الناس كعباً: أعلى الناس شرفاً.
(٢) أطناب: جمع طنب، وهو حبل طويل يشد به السرادق.
(٣) الجوابي: جمع جابية وهي الحوض يجبى فيه الماء للإبل. والرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام.

الأصمعي قال: حدثني عمي قال:

كانت لمسكينٍ الدارميِّ امرأة من مِنقر، وكانت فاركاً كثيرةَ الخصومة والمُماظَّةِ[١]، فجازت بِهِ يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه: [الكامل]

إن أُدْعَ مسكيناً فما قَصَرَتْ   قِدْرِي بيوتُ الحَيِّ والجُدْرُ

فوقفَتْ عليه تَسمع حتى إذا بلغ قوله:

ناري ونارُ الجارِ واحِدَةٌ   وإليهِ قَبْلي تُنْزَلُ القِدْرُ

فقالت له: صدقت والله، يجلس جارُك فيطبُخ قدره، فتصطلي بناره، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب، فإذا شبع أطعمك، أَجَلْ والله، إن القدر لتنزل إليه قبلك، فأعرض عنها، ومرّ في قصيدته حتى بلغ قوله:

ما ضَرَّ جاراً لِي أُجاورهُ   ألا يكونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

فقالت له: أجل، إن كان له ستر هتكته، فوثب إليها يضربها، وجعل قومه يضحكون منهما. وهذه القصيدة من جيد شعره.

صوت

[البسيط]

يا فَرْحتا إذ صَرَفْنا أَوْجُهَ الإبِلِ   نَحْوَ الأحِبَّةِ بالإزعاجِ والعَجَلِ
نَحُثُّهُنَّ وما يُؤْتَيْنَ مِنْ دأبٍ   لكنَّ للشوقِ حَثّاً ليسَ للإبِلِ

الشعر لأبي محمد اليزيديّ، والغناء لسليمان، ثقيل أول بالبِنصَر عن عمرو، والهشامي.

(١) المماظة: المنازعة والمشادّة والخصام.

أخبار أبي محمد ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠٢ هـ/نحو سنة ٨١٨ م]

[اسمه وكنيته ونسبه وولاؤه وعلومه]

أبو محمد يحيى بنُ المبارَك، أحَدُ بني عدِيٍّ بنِ عبد شمس بنِ زيد مناةَ بنِ تميم. سَمِعْتُ أبا عبد الله محمدَ بنَ العباس بن محمد بن أبي محمدٍ اليزيديَّ يذكر ذلك، ويقول: نحن مِن رَهْط ذي الرمة.

وقيل: إنهم موالي بني عدي، وقيل لأبي محمدٍ: اليزيديُّ لأنه كان فيمن خرج مع إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ الحسن بالبصرة، ثم توارى زماناً حتى استَتر أمرُه، ثم اتصل بعد ذلك بيزيدَ بن منصورٍ خالِ المهدي، فوصله بالرشيد، فلم يزل معه. وأدّب المأمونَ خاصةً من ولده، ولم يزل أبو محمد وأولادُه منقطعين إليه وإلى ولده، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد.

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو، راويةً للشعر، متصرفاً في علوم العرب. أخذ عن أبي عمرِو بنِ العلاء ويونُسَ بنِ حبيبٍ النحويّ وأكابرِ البصريين، وقرأ القرآن على أبي عمرِو بن العلاء، وجوّد قراءته ورواها عنه، وهي المعوَّل عليها في هذا الوقت. وكان بَنُوه جميعاً في مثلِ منزلتِه من العِلم والمعرفة باللغة، وحسن التصرف في علوم العرب. ولسائِرهم عِلمٌ جيد. ونحن نَذكر بَعْدَ انقضاء أخباره أخبار مَن كان له شعر وفيه غناء من ولَده، إذ كنا قد شرطنا ذِكْر ما فيه صنعة دون غيره.

فمنهم محمدُ بنُ أبي محمدٍ، وإبراهيم بن أبي محمد، وإسماعيل بنُ أبي محمد. كلٌّ هؤلاء ولَده لصلبه، ولكلِّهم شعر جيد.

ومن ولَد ولَدِه أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي محمد، وهو أكبرُهم، وكان شاعراً راوية عالماً.

ومنهم عُبَيد الله والفضلُ ابنا محمد بن محمدٍ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة، وحُمِل عنهما علم كثير. وآخِر مَن كان بقِي من علماء أهلِ هذا البيتِ أبو عبد الله محمدُ بنُ العباس بنِ محمدِ بنِ أبي محمد، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقّي فيما ينقله. وقد حمَلْنا نحن عنه وكثيرٌ من طلبة العلم ورواته عِلْماً كثيراً، فسمعْنا منه سَماعاً جمّاً[1]. فأما ما أذكر ها هنا من أخبارهم فإني أخذْته عن أبي عبد الله عن عمّيه عُبيد الله والفضل، وأضفْت إليه أشياء أُخر يسيرة أخذتها عن غيره، فذكرْت ذلك في مواضعه، ورويته عن أهله.

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال: حَدَّثني عمي عُبَيد الله عن عمه إسماعيل بنِ أبي محمد قال: حَدَّثني أبي قال: كان الرشيد جالساً في مجلسه فأُتيَ بأسير من الروم، فقال لِدُفَافَةَ العبسيّ: قُم فاضرب عنقه، فضربه فنبا سيفه، فقال لابن فُلَيح المدَنيّ: قم فاضرب عنقه، فضربه فنبا سيفه أيضاً، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين! تقدمَتْني ضربة عبسية، فقال الرشيد للمأمون، وهو يومئذٍ غلام: قم - فداك أبوك - فاضرب عنقه، فقام فضرب العِلْج، فأبان رأسه، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه، فضربه فأبان رأسه، ونظر إليّ المأمونُ نظر مستنطِق، فقلت: [البسيط]

أبـقـى دُفـافَـةُ عـاراً بـعـد ضَـرْبَـتِـهِ — عـنـدَ الإمـام لِـعَـبْـسٍ آخـرَ الأبَـدِ
كـذاكَ أُسْـرَتُـهُ تَـنْـبُـو سُـيُـوفُـهُـمُ — كَـسَـيْـفِ ورقاءَ لـم يقطعْ ولـم يَكَـدِ[2]
مـا بـالُ سيفِكَ قد خـانَـتْـكَ ضَـرْبَـتُـهُ — وقـد ضَـرَبْـتَ بـسيـفٍ غَـيْـرِ ذي أَوَدِ[3]
هَـلاّ كـضَـرْبَـةِ عـبـدِ الـلّـهِ إذْ وَقَـعَـتْ — فَـفَـرَّقَـتْ بيـنَ رأسِ العِـلْـجِ وَالـجَـسَـدِ

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره: كان حَمّويه ابنُ أخت الحسن

(١) جمّاً: كثيراً.
(٢) ورقاء: هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي. ضرب خالد بن جعفر بن كلاب بسيفه فلم يصنع شيئاً لأنه كان مظاهراً بين درعين. (انظر الكامل في التاريخ ١/ ٤١٣).
(٣) الأود: الاعوجاج والانحناء.

الحاجب وسعيدٌ الجوهريّ واقفين، فذكرا أبا محمد ـ يعني أباه والكسائي ـ ففضّل حَمُّويه الكسائي على أبي محمد، وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي. وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا بِرَجل يحكم بينهما، فتراهنا على أنّ من غَلب أخذ بِرْذَون صاحبه، فجعلا الحَكَم بينهما أبا صفوان الأحوزيّ، فلما دخل سألاه فقال لهما: لو ناصح الكسائيُّ نفسه لصار إلى أبي محمد، وتعلم منه كلام العرب، فما رأيت أحداً أعلم منه به، فأخذ الجوهريّ دابة حَمّويه. وبلغ أبا محمد اليزيديّ هذا الخبر فقال: [السريع]

يا حَمّويهِ اسْمَعْ ثَناً صادقاً ... فيكَ وما الصّادِقُ كالكاذِبِ

يا جالبَ الخِزْيِ على نَفْسِهِ ... بُعْداً وسُحْقاً لكَ من جالبِ

إنْ فَخَرَ النّاسُ بآبائِهِمْ ... آتَيْتَهُمْ بالعَجَبِ العاجبِ

قُلْتَ وأدْغَمْتَ أباً خامِلاً ... أنا ابنُ أختِ الحَسَنِ الحاجِبِ

[أبو محمد وسلم الخاسر]

قال إسماعيل: وحدثني أبي قال: كنت ذاتَ يوم جالساً أكتب كتاباً، فنظر فيه سلمٌ الخاسر طويلاً، ثم قال: [الخفيف]

أَيْر يحيى أخَطُّ من كَفِّ يَحْيَى ... إنّ يَحْيَى بأَيْرِهِ لَخَطُوطُ

فقال أبو محمد يحيى:

أمُّ سَلْمٍ بذاكَ أعْلَمُ شَيْءٍ ... إنَّها تحتَ أَيْرِهِ لَضَروطُ

ولها تارةً إذا ما علاها ... أزْمَلٌ مِن وِداقِها وأَطِيطُ[1]

أمُّ سلمٍ تُعَلِّمَ الشّعْرَ سَلْماً ... حَبَّذا شِعْرُ أمِّكَ المَنْقُوطُ

ليتَ شعري ما بالُ سَلْمِ بنِ عَمْرٍو ... كاسِفَ البالِ حينَ يُذكَر لُوطُ

لا يُصَلِّي عليهِ فيمَنْ يُصَلِّي ... بَلْ لهُ عندَ ذِكْرِهِ تَثْبيطُ

فقال له سلم: ويحك ما لك خُبثت؟ أي شيء دعاك إلى هذا كله؟ فقال أبو محمد: بدأْتَ، فانتصرْتُ، والبادي أظلم.

(١) أزمل: صوت. والوِداق: الشبق. والأطيط: الأنين.

قال أبو عبد الله محمدُ بنُ العباس اليزيديّ: حدثني عُبَيد الله وعمي أبو القاسم عن أبي عليٍّ إسماعيل قال: قال لي أبي: قال سلم الخاسر يوماً:

يا أبا محمد، قل أبياتاً على قول امرىء القيس:

رُبّ رامٍ مـــن بَـــنِـــي ثُـــعَـــلِ

ولا أُبالي أن تهجوني فيها، فقلت: [المديد]

رُبّ مَـغْـمُـوم بـعـافـيَـةٍ غَـمَـطَ الـنّـعـمـاءَ مِـنْ أشَـرِهْ
مُـوردٌ أمْـراً يُـسَـرُّ بـهِ فَـرَأى الـمَـكْـرُوهَ فـي صَـدَرِهْ
وامْـرِىءٍ طـالَـتْ سـلامَـتُـهُ فـرمـاهُ الـدَّهْـرُ مـن غِـيَـرِهْ
بِـسِـهـام غَـيْـرِ مُـشْـوِيَـةٍ نَـقَـضَـتْ مـنـه عُـرا مِـرَرِهْ[١]
وكـذاكَ الـدَّهْـرُ مُـخْـتَـلِـفٌ بـالـفَـتَـى حـالَـيْـنِ مـن عُـصُـرِهْ
يَـخْـلِـطُ الـعُـسْـرَى بـمَـيـسَـرَةٍ ويَـسَـارُ الـمَـرْءِ فـي عُـسُـرِهْ
عَـقَّ سَـلْـمٌ أمَّـهُ سَـفَـهـاً وأبـا سَـلْـم عـلـى كِـبَـرِهْ
كُـلَّ يـومٍ خَـلْـفَـهُ رَجُـلٌ رامِـحٌ يَـسْـعَـى عـلـى أثَـرِهْ[٢]
يُـولِـجُ الـغُـرْمـولَ سُـبَّـتَـهُ كَـولُـوجِ الـضَّـبِّ فـي جُـحُـرِهْ[٣]

فانصرف سلم وهو يشتِمُه ويقول: ما يَحلّ لأحد أن يكلمك.

قال: وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر: يا أبا محمد، قل أبياتاً قافيتها على هاءين، فقلت له: على أن أهجوك فيها، فقال نعم، فقلت: [المنسرح]

قـلـتُ وَنَـفْـسِـي جَـمٌّ تـأوُّهـهـا تَـصْـبُـو إلـى إلْـفِـهـا وأنْـدَهُـهـا[٤]
سَـقْـيـاً لـصـنـعـاءَ لا أرَى بَـلَـداً أوْطَـنَـهُ الـمُـوطِـنُـونَ يُـشْـبِـهُـهـا[٥]
حِـصْـنـاً وحُـسْـنـاً ولا كَـبَـهْـجَـتِـهـا أعْـذَى بـلادٍ عَـذاً وأنْـزَهُـهـا[٦]
يـعـرفُ صـنـعـاءَ مَـن أقـامَ بـهـا أرْغَـدُ أرْضٍ عَـيْـشـاً وأرْفَـهُـهـا

(١) أشوى السهم: أصاب، ولم يخطىء الهدف.
(٢) رامح: ذو رمح.
(٣) الغرمول: الذكر. والسبة: الاست.
(٤) أندهها: أزجرها.
(٥) أوطنه: جعله وطناً.
(٦) أعذى البلاد: أطيبها هواء.

أَبْلِغْ حُضَيْراً عَنِّي أبا حَنَشٍ عائِرَةً نَحْوَهُ أُوجِّهُها(١)
تأتيهِ مثلَ السِّهامِ عامدةً عليهِ مَشْهُورَةً أُدَهْدِهُها(٢)
كُنْيَتُهُ طَرْحُ نونِ كُنْيَتِهِ إذا تَهَجَّيْتَها سَتَفْقَهُها

يريد إسقاط النون من أبي حنش حتى يكون أبا حش.

قال أبو عبد الله: وحدثني عمي قال: حدثني الطَّلْحِيّ ـ وكان له علم وأدب ـ قال: اجتمعت مع أبي محمدٍ عند يونُسَ بنِ الربيع، وكان قد دعانا، فأقمنا عنده، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد، فقام يونُس لحاجته، وكان جميلاً وسيماً، فالتفتّ إلى اليزيديِّ فقال: [الخفيف]

وفتى كالقناةِ في الطَّرْفِ منهُ إن تأمَّلْتَ طَرْفَهُ اسْترخاءُ
فإذا الرامِحُ المُشيخُ تلاهُ وَضَعَ الرُّمْحَ منهُ حيثُ يشاءُ

[بينه وبين قتيبة الخراساني]

قال: وحَدَّثني عمي عن عمه إسماعيل عن أبي محمد قال: كان قُتَيبة الخُراسانيّ صاحبُ عيسى بن عمرَ يأتيني، فيسألني عن مسائل كالمتعنِّت، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً، وكان أفطس، فقلت له يوماً:

أَمُخْبِري أنتَ يا قُتَيْبَةُ عَنْ أنْفِكَ أم أنْتَ كاتِمٌ خَبَرَهْ؟
بأيِّ جُرْمٍ وأيِّ ذَنْبٍ تَرَى سَوَّتْ بِخَدَّيْكَ أنْفَكَ البَقَرَهْ
فَصَيَّرَتْهُ كَفَيْشَةٍ نَبَتَتْ في وَجْهِ قردٍ مَفْضُوضة الكَمَرَهْ
قد كانَ في ذاكَ شاغِلٌ لكَ عن تَفْتِيشِ بابِ العرفانِ وَالنَّكِرَهْ

وقلت فيه أيضاً: [الوافر]

إذا عافى مَليكُ الناسِ عَبْداً فلا عافاكَ رَبُّكَ يا قُتَيْبَهْ
طلبتَ النَّحْوَ مذ أنْ كُنْتَ طفلاً إلى أن جَلَّلَتْكَ قَبُحْتَ شَيْبَهْ
فما تزدادُ إلا النَّقْصَ فيهِ وأنتَ لَدَى الإيابِ بِشَرِّ أَوْبَهْ
وكنتَ كغائبٍ قد غابَ حِيناً فطالَ مُقامُهُ وأتى بِخَيْبَهْ

قال أبو محمد: كان عيسى بن عُمر أعلمَ الناس بالغريب، فأتاني قُتَيبةُ

(١) العائرة: يقصد القصيدة.
(٢) أدهدهها: أوجهها، أرسلها.

الخراسانيّ هذا، فقال لي: أفِدْني شيئاً من الغريب أُعايي به عيسى بنَ عُمر، فقلت له: أجوَدُ المساويك عند العرب الأراك، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتمئرّاً[1]، عُجَارِماً[2] جَيداً، وقد قال الشاعر: [الطويل]

إذا اسْتَكْتَ يَوْماً بالأراكِ فلا يَكُنْ سِواكُكَ إلا المُتْمَئِرَّ العُجارِما

يعني الأير. قال: فكتب قتيبة ما قلت له، وكتب البيت، ثم أتى عيسى بن عَمرَ في مجلسه، فقال: يا أبا عُمرَ، ما أجودُ المساويك عند العرب؟ فقال: الأراك، يرحمك الله. فقال له قتيبة: أفلا أُهدي إليك منه شيئاً مُتمئراً عُجارِماً؟ فقال: أهدِه إلى نفسك. وغضب، وضحك كل من كان في مجلسه، وبقي قتيبة متحيراً، فعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاء، فقال له: ويلك! مَنْ فَضَحَك وسخِر منك بهذه المسألة؟ ومن أهلكك ودمّر عليك؟ قال: أبو محمد اليزيديّ، فضحك عيسى حتى فحص برِجله، وقال: هذه والله من مَزَحاته وبلاياه. أراه عنك منحرفاً، فقد فضحك. فقال قتيبة: لا أُعاود مسألته عن شيء.

حَدَّثني عمي قال: حدثني عُبَيد الله بنُ محمدٍ اليزيديّ قال: حدثني أخي أبو جعفر قال: سمعْتُ جدّي أبا محمد يقول: صِرْت يوماً إلى الخليل بن أحمد، والمجلس غاص بأهله، فقال لي: هاهنا عندي، فقلت: أُضيِّق عليك، فقال: إنّ الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين، وإنّ شِبراً في شِبر لا يضيق عن متحابَّين. قال: وكان الخليل لأبي محمد صافيَ الوُدّ.

حَدَّثنا اليزيديّ قال: حَدَّثني عمي عبيدُ الله قال: حدثني أخي أحمدُ قال: سمعت جدي أبا محمد يقول: كنت ألقَى الخليل بنَ أحمدَ، فيقولُ لي: أُحبّ أن يُجمع بيني وبين عبدِ الله بنِ المُقَفَّع، وألقى ابنَ المُقفّع فيقول: أُحب أن يُجمع بيني وبين الخليلِ بنِ أحمدَ. فجمعْتُ بينهما، فمرّ لنا أحسنُ مجلِس وأكثرُه علماً. ثم افترقنا، فلقيتُ الخليل فقلت له: يا أبا عبد الرحمٰن، كيف رأيت صاحبك؟ قال: ما شئتُ من علم وأدب، إلا أني رأيت كلامَه أكثرَ من عِلمه، ثم لقيت ابن المُقفَّع فقلت: كيف رأيتَ صاحبَك؟ فقال: ما شئتُ من عِلم وأدب، إلا أنّ عقلَه أكثرُ من علمه.

(١) المتمئرّ: الذكر الصلب.
(٢) العجارم: كناية عن الذكر، وأصله: الرجل الشديد.

[المناظرة بينه وبين الكسائي]

حَدَّثنا اليزيديّ قال: حدثني عمي عُبَيد الله قال: حَدَّثني أخي أحمدُ بنُ محمدٍ قال: حدثني أبي محمدُ بنُ أبي محمدٍ قال: قال لي أبو محمد: كنا مع المهدي بِبَلد في شهر رمضان قبل أن يُسْتخلَف بأربعة أشهر، وكان الكسائيّ معنا، فذكر المهديّ العربية وعنده شَيْبَةُ بن الوليدِ العبسيُّ عمُّ دُفافة، فقال المهديّ: نَبعث إلى اليزيديِّ والكِسَائيِّ، وأنا يومئذٍ مع يزيدَ بنِ المنصور خالِ المهديّ، والكسائي مع الحسن الحاجب، فجاءنا الرسول، فجئت أنا، فإذا الكسائيُّ على الباب قد سبقني. فقال: يا أبا محمد، أعوذ بالله من شرّك، فقلت: والله لا تُؤتَى من قِبَلي حتى أُوتَى من قِبلك.

فلما دخلنا عليه أقبل عليّ، وقال: كيف نسبوا إلى البَحْرَين فقالوا: بَحْرانيٌّ، ونسبوا إلى الحِصنَين[1] فقالوا: حِصنيّ ولم يقولوا حِصنانيّ كما قالوا بَحراني؟ فقلت: أصلح الله الأمير! لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحريّ لم يعرف أإلى البحرَين نسبوا أم إلى البحر؟ فلما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن يُنسَب إليه غيرُهما فقالوا: حصني.

قال أبو محمد: سمعْتُ الكسائي يقول لعمرَ بن بَزِيع ـ وكان حاضراً ـ: لو سألني الأمير لأخْبرته فيها بعلّة هي أحسن من هذه. قال أبو محمد: قلت: أصلح الله الأمير، إن هذا يزعم أنك لو سألتَه لأجاب بأحسنَ مما أجبْتُ به. قال: فقد سألتُه. فقال الكسائيّ: لما نسبوا إلى الحصنَين كانت فيه نونان، فقالوا: حِصني اجتزاءً بإحدى النونين عن الأُخرى، ولم يكن في البحرَين إلا نون واحدة، فقالوا: بَحراني. فقلْتُ: أصلح الله الأمير! فكيف تَنسب رجلاً من بني جنّان؟ فإنه يلزمه على قياسه أن يقول: جِنّي. إن في جنّان نونين، فإن قال ذلك فقد سوّى بينه وبين المنسوب إلى الجِنّ.

قال: فقال لي المهدي وله: تناظرا في غير هذا حتى نسمع، فتناظرْنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له: كيف تقول: إن من خير القوم أو

---

(١) الحصنان: موضع (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٦٥)..

خيرَهم نِيةً زيد؟ قال: فأطال الفكر لا يجيب. فقلت: لأن تجيب فتخطىء فتتعلم أحسن من هذه الإطالة. فقال: إن من خير القوم أو خيرُهم نِيّةً زيداً. قال: فقلت: أصلح الله الأمير، ما رَضي أن يلحن حتى لحن وأحال. قال: وكيف؟ قلت: لرفعه قبل أن يأتيَ باسم إنّ، ونصبه بعد رفعه.

فقال شَيْبةُ بن الوليد: أراد بأوْ - بَلْ، فرفع هذا معنى. فقال الكسائيّ: ما أردْتُ غير ذلك. فقلت: فقد أخطآ جميعاً أيها الأمير. لو أراد بأوْ - بَل رفع زيداً؛ لأنه لا يكون بل خيرُهم زيداً، فقال المهديّ: يا كسائيّ، لقد دخلْتَ عليّ مع مَسْلَمة النحويّ وغيره، فما رأيت كما أصابك اليوم. قال: ثم قال: هذان عالمان، ولا يقضي بينهما إلا أعرابيّ فصيح يُلقَى عليه المسائلُ التي اختلفا فيها فيجيب. قال: فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب. قال أبو محمد، وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابيّ، وكان المهديّ محباً لأخواله، ومنصورُ بنُ يزيدَ بنِ منصورٍ حاضر، فقلت: أصلح الله الأمير! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات:

[المنسرح]

يا أيها السائلي لأُخبره عَمَّنْ بصنعاءَ من ذوي الحَسَبِ
حِمْيَرُ ساداتُها تُقِرُّ لها بالفَضْلِ طُرّاً جَحاجِحُ العَرَبِ[١]
وإنَّ مِنْ خَيْرِهِمْ وأكْرَمِهِمْ أو خَيْرَهُمْ نِيَّةً أبو كَرِبِ[٢]

قال: فقال لي المهديّ: كيف تنشده أنت؟ فقلت: أو خيرَهم نية أبو كرب على إعادة إنّ، كأنه قال: أو إنَّ خيرَهم نية أبو كَرَب. فقال الكسائيّ: هو والله قالها الساعةَ. قال: فتبسم المهديّ، وقال: إنك لتشهد له وما تدري. قال: ثم طلع الأعرابيّ الذي بعث إليه فأُلقيَت عليه المسائل، فأجاب فيها كلِّها بقولي، فاستفزّني السرور حتى ضربْتُ بِقُلَنسِيَتي الأرض، وقلت: أنا أبو محمد. فقال لي شيبة: أتتكَنّى باسم الأمير؟ فقال المهديّ: والله ما أراد بذلك مكروهاً، ولكنه فعل ما فعل للظّفر، وقد - لَعَمري - ظفر. فقلت: إن الله - عزّ وجلّ - أنطقك أيها الأمير بما أنت أهلُه، وأنطق غيرك بما هو أهله. قال: فلما خرجنا قال لي شيبة: أتخطّئني بين يدَي الأمير؟ أمَا لتعلمنّ! قلت: قد سمعْتُ ما قلت، وأرجو أن تجد غبّها، ثم

(١) طرّاً: جميعاً. والجحاجح: جمع جحجاح وهو السيد.
(٢) أبو كرب: أحد ملوك حمير.

لم أُصبح حتى كتبْتُ رِقاعاً عدة، فلم أدع ديواناً إلا دسستُ إليه رُقعة فيها أبيات قلتُها فيه، فأصبح الناس يتناشدونها، وهي: [الخفيف]

عِش بِجَدٍّ ولا يَضُرُّكَ نَوْكٌ ... إنما عَيشُ من تَرى بالجُدودِ[1]
عِش بِجَدٍّ وكنْ هَبَنَّقَةَ القَيْـ ... ـسيَّ نَوْكاً أوْ شَيْبَةَ بنَ الوَلِيدِ[2]
شيب يا شيب يا جُدَيَّ بَني القعْـ ... ـقاعِ ما أنْتَ بالحليم الرَّشِيدِ
لا ولا فيك خَلَّةٌ من خلالِ الـ ... ـخَيْرِ أحْرَزْتَها لِحَزْمٍ وَجُودِ
غيرَ ما أنَّكَ المجيدُ لتقطيـ ... ـعِ غناءٍ وَضَرْبِ دُفٍّ وعودِ
فَعَلَى ذا وذاكَ يَحْتَمِلُ الدَّهْـ ... ـرُ مُجِيداً لَهُ وَغَيْرَ مُجِيدِ

قال: وقال أبو محمد اليزيديّ يهجو خَلفاً الأحمر أستاذ الكسائيّ، أنشدنيه عمي الفضل: [الخفيف]

زَعَمَ الأحْمَرُ المَقِيتُ عَليٌّ ... وَالَّذي أمُّهُ تُقِرُّ بِمَقْتِهْ
أنَّهُ عَلَّمَ الكسائيَّ نَحْواً ... فَلَئِنْ كانَ ذا كذاكَ فباسْتِهْ

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال:

أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصه إلى السّن[3]، فأتيت عاصماً الغسانيَّ ـ وكان أثيراً عند يحيى بن خالد ـ فقلت له: إن أمير المؤمنين قد أمر لي بمال، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت، فأُحبُّ أن تذكُر أبا علي يحيى بن خالد أمرَه ليعجّله إليّ. فقال: نعم. ثم عدْتُ بعد ذلك بيومين، فقال لي يتفخَّم في لفظه: ما أصبتَ بحاجتك موضعاً. قال: قلت: فاجعلها منك ـ أكرمكَ الله ـ بِبال. فلما خرجْتُ لحقني بعض من كان في المجلس، فقال لي: يا أبا محمد، إني لأربأ بك أن تأتيَ هذا الكلبَ أو تسألَه حاجة، قلت: وكيف؟ قال: سمعته يقول ـ وقد ولّيْت ـ لو أن بيدي دجلةَ والفراتَ ما سقَيْتُ هذا منهما شَربة، فقيل له: ولِم ذاك ـ أصلحك الله ـ فإن له قَدراً وعلماً؟ قال: لأنه من مُضَرَ، ما رأيت مُضريّاً قطّ يحب اليمانيَة. قال: فأحببْت ألا أعجَل، فعُدت إليه من غد فقلت: هل كان منك ـ أكرمك الله ـ في الحاجة شيء؟ فقال: والله لكأنك تطلبنا بِدَين فتحقَّق عندي ما

(١) الجدود: جمع جدّ، وهو الحظ. والنوك: الحمق. والأنوك: الأحمق وجمع الأنوك: النوكى.
(٢) هبنقة القيسي وشيبة بن الوليد: يضرب بهما المثل بالنوك والحمق.
(٣) السنّ: مدينة على دجلة فوق تكريت. (معجم البلدان ٣/٢٦٨).

بلغني عنه، فقلت له: لا قضى الله هذه الحاجةَ عَلَى يدك، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها، والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً، ولا رددَتُ عليك السلام إن بدأتَني به. ونفَضْت ثوبي وخرجْت.

فإني لأسير وأفكّر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يَرْكُض حتى لحقني، فقال: بعثني إليك أبو علي يحيى بن خالد لِتقف حتى يلحقك، فرجعْت مع رسوله إليه فلقيته، وكان قريباً، فسلّمْتُ عليه ثم سايرته، فقال لي: إن أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح، فإني أُحدّثك حديثاً حدثني به أبي خالدُ بنُ بَرْمكَ: أنّ الحجاج بنَ يوسف أراد مؤدّباً لولده، فقيل له: هاهنا رجل نصرانيّ عالم، وها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصرانيّ، قال: ادعوا لي المسلم. فلما أتاه قال: ألا ترى يا هذا أنّا قد دُللنا عَلَى نصرانيّ قد ذكروا أنه أعلم منك، غير أني كرهْتُ أن أضمّ إلى ولدي مَن لا ينبّههم للصلاة عند وقتها، ولا يدلُّهم على شرائع الإسلام ومعالمه؟ وأنت ـ إن كان لك عقل ـ قادر على أن تتعلم في اليوم ما يُعلمه أولادي في جمعة، وفي الجمعة ما يعلّمهم في الشهر، وفي الشهر ما يعلمهم في سنة. ثم قال لي يحيى: فينبغي يا أبا محمد أن نُؤثر الدّين على ما سواه، فقلت له: قد أصبتُ من أرضاه، وذكرت له الحسن بن المسوّر، فضمه إليه، ثم سألني: من أين أقبلت؟ فأخبرتُه بخبر عاصم وما كان منه، فقلت له: قد حضر هذا المَسير، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه؟ فضحك وقال: ولِم لا تدري؟ الْقَ صديقك جعفراً ـ يعني ابنه ـ حتى يكلم أميرَ المؤمنين أو يذكرَني حاجتك، فقد تركته على المضي الساعة، فانثنيت إلى جعفر وقلت له في طريقي: [الكامل]

يـا سـائـلـي عَـمَّـا أُخَـبِّـرُهُ ... عـن جَـعْـفَـرٍ كَـرَمـاً وعـن شِـيَـمِـهْ
إنّ ابْـنَ يَـحْـيَـى جـعـفـراً رجـلٌ ... سِـيطَ الـسَّـمـاحُ بِـلَـحْـمِـهِ وَدَمِـهْ[1]
فَـعَـلَـيْـهِ «لا» أبَـداً مُـحَـرَّمَـةٌ ... وكـلامُـهُ وقَـفٌ عـلـى نَـعَـمِـهْ
وَتَـرَى مُـسَـابِـقَـهُ لـيـدركَـهُ ... بـمـكـانِ حَـذْوِ الـنَّـعْـلِ مـن قَـدَمِـهْ

فلما دخلت إليه أخبرته الخبر، وأنشدته الأبيات، وأعلمته ما أمرني به أبوه، فقال لي: قل بيتين تذكُره فيهما إلى أن أُجدّد طُهراً واكتبهما حتى يكونا معي، فأذكرَ

(١) سيط بلحمه ودمه: خلط بهما.

بهما حاجتك، فقلت: نعم يا سيدي، وأخذت الدواة وكتبت: [السريع]

أَحَقُّ مَنْ أَنْجَزَ مَوْعُودَهُ خَلِيفَةُ الله عَلَى خَلْقِهِ
وَمَنْ لَهُ إِرْثُ نَبِيِّ الهُدَى بِالحَقِّ لا يُدْفَعُ عن حَقِّهِ
يُنْسَبُ في الهَدْيِ إلى هَدْيِهِ بِرّاً وفي الصِّدْقِ إلى صِدْقِهِ
وَمَنْ لَهُ الطَّاعَةُ مَفْرُوضَةٌ لائِحَةٌ بِالوَحْيِ في رَقِّهِ
والرَّاتِقُ الفَتْقِ العَظِيم الَّذي لا يَقْدِرُ النَّاسُ على رَتْقِهِ

قال: فأخذ الشعر، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إياه، فصَكَّ إليَّ بالمال عليه، وقبضته بعد ذلك بيوم، وأنشأت أقول في الغسَّانيّ: [الطويل]

ألا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ أَمْ أَنتَ حَالِمُ فَأَهْلاً بِطَيفٍ زارَ والليلُ عاتِمُ
إذا قِيلَ أيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ جَفْوَةً وألأمُ قِيلَ الجَرْمَقانيُّ عاصِمُ[1]
دَعِيٌّ أجاءَتْهُ إلى اللؤمِ دَعْوَةٌ ومغرِسُ سَوْءٍ لُؤْمُهُ مُتَقادِمُ
شَهِيدِي على أنْ لَيْسَ حُرّاً صَلِيبَةً صَفِيحةُ وَجْهِ ابنِ استِهَا واللهازِمُ[2]
صفيحةُ دَقّاقٍ أبوهُ شَبِيهُهُ وَجَدّاهُ سَمَّاكٌ لئيمٌ وحاجِمُ
أعاصِمُ خَلِّ المكرماتِ لأهْلِها وَأَغْضِ عَلَى لُؤمٍ وَوَجْهُك سالِمُ
فكيفَ تَنالُ الدَّهْرَ مَجْداً وسودَداً وفي كلِّ يومٍ كوكَبٌ لكَ ناجِمُ؟
وَأَصْلُكَ مَدْخُولٌ وفِسقُكَ ظاهِرٌ وعَجْبُكَ مهموزٌ وعَرْدُكَ عارِمُ[3]
تُصانِعُ غَسّاناً لِتُلْحَقَ فيهِمُ وَرُبَّ دَعِيٍّ أَلْحَقَتْهُ الدَّراهِمُ
فإنْ رَابَ رَيْبٌ أو أَصابتكَ شِدَّةٌ رَجَعْتَ إلى شَلْثى وأنفكَ راغِمُ

ـ قال: وكان اسم ابنه شلثى، فصيره صِلْتا[4] ـ

إذا عَاصِماً يوماً أتيتَ لحاجةٍ فلا تَلْقَهُ إلا وأَيْرُكَ قائِمُ
وَعَرِّضْ لهُ من قبلِ ذاكَ بأمْرَدٍ وَضِيءٍ وسِيمٍ أثْقَلَتْهُ المآكِمُ
وإلاّ فلا تَسْأَلْهُ ما عِشْتَ حاجَةً ولا تَبْكِهِ إنْ أَعْوَلَتْهُ المآتِمُ

قال: فلما حَدث ببني بَرْمك ما حدث قُبضَت ضيعتُه في المقبوض من ضِيَاع

---

(١) الجرمقاني: واحد الجرامقة وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أول الإسلام.
(٢) فلان عربي صليبة: أي عربي خالص النسب.
(٣) العجب: أصل الذنب. والعَرْد: الذكر الصلب.
(٤) الصلت: اللص.

أسبابهم، فصار إلي وكلّمني في أمرها، وسألني كلامَ الجوهريّ في ذلك، فقمت له حتى رُدت الضيعة عليه، فجاءني يشكرني، ويعتذر مِمَّا جرَى مِن فِعله المتقدم، فقلت له: تَناس مَا مضى، فلستُ ممن يكَافىء عَلَى سوءٍ أحداً.

[هجاؤه أبا عبيدة]

قال أبو محمد: كان أبو عبيدةَ يجلس في مسجد البصرة إلى سَارية، وكُنت أنا وخَلَفٌ الأحمر نجلس -ميعاً إلى أخرى، وكان أبو عبيدة من أغْضِه[1] الناس لِلناس وأذكرِهم لمثَالبهم، فقال لأصحابه: أترون الأحمر واليزيديّ إنما يجتمعان عَلَى الوقيعة لِلناس وذِكر مسَاويهم؟ وبلغني ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه، فقلت لِخَلفٍ: دعه، فأنا أكفيكه. فلما كان من الأذان جئت أنا وخَلفٌ إلى المسجد، فكتبت عَلَى الجصّ في الموضع الذي كان يجلس فيه أبو عبيدة: [البسيط]

صَـلَّـى الإلٰـهُ عَـلَـى لُـوطٍ وَشِـيـعَـتِـهِ ... أبـا عُـبَـيْـدَةَ قُـلْ بـالله آمِـيـنـا

قال: وأصبح الناس، وجَاءَ أبو عبيدة، فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوباً وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون، ورفَع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه، فخجل، ولم يزَل منكّساً رأسه حتى انصرف الناس وأنا وخَلَفٌ ناحيةً ننظر إلى ما به، ثم قمنا حتى وقفنا عليه، فقلنا له: ما قال صاحب هذا البيت إلا حقاً، نعم فصَلى الله عَلَى لوط، فأقبل عَلَيّ وقال: قد علمتُ مِن أين أُتيت، ولن أُعاود التعرض لتلك الجهة. ولم يعد لذكرنا بعد ذلك.

وقال أبو محمد: اعْتللتُ عِلّة من حمى رِبْع[2] طالت عَلَيَّ أشهراً، فجفاني يزيد بن منصور، ولم يمر بي في علتي، ولم يتفقدني كما ينبغي؛ فكتبتُ رقعة إليه ضمنتها هذه الأبيات: [البسيط]

قُـلْ لِـلأمِـيـرِ الـذي يَـرْجُـو نـوافِـلَـهُ ... مَـن جـاءَ طـالـبـاً لِـلْـخَـيْـرِ مُـنـتـابـا[3]
إنِّـي صـحـبـتـكَ دَهْـراً كُـلَّ ذاكَ أرَى ... مِـنْ دونِ خَـيْـرِك حُـجَّـابـاً وأبـوابـا

(١) أعضه: جاء بالإفك والبهتان.
(٢) حمّى الربع: الحمى التي تأتي في اليوم الرابع. بأن يحمّ المريض يوماً ويترك يومين ثم يحمّ في اليوم الرابع.
(٣) انتاب: قصد.

وَكم ضَريكٍ أجاءَتْهُ شَقاوَتُهُ إليكَ إذا أنْشَبَتْ ضَرّاؤها نابا[١]
فما فَتَحْتَ لَهُ باباً لِمَيْسَرَةٍ ولا سَدَدْتَ له من فاقَةٍ بابا
كغائبٍ شاهِدٌ يَخْفَى عليكَ كَمَا مَنْ غابَ عَنْكَ فَوافَى حَظُّهُ غابا

فلما قرأها قال: جفَوْنا أبا محمد؛ وأحوجناه إلى استبطائنا، والله المستعان. وبعث إليه بصلة.

أخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ أبو دُلَف قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الرحمٰن بنِ الفهم، وكان من أصحاب الأصمعي، قال: كان خلَف الأحمر يعبَث بأبي محمدٍ اليزيديّ عبثاً شديداً، وربما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح، فقال فيه ينسبه إلى اللّواط: [الكامل]

إنِّي وَمَنْ وَسَجَ المَطِيُّ لَهُ حُذْبَ الذّرَى أذْقانُها رُجُفُ[٢]
يَطْرَحْنَ بالبِيدِ السِّحال إذا حَثَّ النَّجاءَ الرَّكْبُ وَازْدَهَفُوا[٣]
وَالمُحْرِمِينَ لِصوْتِهِمْ زَجَلٌ بِفِناءِ كَعْبَتِهِ إذا هَتَفُوا
وإذا قَطَعْنَ مَسافَ مَهْمَهَةٍ قَذَفٍ تَعَرَّضَ دونها شَرَفُ[٤]
وافَتْ بِهِمْ خُوصٌ مُخَزَّمَةٌ مثلُ القِسِيِّ ضوامِرٌ شُسُفُ[٥]
مِنّي إليهِ غَيْرَ ذي كَذِبٍ ما إنْ رأى قَوْمٌ ولا عَرَفُوا
في غابِرِ النّاسِ الّذِين بَقُوا وَالفُرَّطِ الماضِينَ إذ سَلَفُوا[٦]
أحَداً كَيَحْيَى في الطِّعانِ إذا افْـ ـتَرَشَ القَنا وَتَضَعْضَعَ الحَجَفُ[٧]
في مَعْرَكٍ يُلقى الكَمِيُّ به لِلْوَجْهِ مُنْبَطِحاً وَيَنْحَرِفُ[٨]
وإذا أكَبَّ القِرْنُ يُتْبِعُهُ طَعْناً دُوَيْنَ صَلاهُ يَنْخَسِفُ[٩]

---

(١) الضريك: الفقير.
(٢) وسج البعير: أسرع.
(٣) السحال: اللجام. وازدهفه: استعجله.
(٤) المهمهة: المفازة. والقَذف: البعيد.
(٥) الخوص: غائرات العيون. واحده أخوص وخوصاء. والشسف: اليابسة من الهزال.
(٦) الفُرَّط: السابقون.
(٧) الحَجَف: جمع حجفة، وهي الترس.
(٨) الكميُّ: الكامل السلاح.
(٩) الصلا: وسط الظهر.

لله دَرُّكَ أيّ ذي نُــــــزُلٍ ... في الحَرْبِ إذْ هَمُّوا وإذ وَقَفُوا[(١)]
لا تَخْطِئُ الوَجْعاءَ آلَتُهُ ... ولا تُصدُّ إذا هُمُ زَحَفُوا[(٢)]
وَلَهُ جِيادٌ لا يُفَرِّطُها الـ ... إحلالُ والمضمارُ والعَلَفُ[(٣)]
جُرْد يهانُ لها السَّويقُ وألـ ... بانُ اللِّقاحِ كأنَّها نُزُفُ[(٤)]
مُرْدٌ وأطفالٌ تَخالُهُمُ ... دُرّاً تَطابَقَ فَوْقَهُ الصَّدَفُ
فَهُمُ لَدَيْهِ يَعْكُفونَ بِهِ ... والمَرْءُ منهُ اللِّينُ واللُّطُفُ
ومتَى يشا يُجْنَبْ لَهُ جَذَعٌ ... نَهْدٌ أسيلُ الخَدِّ مُشْتَرَفُ[(٥)]
يَمْشِي العِرَضْنَةَ تَحْتَ فارِسِهِ ... عَبْلَ الشَّوَى في مَتْنِهِ قَطَفُ[(٦)]
رَبِذٌ إذا عَرِقَتْ مَغابِنُهُ ... ذَهَبَ السكونُ وأقْبَلَ العُنُفُ[(٧)]
فأعدَّ ذاكَ لِسَرْجِهِ وَلَهُ ... في كُلِّ غاديةٍ لها عُرُفُ
في حَقْوِهِ عَرْدٌ تَقَدَّمُهُ ... صَلْعاءُ في خُرْطُومِها قَلَفُ[(٨)]
جَرْداءُ تُشْحَذُ بالبزاقِ إذا ... دُعِيَتْ نزالِ وَهَبَّ مُرْتَدِفُ[(٩)]
أوْفَى على قِيدِ الذِّراعِ شَديـ ... ـدُ الجَلْزِ في يافُوخِهِ جَوَفُ[(١٠)]
خاظٍ مُمَرٌّ مَتْنُهُ ضَرِمٌ ... لا خانَهُ خَوَرٌ ولا قَضَفُ[(١١)]
عَرْدُ المَجَسِّ بِمَتْنِهِ عُجَرٌ ... في جِذرِهِ عَنْ فَخْذِهِ جَنَفُ[(١٢)]
فَلَوَ انَّ فَيّاضاً تأمَّلَهُ ... نادَى بِجهدِ الوَيْلِ يَلْتَهِفُ
وإذا تَمَسَّحَهُ لِعادَتِهِ ... ودنا الطِّعانُ فَمِدْعَسٌ ثَقِفُ[(١٣)]

---

(١) النزل: ما هيّء للضيف. والمراد هنا ما هيىء وأُعدّ لمن يقع عليهم.
(٢) الوجعاء: الاست. والألة: الحربة.
(٣) لا يفرّطها: لا يثيرها للسبق.
(٤) اللقاح: جمع لقوح، وهي الناقة الحلوبة الغزيرة اللبن. والنُّزُف: جمع نزيف وهو الذي يخرج منه دم غزير.
(٥) يُجنب: يكون إلى جنبه آخر. والجذع: الصغير السنّ من الإبل. والمشترف: المشرف.
(٦) العِرضنة: الاعتراض في السير من النشاط. والعبل: الضخم. والشَّوَى: الأطراف. والقطف: الأثر.
(٧) الرّبذ: السريع. والمغابن: جمع مغبن، وهو الإبط وأصل الفخذ.
(٨) الحقو: الخصر.
(٩) المرتدف: الذي يركب خلف الراكب.
(١٠) قيد الذراع: مقدار الذراع. والجلز: الطيّ واللّيّ والمدّ والنزع.
(١١) خاظٍ: مكتنز.
(١٢) العُجَر: جمع عُجْرَة، وهي العقدة.
(١٣) المدعس: الشديد الطعن. والثقف: الخبير.

وإذا رأى نَــفَــقــاً رَبَــا ونــزا حـتـى يـكـاد لـعـابـه يـكـف
لا نـاشـئـاً يُـبْـقِـي ولا رَجُـلاً فَـنِـداً وَهٰـذا قَـلْـبُـهُ كَـلِـفُ(١)
يـا لـيـتـنـي أدري أمُـنْـجِـيَـتِـي وَجْـنـاءُ نـاجِـيَـةٌ بـهـا شَـدَفُ(٢)
مِـنَ آن تـعـلـقـنـي حـبـائـلُـهُ أو أنْ يُـواري هـامَـتِـي لُـجُـفُ(٣)
ولـقـد أقـولُ حِـذارَ سَـطْـوَتِـهِ إيـهـاً إلَـيْـكَ تَـوَقَّ يـا خَـلَـفُ
ولـوَ انَّ بَـيْـتَـكَ فـي ذُرا عَـلَـم مِـن دونِ قـلـة رأسـه شَـعَـفُ(٤)
زَلِـقٍ أعـالـيـهِ وأسْـفَـلُـهُ وَعْـرُ الـتَّـنـائِـفِ بَـيْـتُـهـا قَـذَفُ(٥)
لَـخـشـيـت عَـرْدَكَ أن يُـبـيِّـتَـنـي أن لـم يـكـنْ لـيَ عَـنْـهُ مُـنْـصَـرَفُ

قال الأصمعيّ: فحدثني شيخ من آل أبي سفيان بنِ العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قال: أنشدْت قصيدة خلفٍ الفائيةَ هذه وأعرابي جالس يسمع، فلما سمع قوله:

فـإذا أكَـبَّ الـقِـرنَ أتْـبَـعَـهُ طَـعْـنـاً دُوَيْـنَ صَـلاه يَـنْـخَـسِـفُ

قال الأعرابي: وأبيك لقد أحب أن يضعه في حاق(٦) مَقِيل(٧) ضَرْطته.

أخبرني هاشمُ بنُ محمد قال: حدثني ابنُ الفهم قال: حدثني الأصمعيّ قال: كنتُ مع خلَفٍ جالساً، فجرى كلام في شيء من اللغة، وتكلم فيه أبو محمدٍ اليزيدي وجعل يَشغَب، فقال لي خلَفٌ: دَعْني من هذا يا أبا محمد، وأخبرني من الذي يقول: [مجزوء الكامل]

فـإذا انْـتَـشَـأتُ فـإنَّـنِـي رَبُّ الـخُـرَيْـبَـةِ والـرُّمَـيْـحِ
وإذا صَـحَـوْتُ فـإنَّـنـي رَبُّ الـدُّوَيَّـةِ والـلُـوَيْـحِ

يعرِّض به أنه معلم، وأنه يلوط، فغضب اليزيدي، وقام فانصرف.

(١) الفَند: الخَرف.
(٢) الشَّدَف: سرعة الوثب.
(٣) اللُّجُف: جمع لجاف، وهو ما أشرف على الغار.
(٤) الشَّعَف: جمع شعفة، وهي من كل شيء أعلاه.
(٥) التنائف: جمع تنوفة، وهي الأرض المتباعدة الأطراف، وقيل: التي لا ماء فيها. والقَذَف: الفلاة البعيدة.
(٦) الحاق: الوسط.
(٧) مقيل: موضع.

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدّثني طلحةُ الخُزاعِيّ قال: حدثني أبو سعيد عثمانُ بنُ يوسفَ الحنفيُّ قال:

غاضب أبو محمد اليزيديّ مواليَه بَني عدِي رهْط ذي الرمة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه، فقعدوا عنه، فقال يهجوهم: [السريع]

يا أيها السائلُ عن قَوْمِنا ... لمّا رأى بِزَّةَ أحْبارِهِمْ(١)
وحُسْنَ سَمْتٍ مِنْهُمْ ظاهِراً ... إعلانُهُمْ لَيْسَ كإسْرارِهِمْ
سائلْ بهم أحْمَرَ أو غَيْرَهُ ... يُنْبِيكَ عن قَوْمِي وأخبارِهِمْ
قوم كرامٌ ما عدا أنَّهُمْ ... صَوْلَتُهُمْ منهم على جيرانِهِمْ
أُسْدٌ على الجيرانِ أعداؤهم ... آمِنَةٌ تخطرُ فِي دارِهِمْ
لو جاءهُمْ مُقْتَبِساً جارُهُمْ ... ما قَبَسُوهُ الدَّهْرَ من نارِهِمْ
وقد وَتَرْناهُمْ فلم نَخْشَ مَنْ ... ينهضُ في سَيْرِهِ أو ثارِهِمْ
أحْسَنُ قومٍ لمواليهمُ ... إنْ أيْسَرُوا يوماً لأيسارِهِمْ
شهادة الزُّورِ لَهُمْ عادةٌ ... حَقّاً بها قِيمَةُ أخْبارِهِمْ
وما لهم مجدٌ سوى مَسْجِدٍ ... به تَعَدَّوا فَوْقَ أطوارِهِمْ
لو هُدِمَ المسجدُ لم يُعرفوا ... يَوْماً ولم يُسْمَعْ بأخْبارِهِمْ

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرني عمي عُبَيد الله قال: حدثني عمي إسماعيل وأخي أحمدُ قالا: لما بلغ المأمونُ وصار في حدّ الرجال أمرَنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعمِلنا له خطبته المشهورة. وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة، فلما خطب بها رَقَّت قلوب الناس، وأبكى من سمعه، فقال أبو محمد اليزيديّ: [الطويل]

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامَةٌ ... عليهِ بها شُكْرُ الإلٰهِ وُجوبُ
بأنَّ وليّ العَهْدِ مأمونَ هاشِمٍ ... بَدا فَضْلُهُ إذْ قامَ وَهْوَ خَطيبُ
ولما رماهُ النَّاسُ من كلِّ جانبٍ ... بأبصارهم والعُودُ منهُ صَلِيبُ

(١) الأحبار: جمع حبر، وهو العالم.

رماهُمْ بقولٍ أنْصتُوا عَجَباً لَهُ — وفي دونِهِ لِلسّامِعينَ عَجيبُ
ولما وعَت آذانُهُمْ ما أتى بهِ — أنابَتْ وَرَقَّتْ عندَ ذاكَ قلوبُ
فأبكى عُيُونَ الناسِ أبْلَغُ واعِظٍ — أغرُّ بِطاحيٌّ النِّجارِ نَجيبُ[1]
مَهيبٌ عليه لِلوقارِ سكينةٌ — جَريءُ جَنانٍ لا أكَعُّ هَيُوبُ[2]
ولا واجِبٌ فوقَ المنابرِ قلبُهُ — إذا ما اعْتَرَى قَلْبَ النَّجيبِ وَجيبُ
إذا ما علا المأمُونُ أعوادَ مِنْبَرٍ — فليسَ له في العالمينَ ضَريبُ
تَصَدَّعَ عنهُ الناسُ وهو حَديثهم — تَحَدَّث عنهُ نازحٌ وَقَريبُ
شَبيه أميرِ المؤمنينَ حَزامَةً — إذا وردَتْ يَوْماً عليه خطوبُ
إذا طابَ أصْلٌ في عُروقِ مشاجِهِ — فأغْصانُهُ من طِيبهِ سَتَطِيبُ[3]
فَقُلْ لأميرِ المؤمنينَ الذي بهِ — يُقَدَّمُ عبدُ الله فهو أدِيبُ
كأن لم تغب عن بلدة كانَ والياً — عليها ولا التَّدْبيرُ منكَ يَغيبُ
تَتَبَّعْ ما يُرْضِيكَ في كلِّ أمْرِهِ — فَسِيرَتُهُ شخصٌ إليكَ حَبيبُ
ورِثتم بني العبّاسِ إرثَ محمدٍ — فليسَ لحَيٍّ في التراثِ نَصِيبُ
وإنّي لأرْجُو يابْنَ عَمِّ محمدٍ — عطاياكَ والرّاجيكَ ليس يَخيبُ
أثبني على المأمونِ وابنِي محمداً — نوالاً فإياه بذاكَ تثيبُ
جَنابُ أميرِ المؤمنين مُبارَكٌ — لَنا وَلِكُلِّ المؤمنينَ خَصيبُ
لقد عَمَّهمْ جُود الإمام فَكُلُّهُمْ — له في الذي حازَتْ يداه نَصِيبُ

صوت

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم، ولابنه محمدِ بنِ أبي محمد بمثله.

أخبرني عمي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: حدثني أخي أحمد

(١) البطاحي: من قريش البطاح. وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة، والأخشبان: أبو قبيس والأحمر، وهما جبلان.
(٢) الأكعّ: الجبان.
(٣) مشاجه: تكوّنه.

عن أبيه قال: أستأذن أبو محمد الرشيدَ وهو بالرّقّة في الحج، فأذن له، فلما عاد أنشدنا لنفسه: [البسيط]

يا فَرْحَتا إذْ صَرَفْنا أوْجُهَ الإبِلِ إلى الأحِبَّةِ بالإزعاجِ والعَجَلِ
نَحُثُّهُنَّ ولا يُؤتَيْنَ من دأبٍ لكنَّ لِلشَّوْق حَثّاً ليس للإبلِ
يا نائياً قَرُبَتْ منهُ وساوسُهُ أمْسَى قَرِينَ الهَوَى وَالشَّوْقِ وَالوَجَلِ
إنْ طالَ عَهْدُكَ بالأحْبابِ مُغْتَرِباً فإنَّ عَهْدَكَ بالتَّسْهِيدِ لم يَطُلِ
أمَا اشْتَفَى الدَّهْرُ مِنْ حَرّانَ مُخْتَبَلٍ صَبِّ الفؤادِ إلى حَرَّانَ مُخْتَبَلِ
عِشْ بالرَّجاءِ وأمِّلْ قُرْبَ دارِهِمُ لَعَلَّ نَفْسَكَ أنْ تَبْقَى مَعَ الأمَلِ

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي وولد ولده

فمِنهم محمدُ بنُ أبي محمد، ومما يُغنَّى فيه من شعره قوله:

صوت

أتيتُكَ عائذاً بكَ منـ ... ـكَ لما ضاقَتِ الحِيَلُ
وَصَيَّرَني هَواكَ وَبي ... لِحَيني يُضْرَبُ المَثَلُ[1]
فإنْ سَلِمَتْ لكم نَفْسِي ... فَمَا لاقَيْتُهُ جَلَلُ[2]
وإن قَتَلَ الهَوى رَجُلاً ... فإنِّي ذلك الرَّجُلُ

الشعر لمحمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ، يُكنَى أبا عبد الله، والغناء لسُلَيم بن سَلاَم، ثقيل أول بالبِنصر، وله أيضاً فيه ماخوريّ.

وكان سليم صديقَ محمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديّ، كثيرَ العشرة له، وليس في شيء منْ شعره صنعة إلا له. وله يقول محمد بنُ أبي محمد اليزيديُّ:

صوت

[الخفيف]

بِأبِي أنْتَ يا سُلَيْمُ وأُمِّي ... ضِقتُ ذَرْعاً بِهَجْرِ مَنْ لا أُسَمِّي
صَدَّ عنِّي أقَرُّ مَن خَلَقَ اللّـ ... ـهُ لِعَيْني فاشْتَدَّ غَمِّي وَهَمِّي
ما احتيالي إن كانَ في القَدَرِ السّا ... بِقِ لِلْحَيْنِ أنْ أمُوتَ بِسُقْمِي؟

---

(١) الحين: الموت.

(٢) الجلل: العظيم.

الغناء لسُلَيم، خفيفُ رمل بالوُسطى عن عمرو.

أخبرني محمدُ بن العباس اليزيديّ قال: حدثني عمي عُبَيد الله عن أخيه أبي جعفر عن أبيه محمدِ بن أبي محمد قال: قال لي أبي: نظر إليك أبو ظبية العكْلي - وقد جاءني - فقال لي، وقد أقبلْت: [الكامل]

يَـلِـدُ الـرِّجـالُ بَـنـيـهـمُ أولادَهـمْ وَوَلَـدْتَ أنْـتَ أبـاً مـن الأولادِ

قال أبو محمد: وكتب أبو ظبية يوماً: [الطويل]

أيَحْيَى لـقـد زُرنـاكَ نـلـتـمسُ الـجَـدَا وأنْـتَ امْـرُؤٌ يُـرْجَـى جَـداهُ ونـائـلُـهْ[1]
وما صنَع المعروفَ في الناسِ صانعٌ فـيـحْـمَـدَ إلا أنْـتَ بِـالـخَـيْـرِ فـاضِـلُـهْ
تَـخَـيَّـرَكَ الـنّـاسَ الـخَـلِـيـفـةُ لابْـنِـهِ وأحْـكَـمْـتَ مـنـهُ كُـلَّ أمْـرٍ يـحـاوِلُـهْ
فَـمَـا ظَـنَّ ذو ظـنٍّ مـن الـنـاسِ عِـلْـمُـهُ كَـعِـلْـمِـكَ إلا مُـخْـطِـىءُ الـظَّـنِّ فـائِـلُـهْ
إلـيـكَ تـنـاهَـتْ غـايـةُ الـنـاسِ كـلِّـهـم إذا اشْـتَـبَـهَـتْ عـنـدَ الـبَـصِـيـرِ مـسـائـلـهْ

قال أبو محمد: فكتب إليه: [الطويل]

أبـا ظـبـيـةَ اسْـمَـعْ مـا أقـولُ فَـخَـيْـرُ مـا يـقـالُ إذا مـا قِـيـلَ صُـدِّق قـائـلـهْ
إذا شِـئْـتَ فـانْـهَـدْ بـي إلـى مَـنْ أرَدْتَـهُ وَأمِّـلْـتَ جَـدْواهُ فـإنّـي مـنـازِلُـهْ[2]
فـإن يـكُ تَـقْـصـيـرٌ ولا يَـكُ عـارِفـاً بِـحَـقِّـكَ فـاعـذِلْـهُ فَـتَـكْـثُـرْ عـواذِلُـهْ

حدثني أبو عبد الله محمدُ بنُ العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي عُبيد الله قال: حدثني أخي أحمدُ عن أبي قال: صِرْت إلى العباس بن الأحنف، فقال لي: ما حاجتك؟ قلت: أمرني أخوك وأبي أن أصير إليك وأستفيدَ منك، فقال لي: أتصير إليّ؟ ودِدْت أني سبقتك إلى بيتين قلتَهما وأني لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما، فدخلني من السرور ما الله به عليم، فقلت: وما هما؟ فقال: قولك:

يــا بَــعــيــدَ الــدّارِ مَــوْصُــو لاً بِــقَــلْــبِــي وَلِــسَــانِــي
رُبَّــمــا بــاعَــدَكَ الــدَّهْـــ ـرُ وأدْنَــتْــكَ الأمــانِــي

(١) الجدا، والنائل: العطاء.
(٢) انهد: انهض.

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمار قال: حدثني محمدُ بنُ داودَ الجراحُ قال: حدّثني أبو القاسم عُبَيد الله بنُ محمد اليزيديُّ قال: حدثني أحمد بنُ محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقْتُ من الشعر شيئاً إلا معنيين: قال مُسلم بن الوليد:

[الخفيف]

ذاكَ ظَبْيٌ تَحَيَّرَ الحُسْنُ في الأرْ كانِ منهُ وَحَلَّ كُلَّ مَكانِ
عَرَضَتْ دونَهُ الحِجال فما يلـ ـقاكَ إلا في النَّوْمِ أو في الأماني

فقلت:

[مجزوء الرمل]

يا بَعِيدَ الدّارِ مَوْصو لاً بِقَلْبي وَلِساني
ربما باعَدَكَ الدهـ ـرُ وأدْنَتْكَ الأماني

وقال مسلم أيضاً:

[الوافر]

متى ما تَسْمَعِي بِقَتِيلِ حُبٍّ أُصِيبَ فإنَّني ذاكِ القَتِيلُ

فقلت أنا:

[مجزوء الوافر]

أتيتُكِ عائذاً بكِ منـ ـكِ لما ضاقت الحِيَلُ
وصيَّرني هواكِ وبي لحيني يُضْرَبُ المثل
فإن سلِمَتْ لكم نفسي فما لاقيتُه جَلَل
وإن قتَلَ الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل

أخبرني محمدُ بنُ العباس قال: حدثني عمي عُبَيد الله عن أخيه أبي جعفر قال: عتَب أبي ـ يعني محمدَ بن أبي محمد ـ على يونُس بنِ الربيع، وكان صديقَه فكتب إليه:

[الطويل]

سأبكيك حيّاً لا بكيتك ميِّتاً بأربعة تجري عليك هُمولا
وأُعفيك من طول اللقاء وإنني أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلا
فكيف بصبري عنك لا كيف بعدما حللْتَ محلاً في الفؤاد جليلا!

قال، وكتب إليه يونس:

[الوافر]

إلى كم قد بَلِيت وليس يبلى عتاب منك لي أبداً طويلُ؟
إذا كثر التجنّي من خليل ولم تُذنبْ فقد ظَلم الخليل

أخبرني عمي قال: حدثني الحسنُ بن الفهم قال: قال لي أبو سمير عبد

الله بن أيوبَ مولى بني أمية: بات عندي ليلةً محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ، فظهر لنا قُنفذ، فقلت له: قل فيه شيئاً، فأنشأ يقول: [الطويل]

وَطـارِقِ لَـيْـلٍ زارنـا بـعـد هَـجْـعَـةٍ ... مـن الـلَّـيْـلِ إلا مـا تَـحَـدَّثَ سـامِـرُ
فَـقُـلْـتُ لـعـبْـدِ الله مـا طـارِقٌ أتـى؟ ... فـقـالَ امـرؤ سـبـقَـت إلـيـه الـمـقـادرُ
قَـرَيـنـاهُ صَـفْـوَ الـزادِ حـيـنَ رأيـتـه ... وقـد جـاءَ خـفَّـاقَ الـحَـشـا وهـو سـادرُ
جَـمِـيـلُ الـمُـحَـيَّـا والـرِّضـا فـإذا أبـى ... حَمَتْهُ من الضَّيْم الرماحُ الشَّواجِرُ(١)
وَلَـسْـتَ تـراهُ واضِـعـاً لـسـلاحِـهِ ... مَـدَى الـدَّهْـرِ مَـوْتُـوراً ولا هـو واتِـرُ

حدّثنا اليزيديّ قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو صالح بن يزداد قال: حدثني أبي قال: جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديّ إلى باب المأمون وأنا حاضر، فاستأذن، فقال الحاجب: قد أخذ دواءً وأمرني ألا آذن لأحد. قال: فأمَرك ألا توصل إليه رقعة؟ قال: لا، فدَفع إليه رقعة فيها: [الوافر]

هَـدِيَّـتـي الـتَّـحِـيَّـةُ لـلإمـام ... إمـام الـعَـدْلِ والـمـلـكِ الـهُـمـامِ
لأنِّـي لَـوْ بَـذَلْـتُ لَـهُ حَـيـاتِـي ... ومـا أهْـوَى لـقـلَّ لـلإمـامِ
أراكَ مـن الـدَّواءِ الـلَّـهُ نَـفْـعـاً ... وعـافـيَـةً تـكـونُ إلـى تـمـامِ
وأعْـقَـبَـكَ الـسَّـلامَـةَ مـنـه رَبٌّ ... يُـرِيـكَ سَـلامَـةً فـي كُـلِّ عـامِ
أتـأذَنُ فـي الـسَّـلامِ بـلا كـلامٍ ... سِـوَى تَـقْـبِـيـلِ كَـفِّـكَ وَالـسَّـلامِ

قال: فأوصلها، وخرج فأذن له، فدخل وسلّم وحُمِلَت معه ألفا دينار.

حدثني عمي قال: حدثني الفضلُ اليزيديُّ قال: حدّثني أخي أحمدُ عن أبي: قال: دخلْتُ إلى المعتصِم وهو ولي عهد وقد طلع القمر، فتنفس ثم قال: يا محمد، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر، فإنه غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع، فإن كان كما أُحِب فلك بكل بيت مائة دينار، فقلت:

صوت

[المنسرح]

هـذا شـبـيـهُ الـحَـبِـيـبِ قـد طَـلَـعـا ... غـابَ كـمـا غـابَ ثـمَّ قَـدْ لَـمَـعـا
ومـا أرى غَـيْـرَهُ يـشـاكِـلُـهُ ... فـاسْـألْـهُ بـالـلَّـهِ عـنـهُ مـا صَـنَـعـا؟

(١) الرماح الشواجر: الرماح المتشابكة المتداخلة يقصد شوكه..

فَـرَّق بَـيْـنِـي وبَـيـنَـهُ قَـدَرٌ هُـوَ الَّـذِي كـان بَـيْـنَـنـا جَـمَـعـا
فَـهَـلْ لَـهُ عَـوْدَةٌ فَـأَرْقُـبَـهـا كَـمَـا رَأَيْـنـا شِـبْـهَـهُ رَجَـعـا

فقال: أحسنت وحياتي، ثم قال لعَلّويه: غنِّ في هذه الأبيات ـ وكان حاضراً ـ فغنّى فيها، وشرب عليها ليلته، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعَلّويه بمثلها.

لَحْن علّويه في هذه الأبيات رمل.

حدّثني عمي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال: حدثني أخي عن أبي قال: شكوْت إلى المأمون دَيناً عليّ، فقال: إن عبدَ الله بنَ طاهر اليوم عندي، وأريد الخلوة معه، فإذا علمْتَ بذلك فاستدع أن يكون دخولُك أو إخرَاجه إليك، فإني سأحكم لك عليه بمال. فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار، وكتبت بهذين البيتين: [السريع]

يـا خَـيْـرَ سـاداتٍ وأصْـحـابِ هـذا الـطُّـفَـيْـلـيُّ عَـلَـى الـبـابِ
فَـصَـيِّـروا لـي مَـعَـكُـمْ مَـجْـلِـسـاً أو أَخْـرِجُـوا لـي بَـعْـضَ أصحـابـي

وبعثت بهما إليه، فلما قرأهما قال: صدق. اكتبوا إليه وسلوه أن يختار، فكُتِب إليّ: أمّا وصولك فلا سبيل إليه، ولكن من تختار لِنخرجَه إليك فتَمضي معه؟ فكتبْت: ما كنتُ لأختار على أبي العباس أحداً. فقال له المأمون: قُم إلى صديقك. فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك. أتُخرجُني عما شرفْتَني به من منادمتك وتبدلُني بها منادمة ابن اليزيدي! قال: لا بدّ من ذلك أو ترضيه. قال: فلْيحتكم. قال: أخاف أن يشتط أو تقصّر أنت، ولكني أحكم فأعدِل. قال: قد رضيت. قال: تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجَّلة. قال: قد فعلت، فأمَر صاحبَ بيت المال أن يحملَها معي، وأمر عبد الله بِرَدها إلى بيت المال.

حدّثني الصوليُّ قال: حدثني عونُ بنُ محمد قال: كان محمدُ بنُ أبي أحمد اليزيديُّ يعشق جارية لسحاب يقال لها عُليا، وكانت من أظرف النساء لساناً وأحسنهن وجهاً وغناءً، فأُعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار، وذلك في خلافة المأمون، وكان عليُّ بنُ الهيثم جونقاً صديقاً لمحمدِ بنِ أبي أحمدَ اليزيديِّ، فبلغ المأمونَ الخبرُ، فدعا محمداً، وقال: ما قصتك مع عليا؟ قال: قد قلتُ في ذلك أبياتاً، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها.

قال: هاتها. فأنشده: [البسيط]

أشْكو إلى الله حُبِّي لِلْعَلِيّينا ... وأنَّنِي فِيهِمُ ألْقَى الأمَرِّينا
حَسْبي عَليّاً أميرَ المؤمنينَ فقد ... أصْبَحْتُ حقّاً أرَى حُبّي لَهُ دِينا
وحبَّ خِلِّي وخُلْصاني أبي حَسَنٍ ... أغْنِي علِيّاً قَرِيعَ التَّغْلَبِيِّينا[1]
ورِقتي لبُنَيٍّ لِي أصِبْتُ بهِ ... وَجْدِي به فَوْقَ وَجْدِ الآدميينا
وَرابع قد رمى قلبي بأسْهُمِهِ ... فجُزْتُ في حُبِّهِ حَدَّ المُحِبِّينا
وَبَعْض من لا أُسَمِّي قَدْ تَمَلَّكَهُ ... فَرُحْتُ عنه بما أعْيا المُداوينا
أتاهُ بِالدِّينِ والدُّنيا تَمَكُّنُهُ ... فَلَمْ يَدَعْ لِيَ لا دُنيا ولا دِينا

قال: فقال المأمون: لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتُها منه، ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً، ولقِيني المعتصم في الدار فقال لي: يا محمد، قد علمت ما آل إليه أمرُ فلانةَ، فلا تذكرنّها، فقلت: السمعُ والطاعة لأمرك.

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال: حدثنا أبو العباس محمدُ بنُ الحسن بن دينار مولى بني هاشم قال: حدثني جعفرُ بنُ محمد اليزيديُّ عن أبيه محمد بنِ أبي محمد قال: كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين: [الطويل]

صَحِيحٌ يَوَدُّ السُّقْمَ كَيْما تَعُودُهُ ... وإنْ لَمْ تَعُدْهُ عادَ منها رسولُها
لِيعلمَ هَلْ ترتاعُ عندَ شَكاتِهِ ... كما قد يَرُوعُ المُشفقاتِ خَلِيلُها؟

قال فقلت: [الوافر]

صَحِيحٌ وَدّ لو أمسى عليلا ... لِتَكْتُبَ أوْ يَرَى مِنْكُمْ رَسُولا
رآكَ تسومُهُ الهجرانَ حتَّى ... إذا ما اعْتَلَّ كنتَ لَهُ وَصُولا
فَوَدَّ ضَنا الحيَاةِ بِوَصْلِ يومٍ ... يكونُ على هواكَ لَهُ دليلا
هُمَا موتانِ مَوْتُ هَوًى وهَجْرٍ ... وموتُ الهَجْرِ شَرُّهُما سَبِيلا

قال: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال: حدّثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ عن أبيه قال: دخلت على المأمون وهو يشرب،

(١) خلصاني: صفيّ واصفيائي للمفرد والجمع، يقال: هو خلصاني، وهم خلصاني.

وعنده عَرِيب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنّر يغنّيانه، فقال: أطعموا محمداً شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أمَا ترى كيف عَتَق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلا أقلّه، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب؟ فقلت: قول الحَكَميّ: [المديد]

عَتقتْ حتّى لَو اتَّصلَتْ ... بلسانٍ ناطقٍ وَفَمِ
لاحْتَبَتْ في القَوْمِ ماثِلَةً ... ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الأُمَمِ

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقُوا محمداً رطلين، وأعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال: يا محمّد: [البسيط]

إنّي وَأنْتَ رضيعا قَهْوةٍ لَطُفَتْ ... عن العِيانِ وَدَقَّتْ عَنْ مَدَى الفَهِمِ
لَمْ نَرْتَضِعْ غيرَ كأسٍ دَرُّها ذَهَبٌ ... والكأسُ حُرْمَتُها أوْلَى مِنَ الرَّحِمِ

قال: والشّعر له قاله في ذلك الوقت.

وممّا فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد، أنشدناه محمّد بن العباس عن عمّه عُبيد الله عن أخيه أحمد:

صوت

[المجتث]

أنْتَ امْرؤ مُتَجَنٍّ ... وَلَسْتُ بالغضبانِ
أنْتَ امرؤ لكَ شأنٌ ... فيما أرَى غَيْرَ شَانِي
صَرّحْ بما عَنْهُ أكْنِي ... أكُفَّ عَنْكَ لِسانِي
حَسْبي أسأتُ فَهَلاً ... مَنَنْتَ بالغفرانِ

ومنها:

صوت

[مجزوء الرجز]

يا أحْسَنَ الأمَّةِ في ... عَيْنِي أمَا تَرْحَمُنِي!
أمَا تَرانِي كامِداً ... مُوكَلاً بالحَزَنِ
أمَا تَرَى فيكَ مُدَا ... راتِي لأهْلِ الظِّنَنِ
أصْرِفُ طَرْفي عَنْكَ خَوْ ... فاً مِنْهُ أن يَفْضَحَنِي
يَرَانِيَ الله وما ألْـ ... ـقى وإنْ لَمْ تَرَنِي

وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي لصلبه، إبراهيم.

صوت

[مخلع البسيط]

لا تَـلْـحَـنِـي إن مَـنَـحْـتُ عِـشْـقـاً مَـن كـانَ لـلـعـشـقِ مُـسْـتَـحِـقّـا[١]
وَلَـمْ يُـقَـدِّمْ عَـلَـيَّ خَـلْـقـاً وَلَـمْ أُقَـدِّم عـلـيـهِ خَـلْـقـا
يَـمْـلِـكُ رِقّـي وَلَـسْـتُ أبْـغِـي مـن مِـلـكـهِ مـا حَـيِـيـتُ عَـتْـقـا
لَـمْ أرَ فِـيـمَـنْ هَـوِيـتُ خَـلْـقـاً أعْـطَـفَ مـنـهُ ولا أرَقّـا

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيديّ، والغناء لأبي العبيس بن حمدون، خفيف ثقيل مطلق. وفيه لعريب رمل مزموم.

(١) لحاه: لامه.

أخبار إبراهيم

[أخبار إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي]

أخبرني عمي قال: حدثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ قال: حدثنا أحمدُ عن عمه إبراهيمَ قال: كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينا أنا في ليلة مظلمة شاتية ذاتِ غيم وريح وإلى جانبي قُبة، فبرقَت بَرْقةٌ وإذا في القبّة عَريب. قالت: إبراهيمُ بنُ اليزيديّ؟ فقلت: لبيك! فقالت: قل في هذا البرق أبياتاً مِلاحاً لأُغنّي فيها، فقلت: [الرجز]

مـاذا بِـقَـلْـبِـي مِـنْ أَلِـيـمِ الـخَـفْـقِ ... إذا رَأَيْـتُ لَـمَـعَـانَ الـبَـرْقِ
مِـن قِـبَـلِ الأُرْدُنِّ أو دِمَـشْـقِ ... لأنَّ مَـنْ أهْـوَى بـذاكَ الأفْـقِ
فـارَقْـتُـهُ وهـو أعَـزُّ الـخَـلْـقِ ... عَـلَـيَّ والـزُّورُ خـلافُ الـحَـقِّ
ذاكَ الَّـذي يَـمْـلِـكُ مِـنِّـي رِقِّـي ... ولـسـتُ أبْـغِـي ما حَـيِـيتُ عَـتْـقِـي

قال: فتنفسَت نفساً ظننته قد قطع حيازيمها[1]، فقلت: ويحك على من هذا؟ فضحكت ثم قالت: على الوطن. فقلت: هيهات! ليس هذا كلُّه للوطن، فقالت: ويلك! أفتراك ظننتَ أنك تستفزني؟ والله لقد نظرتُ نظرة مُريبة في مجلس، فادعاها أكثرُ من ثلاثين رئيساً، والله ما علِم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: حدثني أخي عن عمي إبراهيم بن أبي محمد، أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو، قال فكُتِب في رِفقة فيها فتى من أهل البصرة، ظريف أديب شاعر راوية، فكان لي فيه أُنس، وكنا لا نفترق حتى غزَونا وعدْنا، فعاد إلى البصرة، وكان له بستان حسن

---

(١) الحيازيم: ضلوع الفؤاد، والصدور جمع حيزوم.

بسيحانَ(١)، فكان أكثرُ مُقامه به، وعُزم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عَرضت لي، فكان أكثرُ نشاطي لها من أجله، فوردْتُها، ونظرتُ فيما وردتُ له، ثم سألتُ عنه، ومضيت إليه، فكاد أن يُستطار بي فرحاً، وأقمت بسيحان معه أياماً، وقلت في بعضها وقد اصطبحنا في بستانه: [البسيط]

يا مُسْعِدَيَّ بِسَيْحانٍ فدَيْتُكُما ... حُثّا المدامَةَ في أكنافِ سَيْحانا
نَهْرٌ كَرِيمٌ من الفِردوسِ مَخْرَجُهُ ... بذاكَ خَبَّرنا من كانَ أنبانا
لا تَحْسداني رَواحاً أو مباكَرَةً ... طِيبَ المَسِيرِ على سَيْحانَ أحيانا
بشَطّ سيحانَ إنسانٌ كَلِفْتُ به ... نفسي تقي ذلك الإنسان إنساناً
ريَّاهُ ريحاننا والكأسُ مُعْمَلَةٌ ... لا شيءَ أطْيَبُ من ريّاهُ ريحانا
حُثّا شَرابكما حتى أرى بكما ... سُكْراً فإنّي قد أمْسَيْتُ سَكْرَانا
رَيّا الحَبيبِ وكأسٌ من مُعَتَّقَةٍ ... يُهَيِّجانِ لِنَفْسِ الصَّبِّ أشْجانا
سَقياً لِسيحانَ من نهرٍ ومن وطنٍ ... وساكنيهِ من السُّكّانِ مَن كانا
هُمُ الَّذين عَقَدْنا الوُدَّ بَيْنَهُمُ ... وَبَيْنَنا وَهُمُ في دَيْرِ مُرّانا(٢)

أخبرني محمدُ بنُ العباس قال: حدّثني عمي عُبَيد الله عن جماعة من أهلنا، أن إبراهيمَ بنَ أبي محمدٍ اليزيديَّ كان يعاشر أبا غسان، مولى منيرة؛ وكانت له جارية مغنية؛ يقال لها جاني، فدعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب، فقال له: لو دعوْت ابنَ أخيك ـ يعني محمدَ بنَ أبي محمد ـ لنأنس به. فكتب إليه إبراهيم:

[المجتث]

يا أكْرَمَ النّاسِ طُرّاً ... وأكْرَمَ الفِتيانِ
بادِرْ إلينا لِكَيْما ... تُسْقَى سُلافَ الدِّنانِ
على غِناءِ غزالٍ ... مُهَفْهَفٍ فَتّانِ
اشْرَب على وَجهِ جانٍ ... شرابَكَ الخُسرَواني(٣)
فَما لِجانٍ نظيرٌ ... وما لَها من مُدانِ
إلاّ الذي هو فَردٌ ... وما له من ثانِ
أعْنِي الهلالَ لِستٌّ ... في شَهْرِهِ وَثَمانِ

(١) سيحان: نهر كبير بالثغر من نواحي المصيصة. (معجم البلدان ٣/ ٢٩٣).
(٢) دير مرّان: دير بالقرب من دمشق. (معجم البلدان ٢/ ٥٣٣).
(٣) الخسرواني: نوع من الشراب.

لـلـنـاسِ بَـدْرٌ مُـنِـيـرٌ يُـرَى بِـكُـلِّ مـكـانِ
ومـا لـنـا غَـيْـرُ بَـدْرٍ لَـدَى أبـي غَـسَّـانِ
ذِكْـراه فـي كـلِّ وَقْـتٍ مـوصـولـةٌ بِـلِـسـانـي
سَـبَـيْـتُـهُ وسـبـانـي فَـحُـبُّـه قـد بَـرانـي
مِـنْ ثَـمَّ لَـسْـتَ تَـرانـي أصْـبُـو إلـى إنـسـانِ

أنشدنا أبو عُبيد الله اليزيديُّ عن عمه الفضلِ لإبراهيمَ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ في بعض إخوانه، وقد رأى منه جفوة، ثم عاد واستصلحه، فكتب إليه: [الكامل]

مَـن تـاهَ واحِـدَةً فَـتِـهْ عَـشْـرا كـي لا يَـجُـوزَ بِـنَـفْـسِـهِ الـقَـدْرا[1]
وإذا زهـا أحَـدٌ عـلـيـكَ فَـكُـنْ أزْهَـى عـلـيـهِ ولا تَـكُـنْ غُـمْـرا[2]
أرأيـتَ مَـن لَـمْ تَـرْجُ مَـنْـفَـعَـةً مِـنْـهُ ولـم تَـحْـذَرْ لَـهُ ضَـرّا
لَـمْ يُـسْـتَـذَلّ وتُـسْـتَـذَلَّ لَـه بَـلْ كُـنْ أشَـدَّ إذا زهـا كِـبْـرا

[عربدته في مجلس المأمون]

حدّثني عمي والحسينُ بن عليٍّ قالا: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني أبي عن جعفر بن المأمون قال: دخل إبراهيم بنُ أبي محمد اليزيديُّ على أبي وهو يشرب، فأمره بالجلوس فجلس، وأمر له بشراب فشرب. وزاد في الشراب فسكر وعَرْبد، فأخذ عليُّ بنُ صالح صاحبُ المصلَّى بيده، فأخرجه، فلما أصبح كتب إلى أبي: [الطويل]

أنـا الـمُـذْنِـبُ الـخَـطّاءُ والـعـفـوُ واسِـعٌ ولـو لَـمْ يكـن ذنـبٌ لَـمَا عُـرفَ الـعَـفْـوُ
ثَـمِلْتُ فَأبْدَتْ مِنّي الكأسُ بَعْضَ ما كَرِهْتُ وما إنْ يَسْتَوِي السُّكْرُ والصَّحْوُ
ولـولا حُـمَيّا الكأسِ كان احتمال ما بَـدَهْـتُ بـهِ لا شَـكَّ فـيـه هُـوَ الـسَّـرْوُ[3]
ولا سِـيَّـمـا إذ كُـنْـتُ عـنـدَ خَـلِـيـفَـةٍ وفـي مَـجْـلِـسٍ ما إنْ يَـجُـوزُ به الـلَّـغْـوُ
تَـنَـصَّـلْـتُ مـن ذنـبي تَـنَـصُّـلَ ضـارعٍ إلى مَنْ لَـدَيْـهِ يُـغْـفَـرُ الـعَـمْـدُ وَالـسَّـهْـوُ
فـإن تَـعْـفُ عـنـي تُـلْـفِ خَـطْـوِيَ واسِـعاً وإلاّ يَـكُـنْ عَـفْـوٌ فَـقَـدْ قَـصُـرَ الـخَـطْـوُ

حدثني عمي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: جاء عمي إبراهيمُ

(١) تاه: تكبر، وزها.
(٢) والغُمْر: الجاهل الذي لم يجرِّب الأمور.
(٣) السَّرْو: المروءة في شرف.

إلى هارونَ بن المأمون، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة. فلم يصل إليه وحُجب عنه، فكتب إليه: [الكامل]

غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ هَذِهِ القَدَرِيَّةْ فَعَلَيْكُمُ مِنِّي السَّلامُ تَحِيَّةْ[١]
آتِيكُمُ شوقاً فلا ألقاكُمُ وهمُ لَدَيكُمْ بُكْرَةً وَعَشِيَّةْ
هارُونُ قائدُهُمْ وقد حَفَّتْ بهِ أشياعُهُ وَكَفَى بتلكَ بَلِيَّةْ
لَكِنَّ قائدَنا الإمامُ وَرَأيُنا ما قَدْ رآه فَنَحْنُ مأمُونِيَّةْ

أخبرني عمي قال: حدثني الفضلُ قال: كان لعمي إبراهيم ابنٌ يقال له: إسحاق، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي. فلما خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه، وخرج الغلام الذي يألفه في العسكر، وعرف إبراهيم أنه قد صحِب فتى من فتيان العسكر غير ابنه، فكتب عمي إبراهيم إلى ابنه: [السريع]

قُلْ لأبي يَعْقُوبَ إنَّ الذِي يَعْرِفُهُ قد فعلَ الحُوبا[٢]
كان مُحِبّاً لكَ فيما مَضى فالآنَ قد صادفَ مَحْبُوبا
يَرْكَبُ هذا ذا وذا ذا فما ينفكُّ تَصْعِيداً وَتَصْوِيبا
فرأسُ إسحاقَ فدَيناهُ قَدْ أظْهَرَ شيئاً كانَ مَحْجُوبا
أرى قُرُوناً قد تَجَلَّلْنَهُ مَنْصُوبةً شُعِّبْنَ تَشْعِيبا
أظُنُّهُ يعجِزُ عن حَمْلِها إذ رُكِّبَتْ في الرَّأسِ تَرْكِيبا
يا رَحْمَتا لابني على ضَعْفِهِ يَحْمِلُ منهنَّ أعاجيبا!

حدثني عمي قال: حدثني فضلٌ اليزيديُّ قال: كتبتُ إلى عمي إبراهيمَ أستعين به في حاجة لي، وأستزيده من عنايته بأموري، وأُطالبه أن يتوفر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه، فكتب إلي:

فدَيتكَ لو لم تكنْ لي قريبا وكنتَ امْرأً أجْنَبِيّاً غَرِيبا
معَ البرِّ منكَ وما يستجرّ بهِ مُسْتَخِفاً إليكَ اللبيبا[٣]
لَمَا إنْ جَعَلْتُ لِخَلْقٍ سوا كَ مثلَ نصيبكَ مِنِّي نصيبا
وكنتَ المُقَدَّم مِمَّنْ أودُّ وازداد حَقُّكَ عِنْدِي وُجُوبا

(١) القدرية: فرقة من الفرق تجحد القدر.
(٢) الحوب: الإثم.
(٣) يستجر: ينقاد. واللبيب: العاقل الذكيّ.

تَـلـطَّـفْ لِـمـا قَـدْ تَـكَـلَّـمْـتَ فـيـهِ فـمـا زِلْـتَ فـي الـحـاجِ شَـهْـمـاً نَـجـيـبـا
وراوِضْ أبـــا حَـــسَـــنٍ إن رأيـــتَ واحْـتَـلْ بِـرِفـقِـكَ حـتـى يُـجـيـبـا
فـإن هُـوَ صـارَ إلـى مـا تُـريـدُ وإلا اسْـتَـعَـنْـتَ عـلـيـهِ الـحَـبـيـبـا
ومـا لا يـخـالـفُ مـا تـشـتـهـيـهِ لِـتـلـفِـيَـهُ غـيـرَ شـكٍّ مُـجـيـبـا
يَـوَدُّكَ خـاقـانُ وُدّاً عَـجِـيـبـاً كـذاكَ الأديـبُ يُـحِـبُّ الأديـبـا
وأنـتَ تُـكـافِـيـهِ بَـلْ قـد تَـزيـدُ عـلـيـهِ وَتَـجْـمَـعُ فـيـهِ ضُـروبـا
تُـثِـيـبُ أخـاكَ عـلـى الـوُدِّ مـنـهُ وذو الـلُّـبِّ يـأنَـفُ ألا يُـثِـيـبـا
ولا سِـيـمـا إذ بَـراه الإلـهُ كـالـبـدرِ يـدعـو إلـيـه الـقـلـوبـا
يَـرَى الـمُـتَـمَـنِّـي لـه رِدْفَـهُ كَـثِـيـبـاً وأعـلاهُ يَـحْـكِـي الـقـضـيـبـا
وقـد فـاقَ فـي الـعـلـم والـفـهـم مـنـهُ كـمـا تَـمَّ مِـلْـحـاً وَحُـسـنـاً وطـيـبـا[1]
وَيَـبْـلُـغ فِـيـمـا يَـقُـولُـونَ لَـيْـسَ يـعـافُ إذا نـاولـوه الـقـضـيـبـا
وَلَـكِـنَّـهُ وافَـقَ الـزّاهِـدِيـنَ فـخـابَ وقـد ظـنَّ أن لَـنْ يَـخِـيـبـا
وإن ركِـبَ الـمـرء فـيـه هـواهُ عـاثَ فَـتَـطْـيِـهـرُهُ أن يَـثُـوبـا[2]
إذا زارتِ الـشـاةُ ذئـبـاً طـبـيـبـاً فـلا تـأمـنَـنَّ عـلـى الـشـاةِ ذيـبـا
وعـنـدَ الـطَّـبـيـبِ شـفـاءُ الـسَّـقِـيـمِ إذا اعْـتَـلَّ يـومـاً وجـاءَ الـطـبـيـبـا
وَلَـسْـتَ تـرى فـارسـاً فـي الأنـامِ إلا وَثُـوبـاً يُـجِـيـدُ الـرُّكُـوبـا

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال: حدثني عمي عُبَيد الله قال: وحدثني أخي أحمد قال: زامل المأمونُ في بعض أسفاره بين يحيى بنِ أكثمَ وعبّادةَ المخنَّث، فقال عمي إبراهيم في ذلك: [السريع]

وحـاكـم زامَـلَ عـبّـادَهْ وَلَـمْ يَـزَلْ تـلـكَ لَـهُ عَـادَهْ
لـو جـازَ لـيَ حُـكْـمٌ لـمـا جـازَ أنْ يَـحْـكُـمَ فـي قِـيـمَـةِ لُـبّـادَهْ[3]
كـم مـنِ غـلام عـزّ فـي أهـلـه وافـتْ قـفـاه مـنـه سـجـادهْ

وقال في يحيى أيضاً: [الطويل]

وكـنـا نُـرَجّـي أنْ نَـرَى الـعَـدْلَ ظـاهـراً فـأعْـقَـبَـنـا بـعـدَ الـرجـاءِ قُـنُـوطُ
مَـتـى تَـصْـلُـحُ الـدُّنـيـا وَيَـصْـلُـحُ أهْـلُـهـا وقـاضِـي قـضـاةِ الـمـسـلـمـينَ يـلـوطُ!

(١) تمّ ملحاً: كملَ ملاحةً وحسناً.
(٢) عاث: أفسد. ويثوب: يرجع.
(٣) اللُّبادة: ما يُلبس من اللُّبود للمطر.

وأخبرني عمي: حدثنا أبو العيناء قال: نظر المأمون إلى يحيى بنِ أكثَمَ يلحظ خادماً له، فقال للخادم: تعرضْ له إذا قمت، فإني سأقوم للوضوء ـ وأمره ألا يبرح ـ وعُدْ إليّ بما يقول لك. وقام المأمون، وأمر يحيى بالجلوس. فلما غَمزه الخادم بعينه، قال يحيى: **﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾**[1] فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره، فقال له: عُدْ إليه فقل له: **﴿أنحنُ صَدَدْناكم عن الهُدَى بعدَ إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾**[2] فخرج الخادم إليه، فقال له ما أمره به المأمون، فأطرق يحيى وكاد يموت جزعاً، وخرج المأمون وهو يقول: **[الطويل]**

مَتى تَصْلُحُ الدُّنيا وَيَصْلُحُ أهْلُها　　وقاضِي قضاةِ المسلمينَ يلوطُ!

قم وانصرف، واتّقِ الله، وأصلح نيتك.

حَدَّثنا اليزيديّ قال: حدثني ابن عمي إسحاق بن إبراهيم بنِ أبي محمد اليزيديّ عن أبيه إبراهيم قال:

كنت عند المأمون يوماً وبحضرته عريبُ، فقالت لي على سبيل الوَلَع بي: يا سلعوس، وكان جَواري المأمون يلقبْنَني بذلك عبثاً، فقلت لها: **[الطويل]**

قُلْ لِعَرِيبِ لا تَكُوني مسَلْعِسَهْ　　وكوني كتنريفٍ وَكُوني كَمُونِسَهْ

فقال المأمون: **[الطويل]**

فإن كَثُرَتْ منكِ الأقاويلُ لَمْ يَكُنْ　　هُنالِكَ شَكٌّ أنَّ ذا منكِ وَسْوَسَهْ

قال: فقلت: كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول، وعجبت من ذهن المأمون.

---

(١) سورة سبأ الآية: ٣١.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٢.

ومِمن غُنّيَ في شعره من ولد أبي محمد اليزيدي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد

فمن ذلك:

صوت

[البسيط]

شوقي إليكَ على الأيّامِ يَزْدادُ   والقلبُ مُذ غبْتَ للأحْزانِ معتادُ
يا لهفَ نَفْسِي على دَهْرٍ فُجِعْتُ بهِ   كأنَّ أيّامَهُ في الحسنِ أعيادُ

الشعر لأحمدَ بن محمدِ بنِ أبي محمد، والغناء لِبَحر هزج، وفيه ثاني ثقيل مطلق. ذكر الهِشامي أنه لإسحاق، وما أراه أصاب، ولا هو في جامع إسحاق، ولا يشبه صنعته.

وكان أحمد راوية لعلم أهله، فاضلاً أديباً، وكان أسنّ ولَد محمدِ بنِ أبي محمد، وكان إخوته جميعاً يأثُرون[1] علوم جدهم وعمومتِهم عنه، وقد أدرك أبا محمد، وأظن أنه قد رَوى عنه أيضاً، إلا أني لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكري إياه فأحكيَه عنه.

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: حدثني أخي أبو جعفر قال: كنت عند جعفر بنِ المأمون مقيماً، فلما أردت الانصراف منعني، فبتّ عنده، وزارته لما أصبحنا عريبُ في جواريها؛ وبتّ فاحتبسها من غد؛ فاستطبت المقام أيضاً فأقمت، فكتب إليّ عمي إبراهيم بن محمد اليزيديُّ:

[السريع]

شَرَدْتَ يا هذا شُرودَ البَعِيرْ   وطالَتِ الغَيْبَةُ عِندَ الأمِيرْ

(١) يأثرون: يروون.

أقـمـتَ يـومـيـن وَلَـيْـلَـيْـهِـمـا وثـالـثـاً تُـحْـبَـى بِـبـرٍّ كَـثِـيـر
يـومُ عَـريـبٍ مَـعَ إحـسـانِـهـا إنْ طـالَـتِ الأيّـامُ يَـوْمٌ قَـصِـيـرْ
لَـهـا أغـانٍ غَـيْـرُ مَـمْـلُـولَـةٍ منـهـا ولا تَـخْـلـقُ عـنـد الـكُـرُورْ[1]
غـيـرُ مَـلـومٍ يـا أبـا جَـعْـفَـرٍ أن تـؤثـرَ الـلـهـوَ ويـومَ الـسُّـرورْ
فـاجْـعَـلْ لـنـا مِـنـكَ نـصـيـبـاً فـمـا إنْ كُـنْـتَ عـن مـجـلـسـنـا بـالـنَّـفُـورْ
وَصِـرْ إلـيـنـا غـيـرَ مـا صـاغِـرٍ أصـارَكَ الـرَّحْـمٰـنُ خَـيْـرَ الـمَـصِـيـرْ
إن لـم يَـكُـنْ عِـنْـدِي غِـنـاء ولا عُـودٌ فَـعِـنْـدِي الـقَـمْـرُ بـالـنَّـرْدَشِـيـرْ[2]
والـذّكـر بـالـعـلـم الـذي قـد مَـضَـى بـأهْـلِـهِ حـادثُ صَـرْفِ الـدُّهُـورْ
وَهْـوَ جـديـدٌ عـنـدنـا نَـهْـجُـهُ أعـلامُـهُ تـحـويـهِ مـنّـا الـصُّـدُورْ
فـالـحَـمْـدُ لله عـلـى كُـلِّ مـا أوْلَـى وَأبْـلَـى وَلِـرَبِّـي الـشُّـكُـورْ

حَدَّثنا محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال: حدثني عمي الفضلُ قال: سمعتُ أخي أبا جعفر أحمدَ بنَ محمد يقول: دخلتُ إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم، فطلعَتْ عليه الشمس، فما رأيت أحسن منها على وجهه، فقال لي: يا أحمد، قل في هذا الخادم شيئاً، وصفْ طلوع الشمس عليه وحسنها، فقلت:

[السريع]

قـد طَـلَـعَـتْ شـمـسٌ عـلـى شَـمْـسِ وَطـابَ لِـي الـهَـوَى مـع الأنْـسِ
وكـنـت أَقْـلِـي الـشَّـمْـسَ فـيـمـا مَـضَـى فَـصِـرْتُ أشـتـاقُ إلـى الـشَّـمْـسِ

حدثني اليزيديُّ قال: حدثني عمي الفضل قال: كتب إلى أخي بعض إخوانه ممن كان يألفه ويديم زيارته، ثم انقطع عنه ـ يعتذر إليه من تأخره عنه، فكتب إليه:

[السريع]

إنـي امـرؤ أعـذِرُ إخـوانِـي فـي تَـرْكِـهِـمْ بِـرِّي وإتْـيـانِـي
لأنَّـهُ لا لَـهْـوَ عـنـدي ولا لِـيَ الـيـومَ جـاهٌ عـنـدَ سـلـطـانِ
وأكْـثَـرُ الإخـوانِ فـي دَهْـرِنـا أصـحـابُ تَـمْـيِـيـزٍ ورُجْـحـانِ
فَـمَـنْ أتـانِـي مُـنْـعِـمـاً مُـفْـضِـلاً فَـشُـكْـرُهُ عـنـديَ شُـكْـرانِ
ومَـن جَـفـانـي لـم يَـكُـنْ لـومُـهُ عِـنْـدِي ولا تَـعْـنِـيـفُـهُ شـانِـي

(١) تخلق: تبلى، والكرور: التكرار والإعادة.
(٢) القَمْر: الغلب بالقمار. والنردشير: النرد.

أعْفُو عَنِ السَّيِّءِ من فِعْلِهِمْ وأُتْبِعُ الحُسْنَى بإحْسانِ
حَسْبُ صَدِيقِي أنَّهُ واثِقٌ مِنّي بإسْراري وإعْلانِي

حدثني اليزيديّ قال: حدثني أبي عن عمي عن أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمد قال: دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله - وأنا يومئذ غلام - فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحاً لي مدحتُه به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبُك، ترفعاً، فأنشدته: [الكامل]

يا مَنَ شكوتُ إليه ما ألقاهُ وبَذَلْتُ من وَجْدِي لَهُ أقْصاهُ
فأجابَني بخلافِ ما أمّلْتُهُ وَلَرُبَّما مُنِعَ الحَرِيصُ مُناهُ
أترى جميلاً أنْ شكا ذو صَبْوَةٍ فَهَجَرْتَهُ وغَضِبْتَ من شكواهُ
يكفيكَ صَمْتٌ أو جوابٌ مُؤْيِسٌ إنْ كُنْتَ تَكْرَهُ وصلَهُ وهواهُ
مَوْتُ المُحِبِّ سعادة إنْ كانَ مَن يَهْواهُ يَزْعُمُ أنَّ ذاكَ رضاهُ

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبْقَى لَنا الله الإمامَ وَزادَهُ عِزّاً إلى العِزِّ الَّذِي أعْطاهُ
فاللَّهُ مُكْرِمُنا بأنّا مَعْشَرٌ عُتقاءُ مِنْ نِعَمِ العبادِ سواهُ

فسرّ بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة، ويحسن العمل.

أخبرنا محمدُ بنُ العباس قال: حدثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال: دخلتُ يوماً على المأمون بقارا[1]، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه؛ أوله:

[الكامل]

يا قَصْرُ ذا النّخلاتِ من بارا إنّي حَلَلْتُ إليكَ مِنْ قارا[2]
أبْصَرْتُ أشجاراً على نَهَرٍ فَذَكَرْتُ أشْجاراً وأنْهارا

---

(١) قارة: مواضع مختلفة، ولم أهتد إلى المكان بالضبط رغم شروح ياقوت الحموي في معجمه. (انظر معجم البلدان ٤/ ٢٩٥).

(٢) باري بالكسر: قرية من أعمال كلواذا من نواحي بغداد. بها بساتين ومتنزهات ويقصدها أهل البطالة.

لله أيّامٌ نَعِمْتُ بها بالقُفص أحياناً وفي بارا[1]
إذ لا أزالُ أزورُ غانيةً ألْهُو بها وأزورُ خَمّارا
لا أسْتَجيبُ لِمَن دعا لِهُدًى وأُجيبُ شُطّاراً ودُعّارا
أعصِي النَّصِيحَ وَكُلَّ عاذِلَةٍ وأُطِيعُ أوتاراً وَمِزْمارا

قال: فغضب المأمون، وقال: أنا في وجه عدو، وأحض الناس على الغزو، وأنت تذكِّرهم نزهة بغداد؟ فقلت: الشيء بتمامه، ثم قلت: [الكامل]

فَصَحَوْتُ بالمأمونِ عَنْ سُكْرِي ورأيتُ خَيْرَ الأمرِ ما اخْتارا
ورأيتُ طاعَتَهُ مؤدِيةً لِلفَرْضِ إعلاناً وإسْرارا
فَخَلَعْتُ ثَوْبَ الهَزْلِ عَنْ عُنُقِي وَرَضِيتُ دارَ الجِدّ لِي دارا
وَظَلِلتُ مُعْتَصِماً بطاعَتِهِ وجِوارِهِ وَكَفَى بِهِ جارا
إن حَلَّ أرْضاً فَهْيَ لي وَطَنٌ وَأسِيرُ عَنْها حَيْثُما سارا

فقال له يحيى بنُ أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين! أخبرَ أنه كان في سكر وخَسار، فترك ذلك وارعوَى، وآثر طاعة خليفتِه، وعلم أن الرشد فيها؛ فسكن وأمسك.

حدثني الصوليُّ قال: حدثني محمدُ بنُ يحيى بنِ أبي عباد قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزياتُ عن أبيه قال: دعا المعتصم ذات يوم المأمون فجاءه، فأجلسه في بيت على سَقْفِه جامات[2]، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم، وكان المعتصم أوجدَ الناس به، ولم يكن في عصره مثله، فصاح المأمون يا أحمدُ بنَ محمد اليزيديَّ - وكان حاضراً - فقال: انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركي، أرأيت أحسن من هذا قط؟ وقد قلت: [السريع]

قد طَلَعَتْ شَمْسٌ على شَمْسِ وزالَتِ الوَحْشَةُ بالأُنْسِ

(١) القُفْص: قرية بين بغداد وعكبرا. (معجم البلدان ٤/ ٣٨٢).
(٢) جامات: جمع جام، وهو الكأس الزجاجي.

أجِزْ يا أحمد، فقلت: [السريع]

قد كُنْتُ أشْنا الشَّمْسَ فيما مَضَى فَصِرْتُ أشْتاقُ إلى الشَّمْسِ(١)

قال: وفطِن المعتصم، فعضّ على شفته لأحمد، فقال أحمد للمأمون: والله لئن لم يعلم الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعنّ معه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم. فقال له المأمون: كثر الله في غلمانك مثله، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره.

حَدَّثني الصوليّ قال: حدثني عونُ بن محمدٍ قال: حدثني أحمدُ بن محمدٍ اليزيديُّ قال: كنا بين يدي المأمون، فأنشدتُه مدحاً، فقال: لئن كانت حقوق أصحابي تجِب عليَّ لطاعتهم بأنفسهم فإن أحمد ممن تجب له المراعاة لنفسه وصُحبتِه، ولأبيه وخدمته، ولجَدِّه وقديم خدمته وحرمته، وإنه لَلْعَريق في خدمتنا، فقلت: قد علّمتَني يا أمير المؤمنين كيف أقول، ثم تنحيتُ ورجعتُ إليه، فأنشدته:

لي بالخليفةِ أعْظَمُ السَّبَبِ فبِهِ أمِنْتُ بوائقَ العَطَبِ
مَلِكٌ غذَتْني كَفُّهُ وَأبي قَبْلِي وَجَدّي كانَ قَبْلَ أبي
قَدْ خَصَّني الرَّحْمٰنُ منهُ بما أسْمُو بِهِ في العُجْمِ وَالعَرَبِ

فضحك، وقال: قد نظمت يا أحمد ما نثرناه.

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة.

صوت

أفي كُلِّ يومٍ أنْتَ من غُبُرِ الهَوَى إلى الشُّمِّ مِنْ أعلامِ ميلاء ناظِرُ
بِعَمْشاءَ مِنْ طولِ البكاءِ كأنَّما بِها خَزَرٌ أو طَرْفُها مُتَخازِرُ

عروضه من الطويل. والغُبْر: البقية من الشيء، يقال: فلان في غبر من علته. وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه، والشمّ: الطوال، والأعلام جمع علم وهو الجبل، قالت الخنساء: [البسيط]

وإنَّ صَخْراً لتأتَمُّ الهُداة بِهِ كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

(١) اشنا: أشنأ خففت الهمزة، وأشنأ: أكره.

والخَزَر: ضيق العين وصغرها، ومنه سمي الخزر بذلك لصغر أعينهم، قال الراجز: [الرجز]

إذا تَخَازَرْتُ وما بي من خَزَرْ ثم كَسَرْتُ الطَّرْفَ مِنْ غيرِ عَوَرْ

والشعر لرجل من قيس يقال له كعب، ويلقب بالمخيل. والغناء لإبراهيم، ثقيل أول بالوسطى. ومن الناس من يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرمة، ويجعل فيه مية مكان ميلاء، ويقال: إن اللحن لابن المكيّ، وقد نسب إلى غيرهما، والصحيح ما ذكرناه أولاً.

أخبار المخبل القيسي ونسبه

[حبه ورحيله وشعره في الغربة]

قال عبدُ الله بنُ أبي سعد الوراق ـ فيما أخبرني به حبيبُ بنُ نصر المهَلَّبيّ، إجازة عنه ـ: حدثَني عليُّ بن الصباح بن الفرات، قال: أخبرني عليُّ بنُ الحسن بن أيوب النبيل، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسديّ، قال: كانت عند رجل من قيس يقال له كعب بنتُ عمٍّ له، وكانت أحبَّ الناسِ إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها، فقال: يا أم عمرو، هل تَرَينَ أن الله خلق أحسنَ منك؟ قالت: نعم، أختي مَيلاء، هي أحسن مني. قال: فإني أُحب أن أنظر إليها، فقالت: إنْ علمَتْ بك لم تخرج إليك، ولكن كن من وراء السِّتر. ففعل، وأرسلَتْ إليها فجاءتها، فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها، فاعترضها فشكا إليها حبَّها، فقالت: والله يابنَ عم، ما وجدتَ من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثرُ منه. وواعدَته مرة أُخرى، فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان، فرأتهما جالسين، فمضت إلى إخوتها ـ وكانوا سبعة ـ فقالت: إما أن تزوجوا ميلاء كعباً، وإما أن تُكْفوني أمرها. وبلغهما الخبر، ووقف إخوتها على ذلك، فرمَى بنفسه نحو الشام حياءً منهم، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز، فلم يدرِ أهلُه ولا بَنُو عمه أين ذهب، فقال كعب: [الطويل]

أَفِي كلِّ يومٍ أنتَ من لاعِجِ الهَوَى ... إلى الشُّمِّ من أعلامِ ميلاءَ ناظِرُ؟
بعَمْشاءَ من طُولِ البكاءِ كأنَّما ... بها خَزَرٌ أوْ طَرْفُها مُتَخازِرُ
تَمنَّى المُنَى حَتَّى إذا مَلَّت المُنَى ... جَرَى واكِفٌ من دَمْعِها مُتَبادِرُ
كما ارْفضَّ عنها بعد ما ضَمَّ ضَمَّةً ... بخيطِ الفَتِيلِ اللؤلؤُ المتناثِرُ

قال: فرواه عنه رجل من أهل الشام، ثم خرج بعد ذلك الشاميّ يريد مكة،

فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء، وقد ضل الطريق، فسلم عليهما ثم سألهما عن الطريق، فقالت أم عمرو: يا ميلاء، صِفي له الطريق، فذَكر ـ لما نادت: يا ميلاء ـ شعر كعب هذا، فتمثل به، فعرفَت أم عمرو الشعر، فقالت: يا عبد الله، من أين أنت؟ قال: رجل من أهل الشام. قالت: مِن أين رويتَ هذا الشعر؟ قال: رويته عن أعرابي بالشام، قالت: أو تدري ما اسمه؟ فقال: سمعتُ أنه كعب، فأقسمت عليه: لا تَبْرح حتى تعرّف إخوتنا بذلك فنحسن إليك نحن وهم، وقد أنعمتَ علينا. قال: أَفعل، وإني لأروي له شعراً آخر، فما أدري أتعرفانه أم لا؟ فقالت: نسألك بالله إلا أسمعتنا، قال: سمعته يقول: [الطويل]

خليلَيَّ قد قِسْتُ الأمورَ ورُمْتُها ... بِنَفْسِي وبالفِتيانِ كلَّ زمانِ
فلم أُخفِ سُوءاً لِلصَّدِيقِ ولم أَجِدْ ... خَليّاً ولا ذا البَثّ يستويانِ
من الناسِ إنسانان دَيني عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قَضَياني[1]
خليليَّ أمّا أُمُّ عَمْرو فمِنْهُما ... وأما عن الأُخرَى فلا تَسَلاني
بُلِينا بهجرانٍ ولم أرَ مِثْلَنا ... من الناسِ إنسانَيْنِ يَهْتَجِرانِ
أشَدَّ مصافاةً وأبْعَدَ من قِلًى ... وأعْصَى لِواشٍ حين يكتفيان
تَحَدَّثَ طرفانا بما في صُدورنا ... إذا استَعجَمَتْ بالمنطقِ الشفتانِ
فوالله ما أدري أكُلُّ ذَوِي الهَوَى ... على ما بنا أوْ نَحْنُ مُبْتَلَيان؟
فلا تَعْجبا مما بيَ اليَوْمَ من هَوًى ... فَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِثلُ ما تَرَيانِ
خليليَّ عن أيِّ الّذي كانَ بَيْنَنَا ... من الوَصْلِ أمْ ماضِي الهَوَى تسلانِ؟
وَكُنَّا كَرِيمَي مَعْشَرٍ حُمَّ بَيْنَنا ... هَوًى فَحَفِظناهُ بحسنِ صِيانِ
سلاهُ بأمِّ العَمْرِو مَنْ هِيَ إذ بَدا ... به سَقَمٌ جَمٌّ وطولُ ضمانِ[2]
فما زادنا بُعْدُ المَدَى نَقْضَ مِرَّةٍ ... ولا رجَعا مِن عِلْمنا ببيانِ[3]
خليليَّ لا والله ما لِيَ بالّذِي ... تُريدانِ مِن هَجْرِ الحبيب يدانِ
ولا لِيَ بالبينِ اعتلاءٌ إذا نأتْ ... كما أنْتُما بالبينِ معتلِيانِ[4]

قال: ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتهما، فأخبراهم الخبر، وكانوا

---

(١) مليئان: مثنى مليء، وهو الغنيّ المتقدر. وقضاه: وفاه دينه.
(٢) الضمان: المرض الملازم يشتد وقتاً بعد وقت.
(٣) المِرَّة: الفتل، والقوة.
(٤) البين: البعاد.

مهتمين بكعب، وكان كعب أظرفَهم وأشعرهم، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودَلُّوه على الطريق، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام، فأقبلوا به، حتى إذا كانوا في ناحية ماء أهلِهم إذا الناسُ قد اجتمعوا عند البيوت، وكان كعب تَرك بُنيّاً له صغيراً، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء، فقال له كعب: ويحك يا غلام! من أبوك؟ فقال: رجل يقال له: كعب، قال: وعَلَى أيِّ شيء قد اجتمع الناس؟ وأحسّ قلبُه بالشرّ. قال: اجتمعوا على خالتي ميلاء. قال: وما قصتها؟ قال: ماتت. فزفر زفرة مات منها مكانَه، فدُفن حِذاء قبرها. قال: وقال كعب وهو بالشام: [الطويل]

أحقّاً عبادَ الله أن لَسْتُ ماشياً ... بمرحابَ حتى يُحشَرَ الثقلان[1]
ولا لاهِياً يوماً إلى الليل كلِّه ... ببيض لطيفات الخصور رواني؟[2]
يُمنِّينَنا حَتَّى تَريعَ قُلُوبُنا ... ويَخلِطْنَ مَطْلاً ظاهِراً بِلَيان[3]
فعينيّ يا عينيَّ حَتّامَ أنتما ... بهجرانِ أُمِّ العَمْرِو تختلجانِ؟
أمَا أنْتُما إلا عَلَيَّ طَلِيعَةٌ ... على قُرْب أعدائي كما تَرَيانِ
فلو أنَّ أم العَمْرِو أضحَتْ مقيمةً ... بمصرَ وجثماني بِشحْرِ عُمان[4]
إذاً لرجوتُ الله يَجْمَعُ شَمْلَنا ... فإنّا على ما كانَ ملتقيانِ

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

من الناسِ إنسانانِ دَيْني عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قضياني
خليليَّ أما أمّ عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأُخرَى فلا تَسَلانِي

عروضه من الطويل، الشعر ـ على ما في هذا الخبر ـ لِكعب المذكورةِ قصته، ورَوى المفضلُ بنُ سلمَة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخَثْعميّ. والغناء لإبراهيم الموصلي، خفيف رملٍ بالوسطى، ذكره أبو العُبَيس عنه، وذكر ابن المكي أنه لعَلُّويه. والأبيات التي ذكرنا أن المفضلَ بنَ سلمة وابن أبي طاهر روياها لابن الدُّمينة مع البيتين اللذين فيهما الغناء هي:

(١) الثقلان: الإنس والجن.
(٢) الرواني: جمع رانية، وهي الطروب اللاهية مع شغل قلب وغلبة هوى.
(٣) تريع: تفزع. والليان: اللين.
(٤) الشحر: صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. (معجم البلدان ٣/ ٣٢٧).

مـن الـنـاس إنـسـانـانِ دَيْـنـي عـلـيـهـمـا … مـلـيـئـانِ لـو شـاءا لـقـد قَـضَـيـانـي
خـلـيـلـيَّ أمّـا أمّ عـمـرٍو فـمـنـهـمـا … وأمـا عـنِ الأُخْـرَى فـلا تَـسَـلانـي
مَـنُـوعـانِ ظَـلاَّمـانِ مـا يُـنْـصِـفـانـنـي … بِـدَلَّـيْـهِـمـا وَالـحُـسْـنِ قـد خَـلَـبـانـي
مِـن الـبِـيضِ نـجـلاء الـعـيـون غـذَاهـمـا … نَـعِـيـمٌ وعـيـشٌ ضـارِبٌ بِـجِـرانِ(١)
أفِـي كـلِّ يـومٍ أنـت رامٍ بـلادَهـا … بـعَـيْـنـيـن إنـسـانـاهـمـا غَـرِقـانِ؟
إذا اغـرَوْرقـت عـيـنـايَ قـال صَـحـابـتـي … لـقـد أُولِـعَـتْ عـيـنـاكَ بـالـهَـمَـلانِ(٢)

وقد رُوي أيضاً أن هذا البيت:

أَفِـي كـلِّ يـومٍ أَنـت رامٍ بـلادَهـا

لعُروة بن حِزَام

ألا فَـاحْـمِـلانـي بـارِكَ الـلّـه فـيـكـمـا … إلـى حـاضِـرِ الـرَّوْحـاءِ ثـم ذرانـي(٣)

أخبرني محمدُ بنُ خلف وكيعٌ، قال: حدثني أبو سعيد القيسي، قال: حدثني سليمان بن عبد العزيز، قال: حدثني خارجة المالي قال: حدثني من رأى عُروةَ بنَ حِزام يطاف به حول البيت، قال: فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الذي أقول:

[الطويل]

أفِـي كـلِّ يَـوْمٍ أنْـتَ رامٍ بـلادَهـا … بِـعَـيْـنَـيْـنِ إنـسـانـاهـمـا غَـرِقـانِ؟
ألا فـاحْـمِـلانـي بـارَكَ اللهُ فـيـكـمـا … إلـى حـاضِـرِ الـرَّوْحـاءِ ثـم ذَرَانِـي

فقلت: زدني، قال: لا، ولا حَرْف.

ويقال: إنَّ الذي هاج الواثقَ على القبض على أحمدَ بنِ الخصيب وسليمان بن وهب أنه غنّى هذا الصوت، أعني:

مِـن الـنـاسِ إنـسـانـانِ دَيْـنِـي عـلـيـهـمـا

فدعا خادماً كان للمعتصم، ثم قال له: أصْدقْني وإلاَّ ضربت عنقك. قال:

---

(١) عيش ضارب بجران: مستقرّ. والجران: مقدّم عنق البعير.
(٢) الهملان: السيلان.
(٣) الروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة. (معجم البلدان ٣/ ٧٦).

سل يا أمير المؤمنين عما شئت، قال: سمعتُ أبي وقد نَظر إليك يتَمثّل بهذين البيتين، ويومىء إليك إيماءً تعرفه، فمن اللذان عنى؟ قال، قال لي: إنه وقف على إقطاع أحمد بنِ الخصيب وسليمان بن وهب ألفي دينار، وأنه يريد الإيقاع بهما. فكان كلما رآني يتمثل بهذين البيتين. قال: صدقني والله، والله لا سبقاني بهما كما سبقاه، ثم أُوقع بهما.

وأخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون، قال: نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي، فتمثّل:

مِـن الـنـاس إنـسـانـان دَيْـنـي عـلـيـهـمـا

وذكَر البيتين، وأشار بقوله:

خَـلـيـلـيَّ أمَّـا أم عـمـرٍو فَـمِـنْـهُـمـا

إلى أحمدَ بنِ الخصيب. فلما بلغ هذا سليمانَ بنِ وهب، قال: إنا لله! أحمدُ بن الخصيب والله أمُّ عمرو، وأنا الأُخرى. قال: ونكبهما بعد أيام. وقد قيل: إن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبب في نكبتهما.

أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عونُ بنُ محمد الكِنديّ، قال: كانت الخلافة أيام الواثق تدور على إيتاخ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبد الملك الزيات قصيدة، وأوصلها إلى الواثق على أنها لِبَعض أهل العسكر، وهي: [البسيط]

يابنَ الـخـلائِفِ والأمْـلاكِ إن نُـسِـبُـوا ... حُـزْتَ الـخـلافـةَ عـنْ آبـائِـكَ الأُوَلِ
أَجُـرْتَ أمْ رقَـدتْ عَـيْـنـاكَ عَـنْ عَـجَـبٍ ... فـيـه الـبَـرِيَّـةُ مِـن خَـوْفٍ وَمِـنْ وَهَـلِ
وَلَّـيْـتَ أربـعـةً أمْـرَ الـعـبـادِ مـعـاً ... وَكُلُّهمْ حاطِبٌ في حَبْلِ مُخْتَبِلِ[1]
هـذا سـلـيـمـانُ قـد مَـلَّـكْـتَ راحَـتَـهُ ... مشارِقَ الأرضِ مِن سَهْلٍ ومن جَبَلِ[2]
ملَّـكـتـهُ الـسِّـنْـدَ فـالشِّحْرَيْنِ مِنْ عَدَنٍ ... إلى الـجَـزيـرَةِ فـالأطْرافِ من مَلَلِ[3]

(١) المحتبل: الذي يأخذ الصيد بالحبالة.

(٢) راحته: يده.

(٣) الشحر: بين عمان وعدن، وقيل صقع على ساحر بحر الهند من ناحية اليمن. وملل: موضع في طريق مكة بين الحرمين.

خلافةٌ قد حَواها وَحْدَهُ فَمَضَتْ أحكامُهُ في دماءِ القَوْمِ والنَّفَلِ[1]
وابنُ الخَصِيبِ الذي مَلَّكْتَ راحتهُ خلافَةَ الشَّأمِ والغَازينَ وَالقفلِ[2]
فَنِيلِ مصرٍ فبحر الشأمِ قد جَرَيا بِما أرادَ مِنَ الأموالِ والحُلَلِ
كأنَّهُمْ في الّذي قَسَّمْتَ بينهم بَنُو الرَّشِيدِ زمانَ القَسْمِ لِلدُّوَلِ
حَوَى سليمانُ ما كانَ الأمينُ حَوَى من الخلافَةِ والتبليغ للأمَلِ
وأحْمَدُ بنُ خَصِيبٍ في إمارَتِهِ كالقاسِمِ بنِ الرشيدِ الجامِعِ السُّبُلِ
أَصْبَحْتَ لا ناصِحٌ يأتيكَ مُسْتَتِراً ولا عَلانِيَةً خَوْفاً من الحِيَلِ
سَلْ بَيْتَ مالِكَ أينَ المالُ تَعْرِفُهُ وَسَلْ خَرَاجَك عَنْ أموالِكَ الجُمَلِ[3]
كَمْ في حُبُوسِكَ مِمَّنْ لا ذُنُوبَ لَهُمْ أَسْرَى التَّكَذُّبِ في الأقيادِ والكَبَلِ[4]
سُمِّيْتَ باسْمِ الرَّشِيدِ المُرْتَضَى فَبِهِ قِسِ الأُمُورَ التي تُنْجِي مِنَ الزَّلَلِ
عِثْ فِيهِمُ مثل ما عاثَتْ يداهُ معاً على البَرامِكِ بالتَّهْدِيمِ لِلْقُلَلِ

فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه، ونكب سليمانَ بنَ وهب وأحمد بن الخصيب، وأخذ منهما ومِن أسبابهما ألفَ ألفِ دينار، فجعلها في بيت المال، فقال أحمدُ بنُ أبي فَنَن: [المديد]

نَزَلَتْ بالخائنينَ سَنَهْ سَنَةٌ للنَّاسِ مُمْتَحِنَهْ[5]
سَوَّغَتْ ذا النُّصْحِ بُغْيَتَهُ وأزالَتْ دولةَ الخَوَنَهْ
فَتَرَى أهْلَ العَفافِ بها وَهُمُ في دَوْلَةٍ حَسَنَهْ
وَتَرَى مَنْ جارَ هِمَّتُهُ أن يُؤَدِّي كُلَّ ما احْتَجَنَهْ

وقال إبراهيم بن العباس لابنِ الزيات: [المنسرح]

إيهاً أبا جَعْفَرٍ وَلِلدَّهْرِ كَرّاتٌ وَعَمّا يَرِيبُ مُتَّسَعُ[6]
أرسلتَ لَيْثاً على فرائسِهِ وأنتَ منها فانظرْ متى تَقَعُ[7]

---

(١) النَّفَل: الغنيمة.
(٢) القَفَل: ثنية تطلع على قرن المنازل حيال الطائف. (معجم البلدان ٤/ ٣٨٤).
(٣) الجُمَل: جمع جملة، وهي جماعة الشيء.
(٤) الكَبَل: القيد أعظم ما يكون.
(٥) السنة: الجدب. وهنا المحنة. والممتحنة: التي تصيب الناس بالمحن.
(٦) إيهاً: كلمة استزادة واستنطاق.
(٧) الليث: الأسد.

لٰكِنَّهُ قُوتُهُ وفيكَ لَهُ   وقد تَقَضَّتْ أقواتُهُ شِبَعُ

وهي أبيات، وقد كان أحمد بن أبي دواد حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات، وأمر علي بنَ الجَهم فقال فيه: [الرجز]

لَعائِنُ الله مُوَفَّراتِ   مُصَبّحاتٍ ومُهَجّراتِ
عَلَى ابنِ عبدِ المَلك الزّيات   عَرَّضَ شَمْلَ المُلكِ للشَّتّاتِ
يَرمِي الدَّواوين بتَوقيعاتِ   معَقَّداتٍ غير مفتوحاتِ
أَشْبَه شيءٍ بِرُقَى الحَيَّاتِ   كأنَّها بالزَّيْتِ مَدْهُوناتِ
بَعْدَ ركوبِ الطوفِ في الفُراتِ   وبَعد بَيْعِ الزَّيْتِ بالحَبَّاتِ[1]
سبحانَ مَن جَلَّ عن الصِّفاتِ   هارونُ يابنَ سيِّدِ السّاداتِ
أما تَرَى الأمورَ مُهْمَلاتِ   تَشْكُو إليكَ عَدَمَ الكفاةِ[2]

وهي أبيات، فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيات، وقال: لقد صدق قائل هذا الشعر، ما بقي لنا كاتب. فطرَح نفسه على إسحاق بن إبراهيم، وكانا مجتمعَين على عداوة ابن أبي دواد، فقال للواثق: أَمِثلُ ابنِ الزيات ـ مع خدمته وكفايته ـ يُفعل به هذا، وما جنى عليك وما خانك، وإنما دَلَّك على خَوَنة أخذْتَ ما اختانوه، فهذا ذنبه! وبعد، فلا ينبغي لك أن تَعزل أحداً أو تُعِد مكانه جماعةً يقومون مقامه، فمَن لك بمن يقوم مقامه؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له.

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي دواد، فكان يغشاه كثيراً، فقال له بعض كتابه: إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم، وهو يجيئك دائماً، ولا تأمنُ أن يظن الوزير بك ممالأة عليه، فعرِّفه ذلك. فلما دخل ابن أبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى، فقال: إني والله ما أجيئك متعززاً بك من ذِلة، ولا متكثِّراً من قِلّة، ولكن أمير المؤمنين رتّبك رتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلنفسك، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه.

وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها، ليس هذا موضعها، وإنما ذكرنا هاهنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه.

---

(١) الطَّوْف: قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض، تستعمل للطواف فوق الماء.
(٢) الكفاة: جمع الكافي، وهو الذي يغني عن غيره ويكفي.

صوت

[الرمل]

عِشْ فَحُبِّيكَ سريعاً قاتِلِي ... وَالضَّنَى إن لم تَصِلْنِي واصِلِي
ظَفِرَ الشَّوْقُ بقلبٍ دَنِفٍ ... فيكَ والسُّقْم بِجسْمٍ ناحِلِ
فَهُما بَيْنَ اكتئابٍ وَضَنًى ... تَرَكانِي كالقَضِيبِ الذَّابِلِ

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسْدودِ، رمل مطلق في مجرى الوسطى، وذكر جَحْظَة أن هذا الرمل أُخِذَ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.

أخبار خالد الكاتب

[توفي نحو سنة ٢٩٢ هـ/ نحو سنة ٨٧٦ م]

[اسمه وكنيته وأصله وسكنه]

هو خالدُ بنُ يزيدَ، ويكنى أبا الهَيْثم، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيْش. وَوَسْوسَ في آخر عمره، قيل إن السَّوْدَاء غلبت عليه، وقال قوم: كان يهوَى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها، وولاَّه محمدُ بنُ عبد الملك الإعْطاء في الثغور، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد، ومَغنِّية تغنّي:

[البسيط]

مَن كان ذَا شجَنٍ بالشامِ يَطْلُبُهُ   فَفِي سِوَى الشامِ أمْسَى الأهْلُ والشَّجَنُ

فبكى حتى سَقَط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق مختلِطاً[1]. واتصل ذلك حتى وَسْوَس وبطل.

وكان اتصل بعليّ بنِ هشام وإبراهيم بن المهدي وكان سبب اتصاله بعليّ بن هشام أنه صحبه في وقت خروجه إلى قمّ[2]، في جملة كتَّابِ الإعطاء، فبلغه وهو في طريقه أن خالداً يقول الشعر، فأنِس به وسُرّ به، وأحضره فأنشده قوله: [السريع]

يا تاركَ الجِسْمِ بلا قَلْبِ   إنْ كُنْتُ أهْوَاكَ فما ذَنبي؟
يا مُفْرداً بالحُسْنِ أفردتَني   منكَ بطولِ الهَجْرِ وَالعَتْبِ
إن تَكُ عَيْني أبْصَرَتْ فِتْنَةً   فَهَلْ على قلبيَ من عَتْبِ
حَسِيبُكَ الله لما بي كما   أنَّكَ في فِعلكَ بي حَسْبي

(١) مختلطاً: مختل العقل مضطربه.

(٢) قم: مدينة بإيران.

للمسدود في هذه الأبيات رمل طُنْبوري مطلق من رواية الهشامي، قال: فجعله علي بن هشام في نُدَمائه إلى أن قُتل. ثم صحِب الفضل بن مَرْوان، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزَة[1] قبل أن يَبْني سُرّ من رأى، فقال خالد: [مجزوء الكامل]

عَـزَمَ الـسُّـرورُ عـلـى الـمُـقـا ... مِ بِـسُـرَّ مَـنْ را لـلإمـامِ[2]
بَـلَـدُ الـمَـسَـرَّةِ والـفـتـو ... حِ الـمـسـتـنـيـراتِ الـعـظـامِ
وتـراهُ أشْـبَـهَ مَـنْـزِلٍ ... فـي الأرْضِ بـالـبَـلَـدِ الـحَـرامِ
فَـاللهُ يَـعْـمُـرُهُ بِـمَـنْ ... أَضْـحَـى بـهِ عِـزُّ الأنـامِ

فاستحسنها الفضلُ بنُ مَرْوان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقَالَ في بناء سُرّ مَن رأى شيء، فكانت أول ما أُنشد في هذا المعنى من الشعر، فتبرَّكَ بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم. وذكر ذلك كلَّه إسماعيل بن يحيى الكاتب، وذكر اليوسفيّ صاحب الرسائل أن خالداً قال أيضاً في ذلك: [المنسرح]

بـيَّـنَ صَـفْـوُ الـزمـانِ عـن كَـدَرِهْ ... فـي ضَـحِـكـاتِ الـرَّبـيـعِ عـن زَهَـرِهْ
يـا سُـرَّ مَـن را بُـورِكْـتِ مـن بَـلَـدٍ ... بُـورِكَ فـي نَـبْـتِـهِ وفـي شَـجَـرِهْ
غَـرْسُ جُـدودِ الإمـامِ يُـنْـبِـتُـهُ ... بـابَـكُ والـمـازِيـارُ مـن ثَـمَـرِهْ
فـالـفَـتْـحُ والـنَّـصْـرُ يَـنـزِلانِ بـهِ ... والـخِـصْـبُ فـي تُـرْبِـهِ وفـي شَـجَـرِهْ

فغنى مخارقٌ في هذه الأبيات، فسأله المعتصم: لمن هذا الشعر؟ فقال: لخالد يا أمير المؤمنين، قال: الذي يقول: [الخفيف]

كـيـفَ تُـرْجَـى لَـذاذةُ الإغْـتِـمـاضِ ... لِـمَـرِيـضٍ مـن الـعُـيُـونِ الـمِـراضِ!

فقال محمدُ بنُ عبد الملك: نعم يا أمير المؤمنين، هُوَ له، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات، فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم، وبلغ خالداً الخبرُ، فقال لأحمد بن عبد الوهاب صاحب محمد بنِ عبد الملك ـ وقيل لأبي جعفر ـ: أعزه الله! إذا بلغتُ المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل.

---

(١) الماحوزة: موضع قرب سامراء.
(٢) سرّ من را: سامراء وكانت تدعى سرّ من رأى واختصرت سرّ من را.

قال اليوسُفِيّ: ولَمّا قال خالد في صفة سُرّ مَن رأى قصيدته التي يقول فيها:

[الخفيف]

اسْــقِــنِــي فــي جَــرائــرٍ وزِقــاقِ لـتُـلاقِـي الـسُّـرورَ يـومَ الـتَّـلاقِ[١]
مِـنْ سُـلاَفٍ كـأنَّ فـي الـكـأسِ مـنـهُ عَـبَـراتٍ مـن مُـقْـلَـتَـيْ مُـشْـتـاقِ[٢]
فـي ريـاضٍ بـسُـرّ مَـن را إلـى الـكـرْ خِ ودَغْــنِــي مــن ســائِــرِ الآفــاقِ
بــادٌ كـارَاتِ كُـلُّ فَـتْـحٍ عَـظِـيـمٍ لإمــامِ الــهُــدَى أبــي إســحــاقِ[٣]

وهي قصيدة، لقيه دعبل فقال: يا أبا الهيثم، كنتَ صاحبَ مُقَطعات فداخلْتَ الشعراء في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغلَب عليه. فقال له خالد: لو عرفتُ النُّصْحَ منك لِغيري لأطعتك في نفسي.

[خلافه مع الحلبي الشاعر في معنى شعر]

قال اليوسفيُّ: وحدثني أبو الحسن الشهْرَزانيّ: أن خالداً وقع بينه وبين الحلبي الشاعر الذي يقول فيه البحتريّ:

سَــلِ الــحَــلَــبِــيَّ عَــنْ حَــلَــبِ

خلافٌ في معنى شعر، فقال له الحلبيّ: لا تعدُ طَورَك فأُخرسَك! فقال له خالد: لستَ هناك، ولا فيك موضع للهجاء، ولكن ستعلم أني أجعلك ضُحْكة سُرّ مَن رأى. وكان الحلبيّ من أوسخ الناس، فجعل يهجو جُبَّتَهُ وثيابه وطيلسانه، فمن ذلك قوله:

[السريع]

وشــاعــرٍ ذي مَــنْــطِــقٍ رائِــقِ فــي جُــبَّــةٍ كــالــعــارِضِ الــبــارِقِ
قــطــعــاءَ شــلاّءَ رقــاعِــيَّــةٍ دَهْــرِيَّــةٍ مَــرْقُــوعَــةِ الــعــاتِــقِ[٤]
قَــدَّمَــهــا الــعُــرْيُ عَــلــى نَــفْــسِــهِ لِــفَــضْــلِــهــا فــي الــقَــدَرِ الــسَّــابِــقِ

---

(١) الجرائر: جمع جرار، وجرار جمع جرّة. والزقاق: جمع زق، وهو إناء كبير للخمر.
(٢) السلاف: الخمر. والعبرات: الدموع.
(٣) الادّكارات: التذكر.
(٤) القطعاء: المقطوعة. والشلاء: التي أصابها سواد لا يذهب بالغسل. والدهرية: القديمة، والرقاعية: الكثيرة الرقاع. والعاتق: ما بين المنكب والعضد.

وقوله: [المنسرح]

وشــاعــرٍ مُــقْــدِمٍ لَــهُ قَــوْمُ لَــيْسَ عــلــيــهــمْ فــي نَــصْــرِهِ لَــوْمُ
قــد ســاعَــدُوهُ فــي الــجُــوعِ كُــلُّــهــمُ فَــقْــرَى فَــكُــلٌّ غَــداؤُهُ الــصَّــوْمُ
يــأتِــيــكَ فــي جُــبَّــةٍ مُــرَقَّــعَــةٍ أطْــوَلُ أعْــمــارِ مِــثْــلِــهــا يَــوْمُ
وَطَــيْــلَــســان كــالآلِ يَــلْــبَــسُــهُ عــلــى قَــمِــيــصٍ كــأنَّــهُ غَــيْــمُ[1]
مِــنْ حَــلَــبٍ فــي صَــمِــيــم سِــفْــلَــتِــهــا غِــنــاهُ فَــقْــرٌ وَعِــزُّهُ ضَــيْــمُ

قال: وقال فيه: [المنسرح]

تــاهَ عــلــى رَبِّــهِ فــأفْــقَــرَهُ حَــتَّــى رآه الــغِــنَــى فــأنْــكَــرَهُ
فَــصــارَ مــن طُــولِ حِــرفَــةٍ عَــلَــمــاً يَــقْــذِفُــهُ الــرِّزْقُ حــيــثُ أبْــصَــرَهُ[2]
يــا حَــلَــبِــيّــاً قَــضَــى الإلٰــهُ لَــهُ بــالــتِّــيــهِ وَالــفَــقْــرِ حــيــنَ صَــوَّرَهُ
لَــوْ خــلــطــوهُ بــالــمِــسْــكِ وَسَّــخَــهُ أو طَــرَحُــوهُ فــي الــبَــحْــرِ كَــدَّرَهُ

حدثني جَحْظَةُ، قال: حَدَّثني خالد الكاتب، قال: دخلتُ على إبراهيم بن المهديّ فاستنشدني، فقلت: أيها الأمير، أنا غلامٌ أقول في شُجون نفسي، لا أكاد أمدح ولا أهجو، فقال: ذلك أشدّ لدواعي البَلاء، فأنشدته:

صوت

[مجزوء الكامل]

عــاتَــبْــتُ نَــفْــسِــي فــي هَــوا ك فــلــم أجِــدْهــا تَــقْــبَــلُ
وأطَــعْــتُ داعِــيَــهــا إلــيــ ـكَ ولــم أُطِــعْ مَــن يَــعْــذِلُ
لا والَّــذي جــعَــلَ الــوجــو ه لِــحُــسْــنِ وَجْــهِــكَ تَــمْــثُــلُ
لا قُــلْــتُ إنَّ الــصَّــبْــرَ عــنــ ـكَ مــن الــتَّــصــابِــي أجْــمَــلُ

لجحظة في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق بالوسطى.

قال: فبكى إبراهيم وصاح: وَأْيْ[3] عليك بإبراهيم، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها: [المديد]

وَبَــكَــى الــعــاذِلُ مِــنْ رَحْــمَــتِــي فَــبُــكــائِــي لِــبُــكــا الــعــاذِلِ

(١) الآل: السراب.
(٢) الحرفة: سوء الحظ، والحرمان.
(٣) واي: أي أعجب.

وقال إبراهيم: يا رشيق، كم معك من العَيْن؟ قال: سِتمائة وخمسون ديناراً. قال: اقسِمْها بيني وبين الفَتى، واجعل الكَسْر له صحيحاً، فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً، فاشتريت بها منزلي بساباطِ الحسن والحسين فواراني إلى يومي هذا.

حَدَّثني جحظة، قال: حَدَّثني خالد الكاتب قال: قال لي عليّ بن الجهم: هب لي بيتَك الذي تقول فيه: [مجزوء الرمل]

لَيتَ مَا أَصْبَحَ مِنْ رِقَّـ ... ـةِ خَدَّيْكَ بِقَلْبِكْ

فقلت: يا جاهل، هل رأيتَ أحداً يهب ولده.

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب: لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له، وكان قد باعَدهُ ولم أعلم، فأنشأ يقول: [الكامل]

ظَعَنَ الغَرِيبُ لِغَيبَةِ الأَبَدِ ... حتى المخافة نائيَ البَلَدِ
حَيْرانَ يُؤْنِسُهُ وَيَكْلَؤُه ... يَوْمٌ تَوعَّدَهُ بِشَرٍّ غَدِ
سَنَحَ الغُرابُ لَهُ بأَنْكَرِ ما ... تَغْدُو النُّحُوسُ بِهِ على أَحَدِ
وابتاعَ أشأَمَهُ بأَيْمَنِهِ الـ ... ـجَدُّ العَثُورُ له يداً بِيَدِ
حَتَّى يُنِيخَ بأرضِ مَهْلَكَةٍ ... في حَيْثُ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدِ
جَزِعَتْ حَلِيلَتُهُ عليهِ فما ... تَخْلُو من الزَّفَراتِ وَالكَمَدِ
نَزَلَ الزَّمانُ بها فأَهْلَكَها ... منهُ وَأَهْدَى اليُتْمَ لِلْوَلَدِ
ظَفِرَتْ بِهِ الأيّامُ فانْحَسَرَتْ ... عَنْهُ بِناقِرَةٍ وَلَمْ تَكَدِ(١)
فَتَرَكْنَ مِنْهُ بَعْدَ طِيَّتِهِ ... مِثْلَ الَّذِي أبْقَيْنَ مِنْ لُبَدِ(٢)

قال، فقلت له: يا أبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ في قول الهجاء؟ قال: مذ سالمتُ فحوربت، وصافيت فنوفقت.

[بينه وبين أبي تمام]

وقال الرِّيَاشيّ: كان خالد مغرماً بالغلمان المُرْد، يُنفِق عليهم كلّ ما يُفيد،

(١) الناقرة: الداهية.
(٢) لُبَد: آخر نسور لقمان وكانت سبعة. كلما هلك نسر خلفه نسر حتى هلكت كلها.

فَهوِيَ غلاماً يقال له: عبد الله، وكان أبو تمام الطائي يهواه، فَقال فيه خالد:

[مخلع البسيط]

قَــضِــيــبُ بــانٍ جَــنــاهُ وَرْدُ تَــحْــمِــلُــهُ وَجْــنَــةٌ وخَــدُّ
لَــمْ أُثْــنِ طَــرْفِــي إلــيــهِ إلا مَــاتَ عَــزاءٌ وعَــاشَ وَجْــدُ
مُــلِّــكَ طَــوْعَ الــنُّــفُــوسِ حَــتّــى عَــلَّــمَــهُ الــزَّهْــوَ حِــيــنَ يَــبْــدُو
وَاجْــتَــمَــعَ الــضِّــدُّ فــيــهِ حَــتّــى لَــيْــسَ لِــخَــلْــقٍ سِــواهُ ضِــدُّ

فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها: [السريع]

شِــعْــرُكَ هــذا كُــلُّــهُ مُــفْــرِطٌ فــي بَــرْدِهِ يــا خــالِــدُ الــبــارِدُ

فعَلِمها الصبيانُ، فلم يزالوا يصيحون به: يا خالد يا بارد حتى وَسْوَس. قال: ومن الناس من يزعُمُ أن هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمام، وليس الأمر كذلك. [وكان خالد][1] قد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه: [البسيط]

يـا مَـعْـشَـرَ الـمُـرْءِ إنـي نـاصِـحٌ لَـكُـمُ وَالمرءُ في القول بَيْن الصِّدْقِ والكذبِ
لا يـنـكِـحَـنَّ حـبـيـبـاً مـنـكـمُ أحَـدٌ فـإنَّ وجـعـاءَه أعْـدَى مـن الـجَـرَبِ
لا تـأمَـنُـوا أن تَـحُـولُـوا بَـعـدَ ثـالـثَـةٍ فَتَرْكَبُوا عُمُداً ليستْ من الخَشَبِ

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حَدَّثني الحسن بن إسحاق قال: حدثني خالد الكاتب، قال: لما بويع إبراهيمُ بن المهدي بالخلافة طلبني ـ وقد كان يعرفني ـ وكنت متّصلاً ببعض أسبابه، فَأُدْخِلْتُ إليه فقال: أنشدني يا خالد شيئاً من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**إنَّ من الشِّعر لَحِكَماً**»، وإنما أمزح وأهزِل، فقال: لا تقل هذا، فإنّ جِدَّ الأدب وهَزْلَه جِدّ، هات أنشدني، فأنشدته: [الرمل]

عِـش فَـحُـبِّـيـكَ سـريـعـاً قـاتِـلـي والـضَّـنَـى إن لـم تَـصِـلْـنـي واصِـلـي
ظَـفِـرَ الـشَّـوْقُ بـقَـلْـبٍ دَنِـفٍ فـيـكَ والـسُّـقـم بـجـسـم نـاحِـلِ[2]
فـهُـمـا بَـيْـنَ اكـتـئـاب وَضَـنًـى تَـركـانِـي كـالـقَـضِـيـبِ الـذَّابـلِ

قال: فاستملح ذلك ووصلني.

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) الدنف: المريض الذي لازمه المرض من حبّ أو غيره.

حدثني حمزة بن أبي سلالة الشاعر الكوفيّ، قال: دخلْتُ بغداد في بعض السنين فبينا أنا مارٌّ بِجُنَيْنَة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة، وعلى رأسه قُلَنْسية سوداء، وهو راكب قَصَبَة، والصبيان خلفه يصيحون به: يا خالد يا بارد، فإذا آذَوْهُ حمل عليهم بالقصبة، فلم أزَل أطردهم عنه حتى تفرقوا، وأدخلته بستاناً هناك، فجلس واستراح، واشتريت له رُطَباً فأكل، واستنشدته فأنشدني: [المنسرح]

قدْ حازَ قلبِي فصارَ يَمْلِكُهُ ... فكيفَ أَسْلُو وكيفَ أتْرُكُه!
رَطِيبُ جِسْمٍ كالماءِ تَحْسَبُهُ ... يَخْطِرُ في القَلْبِ مِنْهُ مَسْلَكُهُ
يكادُ يَجْري مِنَ القَمِيصِ من النـ ... ـعمةِ لولا القَمِيصُ يُمْسِكُهُ

فاستزدتُه، فقال: لا، ولا حَرْف.

وذَكر عليُّ بنُ الحسينِ بنِ أبي طلحة عن أبي الفضل الكاتب - أنه دعا خالداً ذات يوم فأقام عنده، وخلع عليه، فما استقر به المجلس حتى خرج. قال: فأَتْبَعْتُهُ رسولاً ليعرف خبره، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبه، فسأل عنه فوجده في دار القمار، فمَضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبَّله وعانقه وعاد إلينا، فلما جاء خالد أعطيت الغلامَ الذي وجّهنا به دنانير ودعاه فجاء به إلينا، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجَمجم، فغمزنا الرسول فأخرجه علينا، فلما رآه خالد بكى ودَهِش، فقلنا له: لا تُرَعْ، فإن من القصة كَيْتَ وكيت، وإنما أردنا أن نعرفَ خبرَكَ لا أن نَسوءك، فطابت نفسُه وأجلسَه إلى جنبه، وقال: قد بُلِيتُ بحبِّه وبالخوف عليه مما قد بُلِيَ به من القمار، ثم أنشد لنفسه فيه: [مجزوء الوافر]

مُحِبٌّ شَفَّهُ أَلَمُهْ ... وخامَرَ جِسْمَهُ سَقَمُهْ
وباحَ بما يُجَمْجِمُهُ ... منَ الأسْرارِ مكْتَتِمُهْ
أما تَرْثِي لِمُكْتَئِبٍ ... يُحِبُّكَ لَحْمُهُ ودَمُهْ
يغارُ على قَمِيصِكَ حِيـ ... ـنَ تَلْبَسُهُ وَيَتَّهِمُهْ

[من أخباره وشعره]

وذكر عليّ بن الحسين أيضاً أن محمدَ بنَ السريّ حدَّثه أنه أطال الغَيبة عن بغداد وقد وَسْوَس خالد، فمَرَّ به في الرُّصافة والصبيان يصيحون به: يا غلام الشرَيطيّ يا خالد البارد، ويرجع إليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم، قال: فقلت له: كيف أنت يا أبا الهيثم؟ قال: كما ترى! فقلت له: فمَنْ تَعاشِر اليوم؟ قال: مَنْ

أحذرُه. فعجبت من جوابه مع اختلاله، فقلت له: ما قلتَ بعدي من الشعر؟ قال: ما حفظه الناس وأُنسيتُه، وعلى ذلك قولي: [الخفيف]

كَبِدٌ شَفَّها غَلِيلُ التَّصابي ... بينَ عَتْبٍ وسَخْطَةٍ وعذابِ
كلَّ يَوْمٍ تَدْمَى بجَرحٍ من الشو ... قِ ونوعٍ مُجَدَّدٍ مِنْ عَذابِ
يا سَقِيمَ الجفونِ أسْقَمْتَ جِسْمِي ... فاشْفِني كَيْفَ شئتَ، لا بِكَ ما بي
إنْ أكنْ مُذْنباً فَكُنْ حَسَنَ العَفْـ ... ـوِ أو اجْعَلْ سِوَى الصُّدُودِ عقابي

ثم قال: يا أبا جعفر، جننت بعدك، فقلت: ما جعلك الله مجنوناً وهذا كلامك لي ونظمك!

حَدَّثني محمدُ بن الطلاس أبو الطيب، قال: حضرْتُ جنازة بعضِ جيراني، فلقِيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه، وقلت: أنشدْني، فذهب ليهرُب مني، فغمزتُ على يده غمزة أوجعَتْه، فقال: خَلِّ عني أُنْشِدْك، فأرخيت يدي عن يده، فأنشدني: [مجزوء الرجز]

لَمْ تَرَ عَيْنٌ نَظَرَتْ ... أحْسَنَ مِنْ مَنْظَرِهِ
النُّورُ والنِّعمةُ والنَّـ ... ـعمةُ في مَخْبَرِهِ
لا تَصِلُ الألْسُنُ بالـ ... ـوصْفِ إلى أكْثَرِهِ
كَيْفَ بِمَنْ تَنْتَسِبُ الشـ ... ـمسُ إلى جَوْهَرِهِ!

حَدَّثني عمِّي ـ رحمه الله ـ قال: مَرَّ بنا خالد الكاتب هاهنا والصبيان خلفه يصيحون به، فجلس إليَّ فقال: فرِّق هؤلاء عني، ففعلتُ، وألَحَّتْ عليه جارية تصيح: يا خالد يا بارد، فقال لها: مُرِّي يا منتنة الكُسّ، ويا من كُسها دُس. فقلت له: يا أبا الهيثم، أيُّ شيء معنى «دس» ها هنا؟ قال: تشتهي الأيرَ الصغير والكبير والوسط، ولا تكره منها شيئاً. وأقبَل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد، وهي ترميهم وتهرُبُ منهم حتى غابوا معها عنا، فأقبل عليَّ خالدٌ متمثلاً فقال: [المتقارب]

وما أنا في أمْري ولا في خُصُومَتِي ... بِمُهْتَضَمٍ حَقِّي ولا قارعٍ سِنِّي

فاحْتَبَسْتُهُ عندي يومي ذلك. فلما شرب وطابت نفسه، أنشدنا لأبي تمام:

[الكامل]

أحْبَابُهُ لِمَ تَفْعَلُونَ بِقَلْبِهِ ... ما ليسَ يَفْعَلُه بهِ أعداؤهُ؟

مَطَرٌ مِنَ العَبَراتِ خَدِّي أرضُهُ حَتَّى الصَّباحِ ومُقْلَتايَ سَماؤهُ
نَفْسِي فداءُ محمدٍ ووقاؤهُ وكَذَبْتُ، ما في العالَمِينَ فداؤهُ
أزَعَمْتَ أنَّ البَدْرَ يَحْكِي وَجْهَهُ وَالغُصْنَ حِينَ يَمِيدُ فيه ماؤهُ؟
اسْكُتْ فأيْنَ بهاؤهُ وكمالُهُ وجمالُهُ وحَيَاؤهُ وضياؤهُ؟
لا تَقْرَ أَسْماءَ المَلاحَةِ باطِلاً فِيمَنْ سِواهُ فإنَّها أسماؤهُ

ثم قال: وقد عارضه أبو الهيثم ـ يعني خالداً نفسَه ـ فقال: [الوافر]

فَدَيْتُ محمداً من كلِّ سوءٍ يحاذِرُ في رَواحٍ أو غُدُوِّ
أيا قَمَرَ السَّماءِ سَفُلْتَ حَتَّى كأنَّكَ قد ضَجِرْتَ مِنَ العُلُوِّ
رأيتُكَ مِنْ حَبِيبِكَ ذا بِعادٍ وَمِمَّنْ لا يُحِبُّكَ ذا دُنُوِّ
وَحَسْبُكَ حَسْرَةً لكَ من حبيبٍ رأيْتَ زِمامَهُ بِيَدَيْ عَدُوِّ

هكذا أخبرني عمي عن خالد، وهذه الأبيات أيضاً تُرْوَى لأبي تمام.

وقال ابن أبي طلحة: حدثني الهلاليّ، قال: مررْتُ بخالد وحوله جماعة يُنشدهم، فقلت له: يا أبا الهيثم، سلَوْتَ عن صديقك، قال: لا والله. قلت: فإنه عليل وما عُدتَه، فسكت ساعة ثم رفع رأسه إليَّ، وقال: [الخفيف]

زَعَمُوا أنَّنِي صَحَوْتُ وَكَلاَّ أُشْهِدُ الله أنَّنِي لَنْ أمَلاَّ
كيفَ صبري يا مَنْ إذا ازدادَ تِيهاً أبَداً زِدتُهُ خُضُوعاً وذُلاَّ؟

ثم قال: احفظه وأبلغه عني: [الوافر]

بِجِسْمِيَ لا بِجِسْمِكَ يا عَليلُ ويكفيني من الألَمِ القَلِيلُ
تَعَدَّاك السَّقامُ إليَّ إنِّي على ما بي لعادِيهِ حَمُولُ
إذا ما كُنْتَ يا أمَلِي صَحِيحاً فخالَفَنِي وسالَمَكَ النُّحُولُ
ألَسْتَ شَقِيقَ ما ضَمَّتْ ضُلوعِي عَلَى أنّي لِعِلَّتِكَ العَلِيلُ

قال: وحَدَّثني العباس بنُ يحيى أنهم كانوا عند عليّ بنِ المعتصم، فغُنّيَ في شعر لخالد، فأمر بإحضاره، وطُلِبَ فلم يوجدْ، فوجَّه إلى غلام كان يتعشقه فأُحضر، وسأله عنه فدلّ عليه، وقال: كنّا نَشرب إلى السحَر، وقد مضى إلى حمام فلان، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي، ودكانُه مألَفٌ للغِلمان المُرْد والمغنين. فبعث إليه فأُحضر، فلما جلس أخرج عليُّ بنُ المعتصم الغلام؛ وقال: هذا دَلّنا عليك؛ وهو يزعم أنك تعشقُه، فقال له الغلام: نعم أيها الأمير، لو لم

يكن من فضيحته إياي إلا أنه إذا لم يوجد أُحْضِرْتُ وسئلت عنه، فأقبل عليه خالد وقال: [السريع]

يا تاركَ الجِسْمِ بلا قَلْبِ إن كُنْتُ أهْواكَ فما ذنبي؟
يا مُفْرَداً بالحسنِ أفْرَدْتَنِي مِنْكَ بِطولِ الشَّوْقِ والحُبِّ
إنْ تَكُ عَيْني أبْصَرَتْ فِتْنَةً فَهَلْ عَلَى قَلْبِيَ من عَتْبِ؟
حَسِيبُكَ اللّهُ لما بي كما أنّكَ في فِعْلِكَ بي حَسْبِي

لجحظة فيه رمل، فاستحسنَ عَلِيّ الشعرَ، وأمر له بخمسين ديناراً.

قال: حدثني ابن أبي المدوّر أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب، وأنه دخل عليهم غلامٌ من أولاد الكتاب، فلما رأى خالداً أعرضَ عنْه، فقلت له: لمَ أعرضْتَ عن أبي الهيثم؟ فقال: واللّه لو علمت أنّه هاهنا ما دخلت إليكم، ما يبالي إذا شَرِب هذين القدَحين ما قال ولا مَنْ هَتَك، فقال لي خالد: ألا تُعينني على ظالمي؟ فقلت: بلى والله أُعِينُك، فأقبل على الفتى وقال:

صوت

[مجزوء الكامل]

هَبْنِي أسَأتُ فكانَ ذَنْـ ـبي مِثْلَ ذَنْبِ أبي لَهَبْ
فأنا أتُوبُ وكم أسأ تَ وكم أسأتَ ولم تَتُبْ

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفُه له حتى أقبل عليه وكلَّمه وحادثه، فطابت نفسه، وسُرَّ بقيةَ يومه.

في هذين البيتين لأبي العُبَيْس خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولرذاذ خفيف رمل مطلق.

وحدثني عبد الله بن صالح الطوسيّ أن عليَّ بن المعتصم دعا خالداً يوماً وهو يشرَب، وقد أخرجَتْ إليه وَصِيفَةٌ من وُصَفَاءِ حَظِيَّتِهِ[1] تفَّاحة مَعْضوضة مُغلَّفة بعثت بها إليه ستُّها، فقال: [البسيط]

تُفّاحَةٌ خَرَجَتْ بالدُّرِّ مِن فيها أشْهَى إليَّ مِنَ الدُّنيا وما فيها

(١) الحظية: السريّة المكرّمة عند صاحبها.

بيضاءُ في حمْرَةٍ عُلَّتْ بِغاليَةٍ كأنَّما قُطِفَتْ من خَدِّ مُهْدِيها[١]
جاءتْ بها قَيْنَةٌ من عندِ غانِيَةٍ رُوحي من السّوءِ والمكروه تفديها
لو كُنْتُ ميتاً ونادتني بنغمتِها إذاً لأسْرَعْتُ من لَحْدِي أُلَبِّيها

فاستحسن عليٌّ بن المعتصم الأبيات، وغُنِّي فيها، وأمرَ لهُ بتخت[٢] ثياب وخمسين ديناراً.

(١) علت: خلطت. والغالية: أخلاط من الطيب.
(٢) التخت: وعاء تحفظ فيه الثياب.

أخبار المسدود

[اسمه وكنيته وسكنه وغناؤه]

المسدود من أهل بغداد، وكان منزلُه في ناحية درب المفضّل، في الموضع المعروف بِخَراب المسدود، منسوب إليه.

وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن، وكنيته أبو عليّ، وأن أباه كان قَصّاباً، وأنه كان مسدودَ فَرْدِ مَنْخِر ومفتوحَ الآخر، وكان يقول: لو كان مَنْخِرِي الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحُلُوم وذوي الألباب، وشغَلْت مَن سمعه عن أمر دِينه ودُنياه ومعاشه ومعاده.

قال جحظة: وكان أشجَى الناسِ صوتاً وأحضرهم نادرة، ولم يكتسب أحد من المغنّين بطُنبور ما كسَبه، وكان مع يساره وقلة نفقته يُقرض بالعِينة[1] وكانت له صنعة عجيبة، أكثرها الأهزاج. قال جحظة: قال لي مُخَارق غُلامه: قال لي، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هَزَج:

صوت

[المديد]

مَـن رَأى الـعِـيـسَ عَـلَـيْـهـا الـرِّحـالُ إضَـمٌ قَـصْـدٌ لَـهـا أم أُثـالُ؟[2]

لَـسـتُ أدري حـيـثُ حَـلُّـوا وَلَـكِـنْ حَـيْـثُـمـا حَـلُّـوا فـثَـمَّ الـجَـمَـالُ

(١) يقرض بالعينة: يقرض بالربا.

(٢) إضم: واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فية المدينة. وأثال: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ١/ ٨٩، و٢١٤).

والآخر: [مجزوء الرمل]

عُجْ بنا نَجْنِ بِطَرْفِ الـ ـعَيْنِ تُفّاحَ الخُدودْ
ونُسَلِّ القلبَ عَمَّنْ حظُّنا منهُ الكُدُودْ[1]

ثم قال: والله لا تركتُ بَعدي من يَهزِج. قال جحظة: والله ما كذب!

[نفيه إلى عمان وأسبابه]

أخبرني جحظة، قال: كان الواثق قد أذِن لجلسائه ألا يرُدَّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه، فغنى الواثق يوماً: [الطويل]

نَظَرْتُ كأني من وراء زُجاجةٍ إلى الدارِ من ماءِ الصبابةِ أنْظُرُ

وقد كان النبيذ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال: أنت تنظر أبداً مِن وراء زجاجة، إن كان في عينيك ماء صبابة أو لم يكن. فغضب الواثق من ذلك وكان في عينيه بياض، ثم قال: خذوا برِجْل العاضِّ بَظْر أمه، فسُحب من بين يديه. ثم قال: يُنفَى إلى عُمان الساعة، فنفي من وقته وحَدَر[2] ومعه المُوَكَّلون. فلما سلّموه إلى صاحب البصرة، سأله أن يُقيم عنده يوماً ويغَنِّيه، ففعل. فلما جلسوا للشراب ابتدأ فقال: احذروني يا أهل البصرة على حُرَمكم، فقد دخلْتُ إلى بلدكم وأنا أزنَى خلق الله. قال: فقال له الجَمّاز: أما يعني أنه أزنى خلقِ الله أُمّاً. فغضب المسدود، وضرب بطُنبوره الأرض وحلف ألا يغنِّي، فسأله الأمير أن يقيم عنده وأمر بإخراج الجماز وكلٍّ من حضر، فأَبى ولجّ فأحدره إلى عُمان.

ومكث الواثق لا يسأل عنه سنة، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره، فلما جاءه الرسولُ ووصَل إلى الواثق قبّل الأرض بين يديه، فاعتذر من هفوته وشكر التفضل عليه. فأمره بالجلوس ثم قال له: حدِّثني بما رأيت بعدي. فقال: لي حديث ليس في الأرض أظرف منه، وأعاد عليه حديثه بالبصرة. فقال له الواثق: قَبحك الله ما أجهلك! ويلك! فأنت سُوقةٌ وأنا ملك، وكنتَ صاحياً وكنتُ مُنْتَشِياً وبدأتَ القوم فأجابوك، فبلغ بك الغضب ما ذكرتَه وما بدأتك فتُجِيبَني، وبدأتني - من المزح - بِما لا يحتمله النظير لنظيره، ويلك! لا تعاود بعدها ممازحةَ خليفةٍ وإنْ أذِن لك في

---

(١) الكدود: البخل.
(٢) حدر: هبط.

ذلك، فليس كل أحد يَحضره حلمُه كما حضرني فيك.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عَون بن محمد، قال: سمعت حمدون بن إسماعيل يقول: لم يكن في الخلفاء أحد أحلمَ من الواثق، ولا أصبرَ على أذى وخلاف. وكان يُعجبه غناء أبي حشيشة الطُنبوريّ، فوجَد المسدود من ذلك، فكان يَبْلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه. وكان المسدود قد هجاه ببيتين، فكانا معه في رقعة، وفي رقعة أُخرى حاجة له يريد أن يَرْفعها إليه، فغلط بين الرقعتين، فناوله رقعة الشِّعر وهو يَرى أنها رقعة الحاجة، فقرأها وفيها: [الهزج]

مِـنَ الـمَـسْـدودِ فـي الأَنْـفِ ... إلـى الـمَـسْـدُودِ فـي الـعَـيْـنِ
أنـا طَـبْـلٌ لَـهُ شِـقٌّ ... فَـيـا طَـبْـلاً بـشِـقَّـيْـنِ

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه، فقال للمسدود: خلطت في الرقعتين، فهات الأُخرى وخذ هذه واحترز من مثل هذا، والله ما زاده على هذا. القول.

[من أجوبته]

أخبرني جحظة، قال: تحدث المسدود في مجلس المنتصر بحديث، فقال له المنتصر: متى كان ذلك؟ قال: ليلة لا ناهٍ ولا زاجر، يُعَرِّض له بلَيلةٍ قتل فيها المتوكل، فأغضى المنتصر واحتمله.

قال: وقالت الذكورية يوماً بين يدي المعتمد: غنِّ يا مسدود، قال: نعم يا مفتوحة! وقالت له امرأة: كيف آخذ إلى شجرة بابك؟ قال: قُدّامك، أطعمكِ الله من ثمرها.

قال: وغنى بين يدي المتوكل، فسكّته وقال لبكران الشيري: تَغَنّ أنت، فقال المسدود: أنا أحتاج إلى مستمع، فلم يفهم المتوكل ما قال.

وقَدّم إليه طبّاخُ المتوكل طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له: أيَّ شيء تشتهي حتى أجيئك به؟ قال: خبزاً، فبلغ ذلك المتوكل، فأمر بالطباخ فضُرِب مائتي مِقْرعة[1].

قال جحظة: وحدثني بعض الجلساء أنه لما وَضع الطباخ الرغيفَين بين يديه

(١) المقرعة: السوط.

قال له المسدود: هذا حرز فأين النير[١]؟.

قال ودعاه بعض الرؤساء فأهدى له برذوناً أشهب، فارتبطه ليلته، فلما كان من غدٍ نَفق، وبعث إليه يدعوه بعد ذلك، فكتب: أنا لا أمضي إلى من يعرف آجال الدواب، فيهب ما قرُب أجله منها.

قال: واستوهب مِن بعض الرؤساء وبراً[٢]، فأعطاه سمّوراً[٣] قد قَرِع بعضُه، فردَّه وقال: ليس هذا سموراً، هذا أشكر[٤].

صوت

[الطويل]

أجِـدَّك مـا تَـعْـفُـو كُـلُـومُ مُـصِـيـبَـةٍ على صـاحـبٍ إلا فُـجِـعْـتُ بـصـاحِـبِ
تَـقَـطَّـعُ أحْـشـائِـي إذا مـا ذَكَـرْتـهـمُ وَتـنْـهـلُّ عَـيْـنـي بـالـدُّمُـوعِ الـسَّـواكِـبِ

عروضه من الطويل، الشعر لسلمة بن عياش، والغناء لحكم، وله فيه لحنان: رمل بالبنصر، وهزج بالوسطى.

(١) الحرز: العوذة والنير: هدب الثوب.
(٢) الوبر: دويبة على قدر السمّور من دوابّ الصحراء.
(٣) السمُّور: حيوان بري فروه من أغلى الفراء.
(٤) لم أهتد إلى معناها بدقة، ولعلها نوع من الحيوان.

أخبار سلمة بن عياش

[توفي نحو سنة ١٧٠ هـ/ نحو سنة ٧٨٦ م]

[اسمه وولاؤه]

سلمة بن عياش مولى بني حِسْل بن عامر بن لؤي. شاعرٌ بصريٌّ مِن مخَضْرَمِي الدولتين، وكان يتدَيّن ويتصون، وانقطع إلى جعفر ومحمد ابنَيْ سليمانَ بنِ علي بنِ عبد الله بن عباس، ومدَحَهما فأكثر وأجاد. وممّا مدَحهما به وفيه غناء قوله:

صوت [الطويل]

أَرِقْتُ وطالَتْ لَيْلَتِي بأبانِ ... لِبَرْقٍ سَرَى بَعْدَ الهُدُوءِ يَمانِ(١)
يُضِيءُ بأعْلام المَدِينَةِ هُمَّداً ... إلى أَمَجٍ فالطَّلْحِ طَلْحِ قنانِ(٢)

غنى في هذين البيتين دحمان، ولَحْنه ثقيل أولَ بالوسطى عن عمرو، قال: وفيه لحن لعطرّد يقول فيها:

وَرَدْتُ خَلِيجَيْ جَعْفَرٍ ومحمدٍ ... وَكُلَّ بَدِيءٍ من نَداهُ سقاني(٣)
وإنِّي لأرْجُو جَعْفَراً ومحمداً ... لأفْضَلِ ما يُرْجَى له مَلَكانِ
هُما ابْنا رَسُولِ الله وابنا ابنِ عَمِّهِ ... فَقَدْ كَرُمَ الجَدّانِ والأبوانِ

ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله:

---

(١) أبان: جبل. (انظر معجم البلدان ١/ ٦٢).
(٢) أمج: بلد من أعراض المدينة (معجم البلدان ١/ ٢٤٩). وطلح: موضع بين المدينة وبدر، وآخر بين اليمامة ومكة. (معجم البلدان ٤/ ٣٨).
(٣) البديء: العجيب.

صوت

[الطويل]

أَنارٌ بَدَتْ وَهْناً لِعَيْنِكَ تُرْمِضُ ... ببغدادَ أم سارٍ من البَرْقِ مُومِضُ؟(١)
يُضِيءُ سَناهُ مكْفَهِراً كأنَّهُ ... حناتِمُ سُودٌ أو عِشارٌ تَمَخَّضُ(٢)

غنى فيهما عطرّد ثقيلاً أول؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها:

وَلَوْلا انْتِظارِي جعفراً ونَوالَهُ ... لَمَا كانَ في بغدادَ ما أَتَبَرَّضُ(٣)

وقد وَجدتُ هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له، وأظن ذلك الصحيحَ، لا ما ذكر محمدُ بنُ داود من أنها لسلمة بن عياش.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حَدَّثنا عمر بن شبة وغيره، قال: قال سلمة بن عياش ـ وذكر محمدُ بن داود، عن عسلِ بنِ ذكوان، عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن سلمة بن عياش مولى بني عامر بن لؤيّ ـ قال: دخلت على الفرزدق السجن، وهو محبوس، وقد قال قصيدته: [الكامل]

إنّ الَّذِي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا ... بَيْتاً دعائِمُهُ أعَزُّ وأطوَلُ

وقد أُفحِمَ وأَجبل(٤) فقلت له: ألا أرفِدك(٥)؟ فقال: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت: [الكامل]

بَيْتٌ زُرارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ... ومُجاشِعٌ وأبُو الفوارِسِ نَهْشَلُ

فاستجاد البيت وغاظه قولي له، فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من قريش، فقال: كل أَيْرِ حمار من قريش! فَمِن أيِّها أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله رَضَعة(٦)، جاورتُهم بالمدينة فما أحمدتُهم، فقلت: ألأمُ والله منهم قومُك

(١) وهناً: منتصف الليل. وترمض: تشتعل. وأومض: أضاء.
(٢) الحناتم: جمع حنتم، وهي الجرّة الخضراء. والعشار: الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، أو ثمانية.
(٣) تبرّض: أخذ الشيء قليلاً قليلاً، أو: تبلّغ بالقليل.
(٤) أجبل: صعب عليه القول.
(٥) أرفدك: أعينك.
(٦) رَضَعة: جمع راضع، وهو اللئيم.

وأرضع. جاء رسولُ مالك بنِ المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بِأُذُنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد، ولا نصرك، فقال: قاتلك الله ما أكرَمك! وأخذ البيت، فأدخله في قصيدته.

[سلمة وبربر الجارية]

أخبرنا وكيع، قال: أخبرني محمدُ بن سعد الكرانيّ، قال: حدثنا سهل بن مُحمد، قال: حَدَّثني العُتْبِيّ، قال: كان سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان، وجارية تغنِّيهم وتَسقيهم يقال لها: بربر، فقال سلمة: **[الطويل]**

إلى اللَّهِ أَشْكُو ما أُلاقي من القِلَى ... لأَهْلِي وما لاقَيْتُ من حُبِّ بَرْبَرِ
عَلى حِينَ ودَّعْتُ الصَّبابَةَ وَالصِّبا ... وفارَقْتُ أَخْدانِي وَشَمَّرْتُ مِئْزَرِي
نأى جَعْفَرٌ عنَّا وكانَ لِمِثْلِها ... وأنتِ لنا في النائباتِ كجعفرِ[1]

قال: فقال محمد بن سليمان لسلمة: خذها، هي لك، فاستحيا وارتدع، وقال: لا أُريدها فألحَّ عليه في أخذها، فقال: أعتِق ما أمْلِك إن أخذتُها، فقال له أبو سفيان: ياسخين العين، أعتِق ما تَمْلِك وخذها، فهي خير من كلّ ما تملك، فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال: **[الطويل]**

لَعَمْرُكَ لا تَعْفُو كُلُومُ مَصِيبَةٍ ... على صاحِبٍ إلا فُجِعْتُ بصاحِبِ
تَقَطَّعُ أحْشائِي إذا ما ذَكَرْتُكُمْ ... وتَنْهَلُّ عَيْنِي بالدُّمُوعِ السَّواكِبِ
وَكُنْتُ آمْرَأً جَلْداً على ما يَنُوبُنِي ... ومُعْتَرِفاً بالصَّبْرِ عندَ المصائبِ
فَهَدَّ أبُو سُفْيانَ رُكْنِي ولم أكُنْ ... جَزُوعاً ولا مُسْتَنكِراً للنوائبِ
غَنِينا مَعاً بِضْعاً وَسِتِّينَ حِجّةً ... خَلِيلَيْ صَفاءٍ وُدُّنا غَيْرُ كاذِبِ
فأصْبَحْتُ لمّا حالَتِ الأرضُ دُونَهُ ... على قُرْبِهِ مِنِّي كمَنْ لم أُصاحِبِ

وذَكر محمدُ بن داود عن عسل بن ذَكوان أن محمدَ بنَ سليمان قال له: اختر ما شئت غيرها، لأن أبا أيوب قد وطئها.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثني محمدُ بن يزيد النحويّ، قال: حُدِّثت من غير وجه عن سلمةَ بنِ عياش أنه قال: قلت لأبي حَيّة النميري

(١) النائبات: المصائب، الشدائد.

أهْزأُ به: ويحك يا أبا حية! أتدري ما يقول الناس؟ قال: لا، قلت: يزعمون أني أشعر منك، قال: إنا لله! هلَك والله الناس.

وفي بَرْبَر هذه يقول سلمة بن عياش، وفيه غناء، وَذكر عمر بن شبة أنه لمطيع بن إياس:

صوت

[مجزوء الوافر]

أظنُّ الحُبَّ مِنْ وجْدِي ... سَيَقْتُلُني على بَرْبَرْ
وبربرُ دُرَّةُ الغَوّا ... صِ مَنْ يَمْلِكُها يُحْبَرْ
فَخافِي الله يا بَرْبَرْ ... فَقَدْ أفتَنْتِ ذا العَسْكَرْ
بِحُسْنِ الدَّلِّ والشَّكْلِ ... وريحِ المِسْكِ والعَنْبَرْ
وَوَجْهٍ يُشْبِهُ البَدْرَ ... وَعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ أحْوَرْ[1]

فيه لحكم ثلاثة ألحان: رمَل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات، وهزج عن أبي أيوب المدني.

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حَدَّثنا عمر بن شبة، قال: بَرْبرُ جارية آلِ سليمان أُعتِقتْ، وكان لها جَوارٍ مغنيات، فيهن جارية اسمها جوهر، وكان في البصرة فتى يُعرَف بالصحّاف، حسن الوجه، فبلغ مطيعَ بنَ إياس أنه بات مع جوهرَ جارية بربرَ، فغاظه ذلك، فقال:

نـاكَ والـلَّـهِ جَـوْهَـرَ الـصـحّـافُ ... وَعَلَيها قَمِيصُها الأفْوَافُ[2]
شامَ فيها أيْراً لَهُ ذا صُلاعٍ ... لم يَخُنْهُ نَقْصٌ ولا إخطافُ[3]
زَعَمُوها قالَتْ وقد غابَ فيها ... قائماً في قيامِهِ استِحْصافُ[4]
وَهْوَ في جارَةِ اسْتِها يَتَلَظَّى ... وَبِها شَهْوَةٌ لَهُ والْتِهافُ
بَعْضَ هَذا مَهْلاً تَرَفَّقْ قَلِيلاً ... ما كَذا يا فَتَى تُناكُ الظِّرافُ

قال: وقال فيها، وقد وجّهت بجواريها إلى عسكر المهدي:

خافِي الله يا بَرْبَرْ ... فَقَدْ أفْسَدْتِ ذا العَسْكَرْ

(١) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.
(٢) ثوب أفواف: رقيق.
(٣) شام السيف: أغمده. والإخطاف: الإخطاء وعدم إصابة الهدف.
(٤) الاستحصاف: الشدة والانتصاب.

أَفَضْتِ الفِسْقَ في النّاسِ فصارَ الفِسْقُ لا يُنْكَرْ
ومَنْ ذا يَمْلِكُ النَّاسَ إذا ما أقْبَلَتْ بَرْبَرْ؟
وأعْطافُ جَوارِيها كَريح المِسْكِ والعَنْبَرْ
وَجَوْهَرُ دُرَّةُ الغَوّا صِ مَنْ يَمْلِكها يُحبَرْ
ألا يا جَوْهَرَ القَلْبِ لَقَدْ زِدْتِ على الجَوْهَرْ
وَقَدْ أكْمَلَكِ اللَّهُ بِحُسْنِ الدَّلِّ والمَنْظَرْ
إذا غَنَّيْتِ يا أحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ بالمِزْهَرْ
فَهٰذَا حَزَناً يَبْكِي وَهذا طَرباً يَكْفُرْ
وَهذا يَشْرَبُ الكأسَ وذا مِنْ فَرَحٍ يَنْعِرْ
ولا واللَّهِ ما المَهْدِيُّ أولَى مِنْكِ بالمِنْبَرْ
فَما عِشْتِ فَفِي كَفَّيْـ ـكِ خَلْعُ ابْنِ أبي جَعْفَرْ

قال: فبلغ ذلك المهدي، فضحك وأمر لمطيع بصلة، وقال: أنفق هذا عليها، وسلها ألا تخلعنا ما عاشت.

قال: وفي جوهر يقول مطيع: [السريع]

جاريةٌ أحْسَنُ مِن حَلْيِها وَفيهِ فَضْلُ الدُّرِّ والجَوْهَرْ
وَجِرْمُها أطْيَبُ من طِيبِها وَالطِّيبُ فيهِ المِسْكُ والعَنْبَرْ
جاءت بها بَرْبَرُ مَمْكُورَةً يا حَبَّذا ما جَلَبتْ بَرْبَرْ[1]

قال: وقال فيها: [الرمل]

أنتِ يا جَوْهَرُ عِندِي جَوْهَرَهْ في بياضِ الدُّرَّةِ المُشْتَهِرَهْ
وإذا غَنَّتْ فنارٌ أُضْرِمَتْ قَدَحَتْ في كُلِّ قَلْبٍ شَرَرَهْ[2]

صوت [الخفيف]

يا عَمُودَ الإسلامِ خَيْرَ عَمُودِ والَّذي صِيغَ من حياءٍ وجُودِ
إنَّ يَوْماً أراكَ فيهِ لَيَوْمٌ طَلَعَتْ شَمْسُهُ بِسَعْدِ السُّعودِ

الشعر لأبي العتاهية يمدح محمد الأمين، والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وإسحاق.

---

(١) الممكورة: المرأة المستديرة الساقين، وقيل: المدمجة الخلق.
(٢) أضرمت النار: أشعلت.

أخبار لأم جعفر

[توفيت نحو سنة ٢١٦ هـ/ نحو سنة ٨٣١ م]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ، قال: حدثنا العلائيّ، قال: حَدَّثني محمد بن أبي العتاهية، قال: لما جَلس الأمينُ في الخلافة أنشده أبو العتاهية:

[الخفيف]

يـا بْـنَ عَـمِّ الـنَّـبِـيِّ خَـيْـرِ الـبَـرِيَّـهْ ... إنَّـمـا أنْـتَ رحْـمَـةٌ لـلـرَّعِـيَّـهْ
يـا إمـامَ الـهُـدَى الأمـيـنَ الـمـصَـفَّـى ... بِـلُـبَـابِ الـخِـلافَـةِ الـهـاشِـمِـيَّـهْ
لَـكَ نَـفْـسٌ أمَّـارَةٌ لَـكَ بـالـخَـيْـ ... ـرِ وَكَـفٌّ بـالـمَـكْـرُمـاتِ نَـدِيَّـهْ
إنَّ نـفْـسـاً تَـحَـمَّـلَـتْ منكَ ما حُـمِّـ ... ـلْـتَ لِـلْـمُـسْـلِـمِـيـنَ نَـفْـسٌ قَـوِيَّـهْ

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له: أنشدْني ما أنشدْتَ أمير المؤمنين، فأنشدها فقالت: أين هذا من مدائحك في المهديّ والرشيد؟ فغضب وقال: إنما أنشدتُ أمير المؤمنين ما يستملح، وأنا القائل فيه: [الخفيف]

يـا عَـمُـودَ الإسْـلامِ خـيـرَ عَـمُـودِ ... والَّـذِي صِـيـغَ مـن حَـيـاءٍ وَجُـودِ
وَالـذي فـيـه مـا يُـسَـلِّـي ذوي الأحـ ... ـزانِ عـن كُـلِّ هـالـكٍ مـفـقـودِ
إنَّ يَـوْمـاً أراكَ فـيـهِ لَـيَـومٌ ... طَـلَـعَـتْ شَـمْـسُـهُ بِـسَـعْـدِ الـسُّـعُـودِ

فقالت له: الآن وفيت المديحَ حقه، وأمرَت له بعشرة آلاف درهم.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمدُ بنُ موسى اليزيديّ، قال: حدثني محمدُ بنُ الفضل، قال: كان المأمون يوجِّه إلى أمّ جعفر زُبَيدةَ في كل سنة بمائة ألف دينار جُدُد وألفِ ألفِ درهم، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم، فأغفلَتْه سنة، فَدَفع إليّ رقعة وقال: ضَعْها بين يديها، فوضعْتها،

وكان فيها: [الرمل]

خَبَّرونِي أنَّ فِي ضَرْبِ السَّنَهْ جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حَسَنَهْ
سِكَكاً قد أُحْدِثَتْ لَمْ أرَها مِثْلَ ما كُنْتُ أرَى كُلَّ سَنَهْ(١)

فقالت: إنا لله! أغفلناه. فوجّهت إليه بوظيفة على يَدِي.

حَدَّثني محمد بن موسى، قال، حدثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب، قال: أحسّت زُبَيدة من المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تُعْلمه بذلك، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تَعْطِفه عليها، فقال:

صوت

[الطويل]

ألا إنّ رَيْبَ الدَّهْرِ يُدْني وَيُفْقِدُ ويُؤنِسُ بالألاّفِ طَوْراً وَيَفْقِدُ
أصابَتْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مني يَدِي يَدِي فَسَلَّمْتُ للأقدارِ والله أَحْمَدُ
وَقُلْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ إنْ ذَهَبَتْ يَدٌ فَقَدْ بقيتْ والحَمْدُ لله لي يَدُ
إذا بَقِي المأمُونُ لي فالرَّشِيدُ لِي ولِي جَعْفَرٌ لم يفقَدا ومحمدُ

الغناء لعلّويه.

قال: فحسُن موقع الأبيات منه، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه.

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب: حدثني هارونُ بنُ مُخارق، قال: حدثني أبي، قال: ظهرَتْ لأم جعفر جَفْوَة من المأمون، فبعثت إليَّ بأبيات وأمرتني أن أغني فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأسْنَتْ لي الجائزة، وكان كاتبها قال الأبيات، ففعلْت، فسألني المأمون عن الخبر فعرّفته، فبكى ورقّ لها، وقام من وقتِه فدخل إليها فأكبَّ عليها، وقبلَتْ يديه، وقال لها: يا أُمّه، ما جفوتك تعمُّداً، ولكن شُغِلْت عنك بما لا يمكن إغفالُه، فقالت: يا أميرَ المؤمنين، إذا حَسُنَ رأيك لم يُوحشني شُغلك، وأتمَّ يومَه عندها، والأبيات:

ألاَ إنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ يُدْني وَيُبْعِدُ ويُؤنسُ بالألاّفِ طَوْراً ويُفْقِدُ

(١) السكك: جمع سكة، وهي حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم.

وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول.

[أبو العتاهية ينظم شعراً على لسانها للمأمون]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسن بن علي الرازي، قال: حَدَّثني أبو سَهْل الرازقي عن أبيه، قال: عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زُبَيْدة بأمْرِها لمّا قدم المأمون بغداد، أَولُه: [الطويل]

لِخَيْرِ إمامٍ قامَ من خَيْرِ عُنْصُرِ وأفْضَلِ راقٍ فَوْقَ أعْوادِ مِنْبَرِ

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتاب السلطان: أن المأمون لمَّا قدم مدينة السلام واستقَرّت به الدار، وانتظمت له الأمور، أمرَت أم جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات، وبعثَتْ بها إلى عَلُّويه، وسألته أن يصنع فيها لحناً، ويغني فيه المأمون ففعل، وكان ذلك مما عطفه عليها، وأمرت لعلويه بعشرين ألفَ درهم. وقد رُوي أن الأبيات التي أولها:

يا عمودَ الإسلام خيرَ عمود

لعيسى بن زينب المراكبي.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: حدثنا عليُّ بن نجيح، قال: حدثني صالح بن الرشيد، قال: كنا عند المأمون يوماً وعقيد المغني وعمرو بن بانَة يغنيان، وعيسى بن زينب المراكبي حاضر، وكان مشهوراً بالأُبْنَةِ، فتغنّى عقيد بشعر عيسى: [الخفيف]

يا عَمودَ الإسْلامِ خيرَ عَمُودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ
لك عندي في كلِّ يومٍ جَديدِ طُرْفَةٌ تستفادُ يابنَ الرَّشيدِ

فقال المأمون لعقيد: أنشد باقي هذا الشعر، فقال: أصونُ سمْعَ أميرِ المؤمنين عنه، فقال: هاته ويحك! فقال: [الخفيف]

كُنْتُ في مَجْلِسٍ أنِيقٍ ورَيْحا نٍ وراحٍ ومُسْمِعاتٍ وَعُودِ
فَتَغَنَّى عَمْرُو بن بانَةَ إذ ذا كَ وهْوَ مُمْسِكٌ بأيْرِ عَقِيدِ
يا عَمُودَ الإسْلامِ خَيْرَ عَمُودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ كذا كُلُّ مُحِبٍّ صَبِّ الفؤادِ عَمِيدِ

فقال المأمون لعيسى بن زينب: والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفّسك عند قبض عمرو على أير عقيد: لأيّ شيء هو؟ لاَ بُدّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه، أو عَلَى أن تكون مثله، لَعَنَ اللَّهُ تنفسَك هذا يا مُريب! قال: وإنما سُمِّي المراكبيّ لتوليه مراكب المنصور، وأمه زينب بنت بشر صاحِب طَاقَاتِ بشر بباب الشام.

صوت

[المتقارب]

لَقِيتُ مِنَ الغانياتِ العُجَابا ... لَوَ أدركَ مني العذارَى الشَّبابا
علامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيونِ ... ويُحْدِثْنَ بعدَ الخِضابِ الخِضابا
ويُبْرِقْنَ إلاّ لما تَعْلَمُونَ ... فلا تَمْنَعُنَّ النساءَ الضِّرابا[1]

الشعر لأيمنَ بنِ خُرَيم بنِ فاتك الأسدي، والغناء لإبراهيم الموصليّ، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشامي.

(١) أبرقت المرأة، وبرقت: تزينت.

أخبار أيمن بن خريم

[توفي نحو سنة ٨٠ هـ/ نحو سنة ٧٠٠ م]

[اسمه ونسبه]

وأيمنُ بنُ خُرَيـم بن فاتك الأسدي لأبيه صُحبة برسول اللهﷺ وروايةٌ عنه، وينسب إلى فاتك، وهو جد أبيه. وهو أيمنُ بن خُرَيم بن الأخرم بنِ عمرو بنِ فاتك بنِ القليب بنِ عمرو بنِ أسد بنِ خزيمة بن مدركة بن إلياس بنِ مضر بنِ نزار. وكان أيمن يتشيع، وكان أبوه أحدَ من اعتزل حربَ الجمَل وصِفِّين وما بعدهما من الأحْداث، فلم يحضرها.

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثني النوشجانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديٍّ، عن عبد الله بن عياش، عن مجالد، قال: كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء، فلما أسنَّ ضعُف عن الجماع وازداد غرامُه بهنّ، فدخل إليه يوماً أيمنُ بنُ خُرَيم فقال له: كيف أنت؟ فقال: بخير يا أمير المؤمنين. قال: فكيف قوّتُك؟ قال: كما أُحب، ولله الحمد، إنِّي لآكل الجَذَعَة[1] من الضأن بالصاع من البُرِّ، وأشرب العُسّ[2] المَمْلوء، وأرتحلُ البعيرَ الصعب وأُنْصِبُه، وأركب المُهر الأرنَ[3] فأُذلِّلُهُ، وأفترع العذراء، ولا يُقْعِدُني عنها الكِبر، ولا يمنعني منها الحَصَر[4]، ولا يُرويني منها الغُمَر[5] ولا ينقضي مني

(١) الجذعة من الضأن: الصغيرة في السنة الثانية.
(٢) العسّ: القدح الضخم.
(٣) الأرن: النشيط.
(٤) الحصر: عدم اشتهاء النساء أو إتيانهنّ.
(٥) الغُمَر: القدح الصغير.

الوَطر. فغاظ عبد الملك قولُه وحسدَهَ، فمنعه العطاء وحجبه، وقصدَه بما كَرِه حتى أثَّر ذلك في حاله، فقالت له امرأته: ويحك! أصْدقْني عن حالك؟ هل لك جُرْم؟ قال: لا والله، قالت: فأيُّ شيء دارَ بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ ما لقيتَه؟ فأخبرها، فقالت: إنا للّهِ! مِن ها هنا أُتيت. أنا أحتال لك في ذلك حتى أُزيل ما جرى عليك، فقد حَسَدَك الرجلُ على ما وصفتَ به نفسَك! فتهيأتْ ولبستْ ثيابَها ودخلت على عاتكة زوجته، فقالت: أسألكِ أن تستَعْدِي لي أمير المؤمنين على زوجي، قالت: وما لَه؟ قالت: والله ما أدري أنا مع رجلٍ أو حائطٍ؟ وإنّ له لسِنين ما يعرف فراشي، فسليه أن يفرِّق بيني وبينه، فخرجتْ عاتكة إلى عبد الملك فذكرَت ذلك له، وسألته في أمرها، فوجّه إلى أيمنَ بن خريم فحضر، فسأله عما شكت منه فاعترف به، فقال: أولم أسألكَ عاماً أوّلَ عن حالك فوصفْتَ كَيْتَ وكيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل ليتجمّل عند سلطانه، ويتجلدُ عند أعدائه بأكثر مما وصفتُ نفسي به، وأنا القائل: [المتقارب]

لَقِيتُ من الغانياتِ العُجابا ... لوَ اذْرَكَ مني الغواني الشبابا
ولكنَّ جَمْعَ النساءِ الحِسانِ ... عناءٌ شَدِيدٌ إذا المَرْءُ شابا
ولو كِلْتَ بِالمُدِّ للغانياتِ ... وضاعَفْتَ فوقَ الثيابِ الثيابا
إذا لَمْ تُنِلْهُنَّ من ذاك ذاك ... جَحَذْنكَ عند الأمِيرِ الكتابا
يَلُذْنَ بكلِّ عصا ذائدٍ ... ويُصْبِحْن كلَّ غداة صِعابا
إذا لم يُخالَطْنَ كل الخِلا ... ط أصبحن مُخْرنْطِماتٍ غضابا[1]
علام يُكَحِّلْن حُورَ العُيونِ ... ويُحْدِثْنَ بعدَ الخضابِ الخضابا
ويَعْرُكْنَ بالمِسْكِ أجيادَهُنَّ ... ويُدْنِينَ عند الحِجالِ العيابا[2]
وَيُبْرِقْنَ إلاّ لِما تَعْلَمُونَ ... فلا تَحْرِمُوا الغانياتِ الضِّرابا

قال: فجعل عبدُ الملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى لك يابنَ خُرَيم! لقد لقيتَ منهن تَرَحاً[3]، فما ترى أن نصنع فما بينك وبين زوجتك؟ قال: تستأجلها إلى أجل العِنِّين، وأُداريها لعلي أستطيع إمساكَها، قال: أَفْعَل ذلك، وردَّها إليه، وأمر له بما فات من عطائه، وعاد إلى بِرّه وتقريبه.

(١) مخرنطمات: غاضبات، مستكبرات.
(٢) الحجال: جمع حجلة، وهي القبّة. والعياب: جمع عيبة وهي ما توضع فيه الثياب.
(٣) الترح: الحزن

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعي أبو دلف، قال: حَدَّثنا الرياشيّ، قال: ذكر العُتْبيّ أن منازعةً وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان، فتعصب لكل واحد منهما أخوالُه، وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا، وكان أيمنُ بنُ خريم حاضراً للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه، يقال له: ابن كُوز، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك، فقال: [الوافر]

أأُقْتَلُ بَيْنَ حَجّاجِ بْنِ عَمْرٍو ... وَبَيْنَ خَصِيمِهِ عبدِ العَزِيزِ
أنُقْتَلُ ضِلَّةً في غيرِ شَيْءٍ ... ويَبْقى بَعْدَنا أهلُ الكُنُوزِ[1]
لَعَمْرُ أبِيكَ ما أُتيتُ رُشْدِي ... ولا وُفِّقْتُ لِلْحِرْزِ الحَرِيزِ
فإنِّي تاركٌ لَهُما جَمِيعاً ... وَمُعْتَزِلٌ كما اعْتَزَلَ ابْنُ كُوزِ

[أيمن يهجو يحيى بن الحكم]

أخبرني عمِّي قال: حدثني الكرانيّ، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال: أَصاب يحيى بن الحكم جاريةً في غَزاة الصائفة[2]، بها وضح، فقال: أعطوها أيمنَ بنَ خريم، وكان مُوضحاً[3]، فغضب وأنشأ يقول: [الطويل]

تَرَكْتُ بني مروانَ تَنْدَى أكفُّهُمْ ... وصاحَبْتُ يَحْيَى ضَلَّةً من ضلاليا
فإنَّكَ لو أشْبَهْتَ مَرْوانَ لم تَقُلْ ... لقوميَ هُجْراً أنْ أتَوكَ ولا ليا

وانصرف عنه، فأتى عبد العزيز بن مروان، وكان يحيى مُحَمّقاً.

حَدَّثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عمي الفضل، قال: حدثني مُصْعَب الزبيريّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال: يا معشر الشعراء تُشَبِّهوننا مرة بالأسد الأبخر، ومرة بالجبل الأوعَرِ، ومرة بالبحر الأُجاج، ألاَ قلتم فينا كما قال أيمن بنُ خريم في بني هاشم: [الوافر]

نَهارُكُمُ مكابَدَةٌ وَصَوْمٌ ... ولَيْلُكُمُ صلاةٌ واقْتِراءُ[4]
وَلِيتُمْ بالقُرانِ وبالتَّزَكِّي ... فأسْرَعَ فيكُم ذاكَ البَلاءُ

---

(١) ضِلّة: ضلالاً.
(٢) غزاة الصائفة: الغزوة التي تكون في الصيف.
(٣) الوضح: البرص. والموضح: المصاب بالبرص.
(٤) المكابدة: المعاناة والمقاساة وأراد مكابدة الصوم. والاقتراء: القراءة.

بَكى نَجْدٌ غداةَ غَدٍ عليكم ... وَمَكَّةُ والمَدِينةُ والجِواءُ[1]
وَحقَّ لِكُلِّ أرْضٍ فارقُوها ... عليكم لا أبا لَكُمُ البُكاءُ
أَأَجْعَلُكُمْ وأَقواماً سَواءً ... وَبَيْنَكُمُ وَبَيْنَهُمُ الهَوَاءُ
لَهُمْ أَرْضٌ لأرْجُلِكُمْ وأَنْتُمْ ... لأرْؤُسِهِمْ وأَعْيُنِهِمْ سَماءُ

أخبرني الحسن بن عليّ، عن أحمد بن زهير، عن أبي همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، قال: أصاب أيمنُ بنُ خُريم امرأةً له خطأ ـ يعني قتلها ـ فوداها عبد الملك بن مروان، أعطى ورثتها ديتها، وكَفَّر عنه كفارة القتل، وأعطاه عِدَّة جوارٍ، ووهب له مالاً، فقال أيمن: [المتقارب]

رأيتُ الغَوانِيَ شَيْئاً عُجابا ... لَوَ انْسَ مِنِّي الغواني الشبابا
وَلٰكِنَّ جَمْعَ العذارى الحِسانِ ... عناءٌ شديدٌ إذا المَرْءُ شابا
ولو كِلْتَ بالمُدِّ للغانياتِ ... وضاعفْتَ فوق الثيابِ ثيابا
إذا لم تُنِلْهُنَّ مِنْ ذاكَ ذاك ... بَغَيْنَكَ عِنْد الأمِيرِ الكِذابا
يَذُذْنَ بكلِّ عَصَا ذائِدٍ ... ويُصْبِحْنَ كُلَّ غداة صِعابا
إذا لَمْ يُخَالَطْنَ كلّ الخِلاطِ ... تَرَاهُنَّ مُخْرَنْطِمَاتٍ غِضَابا
عَلامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العُيونِ ... ويُحْدِثْنَ بعدَ الخضابِ الخِضابا
ويَعْرُكْنَ بالمِسْكِ أجْيادَهُنَّ ... وَيُدْنِينَ عندَ الحِجالِ العِيابا
وَيَغْمِزْنَ إلا لما تَعْلَمُونَ ... فلا تَحْرِمُوا الغانيات الضِّرابا

قال: فبلغني أن عبد الملك أُنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيع أيمَنُ لهنّ.

وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر: ما وصفَ النساءَ أحدٌ مثلَ صفتك، ولا عَرّفهنّ أحد معرفتك. قال: فقال له: لئن كنتُ صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول:

صوت

[الطويل]

فإنْ تسألوني بالنساءِ فإنَّني ... خَبِيرٌ بأدواءِ النساءِ طَبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُهُ ... فليس لَهُ في وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حيث عَلِمْنَهُ ... وشَرْخُ الشَّبابِ عندهنَّ عجيبُ

فقال له عبد الملك: قد لعمري صَدقتما وأحسنتما! الشعر لعَلْقَمَة بن عَبَدة، والغناء لبَسْبَاسَة، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش. وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شأس. وخبرهُ يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خُرَيم.

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حَدَّثنا عمر بنُ شبّة، قال: حَدَّثني المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ، قال: دخل نُصَيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان، فأنشده قصيدة له امتدحَه بها فأعجبته، وأقبل على أيمن بن خريم فقال: كيف تَرى شِعرَ مولاي هذا؟ قال: هو أشعرُ أهل جِلْدَته. فقال: هو أشعر والله منك! قال: أمِنِّي أيها الأمير؟ فقال: إي والله، قال: لا والله، ولكنك طِرْفٌ[1] ملول، فقال له: لو كنت كذلك ما صبرْتُ على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك، فقال: ائذن لي أيها الأمير في الانصراف، قال: ذلك إليك، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان، وقال فيه: [الوافر]

رَكِبْتُ من المُقَطَّم في جُمادَى ... إلى بِشْرِ بن مروانَ البَرِيدا
ولو أعطاكَ بشرٌ ألفَ ألفٍ ... رأى حقّاً عليه أن يَزِيدا
أميرَ المؤمنينَ أقِمْ بِبشرٍ ... عَمُودَ الدِّينِ إنَّ لَهُ عَمُودا
ودَعْ بِشْراً يُقَوِّمُهُمْ ويُحْدِثْ ... لأهلِ الزَّيْغِ إسلاماً جديدا
وإنّا قَدْ وَجَدْنا أمَّ بِشْرٍ ... كأمِّ الأسْدِ مِذْكاراً وَلُودا
كأنَّ التّاجَ تاجَ أبي هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لأعْظَمِ الأيّامِ عِيدا
يُحالِفُ لَوْنُه ديباجَ بِشْرٍ ... إذا الألْوانُ حالَفَتِ الخُدودا

ـ يُعرِّض بِنَمَشٍ كان بوجه عبد العزيز ـ فقبّله بشرُ بن مروان ووصله، ولم يزَل أثيراً عنده ـ

[أيمن يمدح بشر بن مروان]

أخبرني عمي، قال: حَدَّثني الكُرانيّ وأبو العيناء عن العُتْبي، قال: لما أتى

---

(١) الطِّرْف: الملول.

أيمنُ بن خريم بشرَ بن مروان نظر الناسَ يدخلون عليه أفواجاً، فقالَ: مَنْ يُؤْذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه؟ فقيل له: ليسَ على الأمير حِجابٌ ولا سِتر، فدخل وهو يقول: [الطويل]

يُرَى بارزاً للناسِ بشرٌ كأنَّهُ إذا لاحَ في أثوابهِ قَمَرٌ بَدْرُ
ولو شاءَ بِشْرٌ أغلقَ البابَ دُونَهُ طماطِمُ سُودٌ أو صقالبةٌ شُقْرُ[1]
أبى ذا ولكن سَهَّلَ الإذنَ للتي يكونُ له في غِبِّها الحَمْدُ والشُّكْرُ

فضحك إليه بشر، وقال: إنا قوم نحْجُبُ الحُرَمَ، وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعي أبو دُلَف، قال: حدثني الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي عن المعتمِد بن سليمان، قال: لما طالت الحرب بين غَزَالة وبين أهل العراق وهمْ لا يُغْنُونَ شيئاً ـ قال أيمنُ بن خريم: [المتقارب]

أتينا بِهمْ مائتي فارسٍ من السافِكِينَ الحَرامَ العَبيطا[2]
وخمسونَ من مارقاتِ النسا ءِ يَسْحَبْنَ لِلمُنديات المُرُوطا[3]
وهُمْ مائتا ألفِ ذي قَوْنَسٍ يَئطُّ العراقان منهم أطِيطا[4]
رأيتُ غزالةَ إنْ طَرَّحَتْ بِمَكَّةَ هَوْدَجَها والغَبيطا
سَمَتْ لِلْعِرَاقَيْنِ في جَمْعِها فلاقى العِراقانِ منها بَطِيطا[5]
ألاَ يَسْتَحِي اللَّه أهْلُ العِرا قِ أنْ قَلَّدوا الغانياتِ السُّمُوطا؟
وَخَيْلُ غزالةَ تَسْبِي النِّساءَ وَتَحْوِي النِّهابَ وَتَحْوِي النَّبيطا[6]
وَلَوْ أنَّ لُوطاً أمِيرٌ لَكُمْ لأسْلَمْتُمُ في المُلمّاتِ لُوطا

صوت

[الطويل]

تصابَيْتَ أم هاجَتْ لك الشَّوقَ زينَبُ وكيف تَصابِي المَرْءِ والرأسُ أشْيَبُ!

---

(١) الطماطم: جمع طمطم، وهو من كان في لسانه عجمة.
(٢) العبيط: الدم الطريّ.
(٣) المنديات: المخزيات التي يندى لها الجبين. والمروط: جمع مرط وهو كساء يؤتزر به.
(٤) يئط: يصوّت. والقونس: البيضة من الحديد توضع على الرأس أثناء القتال. (الخوذة).
(٥) البطيط: شق الجرح.
(٦) النهاب: الغنيمة. والنبيط: جيل ينزلون البطائح بين العراقين.

إذا قَـرُبَـتْ زادتْـكَ شـوقـاً بِـقُـرْبِـهـا وإن جانبَتْ لم يُسلِ عنهَا التَّجَنُّبُ
فلا اليأسُ إن ألْمَمْتَ يبدو فَتَرْعَوِي ولا أنْتَ مردودٌ بما جئتَ تَطْلُبُ
وفِي اليأسِ لَوْ يبدُو لك اليأسُ راحَةٌ وفي الأرض عَمَّنْ لا يؤاتيكَ مَذْهَبُ

الشعر لحُجَيَّةَ بن المضرب الكنديّ، فيما ذكره إسحاق والكوفيون. وذكر الزبير بنُ بَكّار أنه لإسماعيلَ بنِ يسار، وذكر غيرُه أنه لأخيه أحمد بن يسار. والغناء ليونسَ الكاتب، ولحنُه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر، وفيه ثقيل أول بالبِنصر. ذكر حَبَش أنه لمالك، وذكر غيره أنه لمعبد.

أخبار حجية بن المضرب

حَدَّثني ابن عمار، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأمويّ، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق، عن سعيد بن يحيى الأمويّ، قال: حدثني المحبر بن قَحْذم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما قدِم القاسم بنُ محمد بن أبي بكر وأختُه من مصر - وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن عَوانَةَ، قال: كان القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر يحدث، قال:

لما قَتَلَ معاوية بن حُدَيج الكنديّ، وعمرو بن العاص أبي - يَعْني محمد بن أبي بكر بمصر - جاء عمي عبد الرحمٰن بن أبي بكر فاحتملني وأختاً لي من مصر - وقد جمعت الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر، وخبرُه أتَمُّ قال -: فقدم بنا المدينة، فبعثَت إلينا عائشة، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمٰن إليها، فما رأيت والدةً قط، ولا والداً أبَرَّ منها، فلم نَزَل في حِجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد تَرَعْرَعْنا ألبستنا ثياباً بيضاء، ثم أجلست كل واحد منا على فخذها، ثم بعثَتْ إلى عمِّي عبد الرحمٰن، فلما دخلَ عليها تكلّمَتْ فحمِدت الله - عزّ وجلّ - وأثنت عليه. فما رأيت متكلِّماً ولا متكلمة قبلَها ولا بعدَها أبلغَ منها، ثم قالت: يا أخي إني لم أزَلْ أراك مُعْرضاً عني منذ قَبضتُ هذين الصبيّين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك، ولا تُهمة لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً، فخشيت أن يَرَى نساؤُك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان فكنتُ ألْطَفَ لذلك وأحقَّ بولايته، فقدْ قَوِيا على أنفسهما وشبّا، وعرفا ما يأتيان، فها هما هذان فَضُمَّهما إليكَ، وكن لهما كحجيَّة بن المضرب أخي كندة، فإنه كان له أخ

يقال له: معدان، فمات وترك أُصَيْبِيَةً[١] صغاراً في حجر أخيه، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عَلَيْهم، وكان يؤثرهم على صبيانه، فمكث بذلك ما شاء الله. ثم إنه عرض له سفر لم يجد بدّاً من الخروج فيه، فخرجَ وأوصى بهم امرأته، وكانت إحدى بنات عمه، وكان يقال لها زينب، فقال: اصنَعِي بِبَنِي أخي ما كنت أصنع بهم، ثم مضى لوجهه فغاب أشهراً، ثم رجع وقد ساءَتْ حالُ الصبيان وتغيّرت، فقال لامرأته: ويلك! ما لي أرى بني معدان مهازيل، وأرى بَنِيّ سِمَاناً؟ قالت: قد كنت أُواسِي بينهم، ولكنَّهم كانوا يعبثون ويلعبون، فخلا بالصبيان فقال: كيف كانت زينبُ لكم؟ قالوا: سيِّئة، ما كانت تعطينا من القوت إلا مِلْءَ هذا القَدَح من لبن - وأرَوْهُ قدحاً صغيراً - فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها، حتى إذا أراح عليه[٢] راعيا إبِلِه قال لهما: اذهبا، فأنتما وإبلكما لبني معدان. فغضبت من ذلك زينبُ وهجرته، وضربت بينه وبينها حجاباً، فقال: والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً، وقال في ذلك: [الطويل]

لـجِـجْنَا وَلَـجَّـتْ هـذِهِ في الـتَّـغَـضُّـبِ ... وَلَـطِّ الـحِـجـابِ بيننا والـتَّـجَـنُّـبِ[٣]
وَخَـطَّـتْ بِـقَـرْدَيْ إثْـمِـدٍ جَـفْـنَ عَـيْـنـهـا ... لِـتَـقْـتُـلَـنـي وَشَـدَّ مـا حُـبُّ زيـنـبِ
تَـلـومُ عـلـى مـالٍ شـفـانـي مـكـانُـهُ ... فَلُومي حَياتي ما بَدا لكِ واغْضَبِي
رَحِـمْـتُ بـنـي مَـعْـدانَ أنْ قَـلَّ مـالُـهُـمْ ... وَحـقَّ لـهـم مِـني وربِّ الـمُـحَـصَّـبِ[٤]
وكـانَ الـيـتـامى لا يَـسُـدُّ اخـتـلالـهـم ... هـدايـا لـهـم في كُـلِّ قَـعْـبٍ مُـشَـعَّـبِ[٥]
فـقـلـتُ لِـعَـبْـدَيْـنـا: أَريـحـا عَـلـيـهِـمُ ... سـأَجْـعَـلُ بـيـتي بَـيْـتَ آخَـرَ مُـعْـزِبِ[٦]
وَقـلـتُ خُـذوهـا واعْـلَـمُـوا أن عَـمَّـكُـمْ ... هُـوَ الـيَـوْمَ أولـى مـنـكـمُ بـالـتَّـكَـسُّـبِ
عِـيـالِـي أَحَـقُّ أَن يـنـالُـوا خَـصـاصَـةً ... وأن يَـشْـرَبـوا رَنْـقـاً إلى حِـيـنِ مَـكْـسَـبِي[٧]
أُحـابـي بـهـا مـن لـو قَـصَـدْتُ لـمـالِـهِ ... حَـرِيـبـاً لآسـاني عـلـى كُـلِّ مَـوْكِـبِ[٨]

(١) أصيبية: تصغير أصبية: جمع صبيّ.
(٢) أراح عليه إبله: ردها عليه عند الرواح.
(٣) لطَّ: ستر. واللطّ: الستر.
(٤) المحصب: موضع رمي الجمار. (معجم البلدان ٥/ ٦٢).
(٥) القعب المشعّب: القعب المجبور في مواضع منه.
(٦) المعزب: الخالي من الإبل. من عزبت الإبل: إذا بعدت عن أهلها في المرعى.
(٧) الرنق: الكدر.
(٨) الحريب: المسلوب المال.

أخِي والـذي إن أدْعُـهُ لِـعَـظِـيـمَـةٍ يُجِبْني وإنْ أغضَبْ إلى السَّيْفِ يَغْضبِ

إلى ها هنا رواية ابن عمار.

وفي خبر إسحاق قال: فلما بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجتْ حتى أتت المدينة فأسلَمت، وذلك في ولاية عمر بن الخطاب، فقدِم حجية المدينة فطلب زينب أن تُرَدَّ عليه، وكان نصرانياً، فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته، فقال له: إياك وأنْ يَبْلُغَ هذا عنك عمر فتلْقَى منه أذى. وانتشر خبر حُجَية وفشا بالمدينة وعُلِم فيم كان مقدَمُه، فبلغ ذلك عمر، فقال للزبير: قد بلغني قصة ضيفك، ولقد هممت به لولا تحرُّمه[1] بالنزول عليك! فرجع الزبيرُ إلى حُجَيّةَ فأعلمه قول عمر، فقال حجية في ذلك:

إن الـزبـيـرَ بـنَ عَـوّام تَـدَارَكَـنِـي مـنـهُ بـسيْـبٍ كـريـم سيْبُهُ عِـصَـمُ[2]
نـفسـي فـداؤك مـأْخُـوذاً بـحُـجْـزَتـهـا إذْ شـاط لَـحْمِي وإذْ زلّت بِي القَدَمُ[3]
إذ لا يَـقُـومُ بـهـا إلا فَـتَّـى أنِـفٌ عاري الأشاجِعِ في عِرْنينهِ شَمَمُ[4]

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده، آيساً من زينب كئيباً حزيناً، فقال في ذلك:

تـصـابـيـتَ أَمْ هـاجَـتْ لـك الـشـوقَ زيـنـبُ

الأبيات المذكور فيها الغناء.

صوت

[الطويل]

خـلـيـلـيَّ هُـبَّـا نَـصْـطَـبِـحْ بـسـوادِ ونُـرْوِ قُـلـوبـاً هـامُـهُـنَّ صَـوادِ
وقـولا لِـسـاقـيـنـا زيـادٍ يُـرِقُّـهـا فَـقَـدْ هَـزَّ بَـعْـضَ الـقَـوْمِ سَـقْـيُ زيـادِ

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر.

---

(١) التحرّم: الاحتماء.
(٢) السيب: العطاء. والعِصَم: جمع عصمة، وهي الصيانة والمنع.
(٣) شاط لحمي: استبيح قتلي.
(٤) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، أو هي عروق ظاهر الكفّ.
(٥) العرنين: الأنف. وشمم العرنين كناية عن الأنفة والعزة.

خبر إسحاق مع غلامه زياد

[بعض أخبار إسحاق وغلامه زياد]

هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوكٍ خِلاَسيٍّ[١]، يقال له زياد. كان مولَّداً من مولَّدي المدينة، فصيحاً ظريفاً، فجعله ساقيَه، وذكره هو وغيره في شعره. فمِمَّن ذكره من الشعراء دِعبل، وله يقول: ـ

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السُّكريّ قال: كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدة مواضع، منها قوله:

وقـولا لِسَـاقـينـا زيـادٍ يُـرِقـهـا

وكان نظيفَ السَّقْي لَبِقاً، فقال فيه دعبل: [الطويل]

يـقـول زيـادٌ قِـف بـصـحـبِـك مَـرةً ... على الرَّبع، ما لي والوقوفَ على الربْعِ!

صوت

أدِرْهـا عـلَـى فَـقْـدِ الـحَـبِـيـبِ فَـرُبَّـمـا ... شَـرِبْـتُ عـلـى نَـأيِ الأحِـبَّـة والـفَـجْـعِ
فـمـا بـلـغَـتْـنِـي الـكـأسُ إلا شَـرِبـتُـهـا ... وإلا سَقَيْتُ الأرضَ كأساً من الدَّمْعِ

غنى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبِنصر.

قال أبو الحسن: وقد قيل: إن هذين البيتين ـ يعني:

خـلِـيـلـيَّ هُـبَّـا نَـصْـطَـبِـحْ بِـسَـوادِ

(١) الخلاسي: الولد من أبوين: أبيض وأسود.

ـ للأخطل.

أخبرني عليُّ بن سليمان، قال: حَدَّثني أبي، قال:

قال لي جعفر بن معروف الكاتب ـ وكان قد جاوز مائةَ سنة: لقد شهدتُ إسحاق يوماً في مجلس أُنس وهو يتغنّى هذا الصوت:

خـليـلـيَّ هُـبّـا نَـصْـطَـبِـحْ بـسـوادِ

وغلامُه زياد جالسٌ على مِسْوَرة[1] يَسقي، وهو يومئذ غلام أمرد أصفر، رقيق البدن حلو الوجه. ثم أخذ يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له: زدني ولا أنقصني.

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنْباريّ، قال: حدثني أحمد بن الهيثم، يعني جدَّ أبي ـ رحمه الله ـ قال: كنت ذات يوم جالساً في منزلي بِسُرَّ من رأى وعندي إخوان لي، وكان طريقُ إسحاق في مُضيِّه إلى دار الخليفة ورجوعِه منها على منزلي، فجاءني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي: إسحاق بن إبراهيم الموصلي بالباب، فقلتُ له: قل له، ويلك! يدخلُ، أَوَفي الخلْقِ أحد يُسْتَأْذَن عليه لإسحاق!

فذهب الغلام وبادرتُ أسعَى في أثره حتى تلقيته، فدخل وجلس منبسطاً آنساً، فعرضنا عليه ما عندنا، فأجاب إلى الشُّرْبِ، فأحضرناه نبيذاً مشمَّساً فشرب منه، ثم قال: أتحبون أن أُغنِّيكم؟ قلنا: إي والله أطال الله بقاءك، إنا نحب ذلك. قال: فلِمَ لم تسألوني؟ قلنا: هِبْنَاك والله، قال: فلا تفعلوا، ثم دعا بِعُود فأحضرْناه، فاندفع فغنانا، فشربنا وطربنا. فلما فرغ قال: أحسنتُ أم لا؟ فقلنا: بلى والله، جعلنا الله فداءك، لقد أحسنتَ. قال: فما منعكم أن تقولوا لي: أحسنت! قلنا: الهيْبَةُ واللَّهِ لك، قال: فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون، فإنّ المغنِّيَ يُحب أن يقال له: غنِّ، ويحبّ أن يقال له إذا غنّى: أحسنت، ثم غنانا صوتَه:

خـليـلـيَّ هُـبّـا نَـصْـطَـبِـحْ بـسـوادِ

فقلنا له: يا أبا محمد، مَن هو زياد الذي عنيتَه؟ قال: هو غلامِي الواقف بالباب، ادعُوه يا غلمان، فأُدْخِلَ إلينا، فإذا غلام خِلاسيّ، قيمته عشرون ديناراً أو

(١) المِسْوَرَة، والمِسْوَر: المتكأ من الجلد.

نحوُها. فأمسكنا عنه، فقال: أتسألوني عنه فأُعرِّفكم إياه ويخرجُ كما دخل، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي؟ أُشهِدكم أنه حرٌّ لوجه الله، وأنّي زوّجته أَمَتِي فلانة، فأعينوه على أمره. قال: فلم يَخرج حتى أوصلْنا إليه عشرين ألفَ درهم، أخرجْناها له من أموالنا.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدثني أبي، قال: توفي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه:

وقولا لِساقينا زيادٍ يُرِقّها

فقال إسحاق يرثيه:

فَقَدْنا زياداً بعد طُولِ صَحابَةٍ ... فلا زالَ يَسقِي الغَيْثُ قَبْرَ زيادِ
سَتَبكِيكَ كأسٌ لم تَجِدْ من يُدِيرُها ... وَظمآنُ يستَبْطِي الزُّجاجَةَ صادِ

[إسحاق يغنّي الأمين]

أخبرني عمي، قال: حدثني ابن المكي عن أبيه، قال: اصطبح محمد الأمين ذات يوم، وأمر بالتوجيه إلى إسحاق، فوُجِّه إليه عِدّةُ رسل، كلهم لا يصادفه، حتى جاء أحدهم به، فدخل منتشياً ومحمد مغضب. فقال له: أين كنت ويلك! قال: أَصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطاً، فركبت إلى بعض المتنزهات، فاستطبْت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد، فذكرْتُ أبياتاً للأخطل وهو يسقيني، فدار لي فيها لَحْنٌ حسن فصنعته فيها، وقد جئتك به. فتبسم، ثم قال: هات، فما تزال تأتي بما يُرْضي عنك عند السخط، فغناه:

صوت [الطويل]

إذا ما زيادٌ عَلَّني ثُمَّ عَلَّني ... ثلاثَ زجاجاتٍ لهنّ هَدِيرُ
خَرجْتُ أَجُرُّ الذَّيْلَ زَهْواً كأنني ... عليكَ أَمِيرَ المؤمنينَ أَمِيرُ

قال: بل على أبيك، قَبَح الله فِعلك، فما يزال إحسانُك في غنائك يمحو إساءتك في فِعلك، وأمر له بألف دينار.

الشعرُ في هذين البيتين للأخطل، والغناء لإسحاق، رمل بالبنصر. ورواية شعر الأخطل:

إذا مـا نَـدِيـمـي عَـلّـنـي ثـم عـلّـنـي

وإنما غيَّره إسحاق فقال: «إذا ما زياد».

أخبرني عليُّ بنُ سليمان عن محمد بن يزيد النحويّ، أن عبد الملك بنَ مروان قال للأخطل: ما يدعوك إلى الخمر؟ فوالله إن أولها لَمُرّ، وإنّ آخرها لَسُكر! قال: أجل، ولكن بينهما حالة، ما مُلْكُك عندها بشيء، وقد قلت في ذلك:

[الطويل]

إذا مـا نَـدِيـمِـي عَـلَّـنِـي ثـم عَـلَّـنـي ... ثـلاثَ زجـاجـاتٍ لـهـنَّ هَـدِيـرُ
خـرجْـتُ أجـرُّ الـذيـلَ زهـواً كـأنـنـي ... عـلـيـكَ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ أمِـيـرُ

قال: فجعل عبد الملك يضحك.

صوت

[الطويل]

أشارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفةَ أهْلِها ... إشـارةَ مَـحْـزونٍ ولـم تَـتَـكَـلَّـمِ
فأيقنْتُ أن الطَّرْفَ قد قالَ مَرْحَباً ... وأهْـلاً وسَـهْـلاً بالحبيب المُسَلِّمِ
هَـنـيـئـاً لـكـم حُـبِّـي وصَـفْـوُ مَـوَدَّتـي ... فقد سِيطَ مِن لَحْمي هوَاكِ ومن دَمِي[1]

الشعر لعمرَ بن أبي ربيعة، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر. ويقال إنه لابن سُرَيج، وقيل إن الثقيل الأول لابن عائشة، والثقيل الثاني لابن سريج، وفيه خفيف ثقيل أول، ينسب إلى ابن سريج وإلى علي بن الجواريّ.

(١) سِيطَ: خُلِطَ.

خبر لحبابة مع ابن عائشة

[توفيت نحو سنة ١٠٥ هـ/ نحو سنة ٧٢٣ م]

أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي الأزهر، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن المدائنيّ، قال: كانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك مُعْجَبَةً بغناء ابن عائشة، وكان ابن عائشة حديث السن، فلما طال عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه، فلم تَدْرِ كيف تصنع، فاختلفت هي وسلاّمةُ في صوت لمعبَد، فأمر يزيد بإحضاره ووجّه في ذلك رسولاً، فبعثَت حبابة إلى الرسول سرّاً فأمرَته أن يأتي ابنَ عائشة وأميرَ المدينة في خفاء، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سرّاً، وقالت: قل لهما يَسْتُرَان ذلك عن أمير المؤمنين. فلما قدِم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة، فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد، وقال لمعبد: انظر ما تأمرك به حبَابة فانتبِه إليه، فقال: نعم، فخرجا حتى قدما على يزيد، وبلغ الخبرُ حبَابة فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة. فلما حضر معبد حاكمت سَلاّمةَ إليه، فحكم لها، فاندفعت فغنت صوتاً لابن عائشة، وفيه لابن سُرَيج لحن، ولحنُ ابن عائشة أشهرهما، وهو:

أشـارَتْ بِـطَـرْفِ الـعَـيْـنِ خِـيـفـةَ أهْـلِـهـا

فقال يزيد: يا حبيبتي؛ أنّى لكِ هذا ولم أسمعه منك، وهو على غاية الحسن؟ إنّ لهذا لَشأناً، فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا لحن كنت أَخذتُه عن ابن عائشة، قال: ذلك الصبي! قالت: نعم، وهذا أستَاذهُ ـ وأشارت بيدها إلى معبد ـ فقال لمعبد: أهذا لحن ابن عائشة أو انتحلَه؟ فقال معبَد: هذا ـ أصلح الله الأمير ـ له، فقال يزيد: لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه، فقال معبد: هو والله مَعِي لا يفارقني، فقال يزيد: ويلك يا معبدا احتملنا الساعة أمرَكَ، فزدتنا ما كرهنا، ثم قال لحبابة: هذا والله عملُك، قالت: أجل يا سيدي، قال لها: هذه الشامُ، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة. قالت: يا سيدي أنا والله أُحب أن أسمعَ من ابن عائشة، فأُحْضِرَ، فلما دخل قال له: هات صوتاً غنتْه حبَابة:

أشارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا

فغنّاه، فقال: هو والله يا حبَابة مِنْه أحسنُ منْه منك، قالت: أجل يا سيدي، ثم قال يزيد: هات يا محمد ما عندك، فغنى:

صوت [الكامل]

قِف بالمنازِل قَبْلَ أنْ نَتَفَرَّقا ... واستنطِق الرَّبْعَ المُحِيلَ المُخْلِقا
عن عِلْمِ ما فَعَلَ الخَلِيطُ لَعَلَّهُ ... بجوابِ رَجْعِ حَدِيثِهِمْ أن يَنْطِقا
فيبين مِنْ أخبارِهِمْ لِمُتَيَّم ... أمْسَى وأصْبَحَ بالرُّسُوم مُعَلَّقا
كَلِفاً بِهَا أبَداً تَسُحُّ دُمُوعُهُ ... وَسْطَ الدِّيارِ مسائلاً مُستنطقا
ذَرَفَتْ له عينٌ يُرى إنْسانُها ... في لُجَّةٍ مِنْ مائِهَا مُغْرَوْرِقا
تُجْري مَحَاجِرُها الدُّمُوعَ كأنَّها ... دُرٌّ وَهَى من سِلْكِهِ مُسْتَوْسِقا(١)

الغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى، ويقال إن فيه لابن جندب وحُنين لحنين، قال: فقال له يزيد: أهلاً وسهلاً بك يابن عائشةَ، فأنت والله الحسنُ الوجه، الحسن الغناء. وأحسنَ إليه ووصله. ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس، وبعثَت إليه حبَابة بِبِرّ وألطاف واتَّبعتها سلامة في ذلك.

صوت [الكامل]

لما سَمِعْتُ الدِّيكَ صاح بسُحْرَةٍ ... وَتَوَسَّطَ النَّسْرانِ بَطْنَ الْعَقْرَبِ(٢)
وبدا سُهَيْلٌ في السَّماءِ كأنَّهُ ... نورٌ وعَارَضَهُ هِجانُ الرّبرَبِ(٣)
نَبَّهْتُ ندماني وقلتُ له اصْطَبِحْ ... يابنَ الكرامِ من الشَّرابِ الطَّيِّبِ
صفراء تبرُقُ في الزُّجاجِ كأنها ... حَدَقَ الجَرادَةِ أو لُعَابُ الجُنْدُبِ

الشعر لأبي الهنديّ، والغناء لإبراهيم الموصليّ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عَمْرو.

---

(١) مستوسقاً: مجتمعاً.
(٢) السُّحرة: عند الصباح والسَّحَر. والنسران: كوكبان في السماء.
(٣) هجان الربرب: أفضل البقر في القطيع.

أخبار أبي الهندي ونسبه

[توفي نحو سنة ١٨٠ هـ/ نحو سنة ٧٩٦ م]

[اسمه ونسبه وشاعريته]

اسمه غالب بنُ عبد القُدُّوس بنِ شَبَث بن رِبْعِيٍّ. وكان شاعراً مطبوعاً، وقد أدرك الدولتين: دولة بني أمية، وأول دولة ولد العباس. وكان جَزْل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني. وإنما أخمله وأمات ذِكرَه بُعْدُه من بلاد العرب، ومُقَامه بِسِجستان وبخراسَان، وشغفه بالشراب ومعَاقرته إياه، وفِسْقه وما كان يتهم به من فساد الدين. واستفرغ شِعرَه بصفة الخمر، وهو أول من وصفهَا من شعراء الإسلام، فجعل وصفها وَكْدَه وَقَصْده، ومن مشهور قوله فيها ومختاره: [الوافر]

سَقَيْتُ أبَا المُطَرَّح إذ أتاني ... وذو الرَّعثاتِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ[1]
شراباً يَهْرُبُ الذِّبَّانُ منهُ ... ويَلْثَغُ حين يَشْرَبُهُ الفَصِيحُ

[أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر من شعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش، قال: حَدَّثني فضل اليزيديّ أنه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول، وأُنشد شعراً لأبي الهنديّ في صفة الخمر، فاستحسنهُ وقَرّظه، فذُكر عنده أبو نواس، فقال: ومِن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة؟ وأنا أُوجدكم سَلْخَه هذه المعاني كلَّهَا في شعره، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهنديّ، ثم يَستخرج المعنى والموضع الذي سَرقه الحسن فيه حتى أتى عَلَى الأبيات كلها واستخرجها من شعره.

(١) ذو الرعثات: الديك. والرعثات جمع رعثة وهي عثنون الديك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني شيخ من أهل البصرة، قال: كنا عند أبي عُبيدة، فأنشد منشد شعراً في صفة الخمر ـ أُنْسِيه الشيخ ـ فضحك ثم قال: هذا أخذه من قول أبي الهنديّ: [الطويل]

سَيُغني أبا الهِنْدِيِّ عن وَطْبِ سَالِمٍ أبَاريقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ[١]
مُفَدَّمَةٌ قُزٌّ كأنَّ رِقابَهَا رِقابُ بناتِ الماءِ تَفْزَعُ للرَّعْدِ[٢]
جَلتْهَا الجوالي حِين طَابَ مِزاجُها وَطَيَّبَتْها بالمِسْكِ والعنبرِ والوَرْدِ
تَمُجُّ سُلافاً في الأباريقِ خالصاً وفي كُلِّ كأسٍ من مَهاً حَسَنِ القَدِّ
تَضَمَّنَها زِقٌّ أزَبُّ كأنَّهُ صَرِيعٌ من السُّودانِ ذو شَعَرٍ جَعْدِ[٣]

نسخت من كتاب ابن النّطاح: حدّثني بعض أصحابنا أن أبا الهنديّ اشتهى الصّبوح في الحانة ذات يوم، فأتى خَماراً بِسِجستَان في محلّة يقال لها: كوه زيان ـ وتفسيره: جبل الخُسران ـ يباع فيهَا الخمر وَالفَاحشة، وَيأوي إليها كل خارِبٍ[٤] وَزانٍ ومغنّية، فدخل إلى الخمار فقال له: اسقني، وَأعطاه دينَاراً، فكال له، وَجعل يشرب حتى سكر، وَجاء قوم يسألون عنه فصادفوه عَلَى تلك الحَال. فقالوا للخمّار: ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، فانتبه فسأل عنهم، فعرّفه الخمّار خبرهم، فقال له: هذا الآن وقت السكر، الآن طاب، ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكر، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك! هذا نائم بعدا! فقال: لا، ولقد انتبه، فلما عرَف خبركم شرب حتى سكر، فقالوا: ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، وانتبه فسأل عن خبرهم، فعرَفه فقال: والله لألحقَنّ بهم، فشرب حتى سكر، ولم يزل ذلك دأْبَه ودأبَهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم في موضع واحد، ثم تركوا هُم الشرب عمداً حتى أفاق، فلَقُوه.

وهذا الخبر بعينه يُحكى لوالبة بن الحُبَاب مع أبي نواس، وقد ذُكر في أخبار

---

(١) الوطب: سقاء اللبن. والوضر: وسخ الدسم.
(٢) المفدَّمة: الموضوع عليها الفدام. والفدام مصفاة صغيرة توضع على فم الإبريق. والقُزّ: المتباعدة عن الدنس.
(٣) الزق: وعاء الخمر. والأزب: الذي عليه شعر.
(٤) الخارب: اللصّ.

والبة، والصحيح أنه لأبي الهنديّ، وفي ذلك يقول: [الوافر]

نَدامَى بَعْدَ ثالثةٍ تَلاقَوْا ... يَضُمُّهُمُ بِكُوه زَيَانَ راحُ
وقد باكَرْتُها فَتَرَكْتُ منها ... قَتِيلاً ما أصابَتْنِي جِراحُ
وقالوا أيّها الخَمَّارُ مَنْ ذا؟ ... فقال أخٌ تَخَوَّنَهُ اصْطِباحُ
فقالوا هاتِ راحَكَ أَلْحِقْنا ... بهِ وتَعَلَّلُوا ثُمَّ اسْتَراحوا
فما إنْ لَبَّثتهم أن رَمَتْهُمْ ... بِحدٍّ سلاحِها ولها سلاحُ
وحانَ تَنَبُّهي فسألتُ عَنْهُمْ ... فقالَ أتاحَهُمْ قَدَرٌ مُتاحُ
رأوكَ مُجَدَّلاً فاسْتَخْبَرُوني ... فَحَرَّكَهُمْ إلى الشُّرْبِ ارْتِياحُ
فقلْتُ بِهِمْ فأَلْحِقْنِي فَهَبُّوا ... فقالُوا هَلْ تَنَبَّهَ حينَ راحُوا؟
فقالَ نعم فقالوا أَلْحِقَنّا ... بهِ قَدْ لاحَ للرائي صَباحُ
فما إن زالَ ذاكَ الدَّأْبُ مِنّا ... ثلاثاً يُسْتَغَبُّ وَيُسْتَباح[1]
نَبِيتُ معاً وليسَ لنا لقاءٌ ... بِبَيْتٍ ما لنا فيه بَراحُ

[مات مختنقاً بسبب الشراب]

أخبرني عمي الحسنُ بنُ أحمد، قال: حدثني الحسن بن عُلَيل العَنزيّ، قال: قال صدقةُ بن إبراهيم البكريّ: كان أبو الهنديّ يشرب معنا بمَرْو، وكان إذا سكر يتقلب تقَلُّباً قبيحاً في نومه، فكنا كثيراً ما نَشدُّ رِجله لئلا يسقط من السطح، فسكر ليلة وشددنا رجله بحبل، وطوَّلنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه، فتقلَّب وسقط من السطح، وأمسكه الحبل فبقيَ منكَّساً وتخنَّق بما في جوفه من الشراب، فأصبحنا فوجدناه ميتاً. قال صدقة: فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً: [الرمل]

اجْعَلوا إنْ مِتُّ يَوْماً كَفَنِي ... وَرَقَ الكَرْمِ وَقَبْرِي مَعْصَرَهْ
إنَّني أرْجُو مِنَ اللَّهِ غَداً ... بَعْدَ شُرْبِ الرّاحِ حُسْنَ المَغْفِرَهْ

قال: فكان الفِتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره، ويشربون ويصبّون القدَح إذا انتهى إليه على قبره.

قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهنديّ: إنه خرج وهو سكران في

(١) يستغبّ: يتناوب. يؤخذ غبّاً.

ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريان، فأصابه ثلج فقتله، فوُجد من غدٍ ميتاً على الطريق.

ورَوى حماد بنُ إسحاق عن أبيه، قال: حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهنديّ، فلما حضرَت أيام الموسم قال له: يا أبا الهنديّ، إنّا بحيث تَرى، وَفْدُ الله وزُوّار بيته، فهب لي النبيذ في هذه الأيام واحتكم عليّ، فلولا ما ترى، ما منعتُك فضَمِن له ذلك وغلّظ عليه الاحتكام، ووكّل به نصر بن سيار، فلما انقضى الأجل مضى في السحَر قبل أن يلقَى نصراً، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة، وأقبل يشرب ويبكي، ويقول: [الطويل]

أَدِيـرا عـلـيَّ الـكـأسَ إنِّـي فَـقَـدْتُـهـا كـمـا فَـقَـدَ الـمَـفْـطـومُ دَرَّ الـمَـراضِـعِ
حـلـيـف مُـدامٍ فـارَقَ الـرّاحُ رُوحَـهُ فَـظَـلَّ عـلـيـهـا مُـسْـتَـهِـلَّ الـمَـدامِـعِ

قال: وعاتب قوم أبا الهنديّ على فِسْقه ومعاقرته الشراب، فقال: [الوافر]

إذا صَـلَّـيْـتُ خَـمْـسـاً كُـلَّ يَـوْمٍ فـإنَّ الله يَـغْـفِـرُ لـي فُـسُـوقـي
وَلَـم أُشْـرِكْ بِـرَبِّ الـنّـاسِ شَـيْـئـاً فَـقَـدْ أَمْـسَـكْـتُ بـالـدِّيـنِ الـوَثـيـقِ
وَجـاهَـدْتُ الـعَـدُوَّ ونِـلْـتُ مـالاً يُـبَـلِّـغُـنـي إلـى الـبَـيْـتِ الـعَـتِـيـقِ
فَـهـذا الـدِّيـنُ لـيـسَ بـهِ خَـفـاءٌ دَعُـونـي مِـنْ بُـنَـيَّـاتِ الـطَّـرِيـقِ[1]

قال إسحاق: وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك، وكان عندها نِسْوةٌ عواهِر، ففجر بهنّ ولم يعطهنّ شيئاً، فجعلن يطالبنه بجُعْل فلم ينفعهن، فقال في ذلك: [البسيط]

آلـى يَـمِـيـنـاً أَبُـو الـهِـنْـدِيِّ كـاذبـةً لَـيُـعْـطِـيـنَّ زوانِـي لَـسْـت مـا شـيـنَـا[2]
وَغَـرَّهُـنَّ فَـلَـمَّـا أن قَـضَـى وَطَـراً قـالَ ارتَـحِـلْـنَ فـأخْـزى الله ذا دِيـنـا

أخبرني عمي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، عن أبي محلم، قال: خطب أبو الهنديّ غالبُ بنُ عبد القدوس بن شَبَث بنِ رِبعيّ إلى رجل من بني تميم، فقال: لو كنتَ مثلَ أبيك لزَوّجتك، فقَال له غالب: لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت إليك.

---

(١) بنيات الطريق: الطرق الصغيرة المتشعبة عن الجادّة.

(٢) آلى: حلف، أقسم. ولست: موضع. وما شين: ما شئن.

قال أبو محلم: ومرّ نَصر بن سيّار بأبي الهندي، وهو سكران يتمايل، فوقف عليه فعذَله وسبّه، وقال: ضيّعت شرفك، وفضحْتَ أسلافك. فلما طال عتابه التفَت إليه فقال: لولا أني ضيّعتُ شرَفي لم تكن أنت على خراسان، فانصرف نصر خَجِلاً.

قال أبو محلم: وَكان بِسِجِسْتان رجل يقال له برزين ناسكاً، وكان أبوه صُلِب في خِرابة[1]، فجلس إليه أبو الهنديّ، فطفِقَ يعذله ويُعرّض له بالشراب. فقال له أبو الهنديّ: أحَدُكُم يرى القَذاة[2] في عين أخيه، ولا يرى الخشبة في است أبيه! فأخجله.

قال أبو محلم: وكان أسرع الناس جواباً.

صوت

لَقَدْ قُلْتُ حِينَ قَرَّ بَتِ العِيسُ يا نوارُ
قِفُوا فارْبَعُوا قَلِيلاً فَلَمْ يَرْبَعُوا وسارُوا
فَنَفْسِي لها حَنِينٌ وَقَلْبِي لَهُ انْكِسارُ
وَصَدْرِي بهِ غَلِيلٌ وَدَمْعِي لَهُ انْحِدارُ

الشعر لسعيد بن وهب، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشامي، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية.

---

(١) الخِرابة: سرقة الإبل.
(٢) القذاة: ما يقع في الشراب أو العين من تبن ونحوه.

أخبار سعيد بن وهب

[توفي نحو سنة ٢٠٨ هـ/ نحو سنة ٨٢٣ م]

[اسمه وولاؤه ومولده ونشأته وصناعته]

سعيدُ بنُ وهب أبو عثمان مولى بني سامة بن لؤيّ بن نصر، مولده ومنشؤه بالبصرة، ثم سار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعته، فتصرّف مع البرامكة فاصطنعوه، وتقدم عندهم. وكان شاعراً مطبوعاً، ومات في أيام المأمون، وأكثرُ شعْرِه في الغزل والتشبيب بالمذكَّر، وكان مشْغُوفاً بالغلمان والشراب. ثم تنسك وتاب، وحج راجلاً على قدمَيْه، ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل. ومات وأبو العتاهية حَيّ، وَكان صديقه فرثاه.

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن مزيد قال: حُدِّثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية قال: جاء رجل إلى أبي العتاهية ـ ونحن عنده ـ فسارّه في شيء فبكى أبو العتاهية، فقلنا له: ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال، وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً: [المديد]

قَالَ لِي مَاتَ سَعِيدُ بْنُ وَهْبِ   رَحِمَ اللهُ سَعِيدَ بنَ وَهْبِ
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبْكَيْتَ عَيْنِي   يَا أَبَا عُثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي

قال: فعجبنا من طبعه وأنّه تحدّث، فكان حديثه شعراً موزوناً.

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفاف. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني سيبويه أبو محمد، قال: كان سعيد بنُ وهب الشاعر البصريّ مولى بني سامة قد تاب وتزهَّد، وَترك قول الشعر. وكان له عشرةٌ من البنين وعشرٌ من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه. وكان امرأ صدقٍ، كثيرَ الصلاة، يزكّي في كل سنة عن جميع ما عنده، حتى إنه لَيُزكّي عن فضة كانت على امرأته.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني عمي، قال: حدثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدثني أبو عثمان الليثي، قال: كان سعيد بن وهب يتعشق غلاماً يتشطر[1]، يقال له سعيد، فبلغه أنه توعده أن يَجْرَحَه، فقال فيه: [مجزوء الرمل]

مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَمِيِّي ... مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَعِيدِ؟
أنا بِاللَّحْمِ أجاه ... ويجاني بالحديدِ[2]

حَدَّثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّابِ السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول: [السريع]

مَن كانَ في الدُّنْيا لَهُ شارةٌ ... فَنَحْنُ مِن نظَّارَةِ الدُّنْيا
نَرْمُقُها من كَثَبٍ حَسْرَةً ... كأنّنا لَفْظٌ بلا مَعْنى
يَغْلُو بها النّاسُ وأيامُنا ... تَذهبُ في الأرْذَلِ والأدْنى

أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود، قال: حدثني عبد الله بن أبي العلاء المغني، قال: نَظَرَ إليَّ سعيدُ بن وهب، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل، حين اخضَرَّ شارِبِي، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فسلّمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد، وقال: مَن هذا الغلام؟ فتبسَّم، وقال: هذا ابن صديق لي، فأقبل عليَّ وقال:

لا تَخْرُجَنَّ مع الغَزِيِّ لِمَغْنَمِ ... إن الغَزِيَّ يراكَ أفْضَلَ مَغْنَمِ[3]
في مثل وجهكَ يستحلُّ ذوو التقى ... والدِّين والعلماءُ كل مُحَرَّمِ
ما أنْتَ إلا غادَةٌ مَمْكُورَةٌ ... لولا شَوارِبُكَ المُطِلّةُ بالفَمِ

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي دعامة، قال: مَرَّ سعيد بن وهب والكسائي، فلقيا غلاماً جميل الوجه، فاستحسنه الكسائيّ وأراد أن يستميله، فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلم به، فلم يملْ إليه، وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده، فمال إليه الغلامُ، فبعث به إلى منزله،

(١) الشاطر: الذي أعيا أهله خبثاً، وكان يطلق على أهل البطالة والفساد في دولة بني العباس. ويتشطر: يعمل عمل الشطّار.
(٢) أجاه: أجؤه، خففت الهمزة. وأجؤه: أضربه بالسكين. ويجاني: يجؤني.
(٣) الغزيّ: الغُزاة.

وبعث معه بالكسائيّ، وقال له: حدّثه وآنِسْه إلى أن أجيء وتشاغل بحاجة له، فمضى به الكسائيّ فما زال يداريه حتى قضى حاجته وأرَبَه، ثم قال له: انصرف، وجاء سعيد فلم يره، فقال: [مجزوء المتقارب]

أبُــو حَـسَــنٍ لا يَـفِـي ... فَـمَـن ذا يَـفِـي بَـعْـدَهُ؟
أثَـرْتُ لَـهُ شَـادِنـاً ... فَـصَـايَـدَهُ وحْـدَهُ
وأظْـهَـرَ لِـي غَـدْرَةً ... وأخْـلَـفَـنِـي وعْـدَهُ
سـأطْـلُـبُ مـا سـاءَهُ ... كـمـا سـاءَنِـي جُـهْـدَهُ

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حَدَّثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان سعيد بن وهب لي صديقاً، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطاب، من أكيَسِ الصبيان وأحسنِهم وجهاً وأدباً، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لشدة شغفه به، ورقته عليه. فمات وله عشرُ سنين، فجزِعَ عليه جزعاً شديداً وانقطع عن لذاته. فدخلْتُ إليه يوماً لأعاتبه على ذلك، وأستعطفُهُ، فحينَ رأى ذلك في وجهي فاضتْ دموعه، ثم انتحب حتى رحمتُه، وأنشدني: [الخفيف]

عَـيْـنُ جُـودي عـلَـى أبـي الـخَـطّـابِ ... إذْ تَـوَلّـى غَـضّـاً بـمـاءِ الـشّـبـابِ
لـم يُـقـارِفْ ذَنْـبـاً ولـم يَـبْـلُـغِ الـحِـنْـ ... ـثَ مُـرَجّـى مُـطَـهَّـرَ الأثـوابِ
فَـقَـدَتْـهُ عَـيْـنِـي إذا مـا سَـعَـى أتـ ... ـرابـه مِـنْ جـمـاعـةِ الأتْـرابِ
إنْ غَـدَا مُـوحِـشـاً لِـداري فـقـد أصـ ... ـبـحَ أُنْـسَ الـثَّـرَى وَزَيْـنَ الـتُّـرابِ
أحْـمَـدُ اللهَ يـا حَـبِـيـبِـي فـإنّـي ... بِـكَ راجٍ مـنـهُ عَـظِـيـمَ الـثّـوابِ

ثم ناشدني ألاّ أُذَكِّرَه بشيء مما جئتُ إليه فقُمتُ ولم أُخاطبه بحرف.

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره، يقول فيه: أنشدَني سعيد بن وهب لنفسه يَرْثي ابناً له صغيراً، وهيَ على ما ذَكره جعفرُ بنُ قدامة عن حماد سواء.

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق، قال: حَدَّثني أبو هِفَّانَ، قال: حدثني أبو دعامة، قال: كان سعيد بن وهب مَألَفةً لكل غلام أمْرَدَ، وفتًى ظريف، وقَينة مُحْسنة، فحدثني رجل كان يعاشره، قال: دخل إليه يوماً وأنا عندَهُ غلامانِ أمردَان فقالا له: قد تحاكمنا إليك: أيُّنا أجمل وجهاً، وأحسن جسماً؟ وجعَلْنا لك أجْرَ حُكْمِكَ أن تختار أيَّنا حَكَمْتَ له، فتقضي حاجتكَ منه. فحكم لأحدهما، وقام فقضى حاجته واحتبَسَهُما فشربا عنده نبيذاً، ثم مال على الآخر أيضاً، وقمتُ معه. فداخلتهما حتى

فعلْتُ كفعلِهِ، فقال لي سعيد: هذا يومُ الغاراتِ في الحارات، ثم قال: [مخلع البسيط]

رئـمَـانِ جـاءا فـحَـكَّـمـانِـي ... لا حُـكْـمَ قـاضٍ ولا أمِـيـرِ(١)
هَـذا كَـشَـمْـسِ الـضُّـحَـى جـمـالاً ... وذَا كـبَـدْرِ الـدُّجَـى الـمُـنِـيـرِ
وَفَـضْـلُ هـذا كـذا عـلَـى ذا ... فَـضْـلُ خَـمِـيـسٍ عـلـى عَـشِـيـرِ
قـالا أَشِـرْ بَـيْـنَـنَـا بِـرَأْيٍ ... وَنَـجْـعَـلُ الـفَـضْـلَ لِـلْـمُـشِـيـرِ
تـبـاذلا ثـمَّ قُـمْـتُ حَـتَّـى ... أخـذْتُ فَـضْـلِـي مـنَ الـكَـبِـيـرِ
وكـانَ عَـيْـبـاً بـأنْ أرانِـي ... أُحْـرَمُ حَـظِّـي مـن الـصَّـغِـيـرِ
فـكـان مِـنِّـي ومِـنْ قَـرِيـنـي ... إلـيـهـمـا وثْـبَـةُ الـمُـغِـيـرِ
فَـمَـنْ رأى حـاكِـمـاً كـحُـكْـمِـي ... أعْـظَـمَ جَـوْراً بـلا نَـكِـيـرِ!

وقال: وشاعت الأبيات حتى بلغت الرشيدَ، فَدَعا به فاستنشده إياها، فتلكأ، فقال له: أنشدْ ولا بأس عليك، فأنشدَ، فقال له: ويلك! اخترْتَ الكبير سناً أو قدراً؟ قال: بل الكبيرَ قدراً. قال: لو قلت غير هذا سقطتَ عندي واستخْففتُ بك. ووصله.

[خبره مع الفضل بن يحيى]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جَلَسَ فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمرُ لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيدِ بن وهب كالمستنطق، فقال له: أيها الوزير، إني ما كنت استعدَدْتُ لهذه الحال، ولا تقدّمَت لها عندي مقدِّمة فأعْرِفها، ولكن قد حضَرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة، فقال: هاتهما فرُبَّ قليلٍ أبلغَ من الكثير، فقال سعيد: [الخفيف]

مَـدَحَ الـفَـضْـلُ نَـفْـسَـهُ بِـالـفَـعـالِ ... فَـعَـلا عـن مَـدِيـحِـنـا بـالـمـقـالِ
أمَـرُونـي بـمـدحِـهِ قُـلْـتُ كـلا ... كَـبُـرَ الـفَـضْـلُ عَـنْ مـدِيـحِ الـرِّجـالِ

قال: فطرب الفضل، وقال له: أحسنتَ والله وأجدْتَ! ولئن قلّ القولُ ونَزَر لقد اتسع المعنى وكثر. ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلّ مَنْ أنشده مديحاً يومئذٍ، وقال: لا خير فيما يجيء بعد بيتيك؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سِواهمَا.

(١) رئمان: مثنى رئم. والرئم: الظبي الأبيض.

حدثني عمّي قال: حدثني ميمونُ بن هارون، قال: حُدّثت عن الخريمي، قال: كان الفضل بنُ يحيى ينافسُ أخاه جعفراً، وينافسه جعفر، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر، ينادمُه ويأنس به في خلواته، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل.

فدخلت يوماً إلى جعفر، ودخل إليه سعيد بن وهب، فحدّثه وأنشدَه وتنادر له، وحكى عن المتنادرين، وأتى بكل ما يَسُرُّ ويُطْرب ويُضْحك، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك. فلما خرج سعيد من عنده تجاهلْتُ عليه، وقلت له: مَن هذا الرجل الكثير الهذيان؟ قال: أو ما تعرِفه؟ قلت: لا؛ قال: هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وَخُلْصَانه وعشيقه. قلت: وأيّ شيء رأى فيه؟ قال: لا شيء والله إلا القَذَر والبرْد والغثاثة. ثم دَخَلْتُ بعد ذلك إلى الفضل، ودخل أنس بنُ أبي شيخ فحدّث وندّر، وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد، فقلت له بعد أن خرج من حضرته: من هذا المُبرَّد؟ قال: أو لا تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته. قلت: وأيّ شيء أعجبه فيه؟ قال: لا أدري والله، إلا القَذر والبرْد وسوء الاختيار.

قال: وأنا والله أعرَف بسعيد وأنَسٍ من الناس جميعاً، ولكني تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما.

[خبره مع الفضل بن الربيع]

حدثني عمّي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: قال إبراهيم بن العباس: قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم: عرّفتْنَا أيامُ النَّكبة مَن كنا نجهله من الناس، وذلك أنا احتجنَا إلى أن نُودع أموالنَا، وكَان أمرُهَا كثيراً مفرِطاً، فكنا نُلْقيهَا على الناس إلقاءً، ونُودعهَا الثقة وغير الثقة، فكان ممن أودَعته سعيدُ بنُ وهب، وكان رجلاً صعلوكاً لا مالَ له، إنمَا صَحبنا عَلَى البطَالة، فظننت أن مَا أودعته ذاهب، ثم طلبته منه بعْد حين، فجَاءني والله بخَوَاتيمه. وأودعتُ عليّ بن الهيثم كَاتبنَا جملة عظيمة، وكَان عندي أوْثَق مَنْ أودعتُه، فلما أمِنْتُ طالبته بالوديعة، فجحدنيها وبهَتني[1] وحلف على ذلك، فصار سعيد عندي في السماء،

(١) بهته: افترى عليه الكذب.

وبلغتُ به كل مبلغ، وسقط عليّ بن الهيثم، فما يصل إليّ ولا يلقاني.

[محاجاته جارية لرجل برمكيّ]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، حدثني عمرو بن بانة قال:

كان في جواري رجلٌ من البرامكة، وَكانت له جارية شاعرة ظريفة، يقال لها . حسناء، يَدْخل إليها الشعراء ويَسألونها عن المعاني، فتأتي بكل مستحسنٍ من الجواب، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً، وجلَس إليها فحادثها طويلاً، ثم قال لها بعد ذلك:

[الهزج]

حـاجَـيْـتُـكِ يـا حَـسْـنـا ءُ فـي جِـنْـسٍ مِـنَ الـشِّـعْـرِ[1]
وَفـيـمـا طُـولُـهُ شِـبْـرٌ وَقـد يُـوفِـي عـلـى الـشِّـبْـرِ
لـه فـي رأسِـهِ شَـقٌّ نَـطُـوفٌ بـالـنَّـدَى يَـجْـرِي[2]
إذا مـا جَـفَّ لـم يَـجْـرِ لَـدَى بَـرٍّ ولا بَـحْـرِ
وإنْ بُـلَّ أتَـى بـالـعـ جَـبِ الـعـاجِـبِ والـسِّـحْـرِ
أجِـيـبـي لَـمْ أرِدْ فُـحْـشـاً وَرَبِّ الـشَّـفْـعِ وَالـوَتْـرِ
ولـكـنْ صُـغْـتُ أبـيـاتـاً لـهـا حَـظٌّ مِـنَ الـزَّجْـرِ

قال: فغضب مولاها وتغيَّر لونُه، وقال: أتُفْحِشُ على جاريتي وتخاطبها بالخنا! فقالت له: خَفِّض عليك[3]، فما ذهب إلى ما ظننت، وإنما يعني القلم، فسُرِّي عنه، وضحك سعيد وقال: هي أعلم منك بما سَمِعْت.

صوت

[الرجز]

دايَـنْـتُ أرْوَى وَالـدُّيُـونُ تُـقْـضَـى فَـمَـطَـلَـتْ بَـعْـضـاً وأدَّتْ بَـعْـضـا
يـا لَـيْـتَ أرْوَى إذ لَـوَتْـكَ الـقَـرْضـا جـادَتْ بِـقَـرْضٍ فـشـكَـرْتَ الـقَـرْضـا

الشعر لرؤبة بن العجاج، والغناء لعمرو بن بانة، رمل بالوسطى.

---

(١) حاجاه: ألقى عليه أحجية.
(٢) نطوف: سيال.
(٣) خفض عليك: هوِّن عليك.

أخبار رؤبة ونسبه

[توفي نحو سنة ١٤٥ هـ/ نحو سنة ٧٦٢ م]

[اسمه ونسبه ولقبه]

هو رؤبة بن العجَّاج، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن حنيفة، وهو أبو جُذَيْم بن مالك بن قُدامة بنِ أُسامة بنِ الحارث بنِ عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. من رُجّاز الإسلام وفصحائهم، والمذكورين المقدّمين منهم، [بدويّ][1] نزل البصرة، وهو من مُخَضْرَمي الدولتين. مدح بني أمية وبني العباس، ومات في أيام المنصور، وقد أخذ عنه وُجوهُ أهل اللغة، وكانوا يقتدون به، ويحتجون بشعره، ويجعلونه إماماً؛ ويكنى أبا الجَحَّاف وأبا العجّاج.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عمار ـ واللفظ له ـ قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد، قال: حدثني يونس بن حبيب، قال: كنت جالساً مع أبي عمرو بن العلاء إذ مرَّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَة الضُّبعيّ ـ قال أبو يزيد: وكان علاّمة ـ فقال: يا أبا عمرو، أشعرتَ أني سألت رؤبة عن اسمه فلم يدر ما هو وما معناه؟ قال يونس: فقلت له: والله لَرُؤْبَةُ أفصح من معدٍّ بن عدنان، وأنا غلام رؤبة، أفَتعْرِف أنت رُوبة ورُوبة وروبة ورؤبة؟ قال: فضَرَب بغلَته وذهب، فما تكلم بشيء. قال يونس: فقال لي أبو عمرو: ما يسرني أنك نَقَصْتَني منها.

قال ابن عمار في خبره: والروبة: اللبن الخاثر، والروبة: ماء الفحل، والروبة: الساعة تمضي من الليل، والروبة: الحاجة، والرؤبة شعب القَدح، قال:

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

وأنشدني بعد ذلك: [المتقارب]

فَـأَمّـا تَـمِـيـمٌ تَـمِـيـمُ بْـنِ مُـرٍّ   فـأَلْـفَـاهُـمُ الـقَـوْمُ رَوْبَـى نِـيـامَـاً[1]

حدثني ابن عمَّارٍ، قال: حدثني عبد الله بنُ أبي سعد، قال: حدثني يحيى بنُ محمد بنِ أعْيَنَ المَرْوَزِيُّ، قال: حدثني أبو عبيدة؛ قال: شهدت شُبَيْلاً الضُّبَعيّ وأبا عمرو، فذكر نحوه.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ عَنْ محمدِ بن سَلاّم، قال: قلت ليونس: هل رأيت عربياً قطُّ أفصحَ من رؤبة؟ قال: لا، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه.

قال يونس: قال لي رؤبة: حتى متى أُزَخْرف لك كلام الشيطان؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك!

وقد رَوَى رؤبة بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ، ورواه أبوه أيضاً.

[أنشد أبا هريرة فشهد له بالإيمان]

أخبرني عبد الله بن أبي داودَ السجستانيّ، قال: حدثنا عبد الله بنُ محمد بن خلاَّد، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهري، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، عن يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج، عن أبيه قال: أنشدت أبا هريرة: [الرجز]

الـحَـمْـدُ لله الـذي تَـعَـلَّـتِ   بـأَمْـرِهِ الـسَّـمـاءُ واسْـتَـقَـلَّـتِ[2]
بـإذنـهِ الأرْضُ ومـا تَـغَـيَّـتِ   أرْسَـى عَـلَـيْـهـا بـالـجبالِ الـثُّـبَّـتِ
الـبـاعـثِ الـنـاسَ لـيـومِ الـمَـوْقِـتِ

قال أبو هريرة: أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن ابنِ شبّة، عن أبي حرب البابِيّ -

(١) الرَّوْبَى: جمع رائب، وهو الذي أنهكه السير فنعس ونام.
(٢) تعلّت: علت شيئاً فشيئاً.

مِن آل الحجاج بن باب ـ قال: حدثنا يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج، عن أبي الشعثاء، عن أبي هريرة، قال: كنا مع النبيﷺ في سفر وحَادٍ يَحْدُو: [الرجز]

طَافَ الخيالاَنِ فهاجَا سَقَما ... خَيالُ لُبْنَى وخيالُ تَكْتُما
قامَتْ تُرِيكَ خَشْيَةً أن تَصْرِمَا ... ساقاً بَخَنْداةً وكَعْباً أَدْرَما[1]

والنبيﷺ يسمع ولا ينكر.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بنُ عمرو، عن محمد بن إسحاق السهميّ، عن أبي عبيدة الحداد، قال: حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه، قال: سمعت أبا عبيدة يقول: السِّواكُ يُذْهِبُ وضَر الطعام[2].

[لقاؤه أبا مسلم الخراساني وإنشاده إياه]

أخبرني عمّي، قال: حدثنا محمدُ بن سعد الكرانيُّ، قال: حَدَّثنا أبو حاتم والأشْنَانْدَانِيُّ أبو عثمان، عن أبي عبيدة، عن رؤبة بن العجاج، قال: بعث إليَّ أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم، فلما دخلْتُ عليه رأى مِنّي جَزَعاً، فقال: اسكن فلا بأس عليك، ما هذا الجَزَعُ الذي ظهر منك؟ قلت: أخافُك، قال: ولِمَ؟ قلتُ: لأنه بلغني أنك تقتل الناسَ، قال: إنما أقتل من يقاتلني ويريد قتلي، أفأنت منهم؟ قلت: لا، قال: فهل ترى بأساً؟ قلت: لا، فأقبَل على جلسائه ضاحكاً، ثم قال: أما ابن العَجَّاج فقد رخّص لنا، ثم قال: أنشدني قولك:

وقاتِمِ الأعماق خاوي المُخْتَرَق[3]

فقلت: أو أُنشِدُك ـ أصلحك الله ـ أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته: [الرجز]

قُلْتُ وَقَوْلي مُسْتَجِدٌّ حَوْكا ... لَبَّيْكَ إذ دعَوْتَنِي لَبَّيْكا
أَحْمَدُ ربّاً ساقني إليكا

(١) الساق البخنداة: الساق الممتلئة. والكعب الأدرم: الكعب المستوي.
(٢) الوَضَر: وسخ الطعام ودسمه وبقاياه بين الأسنان.
(٣) الأعماق: جمع عمق، ويراد به هنا البعيد من أطراف المفاوز. والمخترق: موضع الاختراق من المفازة.

قال: هات كلمتَكَ الأولى، قلت: أو أنشدك أحسن منها؟ قال: هات، فأنشدته: [الرجز]

مـا زَالَ يَـبْـنِـي خَـنْـدقـاً وَيَـهْـدِمُـهْ وَيَـسْـتَـجِـيـشُ عَـسْـكَـراً وَيَـهْـزِمُـهْ
ومَـغْـنَـمـاً يَـجْـمَـعُـهُ وَيَـقْـسِـمُـهْ مَـرْوانُ لـمـا أن تَـهـاوَتْ أنْـجُـمُـهْ
وخَـانَـهُ فـي حُـكْـمِـهِ مُـنَـجِّـمُـهْ

قال: دع هذا وأنشدني: وقاتم الأعماق، قلت: أو أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته: [الرجز]

رفـعـتَ بَـيْـتـاً وَخَـفَـضْـتَ بَـيْـتَـا وشِـدْتَ رُكـنَ الـدِّيـنِ إذ بَـنَـيْـتـا
فـي الأكْـرَمِـيـنَ مـن قُـرَيْـشٍ بَـيْـتـا

قال: هات ما سألتك عنه، فأنشدته: [الرجز]

مـا زالَ يـأتِـي الأمْـرَ مـن أقْـطـارِهِ عـلـى الـيَـمِـيـنِ وعـلـى يَـسَـارِهِ
مُـشَـمِّـراً لا يُـصْـطَـلَـى بـنـارِهِ حَـتَّـى أقَـرَّ الـمُـلْـكَ فـي قَـرَارِهِ
وفَـرّ مـروانُ عـلـى حـمـارِهِ

قال: ويحك! هات ما دعوتُك له وأمرتك بإنشاده، ولا تنشد شيئاً غيره، فأنشدته: [الرجز]

وقـاتِـمِ الأعْـمـاقِ خـاوِي الـمُـخْـتَـرَق

فلما صرت إلى قولي:

يَـرْمِـي الـجَـلامـيـدَ بـجُـلْـمُـودٍ مِـدَقْ

قال: قاتلك الله! لَشَدّ ما استصلَبْتَ الحافر! ثم قال: حسبك، أنا ذلك الجُلْمُود المدقّ.

قال: وجيء بمنديل فيه مال فوضع بَين يديَّ، فقال أبو مسلم: يا رؤبة، إنك أتيتنا والأموال مشفوهة[1]، وإن لك لعودةً إلينا وعلينا مُعوَّلاً، والدهر أطرقُ مُسْتَتِبٌّ، فلا تجعل بجنْبَيْكَ الأسدة[2].

(١) مشفوهة: نافدة.
(٢) لا تجعل بين جنبيك الأسدة، أي لا يضيق صدرك.

قال رُؤبة: فأخذت المِنديل منه، وتالله ما رأيت أعجميّاً أفصحَ منه، وما ظننت أن أحداً يَعْرف هذا الكلام غيرِي، وغيرُ أبي.

قال الكراني: قال أبو عثمان الأشناندانيّ خاصة: يقال: اشتفَّ ما في الإناء، وَشَفَهُ: إذا أتى عليه، وأنشد:

وكـادَ الـمَـالُ يَـشْـفَـهُـهُ عِـيـالِـي ومـا ذو عَـيْـلَـتِـي مَـنْ لا أعُـولُ

[بعض سماته]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب، قال: حدثني ابن قتيبة، قال: كان رؤبة يأكل الفأر، فقيل له في ذلك وعوتب، فقال: هو والله أنظَفُ من دَواجنكم ودَجاجكم اللواتي يأكلن القذَر، وهل يأكل الفأرُ إلا نقيّ البرّ ولُبَاب الطعَام؟

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بن دُرَيْد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن رؤبة، قال: لما ولِّيَ الوَليدُ بنُ عبد الملك الخلافة بَعث بي الحجّاجُ مع أبي لنلقاه، فاسْتقبلنَا الشّمال حتى صرنا ببَاب الفراديس[١]. قال: وكان خروجنا في عام مُخْصِب، وكنت أُصَلِّي الغداة، وأجتني من الكَمأة ما شئت، ثم لا أُجَاوز إلا قليلاً حتى أرى خيراً منها، فأَرمي بها وآخذ الأُخَر، حتى نَزَلْنَا بعض المياه، فأُهديَ لنا حَمل مُخرْفَج[٢] ووَطْب[٣] لبنٍ غليظٍ وزبدة كأنَها رأس نعجة حُوشِية[٤]، فقطّعنا الحملَ آراباً[٥]، وكررْنا عَلَيهِ اللبن والزبدة، حتى إذا بلغ إناه[٦] انتشلنَا اللحم بغير خبز. ثم شربتُ من مَرَقه شَرْبة لم تَزَل لها ذِفرَيَاي[٧] ترشحان؛ حتى رَجعنا إلى حَجْر[٨].

---

(١) باب الفراديس: أحد أبواب دمشق. (معجم البلدان ٤/ ٢٤٢).

(٢) حمل مخرفج: سمين.

(٣) الوطب: سقاء اللبن.

(٤) حوشية: منسوبة إلى الحوش، بلاد الجن في زعمهم. تنسب إليها الإبل وغيرها، وهي من وراء يبرين وليس فيها أحد من بني آدم. (معجم البلدان ٢/ ٣١٩).

(٥) الآراب: جمع إِرْب، وهو العضو.

(٦) بلغ إناه: بلغ إدراكه وحان.

(٧) ذِفرَيَاي: مثنى ذفرى، وهو العظم الشاخص خلف الأذن.

(٨) حجر: اسم لعدة بلدان ومواضع. (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٢١).

فكان أَول من لَقينَا من الشعراء جريراً، فاستَعْهدَنا ألا نُعين عليه. فكان أَولَ من أُذن له من الشعراء أبي ثم أنا، فأَقبلَ الوليد على جرير فقال له: وَيلك! ألا تكون مثل هذين، عَقدا الشِّفاه عن أعراض الناس؟ فقال: إني أُظْلمُ فلا أصبر.

ثم لقِينَا بعد ذلك جرير فقال: يا بني أمِّ العجَّاج، والله لئن وضعتُ كلْكَلي[1] عليكما ما أغنت عنكما مقطَّعاتكما[2]، فقلنا: لا والله ما بَلَغه عنا شيء، ولكنه حَسدنا لما أُذنَ لنا قبله، واستُنشِدنا قبله.

وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهرويه قال: حدثني أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ، قال: قال روح بن فلان الكلبيّ: كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخَل جرير، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له: والله لئن سَهِرْت لك ليلة ليقِلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه! فقال العجاج: يا أبا حَزْرة، والله ما فعلت ما بَلَغك، وجعل يعتذر ويحلف ويخْضَع؛ فلما خرج قال له رجل: لشَدّ ما اعتذرت إلى جرير، قال: والله لو علمتُ أنه لا ينفعني إلا السلاح لسلَحْتُ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ، عن سليمان بن أخضر، عن ابن عون، قال: ما شَبّهْتُ لهجة الحسن البصريّ إلا بلهجة رؤبة، ولَم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مدْغمٌ قَطّ.

أخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد، قال: أخبرني عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه، قال: قيل ليونُس: مَن أشعر الناس؟ قَال: العجاج ورؤبة، فقيل له: لمَ ولم نَعنِ الرُّجاز؟ فقال: هما أشْعر من أهل القصيد، إنما الشعر كلام، فأَجوده أشعره، قد قال العجاج: [الرجز]

قَـدْ جَـبَـرَ الـدِّيـنَ الإِلٰـهُ فَـجَـبَـرْ

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أُطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة، وكذلك عامة أَراجيزهما.

---

(١) الكلكل: الصدر.

(٢) المقطعات: من الشعر: قِصاره وأراجيزه.

[يقعد اللغويون إليه يوم الجمعة]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمدِ بنِ سلاَّم، عن أبي زيد الأنصاريّ والحكم بن قنبر قالا: كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رَحبة بني تميم، فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق، ومرّت بنا عجوزٌ فلم تقدر عَلَى أن تجوزَ في طريقها، فقال رؤبة بن العجاج: [الرجز]

تَنَحَّ لِلْعَجُوزِ عَن طَرِيقِها إذ أقْبَلَتْ رائِحَةً من سُوقِها
دَعْها فما النَّحْوِيُّ مِنْ صَدِيقِها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: حدثنا أبو زيد سعيدُ بنُ أوس الأنصاري النحويّ، قال:

دخل رؤبة بن العجاج السوق وعليه بَرْنَكَانٌ[1] أخضر، فجعل الصبيان يعبثون به، ويَغرزون شَوك النخل في بَرْنَكانِه ويصيحون به: يا مَرْذُوم يا مرذوم! فجاء إلى الوالي فقال: أرسل معي الوَزَعَة[2]، فإن الصبيان قدْ حَالوا بيني وبين دخول السوق، فأرسل معه أعواناً فشدَّ على الصبيان، وهو يقول: [الرجز]

أَنْحَى على أُمِّكَ بِالمَرْذُومْ أعْوَرُ جَعْدٌ مِن بَنِي تَمِيمْ
شَرّابُ ألبانِ خَلايا الكُومْ[3]

ففروا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة، فقال له الشُّرَطُ[4]: أينَ هُم؟ قال: دخلوا دار الظالمين، فسمِّيَت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤبة، وهي في صيارفة سوق البصرة.

وذَكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ، قال: قدم البصرة راجزٌ من أهل المدينة، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء، فقال: أنا أرجَز العرب، أنا الذي أقول: [الرجز]

مَرْوانُ يُعْطِي وَسَعِيدٌ يَمْنَعُ مَرْوانُ نَبعٌ وسعيدٌ خِرْوَعُ[5]

(١) البرنكان: الكساء.
(٢) الوزعة: جمع الوازع، وهو الذي يكفّ ويمنع.
(٣) الخلايا: المخلاة للحلب. والكوم: النوق العظيمة السنام. واحدتها كوماء.
(٤) الشُرَط: طائفة من خيار أعوان الولاة، مفردها: شرطي.
(٥) الخروع: كل نبات قصيف ريان من شجر أو عشب، وكل ضعيف رخو (لسان العرب مادة خرع).

وَدِدتُ أني راميت مَن أُحِبُّ في الرجز يداً بيد، والله لأنا أرجز من العجاج، فلَيْتَ البصرة جمعت بيني وبينه. قال: والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه، فأقبل رؤبة على أبيه فقال: قد أنصفَك الرجل، فأقبلَ عليه العجاج وقال: هأنذا العجاجُ، فهلم! وزحف إليه، فقال: وأيُّ العجّاجين أنت؟ قال: ما خِلتُك تعني غيري، أنا عبد الله الطويل ـ وكان يُكْنَى بذلك ـ فقال له المَدَنِيُّ: ما عَنَيتك ولا أردتك، فقال: وكيف وقد هتفتَ بي؟ قال: وما في الدنيا عجاجٌ سواك؟ قال: ما علمتُ، قال: لكني أعلم، وإياه عَنَيْتُ. قال: فهذا ابني رؤبة، فقال: اللهم غَفرا، ما بيني وبينكما عَمَلٌ، وإنما مرادي غيرُكما! فضحك أهل الحلقة منه، وكفّا عنه.

أخبرني أبو خليفة في كتابه، عن محمد بن سلاّم: عن يُونُس، قال: عَدَوْت يوماً أنا وإبراهيم بن محمد العُطَارِدِيُّ على رؤبة، فخرج إلينا كأنه نَسْرٌ، فقال له ابن نوح: أصبحتَ والله كقولك: [الرجز]

كـالْـكُـرَّزِ الـمَـشْـدُودِ بـيـن الأوتـادْ ... سـاقَـطَ عـنـهُ الـرِّيـشَ كَـرُّ الإبْـرادْ[1]

فقال له رؤبة: والله يابن نوح ما زلتُ لك ماقِتاً، فقلت: بل أصبحت يا أبا الجحّاف كما قال الآخر: [المتقارب]

فـأبْـقَـيْـنَ مِـنْـهُ وأبْـقَـى الـطِّـرا ... دُ بَـطْـنـاً خَـمِـيصاً وصُـلْـباً سَـمِـينـا

فضحك: وقال: هات حاجتَك.

قال ابن سلاّم: ووقف رؤبة على باب سليمان بن عليّ يستأذنُ، فقيل له: قد أخذ الإِذْرِيطوس[2] فقال رؤبة: [الرجز]

يـا مُـنْـزِلَ الـوَحْـيِ عـلـى إدْرِيـس ... ومُـنْـزِلَ الـلَّـعْـنِ عـلـى إبْـلِـيـس
وخـالِـقَ الإثْـنَـيْـنِ والـخَـمِـيـس ... بـارِكْ لَـهُ فـي شُـرْبِ إِذْرِيـطُـوس

أخبرني الحسن بن يحيى قال: قال حماد: أخبرني أبي عن الأصمعي قال: أنشد رؤبة سَلْم بن قتيبة في صفة خيل:

يَـهْـوِيـنَ شَـتّـى وَيَـقَـعْـنَ وُقَّـفـا

(١) الكرّز: الصقر. والبازي: الصقر أيضاً. وأبرده: فتره.
(٢) الأذريطوس: دواء، والكلمة رومية عربية.

فقال له: أخطأت يا أبا الجَحّاف؛ جعلته مقيداً! فقال: أَذْنِنِي أيها الأمير ذَنَب البعير أصِفْه لك كما يجب.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ، عن محمد بن سلام، عن عبد الرحمٰن بن محمد، عن علقمة الضَّبي، قال: خرج شاهين بنُ عبد الله الثقفي برؤبة إلى أرضه، فقعدوا يَلعَبُون بالنَّرْدِ فلما أَتَوْا بِالخوان قال رؤبة:

يا إِخْوَتي جاءَ الخِوانُ فارْفَعُوا حَنَّانَةً كِعابُها تُقَعْقِعُ
لم أدرِ ما ثَلاثُها والأربَعُ

قال: فضحكنا ورفعناها، وقُدِّم الطعام.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود، قال: لقيتُ الخليل بن أحمدَ يوماً بالبصرة فقال لي: يا أبا عبد الله دفَنَّا الشعر واللغةَ والفصاحة اليوم، فقلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا حين انصرفتُ من جنازة رؤبة.

صوت

[الطويل]

لَعَمْري لقد صاحَ الغرابُ ببينهم فأوْجَعَ قَلْبِي بالحَدِيثِ الذي يُبدِي
فقلتُ له أفْصَحْتَ لا طِرْتَ بَعْدَها بِرِيشٍ فَهَلْ لِلْبَيْنِ وَيْحَكَ مِنْ رَدِّ؟

الشعر لقيس بن ذَريح، وقد تقدمت أخباره. والغناء لعمرو بن أبي الكَنّات، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

أخبار عمرو بن أبي الكنات

[اسمه وولاؤه وصنعته]

هو عمرو بن عثمانَ بنُ أبي الكنّات، مولى بَني جمَح، مكيّ مغنٍّ، محسن موصوف بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه، وفيه يقول الشاعر: [الخفيف]

أحْسَنُ النَّاسِ فاعْلَمُوهُ غِناءً ... رَجُلٌ مِنْ بَنِي أبي الكَنّاتِ

وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لَحنٌ ابتداؤه:

صوت

عَفَتِ الدّارُ بالهِضابِ اللواتي ... بِسَوارٍ فَمُلْتَقى عَرَفاتِ[1]

فَالحَرِيّانِ أوْحَشا بعدَ أنْسٍ ... فَدِيارٌ بِالرَّبْعِ ذي السّلِماتِ[2]

إنّ بالبِين مربعاً من سليمى ... فإلى محضرين، فالنخلات[3]

وبعده البيت الأول المذكور.

الغناء في هذا الشعر لعمرو بن أبي الكنات، وطريقته من الرمَل بالوسطى. وقيل: إنه لابن سُرَيج، وقيل: بل لحن ابن سُريج غيرُ هذا اللحن، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابنُ أبي الكنّات.

(١) سَوار: قرية بالبحرين. (معجم البلدان ٣/ ٢٧٥).

(٢) السَّلِمات: الحجارة، واحدتها سَلِمة.

(٣) البين: موضع قرب نجران، وموضع قرب الحيرة، وتوجد بهذا الاسم مواضع أُخرى. (معجم البلدان ١/ ٥٣٤). ومحضر: قرية بأجأ. (معجم البلدان ٥/ ٦٢). والنخلات: عدة مواضع (انظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٦).

ويكنى عمرُو بنُ أبي الكنَّات أبا عثمان، وذكر ابنُ خرداذبه أنه كان يكنى أبا معاذ؛ وكان له ابن يغني أيضاً يقال له: درّاج؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء.

[غناؤه وتفضيل الرشيد إياه]

فذكر هارون بن محمدِ بنُ عبد الملك الزياتُ في الخبر الذي حكاه عنه من أخباره أن محمد بن عبد الله المخزُوميّ حدثه قال: حدثني محمدُ بن عبد الله بن فزوة قال: قُلت لابن جامع يوماً: هل غَلبك أحد من المغنين قط؟ قال: نعم؛ كنتُ ليلة ببغدادَ إذ جاءني رسول الرشيد؛ يأمرني بالركوب؛ فركبتُ حتى إذا صِرتُ إلى الدار، فإذا أنا بفضلِ بنِ الربيع معه زَلْزَلٌ العَواد وبَرْصوما؛ فسلمتُ وجلست قَليلاً، ثم طَلع خادم فقال للفضل: هل جاء؟ فقال: لا، قال: فابعث إليه؛ ولم يزَل المغنون يدخلون وَاحداً بعد وَاحد حتى كنا ستة أو سبعة.

ثم طلع الخادم فقال: هل جاء؟ فقال: لا، قال: قُم فابعث في طلبه؛ فقام فغاب غير طويل؛ فإذا هو قد جاء بِعَمْرو بن أبي الكنَّات؛ فسلم؛ وجلس إلى جنبي فقال لي: من هؤلاء؟ قلتُ: مغنون؛ وهذا زَلْزَل، وَهذا بَرْصوما. فقال: والله لأُغنينَّك غناءً يخرِق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً. قال: ثم طلع الخصيّ فدعا بكراسيّ؛ وخرجت الجواري. فلما جلس قال الخادم للمغنين: شدوا، فشدُّوا عيدانهم، ثم قال: نعم يا بنَ جامع؛ فغنيت سبعة أو ثمَانية أصوات. ثم قال: اسكت ولْيُغنّ إبراهيم الموصلي؛ فغنى مثل ذلك أو دونه. ثم سكت؛ فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً حتى فرغوا.

ثم قال لابن أبي الكَنَّات: غنّ، فقال لِزَلْزَل: شد طبقتك، فشد ثم أخذ العود من يده فجسّه حتى وقف عَلَى الموضع الذي يريده؛ ثم قال: على هذا. وابتدأ بصوت أوله: أَلالا؛ فوالله لقد خُيّل لي أن الحيطان تجاوبه، ثمّ رجّع النغم فيه. فطلع الخصيّ فقال له: اسكت، لا تتم الصوت، فسكت.

ثم قال: يُحبس عمرُو بن أبي الكنَّات، وينصرف باقي المغنين. فقمنا بأكسف حال وأسوإ بال، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يَرْويه من الغناء الذي أوله: ألالا، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه، فما عرفه منا أحد، وَبات عمرو ليلته عند الرشيد، وانصرف مِن عنده بجوائز وصِلات وَطرف سنية.

قال هارون: وأخبرني محمدُ بنُ عبد الله عن موسى بنِ أبي المهاجر قال: خرج ابنُ جامعٍ وابنُ أبي الكنّات حين دُفعا من عرفة حتى إذا كانا بين المأزِمين[1] جلس عمرو على طرف الجبل؛ ثم اندفع يغني، فوقف القِطارات، وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا: يا هذا، الله الله. اسكت عنا يَجُز الناس، فضبط إسماعيل بنُ جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُزْدلفة.

قال هارون: وحدثني عبدُ الرحمٰن بنُ سليمانَ عن عليٍّ بن أبي الجهم قال: حدثني من أثق به قال:

واقفتُ ابنَ أبي الكَنّات المديني على جَسر بغداد أيام الرَّشيد، فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه فعله أيام هشام، وهو أن بعض أصحابنا حدثني قال: وقف ابنُ عائشة في المَوسم فمرّ به بعض أصحابه، فقال له: ما تعمل؟ فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحَبس الناسَ، فلم يذهب أحد ولم يجيء. فقلت له: ومَن هذا الرجل؟ قال: أنا، ثم اندفع يغني:

صوت

[الوافر]

جَرتْ سُنُحاً فَقُلْتُ لها أجيزِي ... نَوًى مَشْمُولَةً فَمَتى اللقاءُ؟
بِنَفْسِي مَنْ تَذَكُّرُهُ سَقامٌ ... أُعالِجُهُ وَمَطْلَبُهُ عَناءُ

قال: فحبَس الناس، واضطربت المحامل، وَمدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة تقع، فأُتي به هشام فقال: يا عدو الله أردتَ أن تفتن الناس؟ فأمسك عنه وكان تيّاهاً، فقال له هشام: ارفُق بتيهك. فقال ابن عائشة: حقٌّ لِمن كانت هذه قدرتَه على القلوب أن يكون تيّاهاً، فضحك وأطلقه. قال: فبَرق[2] ابن أبي الكنات، وكان معجَباً بنفسه، وقال: أنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع فغنى في هذا الصوت ونحن على جَسر بغداد.

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الطرق، وامتلأت الجسور بالناس، وازدحموا عليها، واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لثقل من

(١) المأزمان: موضع بمكة (وانظر معجم البلدان ٥/ ٤٠).
(٢) المحامل: جمع محمل، وهو شقّان على البعير، يحمل فيهما العديلان.
(٣) بَرَق: تزيّن.

عليها من الناس. فأُخذ فأُتي به الرشيد، فقال: يا عدو الله أردتَ أن تفتن الناس؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأحببت أن يكون في أيامك مثلُه! فأعجب من قوله ذلك، وأمر له بمال، وأمره أن يغني، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فاحتبسه عنده شهراً يستزيده في كل يوم استأذنه فيه في الانصراف، يوماً آخر حتى تم له شهر. فقال هذا المخبر عنه: وكان ابن أبي الكنّات كثير الغِشيان لي: فلما أبطأ توهمتُه قد قُتل فصار إليّ بعد شهر بأموال جسيمة، وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد.

قال هارونُ: وأخبرني محمدُ بنُ عبد الله المخزوميُّ عن عثمان بنِ موسى مولانا قال: كنا يوماً باللاحجة[1] ومعنا عمرو بن أبي الكَنّات، ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس: مَن تحبون أن يجيئكم؟ قلنا: منصورٌ الحجَبيّ. فقال: أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني: [الخفيف]

أحْسَنُ النَّاسِ فاعْلَمُوهُ غناءً رَجُلٌ مِنْ بَنِي أبي الكَنّاتِ
عَفَتِ الدّارُ بالهِضابِ اللّواتي بِسَوارٍ فَمُلْتَقَى عَرَفاتِ

فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بُعد قد أقبل يركُض دابته نحونا، فلما جلس إلينا قلنا له: من أين علمتَ بنا؟ قال: سمعتُ صوت عمرو يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر، فخرجتُ أركضُ دابتي حتى صِرتُ إليكم، قال: وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال.

قال هارون: وأخبرني محمد بن عبد الله، قال: أخبرني يحيى بنُ يعلى بنِ سعيد قال:

بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكَنّات كأنه معي، فأمرتُ الغلام فأسرج لي دابتي، وخرجّتُ أُريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدتُه جالساً على الكثيب العارض ببطن عُرَنة[2] يغني:

(١) لاحج: موضع من نواحي مكة، ولاحج أيضاً قرية من قرى اليمن (معجم البلدان ٥/ ٥).
(٢) بطن عرنة: وادٍ بحذاء عرفات. (معجم البلدان ٤/ ١١١).

صوت

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ... ولا تَنْطِقي في سَوْرَتي حِينَ أغْضَبُ[١]
ولا تَنْقُرِينِي نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فإنَّك لا تَدْرِينَ كيفَ المُغَيَّبُ
فإنِّي وَجَدْتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ والأذى ... إذا اجْتَمَعا لَمْ يَلْبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ

عروضه من الطويل، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق. والشعر لأسماء بنِ خارجة الفزاريّ، وقد قيل إنه لأبي الأسود الدّؤلي، وليس ذلك بصحيح. والغناء لإبراهيم الموصلي، وفيه لحن قديم للغريض من رواية حماد عن أبيه.

(١) السورة: السطوة.

أسماء بن خارجة وابنته هند

[توفي نحو سنة ٦٦ هـ/ نحو سنة ٦٨٦ م]

[وصيته لابنته يوم تزوجت الحجاج]

أخبرني اليزيديّ عن أحمد بنِ زُهيرٍ عن الزُّبير بن بكار قال: زَوّج أسماء بنُ خارجة الفزاريُّ بنته هنداً من الحجاج بن يوسف، فلما كانت ليلة أراد البناء بها قال لها أسماء بن خارجة: يا بنيّة، إنّ الأمهات يؤدبن البنات، وإنّ أمّك هلكت وأنتِ صغيرة، فعليك بأطيب الطيب الماء، وأحسن الحُسن الكحل. وإياكِ وكثرةَ المعاتبة، فإنها قطيعة للوُدّ، وإياك والغَيرة، فإنها مفتاح الطلاق. وكوني لزوجك أمَةً يكن لك عبداً، واعلمي أني القائل لأمّك:

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمي مَوَدَّتي

وذكر الأبيات. قال: وكانت هند امرأة مجرَّبة قد تزوجها جماعة من أمراء العراق، فقبلَت من أبيها وصيته. وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكلّ خير، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها: [الوافر]

جزاكَ الله يا أسماءُ خَيْراً ... كما أرْضَيْتَ فَيْشَلَةَ الأمِيرِ
بِصُدْغٍ قد يَفُوحُ المِسْكُ منهُ ... عليهِ مثلُ كِرْكِرَةِ البَعِيرِ[1]
إذا أخَذَ الأمِيرُ بِمَشْعَبَيْها ... سَمِعْتَ لها أزِيزاً كالصَّرِيرِ
إذا لَقِحَتْ بأزواجٍ تَرَاها ... تُجِيدُ الرَّهْزَ مِنْ فَوْقِ السَّرِيرِ

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر لعُقَيْبة الأسديّ.

---

(١) كركرة البعير: جزء من زوره، ناتىء عن جمسه.

أخبرني الجوهريُّ وحبيبُ المهلبيُّ عن ابن شبة قال: لما قدم الحجاج الكوفة أشار عليه محمدُ بنُ عُمير بن عُطارد أن يخطب إلى أسماء ابنته هند، فخطبها فزوجه أسماءُ ابنته، فأقبل عليه محمد متمثّلاً يقول: [الوافر]

أمِنْ حَذر الهُزالِ نَكَحْتَ عَبْداً. فَصِهْرُ العَبْدِ أدْنَى لِلْهُزالِ!

فاحتملها عليه أسماء وسكت عن جوابه، ثم أقبل على الحجاج يوماً وهند جالسة، فقال: ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنتَه فإنّ من شأنها كيتَ وكيتَ. فقال: أتقول هذا وهند تسمع؟ فقال: موافقتك أحبّ إليّ من رضا هند، فخطبها إلى محمد بنِ عمير، فزوجه إيّاها، فقال أسماءُ لمحمد بنِ عُمير، وضرب بيده على منكبه:

دونكَ ما أسْدَيْتَهُ يابْنَ حاجِبٍ سواء كعَين الدِّيكِ أو قُذَّةِ النَّسْرِ[1]
بِقَوْلِكَ للحجاجِ إنْ كنتَ ناكحاً فلا تَعْدُ هِنْداً من نساءِ بني بَدْرِ
فإنَّ أباها لا يَرَى أنَّ خاطباً كفاءٌ لَهُ إلا المُتَوَّجَ من فِهْرِ
فَزَوَّجْتُها الحجاجَ لا متكارهاً ولا راغِباً عنهُ وَنِعْمَ أخُو الصِّهْرِ
أرَدْتَ ضِرارِي فاعْتَمَدْتَ مَسَرَّتي وقد يُحْسِنُ الإنسانُ من حَيْثُ لا يَدْرِي
فإنْ تَرَها عاراً فقد جِئْتَ مِثْلَها وإنْ تَرَها فَخْراً فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ؟

[هند وعبيد الله بن زياد وزواجها من بشر بن مروان ثم من الحجاج]

قال المدائني: حدثني الحرمازي عن الوليد بن هشام القحذميّ وكان كاتب خالداً القسريَّ ويوسفَ بنَ عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عُبيدِ الله بنِ زيادٍ، وكان أبا عذرها[2]، فلما قتلَ - وكانت معه - لبِسَتْ قَباء، وتقلّدت سيفاً، وركبت فرساً لعُبيد الله كان يقال لها الكامل، وخرجت حتى دخلَت الكوفة ليس معها دليل، ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلق الله جزعاً عليه، ولقد قالت يوماً: إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عُبيدِ الله بنِ زياد.

فلما قدِم بشرُ بنُ مروان الكوفة دُلَّ عليها، فخطبها، فزُوِّجها، فولدَت له عبدَ الملك بنَ بشر، وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك، وكان إذا صلى العصر خلا في

(١) قُذّة النسر: ريشه.
(٢) أبو عذرها، وأبو عذرتها: أي الذي افتضها.

ناحية من داره ليس معه أحد إلا أعينُ مولاه صاحبُ حمام أعينَ بالكوفة، وأخذ في شأنه. فلم تزَل هند تتجسّس خبره حتى عرفته، فبعثَت مولى لها، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشده وأرقه وأصفاه، وأحضرَت له طعاماً علمت أنه يشتهيه، وأرسلَت إلى أخويها، مالك وعيينة، فأتياها وبعثَت إلى بشر واعتلّت عليه بعلة، فجاءها فوضعَت بين يديه ما أعدّته، فأكل وشرب، وجعل مالك يسقيه، وعيينة يحدِّثه، وهند تريه وجهها. فلم يزَل في ذلك حتى أمسى، فقال: هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً؟ فقالت: هذا دائم لك ما أردتَه، فلزمها وبقِي أعينُ يتبع الديار بوجهه ولا يرى بشراً، إلا أن يبحث عن أمره فعرفه، وعلم أنه ليس فيه حظ بعدها. قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه، فقال الفرزدق في ذلك: **[الطويل]**

فإنْ تكُ لا هِنْدٌ بكتهُ فقد بَكَتْ عليهِ الثُّرَيّا في كَواكِبِها الزّهْرِ

ثم خلَف عليها الحجاجُ، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائنيّ عن الجِرمازيّ عن القحذميّ، وأخبرني به من هاهنا أحمد بنُ عبد العزيز عن ابنِ شبة عن عثمانَ بنِ عبدِ الوهاب عن عبدِ الحميد الثقفيّ قالا: كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بُردةَ بنَ أبي موسى الأشعري - وهو قاضيه - إلى أسماء يقول له: إن قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بِشر لا أضمهما إليّ، وأتولّى منهما مثلَ ما أتولى من ولَدي. فاسأل هنداً أن تطيب نفساً عنهما.

وقال عمر بن شبة في خبره: وأعلِمْها أنه لا بد من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدبهما، قال أبو بُردة: فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل وهند معه، فما رأيت وجهاً ولا كفاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفها وذراعها، وجعلَت تُتحفني وتضع بين يَديّ.

قال أبو زيد في خبره: فدعاني إلى الطعام، فلم أفعل، وجعلَت تعبث بي وتضحك، فقلت: أما والله لو علمتِ ما جئتُ له لبكيتِ، فأمسكت يدها عن الطعام فقال أسماء: قد منعتَها الأكل فقل ما جئت له. فلما بُلّغَت أسماء ما أُرسلتُ به بكت، فلم أر والله دموعاً قطّ سائلة من محاجرَ أحسنَ من دموعها على محاجرها. ثم قالت: نعم أُرسل بهما إليه، فلا أحد أحقّ بتأديبهما منه.

وقال أسماء: إنما عبد الملك ثمرة قلوبنا - يعني عبد الملك بنَ بشر - وقد أنِسنا به، ولكن أمرَ الأمير طاعة، فأتيت الحجاج، فأعلمتُه جوابها وهيئتها. فقال: ارجع فاخطبها عليّ فرجعتُ وهما على حالهما. فلما دخلتُ قلت: إني جئتكَ بغير

الرسالة الأولى. قال: اذكر ما أحببتَ. قلت: قد جئت خاطباً. قال: أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة؟ قلت: لا، على مَن هو خير لها مني، وأعلمتَه ما أمرني به الحجاج، فقال: ها هي تسمع ما أدّيت، فسكتَتْ، فقال أسماء: قد رضيَتْ، وقد زوجتها إياه.

فقال أبو زيد في حديثه: فلما زَوجها أبوها قامت مبادِرة وعليها مُطْرَف، ولم تستقل قائمة مِن ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها مِن شَحمها، فانصرفتُ بذلك إلى الحجاج، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً من ثياب وقال: يا أبا بردة، إني أُحب أن تسلمها إليها، ففعلتُ ذلك، وأرسلَت إليّ من المال بعشرين ألفاً، ومن الثياب تختين. فقلت: ما أقبل شَيئاً حتى أستطلع رَأي الأمير. ثم انصرفتُ إليه فأعلمتهُ، فأمرني بقبضه ووصلني بمثله.

وقال أبو زيد في حَديثه: فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم، وثلاثين جارية مع كل جارية تختٌ من ثياب، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يَذكر عددهَا. فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لي به الحجاج، فأبيتُ قبوله، وقلت: ليس الحجاج ممن يتعرّض له بمثل هذا. وأتيت الحجاج فأخبرته. فقال: قد أحسنتَ وأضعَف الله لك ذلك، وأمر له بستين ألفاً، وبضعف تلك الثياب، وكان أولَ ما أصبته مع الحجاج. وأرسلَ إليها: إني أكره أن أبيت خِلواً[1] ولي زوجة. فقالت: وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها، فأصلحت من شأنها، وأتته ليلاً.

قال المدائني: فسمعت أن ابن كناسة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت: كنتُ فيمَن زفّها. فدَخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاه ستارة، وهو دون الستارة عَلَى فرشه فلما أن دخلَت سلَّمتْ، فأوْمأ إليها بقضيب كان في يده. فجلسَت عند رجْليه، ومكثت ساعة وهو لا يتكلم ونحن وقوف، فَضَربت بيدها على فخذه، ثم قالت: ألم تَبعد من سوء الخلق؟ قال: فتبسم، وأقبل عليها، واستوى جالساً. فدعونا له وَخرجنا وَأُرخيت الستور.

(١) أبيت خلواً: أي من دون زوجة.

[طلاق الحجاج لها وأسبابه]

قال: ثم قدم الحجاج البصرة، فحملها معه. فلما بنى قصره الذي دون المحدثة[1] الذي يقال له قصر الحجاج اليوم قال لها: هل رأيتِ قط أحسن من هذا القصر؟ قالت: ما أحسنه! قال: أصدقيني، قالت: أمّا إذ أبيتَ فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر. وَكان فيه عُبيد الله بنُ زياد، وكان دار الإمارة بالبصرة، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر. فطلق هنداً غضباً بما قالته، وبعث إلى القصر فهدمه، وبناه بلبن، ثم تعهده صالح بنُ عبد الرحمٰن في خلافة سليمان بن عبد الملك، فبناه بالآجر، ثم هُدم بعد ذلك فأُدخل في المسجد الجامع.

قال القحذميّ عن محمد بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام المخزوميّ: فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر، فسلّمنا عليه وعُدناه معه. ثم خرجنا وَتخلف الحجاج، فوقفنا ننتظره، فلما خرج التفتّ فرآني، فقال: يا محمد وَيحك! رَأيتُ هنداً الساعة فما رأيتها قط أجمل ولا أشبّ منها حين رأيتها، وما أنا بمُمسٍ حتى أُراجعها؛ فقلت: أصلح الله الأمير، امرأة طلّقتها على عتْب يرى الناس أن نفسك تتبعها، وتكون لها الحجة عليك. قال: صدقت، الصبر أحجى.

قال محمد: والله ما كان مني ما كان نظراً ولا نصيحة، ولكني أنِفت لرجل من قريش أن تداس أمّه في كل وقت.

أخبرني الحسين بنُ يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال: حججتُ، فإني لفي رُفقة من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة، فنامت وانتبهت وحية مطوية عليها، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها، فهالنا ذلك وارتحلنا. فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرَم فانسابت، فدخلنا مكة وقضينا نُسكنا، فرآها الغريض فقال: أيْ شقيّة، ما فعلَت حيتك؟ فقالت: في النار. قال: ستعلمين مَن أهل النار؟ ولم أفهم ما أراد، وظننتُ أنه مازحها، واشتقتُ إلى غنائه، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك، فأتيت بعض أهله، فسألته ذلك، فقال: نعم، فوجَّه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا، وقال لي: اركب بنا،

(١) المحدثة، قرية بواسط. (وانظر معجم البلدان ٥/ ٦٠).

فركبنا حتى سِرْنا قدرَ مِيل، فإذا الغريض هناك، فنزلنا، فإذا طعام مُعَدّ، وموضع حسن. فأكلنا وشربنا، ثم قال: يا أبا يزيد، هات بعض طرائفك فاندفع يغني، ويوقع بقضيب:

[الطويل]

مـرضـتُ فـلـم تـحـفـل عـلـيَّ جَـنُـوبُ ... وأُدْنِـفْـتُ والـمَـمْـشَـى إلـيَّ قَـرِيـبُ

فـلا يُـبـعـدِ الـلّـهُ الـشَّـبـابَ وَقَـوْلَـنـا ... إذا مـا صَـبَـوْنـا صَـبْـوَةً سَـنَـتُـوبُ

فلقد سمعنا شيئاً ظننت أن الجبال التي حولي تنطق معه: شَجَا صوت، وحُسْن غناء. وقال لي: أتحب أن يَزيدك؟ فقلت: إي والله. فقال: هذا ضيفك وضيفنا، وقد رغب إليك وإلينا، فأسعِفْه بما يريد. فاندفع يغني بشعر مجنون بني عامر:

[الطويل]

عـفـا الله عـن لَـيْـلَـى الـغـداة فـإنَّـهـا ... إذا وَلِـيَـتْ حُـكْـمـاً عـلـيَّ تَـجُـور

أأتـركُ لـيـلـى لَـيْـسَ بـيـنـي وبـيـنـهـا ... سِـوَى لَـيْـلَـةٍ؟ إنِّـي إذاً لَـصَـبُـورُ!

فما عقَلت لِما غنى من حسنه إلا بقول صاحبي: نجور عليك يا أبا يزيد، فقلت: وما معناك في ذلك؟ فقال: إن أبا يزيد عرّض بأني لما وليت الحكم عليه جُرت في سؤالي إياه أكثر من صوت واحد. فقلت له ـ بعدَ ساعة ـ سرّاً: جُعلتُ فداءك، إني أُريد المضي وأصحابي يريدون الرحلة، وقد أبطأتُ عليهم، فإن رأيت أن تسأله ـ حاطه الله من السوء والمكروه ـ أن يزوّدني لحناً واحداً. فقال لي: يا أبا يزيد، أتعلم ما أنهَى إلينا ضيفُنا؟ قال: نعم، أرادك أن تكلمني في أن أُغنيه. قلت: هو والله ذلك، فاندفع يغني:

[الطويل]

خُـذِي الـعَـفْـوَ مِـنّـي تَـسْـتَـدِيـمِـي مَـوَدَّتِـي ... ولا تَـنْـطِـقـي في سَـوْرَتِـي حِـيـنَ أغْـضَـبُ

فـإنّـي رأيـت الـحـب فـي الـصـدر والأذى ... إذا اجـتـمـعـا لـم يـلـبـث الـحـبُّ يـذهـب

فقال: قد أخذنا العفو منك، واستدَمْنا مودتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أُحدثكم بحديث حسن؟ فقلنا: بلى. قال: قال شيخ العلم وفقيه الناس وصاحب عليٍّ ـ صلوات الله عليه ـ وخليفة عبد الله بنِ العباس على البصرة أبو الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء: أيْ بُنَيّة، النساء كنّ بوصيتك وتأديبك أحقَّ مني، ولكن لا بد مما لا بد منه. يا بنيّة، إن أطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الدهن، وأحلى الحلاوة الكحل. يا بنية، لا تكثري مباشرة زوجك فيملَّك، ولا تباعدي عنه فيجفوك ويعتلَّ عليك، وكوني كما قلت لأمّك:

خُذِي العَفْوِ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ولا تَنْطِقِي في سَوْرَتِي حينَ أَغْضَبُ

فقلت له: فدَتك نفسي، ما أدري أيّهما أحسن: أحديثك أم غناؤك؟ والسلام عليكم. ونهضت فركبت وتخلف الغريض وصاحبه في موضعهما، وأتيت أصحابي وقد أبطأت، فرحلنا منصرفين حتى إذا كنا في المكان الذي رأيت فيه الحية منطوية على صدر المرأة ونحن ذاهبون ـ رأيت المرأة والحيةُ منطوية عليها، فلم ألبث أن صفَرت الحية، فإذا الوادي يسيل علينا حيات فنهشنها حتى بقيت عظاماً. فطال تعجبنا من ذلك، ورأينا ما لم نر مثله قط. فقلت لجارية كانت معها: ويحك! أخبرينا عن هذه المرأة، قالت: نعم أُثكلَت ثلاث مرات، كلَّ مرة تلد ولداً، فإذا وضعته سجرَت التنور[1] ثم ألقته. فذكرتُ قول الغريض حين سألها عن الحية، فقالت: في النار. فقال: ستعلمين من في النار.

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء فمنها:

صوت [الطويل]

مرِضتُ فلم تحفل عليَّ جَنُوبُ وأُدْنِفْتُ والمَمْشَى إليَّ قَرِيبُ
فلا يُبعدِ الله الشبابَ وقولَنا إذا ما صَبَوْنا صَبْوَةً سنتوبُ

عروضه من الطويل. الشعر لحُميدِ بنِ ثَورِ الهلاليِّ، والغناء للغريض من رواية حماد عن أبيه، وفيه لِعَلُّويه ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. ومنها:

صوت [الطويل]

عفا الله عن ليلى الغداةَ فإنَّها إذا وَلِيَتْ حُكْماً عليَّ تَجُورُ
أأتْرُكُ لَيْلَى ليسَ بَيْنِي وَبَيْنَها سِوَى ليلةٍ إنِّي إذاً لَصَبُورُ!

عروضه من الطويل، والشعر ـ يقال ـ لأبي دَهبلٍ الجُمَحيّ، ويقال إنه لمجنون بني عامر، ويقال إنه لعمر بنِ أبي ربيعةَ. والغناء لابن سُرَيج، خفيف رمَل بالوسطى، عن عمرو بن بانة، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى، وفي الثاني

(١) سجر التنور: أوقده.

والأول خفيف ثقيل أول بالبنصر مجهول.

أخبرني الحرَميّ عن الزبير عن محمدِ بن الضحاك عن أبيه قال: قال أبو دهبل:

أأتْـرُكُ لـيـلـى لـيس بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـهـا ... سِـوَى لـيـلـةٍ إنّـي إذاً لَـصَـبُـورُ

هَـبُـونـي امْـرَأً مِـنْـكُـمْ أضَـلَّ بَـعِـيـرَهُ ... لَـهُ ذِمَّـةٌ إنَّ الـذِّمـامَ كَـبِـيـرُ

ولَـلـصـاحـب الـمـتـروك أعـظـم حـرمـة ... عـلـى صـاحـب مـن أن يَـضـلَّ بـعـيـر

قال الزبير وقال عمي: هذه الأبيات لمجنون بني عامر.

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنيّ عن أبي محمدٍ الشيباني قال: قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: أنت القائل:

أأتْـرُكُ لـيـلـى لـيسَ بـيـنـي وبـيـنَـهـا ... سـوى لـيـلـةٍ إنّـي إذاً لَـصَـبُـورُ!

قال: نعم. قال: فبئس المحبّ أنت؛ تركتها وبينها وبينك غُدوة. قال: يا أمير المؤمنين، إنها من غُدوات سليمانَ، غدوُّها شهر، ورواحها شهر.

أخبرني اليزيديّ عن أحمدَ بن يحيى وابنِ زهيرٍ قال: حدثني عمرُ بنُ القاسم بنِ المعتمر الزهريُّ قال: قلت لأبي السائب المخزوميّ: أما أحسنَ الذي يقول:

أأتْـرُكُ لـيـلـى لـيسَ بـيـنـي وبـيـنَـهـا ... سـوى لـيـلـةٍ إنّـي إذاً لَـصَـبُـورُ!

هَـبُـونـي امْـرَأً مِـنْـكُـمْ أضَـلَّ بَـعِـيـرَهُ ... لَـهُ ذِمَّـةٌ إنَّ الـذِّمـامَ كَـبِـيـرُ

ولَـلـصـاحـب الـمـتـروك أعْـظَـمُ حُـرْمَـةً ... عـلـى صـاحِـبٍ مِـنْ أنْ يَـضِـلَّ بَـعِـيـرُ

فقال: بأبي أنت، كنتُ والله أُجنّبك وتثقل عليّ، فأنا الآن أُحبك وتخفّ عليّ، حيث تعرف هذا.

صوت

مِـنَ الـخَـفِـرَاتِ لـم تَـفْـضَـحْ أخـاهـا ... وَلَـمْ تَـرْفَـعْ لِـوَالِـدِهـا شَـنـارا

كـأنَّ مَـجـامِـعَ الأرداف مـنـهـا ... نَـقـاً دَرَجَـتْ عـلـيـهِ الـرِّيـحُ هـارا

يـعـافُ وِصـالَ ذاتِ الـبَـذْلِ قَـلْـبِـي ... وَيَـتَّـبِـعِ الـمُـمَـنَّـعَـةَ الـنَّـوارا

الخفرة: الحيية، والخَفَر: الحياء. والشَّنار: العار. والنقا: الكثيب من

الرمل. درجت عليه الريح: مرت. هار: تهافت وتداعى. قال الله تبارك وتعالى: ﴿على شفَا جُرُفٍ هارٍ﴾[١] ويعاف: يكره. والنوار: الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء.

عروضه من الوافر. الشعر للسليك بنِ السُّلكة، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن الهِرْبذ لحن من رواية بذل، ولم يذكر طريقته. وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنّسه.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

أخبار السليك بن السلكة ونسبه

[توفي نحو سنة ١٧ ق هـ/ نحو سنة ٦٠٥ م]

[اسمه ونسبه وصعلكته]

هو السُّلَيكُ بنُ عمرو، وقيل: ابنُ عميرِ بنِ يثربيّ. أحدُ بني مُقاعس، وهو الحارثُ بنُ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ زَيد مناةَ بن تميم. والسُّلَكة أمّه، وهي أمة سوداء. وهو أحد صعاليك العرب العدّائين الذين كانوا لا يُلحَقون، ولا تعلَق بهم الخيل إذا عدَوا. وهم: السُّلَيك بنُ السُّلَكة، والشَّنفَرَى، وتأبط شراً، وعمرو بن برّاق، ونفيل بن براقة. وأخبارهم تذكر على تواليها ها هنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يغنَّى فيها؛ لتتصل أحاديثهم.

فأمّا السُّلَيك فأخبرني بخبره الأخفشُ عن السكري عن ابن حبيبٍ عن ابن الأعرابي، قال: وقرىء لي خبره وشعره على محمدِ بنِ الحسن الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة. أخبرني ببعضه اليزيديّ عن عمه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضَّل، وقد جمعتُ رواياتهم، فإذا اختلفت نسبتُ كل مرويٍّ إلى راويه.

قال أبو عبيدة: حدثني المنتجعُ بنُ نَبْهان قال: كان السّلَيك بنُ عميرٍ السعديُّ إذا كان الشتاء استَودع بِبَيض النعام ماء السماء ثم دفنه، فإذا كان الصيف وانقطعَت إغارة الخيل أغار. وكان أدلّ من قطاة ـ يجيء حتى يقف على البيضة. وكان لا يغير على مضر، وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة.

وقال المفضل في روايته: وكان السلَيك من أشد رجال العرب وأنكرِهم وأشعرِهم، وكَانت العرب تدعوه سلَيك المقانب[1] وكان أدلّ الناس بالأرض،

(١) المقانب: جمع مقنب، وهو من الخيل بين الثلاثين والأربعين.

وأعلمَهم بمسالكها، وأشدَّهم عَدْواً على رجليه لا تعلَق به الخيل. وكان يقول: اللَّهم إنك تهيىء ما شئت لما شئت إذا شئت. اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة. اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهَيبةُ فلا هيبةَ.

[غارات السليك وشعره في ذلك]

فذكروا أنه أملقَ(١) حتى لم يَبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يَمر به فيذهبَ بإبله، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردةٍ مُقمرةٍ فاشتمل الصماء، ثم نام ـ واشتمال الصماء: أن يَرُد فضلة ثوبه على عضده اليمنى، ثم ينام عليها ـ فبينا هو نائم إذ جثم رَجل فقعد على جنبه فقال: استأسر، فرفع السليك إليه رأسه، وقال: الليل طويل وأنت مقمر. فأرسلَها مثلاً، فجعل الرجل يَلْهَزه(٢) ويقول: يا خبيث استأسر. فلما آذاه بذلك أخرج السليك يده، فضم الرجل إليه ضَمة ضرط منها وهو فوقه، فقال السليك: أضرَطاً وأنت الأعلى؟ فأرسلها مثلاً، ثم قال: مَن أنت؟ فقال: أنا رجل افتقرتُ، فقلت: لأخرجنّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغنيَ، فآتيهم وأنا غنيّ. قال: انطلق معي، فانطلقا، فوجدا رجلاً قصتُه مثل قصتهما، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجَوفَ: جوف مراد.

فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم قد ملأ كل شيء من كثرته، فهابوا أن يُغيروا فيَطردوا بعضها، فيَلحقَهم الطلب. فقال لهما سُلَيك: كُونا قريباً مني حتى آتي الرُّعاء فأعلمَ لكما عِلمَ الحي، أقريب أم بعيد. فإن كانوا قريباً رجعت إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أومىء إليكما به فأغيرا. فانطلق حتى أتى الرِّعاء، فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي، فإذا هم بعيد، إن طُلبوا لم يُدركوا. فقال السُّلَيك للرِّعاء: ألا أغنِّيكم؟ فقالوا: بلى غَنّنا، فرفع صوته وغنّى: [البسيط]

يـا صـاحِـبَـيَّ ألا لا حَـي بـالـوادِي ... سِـوَى عَـبـيـد وآم بـيـنَ أذوادِ(٣)
أتـنـظـرانِ قَـريـبـاً رَيْـثَ غَـفْـلَـتِـهِـمْ ... أم تـغـدوانِ فـإنّ الـرِّيـحَ لـلـغـادِي؟(٤)

(١) أملق: افتقر.
(٢) لهزه يلهزمه لهزاً: ضربه بجمع يده في صدره أو رقبته.
(٣) الآم: جمع الأمة.
(٤) الريح: الغلبة، والظفر، والنصر.

فلما سمعا ذلك أتيا السليك، فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصَّريخُ الحي حتى فاتوهم بالإبل.

قال المفضل: وزعموا أن سلَيكاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بنِ امرىء القيسِ بنِ زيدِ مناةَ بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم وهو يريد الغارة، فمر على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت، وقد أمسى فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتي أهل هذا البيت، فلعلي أن أُصيب لكم خيراً، أو آتيكم بطعام، قالوا: افعل، فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل، فإذا البيت بيت رُوَيم، وهو جدّ حَوْشب بن يزيد بن رويم، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت. فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن راح ابنه بإبله، فلما أراحها غضب الشيخ، وقال لابنه: هلا عشيتها ساعة من الليل. فقال له ابنه: إنها أبت العشاء فقال: العاشية[1] تهيج الآبية، فأرسلَها مثلاً، ثم غضب الشيخ، ونفَض في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة، فرتعت، وجلس الشيخ عندها لتتعشى، وغطى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سليك.

فلما وجد الشيخ مغتراً ختله من ورائه، فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردها، فلم يشعر صاحباه ـ وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه ـ حتى إذا هما بالسلَيك يطردها فطرداها معه، وقال سلَيك في ذلك: [الطويل]

وعـاشِـيَـةٍ راحَـتْ بِـطـانـاً ذَعَـرْتُـهـا ... بِسَوْطِ قَتِيلٍ وسْطَها يُتَسَيَّفُ[2]

كـأنَّ عـلـيـهِ لَـوْنَ بُـرْدٍ مُـحَـبَّـرٍ ... إذا ما أتاهُ صارِخٌ يَتَلَهَّفُ[3]

فـبـاتَ لـهـا أَهْـلٌ خَـلاءٌ فِـنـاؤُهُـمْ ... وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فلم يَتَعَيَّفُوا[4]

وبـاتُـوا يَـظُـنُّـونَ الـظُّـنـونَ وصُـحْـبَـتِـي ... إذا ما عَلَوْا نَشْزاً أَهَلُّوا وَأَوْجَفُوا[5]

وما نِلْتُها حَتَّى تَصَعْلَكْتُ حِقْبَةً ... وَكِدْتُ لأَسْبابِ المَنِيَّةِ أعْرِفُ[6]

---

(١) العاشية: الراعية من الإبل عشاءً.

(٢) البطان: الممتلئة البطون من الشبع.

(٣) المحبَّر: الموشّى.

(٤) لم يتعيّفوها: لم يزجروها.

(٥) النشز: المرتفع من الأرض. والوجيف: ضرب من السير.

(٦) أعرف: أصبر.

وحتى رأيتُ الجُوعَ بالصَّيْفِ ضَرَّني إذا قُمْتُ تَغْشانِي ظلالٌ فأسْدِفُ[١]

وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة: خرج سُلَيك في الشهر الحرام حتى أتى عُكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه، ثم خرج متفضّلاً مترجلاً، فجعل يطوف الناس ويقول: مَن يصف لي منازل قومه، وأصف له منازل قومي؟ فلقيه قيسُ بنُ مكشوحِ المراديُّ، فقال: أنا أصف لك منازل قومي، وَصِف لي منازل قومك، فتواقفا، وتعاهدا ألا يتكاذبا. فقال قيسُ بن المكشوح: خذ بين مهَبِّ الجنوب والصَّبا، ثم سِرْ حتى لا تدري أين ظل الشجرة، فإذا انقطعَت المياه فسِر أربعاً حتى تبدو لك رملةٌ وقفتٌ[٢] بينها الطريق، فإنك ترد على قومي مراد وخثعم. فقال السُّلَيك: خُذ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء، فَثمّ منازل قومي بني سعدِ بن زيدِ مناة. فانطلق قيسٌ إلى قومه فأخبرهم الخبر، فقال أبوه المكشوح: ثِكلتْك أمك. هل تدرِي من لقيت؟ قال: رجلاً فُضُلاً[٣] كأنما خرج من أهله، فقال: هو والله سليك بن سعْد.

فاستعلق واستعوى السلَيك قومه فخرج أحماس[٤] من بني سعد وبني عبد شمس ـ وكان في الربيع يعمِد إلى بَيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز. قال: فإذا غزا في الصيف مرّ به فاستثاره ـ فمرّ بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا: يا سلَيك أهلكتنا ويحك! قال: قد بلغتُم الماء، ما أقربكم منه! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه طلبه فلم يجده، وجعل يتردد في طلبه. فقال بعض أصحابه لبعض: أين يقودكم هذا العبد؟ قد والله هلكتُم، وسمع ذلك. ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنهم، فهمّ السلَيك بقتل بعضهم، ثمّ أمسك. فانصرفَت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد. قال: ومضى السلَيك في بني مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له: صُرَد. فلمَّا رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السُّلَيك، حتى إذا دنَوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقة صُرَد في جوف الليل، فخرج في طلبها، فأصابه أُناس حين أصبح، فإذا هم مراد وخثعم، فأسروه، ولحقه السلَيك فاقتتلوا قتالاً شديداً. وكان أولَ مَنْ لقيه

(١) أسدف: أظلمت عيناه من الجوع.
(٢) القفت: ما ارتفع من الأرض.
(٣) فُضُل: في ثوب واحد.
(٤) الأحماس: الشجعان.

قيسُ بن مكشوح، فأسره السلَيك بعد أن ضربه ضربة أشرفَت على نفسه، وأصاب من نَعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه، وأصاب أمّ الحارث بنتَ عوف بنِ يربوعٍ الخثعمية يومئذ، واستنقذ صُرَد من أيدي خثعم، ثم انصرف مسرعاً، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحي، وهم أكثر من الذين شهدوا معه، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا. وقال السليك في ذلك: [الطويل]

بَكَى صُرَدٌ لما رَأى الحَيَّ أعْرَضَتْ ... مَهامِهُ رَمْلٍ دُونهمْ وسُهُوبُ[1]
وَخَوَّفَهُ رَيّبَ الزَّمانِ وَفَقْرَهُ ... بلادُ عَدُوٍّ حاضِرٍ وجَدُوبُ
ونأيٌ بَعيدٌ عن بلادِ مُقاعِسٍ ... وأنَّ مخاريقَ الأمُورِ تَريبُ
فَقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنَّها ... قَضِيَّةُ ما يُقْضَى لها فتثوبُ
سَيَكْفِيكَ فَقدَ الحَيِّ لَحْمٌ مُغَرَّضٌ ... وماءُ قُدُورٍ في الجِفانِ مَشُوبُ[2]
ألَمْ تَرَ أنَّ الدَّهْرَ لونانِ لَوْنُهُ ... وَطَورانِ بِشْرٌ مَرَّة وكَذوبُ
فما خَيْرُ من لا يَرْتَجِي خَيْرَ أوْبَةٍ ... وَيُخْشَى عليهِ مِرْيَةٌ وَحُروبُ[3]
رَدَدْتُ عليهِ نَفْسَهُ فكأنَّما ... تلاقَى عليهِ مَنْسِرٌ وسَرُوبُ[4]
فَما ذرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى أرِيتُهُ ... قُصارَ المَنايا وَالغبارُ يَثُوبُ[5]
وَضارَبْتُ عَنْهُ القَوْمَ حَتَّى كأنَّما ... يُصَعِّدُ في آثارِهِمْ وَيَصُوبُ[6]
وَقُلْتُ لَهُ خُذْ هَجْمَةً حِمْيَرِيَّةً ... وأهْلاً ولا يَبْعُدْ عليكَ شَرُوبُ[7]
وَلَيْلَةَ جابانٍ كَرَرْتُ عَلَيْهِمُ ... على ساعَةٍ فيها الإيابُ حَبِيبُ[8]
عَشِيَّةَ كَرَّتْ بالحَرامِيِّ ناقَةٌ ... بِحَيَّ هَلاً تُدْعَى بِهِ فَتُجِيبُ
فَضارَبْتُ أولى الخَيْلِ حتى كأنَّما ... أُمِيلَ عليها أيْدَعٌ وَصَبِيبُ

الأيدع: دم الأخوين، والصبيب: الحِناء.

---

(١) المهامه: جمع مهمه، وهو الصحراء الواسعة.
(٢) الفقد: شراب من زبيب. ولحمٌ مُغَرَّض: لحم طريّ.
(٣) المرية: جماعة من الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين.
(٤) المنسر: قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير. والسروب: جماعات الخيل.
(٥) القصار: الغاية.
(٦) يصوب: ينحدر.
(٧) الهجمة: جماعة من الإبل.
(٨) جابان: مخلاف باليمن، وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٢/ ٩٠).

[قدرته على الاحتمال]

قال أبو عبيدة: وبلغني أن السّليك بنَ السُّلَكة رأته طلائع جيش لبَكرِ بن وائل، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد، فقالوا: إن علِم السّليك بنا أنذر قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلمّا هايجاه خرج يمحَص كأنه ظبي، وطارداه سحابة يومه، ثم قالا: إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قَصّر عن العدْو، فنأخذه.

فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها، فندرت قوسه فانحطمت، فوجدا قِصْدة[١] منها قد ارتزّت[٢] بالأرض، فقالا: ما له، أخزاه الله؟ ما أشدّه! وهمّا بالرجوع، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاجّ[٣] قد بال فرَغدا في الأرض وخدّها فقالا: ما له قاتله الله؟ ما أشد متنَه! والله لا نتبعه أبداً، فانصرفا. ونمى إلى قومه وأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية، فأنشأ يقول: [الطويل]

يُكَذِّبني العَمْرانِ عَمْرُو بْنُ جندبٍ ... وعمرُو بن سَعْدٍ وَالمُكَذِّبُ أكْذَبُ
لَعَمْرُكَ ما ساعَيْتُ مِنْ سَعْيِ عاجِزٍ ... ولا أنا بالوَاني فَفِيمَ أكَذَّبُ؟
ثَكِلْتُكُما إنْ لَمْ أكُنْ قَدْ رأيْتُها ... كراديسَ يُهْدِيها إلى الحَيِّ مَوْكِبُ[٤]
كراديسَ فيها الحَوْفَزانِ وَقَوْمُهُ ... فَوارِسُ همَّامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا

ـ يعني الحَوْفَزان بن شريك الشيباني ـ

تَفاقَدْتُمُ هَلْ أنْكرنَّ مُغِيرَةً ... مَعَ الصُّبْحِ يُهْدِينَ أشْقَرُ مُغْرِبُ؟[٥]

تفاقدتم: يدعو عليهم بالتفاقد.

قال، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم.

قال: وكان يقال للسّلَيك: سلَيك المقانب، وقد قال في ذلك فرار الأسديّ ـ وكان قد وجد قوماً يتحدثون إلى امرأته من بني عمها فعقرها بالسيف، فطلبه بنو

---

(١) القِصْدة: القطعة مما يكسر.
(٢) ارتزّت: ثبتت.
(٣) متفاجّ: متباعد ما بين رجليه.
(٤) كراديس: جمع كردوسة: وهي القطعة العظيمة من الخيل.
(٥) المُغْرِب: الذي يأتي المغرب. والذي يجري فرسه إلى أن يموت.

عمها فهرب ولم يقدروا عليه ـ فقال في ذلك: [الطويل]

لَـزُوار لـيـلَـى مـنـكـم آل بـرثُـن ... على الهَوْلِ أمْضَى من سُلَيكِ المَقانبِ
يـزورونـهـا ولا أزورُ نـسـاءَهُـمْ ... ألـهـفـي لأولادِ الإمـاءِ الـحَـواطِـبِ

وقال أبو عبيدة: أغار السلَيك على بني عَوار بطن من بني مالك بن ضُبَيعة، فلم يظفر منهم بفائدة، وأرادوا مساورته. فقال شيخ منهم: إنه إذا عدا لم يُتعلق به، فدعوه حتى يرد الماء، فإذا شرب وثقُل لم يستطع العَدْو، وظفرتم به. فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب، ثم بادروه، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولَج على امرأة منهم يقال لها: فُكَيهة، فاستجار بها، فمنعته، وجعلته تحت دِرعها[1] واخترطت السيف، وقامت دونه، فكاثروها فكشفَت خِمارها عن شعرها، وصاحت بإخوتها فجاءوها، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل، فقال السّليك في ذلك: [الوافر]

لـعـمـرُ أبـيـك والأنـبـاءُ تَـنْـمـى ... لَـنِـعْـمَ الـجـارُ أخْـتُ بـنـي عُـوارا
مـن الـخـفِـراتِ لـم تَـفْـضَـحْ أبـاهـا ... ولـم تَـرْفَـعْ لإخـوتـهـا شَـنـارا[2]
كـأنَّ مَـجـامِـعَ الأردافِ مـنـهـا ... نَـقـاً دَرجَـتْ عـلـيـهِ الـريـحُ هـارا[3]
يـعـافُ وِصـالَ ذاتِ الـبَـذْلِ قَـلْـبِـي ... وَيَـتَّـبِـعُ الـمُـمَـنَّـعَـةَ الـنَّـوارا
ومـا عـجـزتْ فُـكَـيْـهَـةُ يـوم قـامَـتْ ... بـنـصـلِ الـسَّـيْـفِ واسـتـلـبوا الـخِـمـارا

أخبرني الأخفشُ عن السكّريِّ عن أبي حاتم عن الأصمعيِّ أن السلَيك أخذ رجلاً من بني كنانَة بنِ تَيم بن أُسامة بن مالكِ بن بكر بنِ حبيبِ بنِ غَنْمِ بن تغلب يقال له النعمانُ بنُ عُقْفانَ، ثم أطلقه وقال: [الوافر]

سـمـعـتُ بـجـمـعـهـم فَـرَضَـخْـتُ فـيـهـم ... بـنُـعـمـانَ بـن عُـقْـفـانَ بـنِ عَـمْـرو[4]
فـإنْ تَـكْـفُـرْ فـإنّـي لا أُبـالـي ... وإنْ تَـشْـكُـرْ فـإنـي لـسـت أدري

قال: ثم قدِم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير، وهُم بماء لهم يقال له قُباقِبٌ، خلف البِشْر، فأتاه نعمان بابنيه الحكَمِ وعثمانَ ـ وهما سيدا بني كنانة ـ

(١) الدِّرع: القميص.
(٢) الخَفِرَة: الشديدة الحياء. والشنار: العار.
(٣) النَّقا: القطعة من الرمل المحدودبة. وهار: تهافت وانهار.
(٤) الرضخ: الإعطاء القليل. والمراد هنا: أنه أطلقه لهم، ومنّ به عليهم.

ونائلةَ ابنتِه، فقال: هذان وهذه لك، وما أملك غيرهم، فقالوا: صدق، فقال: قد شكرتُ لك وقد رددتُهم عليك.

فجمعَتْ له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه، ثم قالوا له: إن رأيت أن ترينا بعض ما بقي من إحضارك[١]. قال: نعم، وأبغوني أربعين شاباً، وأبغوني درعاً ثقيلة، فأتوه بذلك، فلبس الدرع، وقال للشبان: الحقوا بي إن شئتم. وعَدا، فلاث العدوَ لَوثاً، وعدَوا جَنبَته فلم يلحقوه إلا قليلاً، ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد إلى الحي هو وحده يُحضر والدرع في عنقه تَضْرب كأنها خِرْقة من شدة إحضاره.

أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي، عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدم.

[مقتله]

وقال السكّري في خبر مَقتله: إنه لقي رجلاً من خَثْعم في أرض يقال لها فخة، بين أرض عُقَيل وسعد تميم، وكان يقال للرجل مالكُ بنُ عمير بن أبي ذراع بنِ جُشَمَ بنِ عوف، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها: النَّوار، فقال له الخثعمي: أنا أفدي نفسي منك، فقال له السلَيك: ذلك لك، على ألا تَخيس بي، ولا تطلع عليّ أحداً من خَثعم، فحالفه على ذلك، ورجع إلى قومه، وخلّف امرأته رهينة معه، فنكحها السلَيك، وجعلَت تقول: احذر خثعم؛ فإني أخافهم عليك، فأنشأ يقول: [الطويل]

تُحَذِّرني كي أحْذَرَ العامَ خثعما ... وقد عَلِمَت أني امرؤٌ غير مُسْلَم
وما خثعمٌ إلا لئامٌ أذلَّةٌ ... إلى الذُّلِّ والإِسحاقِ تَنْمِي وتنتمي[٢]

قال: وبلغ ذلك شبلَ بن قلادة بن عمر بن سعد، وأنسَ بنَ مدرك الخثعميَّين، فخالفا إلى السليك، فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل، فأنشأ يقول:

[الرجز]

مَن مبلغ جِذمي بأنِي مقتولْ؟

(١) الإحضار: العدو.
(٢) الإسحاق: الإبعاد.

يـا رُب نَـهـب قـد حـويـتُ عُـثـكـولْ[١]
ورُبّ قِـرنٍ قــد تــركــتُ مَــجْــدُولْ
وربَّ زَوْجٍ قـد نَـكَـحْـتُ عُـطـبـول[٢]
وربَّ عـانٍ قـد فـكـكـتُ مـكـبـول[٣]
وربَّ وادٍ قــد قــطــعــتُ مــســبــول

قال أنس للشبل: إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل، وإن شئت اكفني القوم أكفك الرجل. قال: بل أكفيك القوم، فشد أنس على السلَيك فقتله، وقتَل شبل وأصحابُه من كان معه.

وكاد الشرّ يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك، لأنه كان أجاره حتى وَداه[٤] أنس لمّا خاف أن يخرج الأمر من يده، وقال: [البسيط]

كم مِن أخٍ لي كريـمٍ قد فُجِعْتُ بـه ... ثـم بَـقِـيـتُ كـأنّـي بَـعْـدَهُ حَـجَـرُ
لا أستـكـيـنُ عـلـى رَيْـبِ الزّمـانِ ولا ... أُغْـضِي عـلى الأمْرِ يأتي دونه القَدَرُ
مِـرْدَى حُـروبٍ أُدِيـرُ الأمْـرَ حـابِـلَـهُ ... إذ بَـعْـضُـهُـمْ لأمُـورٍ تَـغْـتَـرِي جَـزَرُ
قـد أطْعَـنُ الـطّـعـنـةَ الـنجـلاءَ أُتْـبِعُـهـا ... طَرْفاً شـديداً إذا ما يَشْخَصُ البصرُ
ويـومَ حـمـضـة مـطـلـوب دلـفـتُ لَـهُ ... بـذات وَدْقـيـن لـمـا يُـعْـفـهـا الـمَـطَـرُ

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه:

إنـي وقـتـلـي سُـلَـيـكـاً ثـم أعـقِـلَـهُ

كما ذَكَره مَن روينا عنه ذلك.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ عن عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمَعيّ عن عمه، فذكر ما تقدم.

قال أبو عبيدة: وحدثني المنتجِعُ بنُ نَبهان قال: كان السُّلَيك يعطي عبدَ

---

(١) العثكول: العذق. والنهب العثكول: أي المتنوع.
(٢) عطبول: فتيّة جميلة طويلة العنق.
(٣) العاني: الأسير.
(٤) وداه: أعطى ديتهُ. والدِّية: حق القتيل من المال.

الملك بنَ مُوَيلكٍ الخثعميَّ إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوزَ بلاد خثعم إلى مَن وراءهم من أهل اليمن، فيُغيرَ عليهم. فمرّ قافلاً من غزوة فإذا بَيت من خثعم أهلُه خُلوف[١] وفيه امرأة شابة بَضّة، فسألها عن الحي فأخبرتْه، فتسمنها، أي علاها، ثم جلس حَجْرةً[٢]، ثم التَقم المَحجّة[٣]، فبادَرتْ إلى الماء فأخبَرتْ القوم، فركب أنس بنُ مُدركٍ الخثعمي في طلبه فلحقه، فقتله. فقال عبد الملك: والله لأقتلَنَّ قاتله أو لَيَدِينّه، فقال أنس: والله لا أدِيه ولا كرامة، ولو طلب في ديته عِقالاً لما أعطيته. وقال في ذلك: [البسيط]

إني وقتلي سُلَيكاً ثم أعقِلَهُ ... كالثور يُضرَبُ لما عافَتِ البقرُ
غضبتُ للمرءِ إذ نِيكَتْ حَلِيلَتُهُ ... وإذ يُشَدُّ على وَجعائها الثَّفَرُ[٤]
إنّي لتاركُ هاماتٍ بِمَجْزَرَةٍ ... لا يَزْدَهِيني سوادُ اللّيْلِ وَالقَمَرُ[٥]
أغشى الحروب وسِربالي مضاعفَة ... تغشى البنانَ وسيفي صارم ذكر

أخبرني ابنُ أبي الأزهر عن حمادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن فُلَيح بن أبي العوراء قال: كان لي صديق بمكة، وكنا لا نفترق ولا يكتم أحد صاحبه سرّاً، فقال لي ذات يوم: يا فُلَيح، إني أهوى ابنة عم لي ولم أقدر عليها قطّ، وقد زارتني اليوم فأحبّ أن تَسُرّني بنفسك، فإني لا أحتشمك. فقلت: أفعل. وصرت إليهما، وأُحضر الطعام فأكلنا، ووُضع النبيذ فشربنا أقداحاً، فسألني أن أُغنيهما، فكأن الله ـ عزّ وجلّ ـ أنساني الغناء كلّه إلا هذا الصوت: [الوافر]

مِنَ الخفِرات لم تَفْضَحْ أباها ... ولم تُلْحِق بإخوَتها شَنارا

فلما سمعَته الجارية قالت: أحسنت يا أخي، أعِد فأعدتُه. فوثبَتْ وقالت: أنا إلى الله تائبة، والله ما كنت لأفضح أبي ولا لأرفع لإخوتي شناراً. فجهَدَ الفتى في رجوعها فأبَت وخرجَت، فقال لي: ويحك ما حملك على ما صنعتَ؟ فقلت: والله ما هو شيء اعتمدتُه، ولكنه أُلقي على لساني لأمر أُريدَ بك وبها. هكذا في الخبر المذكور.

---

(١) الخَلوف: الحي الذي خرج رجاله وبقي نساؤه في الحيّ.
(٢) حَجرةً: ناحيةً.
(٣) التقم المحجة: استقبلها، وراح يطويها كأنه يلتقمها.
(٤) الثفر: السير في مؤخر السرج.
(٥) لا يزدهيني: لا يستخفّني.

وقد رواه غير من ذكرتُه عن فُلَيح بنِ أبي العوراء، فأخبرني اليزيديّ عن عمه عبيد الله قال: كان إبراهيم بن سعدان يؤدب ولد عليِّ بنِ هشام، وكان يغَني بالعود تأدباً ولعباً، قال: فوجّه إليّ يوماً عليُّ بنُ هشام يدعوني، فدَخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنَّرْد، فرجعت عجلاً، فصاح بي: ادخل، فدخلْت، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه فقال: خذ عوداً وغنّ لنا، ففعلت، ثم غنيت في وَسَط غنائي:

مِنَ الخفِراتِ لِمْ تَفْضَحْ أباها ... ولم تَرْفَع لإخْوَتِها شَنَارا

فوثبت من بين يديه، وغطّت رأسها، وقالت: إني أُشهد الله أني تائبة إليه، ولا أفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً. ففَتَر عليّ بن هشام ولم ينطق وخرجَتْ من حضرته، فقال لي: ويلك، مِن أين صبّك الله عليّ؟ هذه مغنية بغداد، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا اليوم، فجئتني بهذا الصوت حتى هربَت. فقلت: والله ما اعتمدتُ مَساءتك، ولكنه شيء خطر على غير تعمد.

صوت

[الطويل]

أمَسلَم إنّي يابنَ كُلّ خَليفَةٍ ... ويا جَبَلَ الدُّنيا ويا مَلِكَ الأرْضِ
شَكَرْتُكَ إنَّ الشُّكْرَ حَظٌّ مِنَ التُّقَى ... وما كُلُّ مَنْ أوليتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي

الشعر لأبي نُخيلة الحِماني، والغناء لابن سُرَيج، ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي.

أخبار أبي نخيلة ونسبه

[توفي نحو سنة ١٤٥ هـ/ سنة ٧٦٢ م]

[اسمه وكنيته ونسبه]

أبو نُخيلةَ اسمه لا كنيته، ويكنى أبا الجُنيد، ذكر الأصمعي ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيب، لا يعرف له اسم غيره، وله كنيتان: أبو الجُنيد وأبو العِرماس، وهو ابن حزن بنِ زائدةَ بنِ لقيط بن هَرِمِ بنِ يَثْربيّ، وقيل: ابن أثربي بنِ ظالِم بنِ مُجاسرِ بنِ حمّاد بنَ عبد العُزى بنِ كَعبِ بنِ لُؤي بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بنِ تميم. وكان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه. وكان الأغلب عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير.

ولما خرج إلى الشأم اتصل بمَسْلَمة بنِ عبد الملك[١]، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنَوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم. انقطع إلى بني هاشم، ولَقّب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثر.

وكان طامعاً[٢]، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل، فطلبه عيسى فهرب منه؛

(١) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. أمير قائد، من أبطال عصره. له فتوحات مشهورة كان يلقب بالجرادة الصفراء. (توفي سنة ١٢٠ هـ) (انظر تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٤٤، ونسب قريش ١٦٥).

(٢) طامعاً: حريصاً كثير الطمع.

وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده.

أخبرني هاشمٌ الخُزاعي عن عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال: رأى أبو نُخيلة على شَبيب حلة فأعجبَته، فسأله إياها، فوعده ومطله، فقال فيه: [الرجز]

يا قوم لا تُسوّدوا شبيبا الخائنَ ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الذِّيبة إلا الذيبا؟

قال: فبلغه ذلك، فبعث إليه بها فقال: [الرجز]

إذا غَدَتْ سَعْدٌ على شَبِيبِها على فتاها وعلى خَطِيبها
مِن مَطْلعِ الشَّمْسِ إلى مَغيبها عَجِبْتَ من كَثْرَتها وَطِيبها

حدثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ عن عمر بن شَبَّة، قال: حدثني الرِّعل بن الخطاب قال: بنى أبو نخيلة داره، فمرّ به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة، ومودة وكيدة، فوقف عليه. فقال أبو نخيلة: يابن صفوان، كيف ترى داري؟ قال: رأيتك سألتَ فيها إلحافاً(١)، وأنفقتَ ما جمعت إسرافاً. جعلتَ إحدى يديك سَطحاً، وملأتَ الأُخرى سَلحاً، فقلتَ: مَن وضع في سَطحي وإلا ملأتُه بسَلْحي، ثم ولّى وتركه.

فقيل له: ألا تهجوه؟ فقال: إذن والله يركب بغلته، ويطوف في مجالس البصرة، ويصف أبنيتي بما يعيبها. وما عسى أن يضرّ الإنسان صفةُ أبنيته بما يَعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة.

[بينه وبين مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسنُ بنُ علي الخَفّاف عن ابن مَهْرُويه عن أبي مسلم المستملي عن الجِرْمازي عن يحيى بن نجيم قال: لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه، فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما، وسار شعره في البدو والحضر، ورواه الناس. ثم وفد إلى مَسْلمةَ بنِ عبد الملك فرفع منه، وأعطاه، وشفع له، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك، فمدحه، ولم يزل به حتى أغناه. قال يحيى بن نجيم: فحدثني أبو نخيلة قال: وردت على

(١) إلحافاً: إلحاحاً.

مَسلمة بن عبد الملك فمدحته، وقلت له: [الطويل]

أَمَسْلَمَ إني يا بنَ كُلِّ خليفةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا جبلَ الأرْضِ
شَكَرْتُكَ إنّ الشكر حبلٌ من التُّقَى وما كُلُّ من أوليتَهُ نعمةً يَقْضِي
وألقيتَ لَمّا أن أتيتُك زائراً عليّ لحافاً سابغَ الطُّولِ والعَرْضِ
وأحييتَ لي ذكري وما كانَ خاملاً ولكنَّ بعض الذكرِ أنْبَهُ من بَعْضِ

قال: فقال لي مسلمة: ممن أنت؟ فقلت: من بني سعد. فقال: ما لكم يا بني سعد والقصيد وإنما حظكم في الرجز؟ قال: فقلت له: أنا والله أرجز العرب! قال: فأنشدني من رجزك، فكأني والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قطّ، أنسانيه الله كلَّه، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة، فظننتُ أنها لم تَبلغ مَسْلَمة، فأنشدته إياها، فنكس رأسه وتَتَعتعت، فرفع رأسه إليّ وقال: لا تُتعب نفسك، فأنا أروَى لها منك، قال: فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير، فعرفني وقرّبني. وما رأيت ذلك أثر فيه ـ يرحمه الله ـ ولا قَرّعني به حتى افترقنا.

وحدثني أبو نخيلة قال: لما انصرف مَسْلَمة من حرب يزيدَ بنِ المهلب تلقيته، فلما عاينته صحت به: [الرجز]

مَسْلَمَ يا مَسْلَمةَ الحُروبِ أنتَ المصفَّى من أذى العيوبِ
مُضاضَةٌ من كَرَمٍ وَطِيبِ لولا ثقاف ليس بالتدبيب[1]
تَفْرِي بهِ عن حُجُبِ القلوبِ لأمستِ الأمَّةُ شاءَ الذِّيبِ[2]

فضحك وضمّني إليه، وأجزل صلتي. حدثني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا عبدُ الرحمٰن ابنُ أخي للأصمَعي عن عمه، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بنُ عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثني عليُّ بنُ محمد النَّوفلي عن أبيه ـ وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي، قال: قال أبو نخيلة: وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات، وكنت بأخلاق هشام غِرّاً وأنا غريب، فسألت عن أخص الناس به، فذُكر لي رجلان: أحدهما من قيس، والآخر من اليمن. فعدلْتُ إلى القيسي بالتؤدة فقلت: هو أقربهما إليّ، وأجدرهما بما أُحب؛ فجلست إليه، ثم

---

(١) الثقاف: ما تسوّى به الرماح.
(٢) تفري: تشقّ.

وضعت يدي على ذراعه وقلت له: إني مَسِستك لتمَسّني رحمك. أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك، وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة، وأحببت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعني عنده، وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه، فقال: ذلك كلُّه لك عليّ. وفي الرجل شِدة، ليس كَمَن عهدت من أهله، وإذا سئل وخُلط مدحه بطلب حَرم الطالب، فأخلص له المدح، فإنه أجدَر أن ينفعكَ، واغدُ إليه غداً فإني منتظرك بالباب حتى أُوصلك، والله يعينك. فصرتُ من غد إلى باب هشام، فإذا بالرجل منتظر لي، فأدخلني معه، وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله: [الرجز]

إلى هشامٍ وإلى مروانِ ... بيتانِ ما مثلهما بيتانِ
كَفّاكَ بالجودِ تَبارِيانِ ... كما تبارَى فَرَسا رِهانِ
مال علِيّ حَدَثُ الزمانِ ... وبيعَ ما يغلو من الغلمانِ
بالثمنِ الوَكْسِ من الأثمانِ ... والمُهْرِ بعدَ المُهرِ والحصانِ

قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينتُ الكراهة في وجهه.

[أبو نخيلة يمدح هشاماً فيجيزه]

ثم استأذنتُ فأذن لي، فأنشدته:

لما أتتني بغيةٌ كالشَّهْدِ ... والعسلِ الممزوج بعد الرَّقْدِ[1]
يا بَرْدَها لِمُشْتَفٍ بالبَرْدِ ... رَفَعْتُ من أطمارِ مُسْتَعِدّ
وقلتُ لِلْعِيسِ اغتَلِي وَجِدِّي ... فَهْي تخدّي أبْرَحَ التَّخَدِّي[2]
كم قد تَعَسَّفتُ بها من نَجْدِ ... ومُجْرَهِدّ بعد مُجْرَهِدّ[3]
قد ادَّرَعْنَ في مَسِيرٍ سَمْدِ ... لَيْلاً كلَونِ الطَّيْلَسانِ الجَرْدِ[4]
إلى أمِيرِ المؤمنينَ المُجْدِي ... رَبِّ مَعَدّ وَسِوَى مَعَدِّ
ممن دعا مِن أصيدٍ وعبدِ ... ذي المجد والتشريف بعد المجد[5]

(١) الرقد: الرقاد.
(٢) تخدى: تسرع. وتزجّ بقوائمها.
(٣) مجرهد: مكان لا نبات فيه.
(٤) سَمْد: مستمر في السير. والجَرد: الخَلق.
(٥) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبراً.

فـي وجـهـه بـدر بـدا بـالـسّـعْـدِ أنـت الـهُـمـام الـقَـرْمُ عـنـد الـجِـدِّ[(١)]
طُـوِّقـتَـهـا مُـجْـتَـمِـعَ الأشُـدِّ فـانْـهَـلَّ لـمـا قُـمْـتَ صَـوْبُ الـرَّعْـدِ

قال: حتى أتيت عليها وهممت أن أسأله، ثم عزفَتْ نفسي وقلت: قد استنصحتُ رجلاً، وأخشى أن أُخالفه فأُخطىء، وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً. فلما فرغتُ أقبل على جلسائه فقال: الغلام السّعديّ أشعر من الشيخ العِجْلي، وخرجت. فلما كان بعدَ أيام أتتني جائزته، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها فألقى عليّ جُبّةَ خَز من جِبابه مبطنةً بِسَمّور، ثم دخلت عليه يوماً آخر، فكساني دُوّاجاً[(٢)] كان عليه من خَز أحمر مبطنٍ بسَمّور، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء، فحملتني نفسي على أن قلت له: [الرجز]

كَـسَـوْتَـنِـيـهـا فـهـي كـالـتِّـجـفـاف مـن خَـزِّك الـمَـصُـونَـةِ الـكِـثـاف[(٣)]
كـأنَّـنـي فـيـهـا وفـي الـلِّـحـاف مـن عـبـد شـمـس أو بـنـي مـنـاف
والـخَـزّ مـشـتـاق إلـى الأفـواف[(٤)]

قال: فضحك ـ وكانت عليه جبة أفواف ـ وأدخل يده فيها ونزعها ورمَى بها إليّ؛ وقال: خذها، فلا بارك الله لك فيها.

قال محمدُ بنُ هشام في خبره خاصة: فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيّرها وجعلها فيه ـ يعني الأرجوزة الدالية ـ فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح.

[حكايته مع الفرزدق]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني أبو عمر الخصاف عن العتبي قال: لما حبَس عمرُ بن هُبَيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يشفِّع فيه أحداً، فدخل عليه أبو نُخَيلة في يوم فِطر، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

---

(١) القرم: السيد.
(٢) الدّوّاج: الثوب الواسع الذي يغطي الجسد كله.
(٣) التجفاف: آلة تلبس في الحرب للوقاية.
(٤) الأفواف: البرود اليمنية، والثياب الرقيقة.

أطلقتَ بالأمسْ أسِيرَ بَكر فهلْ، فَداكَ نَفَري وَوفْري
مِن سَبَبٍ أو حُجّةٍ أو عُذْرِ يُنْجي التميميَّ القليلَ الشكرِ
مِنْ حَلَق القيد الثّقال السُّمر ما زال مجنوناً على است الدهر
ذا حَسَبٍ ينمو وعقلٍ يَحْرِي هَبْهُ لأخوالِكَ يومَ الفِطْرِ(١)

قال: فأمر بإطلاقه، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر(٢) قد أُفسد، فشفعَتْ فيه بكرُ بن وائل فأطلقه، وإياه عنى أبو نُخَيلة. فلما أُخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأُخبر، فرجع إلى الحبس وقال: لا أريمه ولو مت. انطلق قَبلي بكري وأُخرجتُ بشفاعة دَعِيّ(٣)، والله لا أخرج هكذا ولو من النار! فأُخبر ابنُ هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه، وقال: وهبتك لنفسك. وكان هجاه فحبسه لذلك، فلما عُزل ابن هُبَيرة وحُبس مدحه الفرزدق، فقال: ما رأيت أكرم منه، هجاني أميراً ومدحني أسيراً.

وجدت هذا الخَبر بخَط القاسم بن يوسف، فذكر أن أبا القاسم الحضرَميّ حدّثه أن هذه القصة كانت لأبي نُخَيلة مع يزيدَ بن عُمَر بنِ هُبَيرة، وأنه أُتي بأسيرين من الشُّراة أُخذا بعين التمر: أحدهما أبو القاسم بنُ بِسطام بن ضِرار بن القعقاع بن معبَد بن زُرارة، والآخر رجل من بكر بن وائل. فتكلم في البكري قومُه فأطلقه، ولم يتكلم في التميميّ أحد، فدخل عليه أبو نخيلة فقال:

الحمدُ لله وَليِّ الأمْرِ هو الَّذي أخْرَجَ كُلَّ غِمْرِ(٤)
وكُلَّ عُوّارٍ وَكُلَّ وَغْرِ مِنْ كُلِّ ذي قَلْبٍ نَقِيِّ الصَّدْرِ(٥)
لما أتتْ من نحو عين التمر سِتُّ أثافٍ، لا أثافي القِدْرِ(٦)
فظلّت القضبان فيهم تجري هَبْراً هو الهبر وفوق الهَبْرِ(٧)
إنّي لَمُهْدٍ للإمامِ الغَمْرِ شِعْرِي ونُصْحَ الحُبِّ بعدَ الشِّعْرِ(٨)

(١) يحري: ينقص.
(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة. انظر (معجم البلدان ٤/١٧٦).
(٣) الدّعيّ: المشكوك في نسبه.
(٤) الغِمر: الحقد.
(٥) العُوّار: الفساد. وأصل العوار: اللحم ينزع من العين. والوَغر: الضغينة والحقد.
(٦) الأثافي: الأحجار التي توضع عليها القِدر. واحدتها أثفية.
(٧) الهبر: قطع اللحم.
(٨) الغَمْر: الكريم الخلق.

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذُكرت في الخبر المتقدم.

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ أحمدُ بنُ محمد قال: حدثني محمد بن صالح بن النّطاح قال: ذكر عن العتبي أن أبا نُخَيلة حج ومعه جَرِيب من سَوِيق قد حلاّه بِقَنْد[1]، فنزل منزلاً في طريقه، فأتاه أعرابي من بني تميم وهو يقلب ذلك السّويق، واستحيا منه فعرض عليه، فتناول ما أعطاه فأتى عليه، ثم قال: زدني يابن أخ، فقال أبو نُخَيلة: [الرجز]

لـمّـا نَـزَلْـنـا مـنـزلاً مَـمْـقُـوتـا نُـرِيـدُ أن نَـرْحَـلَ أو نَـبـيـتـا
جِـئْـتَ ولـم نَـدْرِ مـن أيْـنَ جِـيـتـا إذا سُـقِـيَـتَ الـمُـزْبِـدَ الـسّـحْـتِـيـتـا[2]
قـلـتَ ألا زِدنـي وقـد رَوِيـتـا

فقام الأعرابيّ وهو يسبّه.

وحدثني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان أبو نُخَيلة إذا نزل به ضيف هجاه، فنزل به يوماً رجل من عشيرته، فسقاه سويقاً قد حلاّه، فقال له: زدني، فزاده. فلما رحل هجاه، وذكر الأبيات بعينها. وقال في الخبر: قال أبو عبيدة: السِّحتيت: السويق الدُّقَاق.

[اعتذاره للسفاح]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال: حدثني ابن عائشة قال: دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس السفاح فسلّم، واستأذن في الإنشاد، فقال له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك، إنما تنشدنا فضلات بني مروان، فقال: يا أمير المؤمنين: [الرجز]

كُـنّـا أُنـاسـاً نَـرْهَـبُ الأمْـلاكَـا إذْ رَكِـبُـوا الأعْـنـاقَ والأوراكـا
قَـدِ ارْتَـجَـيْـنـا زَمَـنـاً أبـاكـا ثـم ارْتَـجَـيْـنـا بَـعْـدَهُ أخـاكـا
ثـم ارْتَـجَـيْـنـا بـعـده إيّـاكـا وكـانَ مـا قُـلْـتُ لِـمَـنْ سـواكـا
زُوراً فـقـد كـفّـر هـذا ذاكـا

(١) القند: عسل قصب السكر إذا جمد.
(٢) السِّحتيت: السويق القليل الدسم.

فضحك أبو العباس، وأجازه جائزة سنية، وقال: أجل، إن التوبة لتكفر ما قبلها، وقد كفّر هذا ذاك.

وأخبرنا أبو الفياض سَوّار بن أبي شراعة قال: حدّثني أبي عن عبد الصمد بن المعذَّل عن أبيه قال: دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس، قال: وكان لا يجترىء عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مَسْلمة إياه، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عَمَّن هو أكبرُ محَلاً من القوم وأعظم جرماً منه، فلما وقف بين يديه سلّم عليه، ودعا له وأثنى، ثم استأذنه في الإنشاد، فقال له: ومن أنت؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين أبو نُخَيلة الحِمّانيّ. فقال: لا حيّاك الله، ولا قرّب دارك يا نِضْو السوء. ألست القائل في مَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك بالأمس: [الطويل]

أَمَسْلَمَ يا مَنْ سَادَ كُلَّ خَلِيفَةٍ ويا فارِسَ الهَيْجَا ويا قَمَرَ الأرْضِ؟

والله لولا أني قد أمّنت نظراءك لما ارتدّ إليك طرفك حتى أخضِبَك بدمك. فقال أبو نخيلة:

كنا أُناساً نَرْهَبُ الأمْلاكا

وذكر الأبيات المتقدمة كلّها مثل ما مضى من ذكرها، فتبسم أبو العباس، ثم قال له: أنت شاعر وطالب خير. وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم، والتوبة تكفر الخطيئة، والظفر يزيل الحقد. وقد عفَونا عنك، واستأنفنا الصنيعة لك. وأنت الآن شاعرنا فاتَّسِم بذلك فيزولَ عنك مِيسم بني مروان، فقد كفّر هذا ذاك كما قلت. ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال: يا مرزوق، أدخله دار الرقيق فخيّره جارية يأخذها لنفسه، ففعل واختار جارية وطفاء[1] كثيرة اللحم فلم يحمدها، فلما كان من غد دخل على أبي العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذبّ[2] عنه، فقال له: قد عرفتُ خبر الجارية التي أخذتَها بالأمس وهي كذناكونه[3] فاحتفظ بها، فأنشأ يقول: [الرجز]

إنِّي وَجَدْتُ الكذنا ذَنُوّكا غَيْرَ مَنِيكٍ فَابْغِني مُنَيِّكا
حتى إذا حَرَّكْتُهُ تَحَرَّكا

---

(١) الوطفاء: الكثيرة شعر الحاجبين والعينين.
(٢) تذبّ عنه: تدفع عنه بالمِذبّة.
(٣) كذنا كونه: اسم الجارية.

فضحك أبو العباس، وقال: خذ هذه الوصيفة، فإنك إذا خلوتَ بها تَحرّك من غير أن تحركه.

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عُبيدة قال: ادّان أبو نخيلة من بقّال له يقال له ماعزٌ الكلابيُّ باليمامة، وكان يأخذ منه أولاً أولاً حتى كثر ما عليه وثقل؛ فطالبه ماعز فمطّله، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة، فارتحل يريد الموصل، وخرج عن اليمامة ليلاً، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث، وقد نجا أبو نُخَيلة وقال في ذلك: [الرجز]

يا ماعِزَ الكُرّاثِ قد خَزِيتا ... لَقَدْ خُدِعْتَ وَلَقَدْ هُجِيتا
كِذْتَ تَخْصِينا فقد خُصِيتا ... وَكُنْتَ ذا حَظٍّ فَقَدْ مُحِيتا
وَيْحَكَ لم تَعْلَمْ بِمَنْ صُلِيتا ... ولا بأيِّ حَجَرٍ رُمِيتا
إذا رَأَيْتَ المُزْبِدَ الهَبوتا ... يَرْكَبُ شِدْقاً شَدْقَماً هَرِيتا[(١)]
طِرْ بجناحَيْكَ فَقَدْ أُتِيتا ... حَرّانَ حَرّانَ فهيتا هِيتا[(٢)]
وَالمَوْصِلَ المَوْصِلَ أو تَكْرِيتا ... حَيْثُ تبيعُ النَّبَطُ البُيوتا[(٣)]
ويأكلون العَدَسَ المَرِيتا[(٤)]

وقال أيضاً لماعز هذا: [الرجز]

يا ماعِزَ القَمْلِ وبَيتَ الذُّلِّ ... بِتْنا وباتَ البَغْلُ في الإصْطَبْلِ
وباتَ شيطانُ القوافِي يُمْلِي ... على امْرِىءٍ فَحْلٍ وغَيْرِ فَحْلِ
لا خَيْرَ في عِلْمِي ولا في جَهْلِي ... لو كانَ أَوْدَى ماعِزٌ بِنَخْلِي
ما زالَ يَقْلِيني وعَيْمِي يَغْلِي ... حتى إذا العَيم رَمَى بالجَفْلِ[(٥)]
طبّقت تطبيق الجُراز النصل

(١) الهبوت: القاهر. والشدق الشدقم: الواسع العظيم. وهريتاً: واسعاً.
(٢) حران: قصبة ديار مُضر بين الرها والرقة وقيل غير ذلك. انظر: (معجم البلدان ٢/ ٢٣٥). وهيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد. انظر: (معجم البلدان ٥/ ٤٢٠).
(٣) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل. (انظر معجم البلدان ٢/ ٣٨).
(٤) المريت: المجروش.
(٥) عيمي: عطشي. ويقليني: يبغضني. ويرمي بالجفل: أي يقذف بكل قبيح.

[بعض أخباره وبعض مدحه وهجائه]

نسخت من كتاب اليوسفيّ: حدثني المنمقُ بن جمّاع عن أبيه قال: كان أبو نُخَيلة نَذلاً يرضيه القليل، ويسخطه، وكان الربيع يُنزله عنده؛ ويأمر سائساً يتفقد فرسه، فمدح الربيع بأرجوزة، ومدح فيها معه سائسه فقال: [الرجز]

لَوْلا أبُو الفَضْلِ وَلَوْلا فَضْلُهُ ... ما اسْطِيعَ بابٌ لا يُسَنَّى قُفْلُهُ[1]
ومن صلاح راشد إصطبلُهُ ... نِعْمَ الفَتَى وَخَيْرُ فِعْلٍ فِعْلُهُ
يَسْمَنُ منه طِرفه وبغله[2]

فضحك الربيع، وقال: يا أبا نُخَيلة أترضى أن تَقرِن بي السائس في مديح! كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك!

قال: ونزل أبو نُخَيلة بسليمان بنِ صعصعةَ، فأمر غلامه بتعهده، وكان يغاديه ويراوحه في كل يوم بالخبز واللحم، فقال أبو نخيلة يمدح خبّاز سليمانَ بنِ صعصعة: [الرجز]

بارَكَ رَبِّي فِيكَ من خَبَّاز ... ما زِلْتَ إذْ كنتَ على أوْفاز[3]
تَنْصَبُّ بالْلَحمِ انصِبابَ البَاز

أخبرني هاشم بنُ محمّدٍ الخزاعيُّ قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تِينةُ قال: حدثنا أحمدُ بنُ المعذَّل عن عليّ بن أبي نُخَيلة الحِمانيّ قال:

دخلتُ مع أبي إلى أرض له وقد قدم من مكة، فرآها وقد أضرّ بها جفاء القيِّم عليها وتهاونه بها، وكلما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعِمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف، فقلت: الساعةَ يقول في هذا شعراً، فلم ألبث أن التفت إليّ وقال:

[الطويل]

شاهَدَ مالاً رَبُّ مالٍ فَساسَهُ ... سِياسَةَ شَهْمٍ حازِمٍ وابْنِ حازِمِ
أقام بها العَصْرَيْنِ حِيناً ولم يَكُنْ ... كَمَنْ ضَنَّ عن عُمرانها بالدَّراهم

---

(١) لا يُسَنَّى قفله: لا يفتح.
(٢) الطِّرْف: الحصان الكريم الجواد.
(٣) على أوفاز: معجل. والوفز: المكان المرتفع.

كأنَّ نَقِيضَ الليفِ عن سَعَفاتِهِ نَقِيضُ رحالِ المَيْسِ فوقَ العَياهِمِ(١)
وأضْحَتْ تغالي بالنباتِ كأنَّها على مَتْنِ شَيْخٍ من شيوخِ الأعاجِمِ(٢)
وما الأصْلُ ما رَوَّيْتَ مضرب عِرقهِ مِنَ الماءِ عن إصْلاحِ فَرْعٍ بِنائِمِ

أخبرني بهذا الخبر محمدُ بنُ مزيد عن أبي الأزهر البوشَنجيّ قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق الموصليُّ عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس بن أرطاة ـ وهو ابن أخت أبي نخيلة ـ فذكر قريباً مما ذُكر في الخبر الذي قبله.

وأخبرني عيسى بن الحسن الورّاق المَرْوَزِيُّ قال: حدثنا عليُّ بنُ محمد النَّوفَليّ قال: حدثني أبي قال: ابتاع أبو نُخَيلة داراً في بني حِمّان ليصحح بها نسبَه، وسأل في بنائها، فأعطاه الناس اتقاءً للسانه وشرّه، فسأل شبيب بن شيبة فلم يعطه شيئاً واعتذر إليه، فقال: [الرجز]

يا قَوْمِ لا تُسَوِّدوا شَبِيبا المَلْذانَ الخائِنَ الكَذوبا(٣)
هل تلدُ الذيبةُ إلا الذيبا

فقال شبيب: ما كنت لأُعطيه على هذا القول شيئاً، فإنه قد جعل إحدى يديه سطحاً، وملأ الأُخرى سلحاً، وقال: مَن وضع شيئاً في سطحي وإلا ملأته بسلحي، من أجل دار يريد أن يصحح نسبه بها، فسفر بينهما مشايخ الحيّ حتى يعطيَه، فأبى شبيبٌ أن يعطيه شيئاً، وحلف أبو نُخَيلة ألا يكفّ عن عرضه أو يأخذَ منه شيئاً يستعين به. فلما رأى شبيب ذلك خافه، فبعث إليه بما سأل، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس في مجلِسه مع قومه، فوقف عليهم، ثم أنشأ يقول: [الرجز]

إذا غَدَتْ سَعْدُ على شَبِيبِها على فَتاها وعلى خَطِيبِها
مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إلى مَغِيبِها عَجِبْتَ مِنْ كَثْرَتِها وَطِيبِها

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بن دُرَيد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال: دخل أبو نُخَيلة على عُمَر بن هُبَيْرة، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف

(١) المَيْس: التبختر. والعياهم: جمع عيهم، وهو الناقة الشديدة السريعة.
(٢) تغالي بالنبات: أي يرتفع بها النبات إلى أقصى ما يمكنه.
(٣) الملذان: المتصنّع الذي لا تصحّ مودته.

ستر، فأنشد أبو نخيلة مديحه له، ثم قال ابن هبيرة: يا أبا نخيلة، أيَّ شيء أحدثتَ بعدنا؟ فاندفع يُنشده أرجوزة لرؤبة، فلما توسطها كشف رؤبة الستر، وأخرج رأسه من تحته، فقال له: كيف أنت يا أبا نُخَيلة؟ فقطع إنشاده وقال: بخير أبا العجاج، فمعذرة إليك ما علمت بمكانك، فقال له رؤبة: ألم ننهَك أن تعرِض لشعري إذا كنتُ حاضراً، فإذا ما غبتُ فشأنك به! فضحك أبو نخيلة، وقال: هل أنا إلا حسنة من حسناتك، وتابعٌ لك، وحامل عنك؟ فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع، ولم يراجعه حرفاً. والله أعلم.

أخبرني هاشم بنُ محمد قال: حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة: أن أبا نُخَيلة قدم على المهاجر بن عبد الله الكلابي ـ وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجِسماً وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر ـ فدخل عليه فأنشده قوله فيه:

[الرجز]

يـا دارَ أُمِّ مَـالِـكٍ ألا اسْـلَـمِـي ... علـى التَّنائي من مُقامٍ وانْعَمِي
كـيـفَ أنـا إن أنْـتِ لـم تَـكَـلَّـمي ... بالـوَحْي أو كَيْفَ بأنْ تُجَمْجِمِي(١)
تَـقُـولُ لـي بِـنْـتِـي مَـلامَ الـلُّـوَّمِ ... يـا أبـتـا إنَّـكَ يـومـاً مُـؤتِـمِـي(٢)
فَـقُـلْـتُ كَـلاّ فـاعْـلَـمي ثم اعْـلَـمِي ... أنّـي لِـمـيـقـاتِ كـتـابٍ مُـحْـكَـمِ
لَـوْ كُـنْـتُ فـي ظُـلْـمَـةِ شِـعْـبٍ مُـظْـلِـمِ ... أو فـي الـسَّـمـاءِ أرْتَـقِـي بِـسُـلَّـمِ
لانْـصَـبَّ مِـقْـدارِي إلـى مُـجْـرَنْـثَـمي ... إنِّـي وَرَبِّ الـرّاقِـصـاتِ الـرُّسَّـمِ(٣)
وَرَبِّ حَـــوْضِ زَمْـــزَمٍ وَزَمْـــزَمِ ... لأَسَـتِـبِـي٢نَّ الـخَـيْـرَ عـنـد مَـقْـدَمِـي
وَعِـنْـدَ تَـرْحـالـيَ عَـنْ مُـخَـيَّـمـي ... عـلَـى ابـنِ عَـبْـدِ الله قَـرْمِ الأقْـرَمِ
فـإنَّـنـي بـالـعِـلْـمِ ذو تَـرَسُّـمِ ... لـم أدْرِ مـا مُـهـاجِـرُ الـتَّـكَـرُّمِ
حـتـى تـبـيـنـت قـضـايـا الـغُـشَّـمِ ... مُـهـاجِـرُ يـا ذا الـنَّـوالِ الـخِـضْـرِمِ(٤)
أنـتَ إذا أنْـتُـجِـعْـتَ خَـيْـرُ مُـغْـنِـمِ ... مُـشْـتَـرَكُ الـنّـائِـلِ جَـمُّ الأنْـعُـمِ

(١) جمجم في كلامه: لم يبنه.
(٢) مؤتمي: تاركي يتيمة.
(٣) المجرنثم: مستقرسي. من اجرنثم: أي سقط من علو إلى أسفل. والراقصات: هنا الإبل.
(٤) الخضرم: الكثير.

وِلِتَـمِـيـم مِـنـكَ خَـيْـرُ مُـقْـسَـمِ إذا الْـتَـقَـوْا شَـتَّـى مـعـاً كـالـهُـيَّـمِ
قَـدْ عَـلِـمَ الـشَّـأمُ وكُـلُّ مَـوْسِـمِ أنَّـكَ تَـحْـلُـو لـي كَـحُـلْـوِ الـمُـعْـجَـمِ
طَـوراً وطَـوراً أنـتَ مِـثْـلُ الـعَـلْـقَـمِ

قال، فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضباً، وقال يهجوه: [الرجز]

إن الـكـلابـيَّ الـلـئـيـم الأثـرمـا أعطى على المِدْحَةِ ناباً عِرْزِما[1]
مـا جَـبَـرَ الـعَـظْـمَ وَلَـكِـنْ تَـمَّـمـا

فبلغ ذلك المهاجر، فبعث فترضّاه، وقام في أمره بما يحب، ووصله، فقال له أبو نُخَيلة: هذه صلة المديح، فأين صلة الشَّبَه؟ فإن التشابه في الناس نسب، فوصله حتى أرضاه، فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات.

ورثاه بعد وفاته فقال: [الطويل]

خَلِيلَيَّ ما لي باليمامةِ مَقْعَدٌ ولا قُرَّةٌ لِلْعَيْنِ بعدَ المهاجِرِ
مَضَى ما مَضَى من صالحِ العَيْشِ فاربْعا على ابنِ سَبيلٍ مُزْمِعِ البَيْنِ عابِرِ
فإنْ تَكُ في مَلْحُودَةٍ يا بْنَ وائِلٍ فَقَدْ كُنْتَ زينَ الوَفْدِ زينَ المَنابرِ
وقد كُنْتَ لولا سَلُّكَ السَّيْفَ لَمْ يَنَمْ مُقيمٌ ولم تَأمَنْ سَبِيلُ المُسافِرِ
لَعَزَّ على الحَيَّيْن قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ تَبَكِّي عَلِيٍّ والوَلِيدِ وجابرِ
هَوَى قَمَرٌ مِنْ بَيْنِهِمْ فكأنَّما هَوَى البَدْرُ منْ بَيْنِ النُّجُومِ الزَّواهِرِ

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال: تزوّجت أخت أبي نخيلة برجل يقال له ميار، وكان أبو نخيلة يقوم بمالِها مع مالِه، ويرعى سَوامها مع سَوامه، ويستبدّ عليها بأكثرِ منافعها، فخاصمته يوماً من وراء خدرها في ذلك، فأنشأ يقول: [الرجز]

أظَـلُّ أرْعَـى وتَـراً هَـزِيـنـا مُـلَـمْـلَـمـاً تَـرَى لـه غُـضـونـا[2]
ذا أُبَـنٍ مُـقَـوَّمـاً عُـثْـنُـونـا يَـطْـعَـنُ طَـعْـنـاً يَـقْـضِـبُ الـوَتِـيـنـا[3]

(١) الناب العرزم: الناقة المسنة الهرمة.
(٢) الململم: المجتمع.
(٣) الأبن: العقد في العود. ويقضب: يقطع.

وَيَهْتِكُ الأعْفاجَ والرُّبِينا يَذْهَبُ ميّارُ وَتَقْعُدينا[1]
وَتُفْسِدينَ أوْ تُبَذِّرِينا وَتَمْنَحِينَ اسْتَكِ آخَرِينا
أيْرُ الحِمارِ في اسْتِ هذا دِينا

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعيُّ قال: حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال: تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته، فولدت له بنتاً، فغمه ذلك، فطلقها تطليقة ثم ندم، وعاتبه قومه فراجعها. فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأمُّها تلاعبها، فحرّكه ذلك ورق لها، فقام إليها فأخذها، وجعل ينزيها ويقول: [الرجز]

يا بنتَ مَن لَمْ يَكُ يَهْوَى بنتا ما كُنْتِ إلا خَمْسَةً أو سِتّا
حَتّى حَلَلْتِ في الحَشَى وَحَتَّى فَتَتِّ قَلْبي مِنْ جَوىً فانْفَتّا
لأنْتِ خَيْرٌ من غلامٍ أنْتا يُصْبِحُ مَخْمُوراً وَيُمْسِي سَبْتا[2]

أخبرني جعفرُ بن قُدامةَ قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزياتُ قال: حدثنا أبو هِفان قال: حدثني أصحابنا الأهتميون قالوا:

دخل عِقال بنُ شَبة المجاشعيّ على المهديّ فقال له: يا أبا الشَّيظم، مَا بقي من حبك بناتِ آدم؟ وما يعجبك منهن؟ التي عُصِبت[3] عَصْب الجانّ[4]، وجُدِلَت جَدْل العنان، واهتزتِ اهتزاز البان، أم التي بَدُنت فعظمت وكمُلت فتمَّت؟ فقال: يا أمير المؤمنين أحبُّهما إليَّ التي وصفها أبو نخيلة، فإنه كانت له جارية صغيرة وهبَها له عمُّك أبو العباس السفاح، فكان إذا غشيها صغرت عنه، وقلت تحته، فقال: [الرجز]

إنـي وَجَدْتُ الكذنا ذَنَوّكا غَيْرَ مُنيكٍ فابْغِني مُنَيِّكا
شيئاً إذا حَرَّكْتُهُ تَحَرَّكا

قال، فوهب له المهديّ جارية كاملة فائقة متأدبة رَبعة[5]، فلما أصبح عِقال غدا على المهديّ متشكراً، فخرج المهديّ وفي يده مُشط يُسرّح به لحيته وهو

(١) الأعفاج: ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة. والرّبين: جمع ربة، وهي الجوف.
(٢) أنتا: على الأغلب أنتأ خففت همزته بمعنى انتفخ كبراً. والسبت: الكثير النوم، والعارم الجريء.
(٣) عُصِبت: اكتنزت. وأصل العصب ضم المتفرّق وشده ولفّه.
(٤) الجانّ: ضرب من الحيات.
(٥) الربعة: المربوعة الخلق.

يضحك، فدعَا له عِقال وقال له: يا أمير المؤمنين مِمَّ تضحك؟ أدام الله سرورك. قال: يا أبا الشيظم، إني اغتسلت آنفاً من شيء إذا حركته تحرك، وذكرت قولك الآن لما رأيتك، فضحكت.

أخبرني محمد بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرّد قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم العجلي البرتيُّ قال: حدثني أبو هفان قال: حدثتني رقيةُ بنت حَمَل عن أبيها قال: كان أبو نخيلة مدّاحاً للجنيدِ بن عبد الرحمٰن المريِّ، وكان الجنيد له محبّاً، يكثر رفده ويقرّب مجلسه، ويحسن إليه، فلما مات الجنيد قال أبو نخيلة يرثيه: **[الطويل]**

لَعَمْري لئنْ رَكبُ الجُنَيْدِ تَحَمَّلُوا ... إلى الشَّأم من مُرٍّ وراحَتْ ركائِبُهْ
لقد غادرَ الرَّكْبُ الشآمُونَ خلفهم ... فَتًى غطَفانِياً يُعَلل جانِبُهْ
فَتًى كان يَسْرِي للعدوِّ كأنَّما ... سُروبُ القطا في كلّ يومٍ كتائِبُهْ
وكانَ كأنَّ البدرَ تحتَ لوائهِ ... إذا راحَ في جيشٍ وراحت عصائِبُهْ

أخبرنا محمدُ بنُ جعفرٍ قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم قال: حدثني أبو هِفانَ عن عبدِ الله بنِ داودَ عن عليِّ بن أبي نخيلة، قال: أبي شديد الرقة عليَّ معجباً بي، فكان إذا أكل خصني بأطيب الطعام، وإذا نام أضجعني إلى جنبه، فغاظ ذلك امرأته أمَّ حماد الحنفيةَ، فجعلت تعذله وتؤنبه، وتقول: قد أقمتَ في منزلك، وعكفتَ على هذا الصبي، وتركت الطلب لولدك وعيالك. فقال أبي في ذلك: **[الوافر]**

ولولا شَهْوَتي شَفَتَيْ عَليٍّ ... رَبَعْتُ على الصَّحابة والركابِ
ولكنَّ الوسائلَ من عليٍّ ... خَلَصْنَ إلى الفؤادِ من الحجابِ

قال، فازدادت غضباً، فقال لها: **[الوافر]**

وليسَ كأمّ حمّادٍ خليلٌ ... إذا ما الأمْرُ جَلَّ عن الخطابِ
منَعَّمَةً أرى فتقرَّ عَيْنِي ... وَتَكْفِيني خلائقُها عِتابي

فرضيت وأمسكت عنا.

حدثني عمي قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بن عبد الملك قال: حدثني سهلُ بنُ زكريا قال: حدثني عبدُ الله بنُ أحمدَ الباهليُّ قال: قال أبان بنُ عبدِ الله النميريُّ يوماً لجلسائه ـ وفيهم أبو نخيلة ـ: والله لوددت أنه قيل فيّ ما قيل في جرير بن عبد الله: **[الرجز]**

لولا جرير هَلَكَتْ بجيلَهْ ... نِعْمَ الفَتَى وَبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

وأنني أَثَبت على ذلك مالي كله، فقال له أبو نُخَيلة: هَلُم الثواب، فقد حضرني مِن ذلك ما تريد، فأمر له بدراهم، فقال: اسمع يا طالب ما يجزيه: [الرجز]

لَـوْلاَ أَبـانُ هَـلَـكَـتْ نُـمَـيْـرُ نِعْـمَ الـفَـتَـى وليـسَ فـيـهـم خَـيْـرُ

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال: حدثنا الحسنُ بنَ عُليل العَنزيُّ قال: حدثنا سَلَمةُ بنُ خالدٍ المازنيُّ عن أبي عبيدة قال: وقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر واستأذن، فلم يصل، وجعلت الخراسانية تَدخل وتخرج، فتهْزَأ به، فيرون شيخاً أعرابياً جِلفاً فيعبثون به، فقال له رجل عرفه: كيف أنت أبا نخيلة؟ فأنشأ يقول: [الرجز]

أصْبَحْتُ لا يَمْلِكُ بَعْضي بَعْضا أَشْكُو العُروقَ الآبضاتِ أَبْضا[1]
كـمـا تَشـكَّـى الأرْحَـبِيُّ الـغَـرْضـا كـأنَّـمـا كـانَ شـبـابـي قَـرْضَـا[2]

فقال له الرجل: وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة؟ فقال: [الرجز]

أكـثـرُ خـلـق الله مـن لا يُـدرَى مِـن أيّ خَـلْـقِ الله حـيـن يُـلْـقـى
وحُـلـةٌ تُـنْـشَـرُ ثـم تُـطْـوَى وَطَـيْـلَـسـانٌ يُـشـتَـرَى فَـيُـغْـلَـى
لِـعـبـدِ عَـبْـدِ أو لِـمَـوْلَـى مَـوْلَـى يـا وَيْـحَ بيـتِ الـمـالِ مـاذا يَـلْـقَـى!

وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أن أبا نخيلة قدم عَلَى أبانِ بنِ الوليد فامتدحه، فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوماً من عنده، فلقيه رجل من قومه، فقيل له: كيف وجدتَ أبانَ بن الوليد يا أبا نخيلة؟ فقال:

أكْـثَـرَ والله أبـانٌ مَـيْـرِي ومِـن أبـانِ الـخَـيْـرِ كُـلُّ خَـيْـرِي
ثَـوْبٌ لِـجِـلْـدِي وحِـرٌ لأيْـرِي

نسخت من كتاب اليوسفيّ: حدثني خالدُ بنِ حميدٍ عن أبي عمرٍو الشيبانيِّ قال: أقحمت السنَة أبا نُخَيلة فأتى القعقاع بن ضِرار - وهو يومئذٍ على شُرطة الكوفة - فمَدحه، وأنزله القعقاعُ بن ضِرار وابنَيه وعبدَيه وركابَهم في دار، وأقام لهم الأنزال، ولركابهم العُلوفَة. وكان طباخ القعقاع يجيئُهم في كلّ يوم بأربع قصاع، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم، ويأتيهم بتَمر وزُبد، فقال له يوماً القعقاع: كيف

(١) العروق الآبضات: العروق المتقبضة.

(٢) الأرحبيّ: النجيب. نسبة إلى أرحب: قبيلة، أو فحل.

منزلك أبا نخيلة؟ فقال: [الرجز]

مَـا زَالَ عَـنّـا قَـصَـعـاتٌ أرْبَـعُ شَــهْــرَيْــنِ دَأْبــاً ذُوَّدٌ ورجَّــعُ
عَـبـدايَ وابـنـايَ وشـيـخٌ يـرفـعُ كـمـا يـقـومُ الـجَـمَـلُ الـمُـطَـبَّـعُ(١)

قال: وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته تُخمة، فدخل على القعْقاع فسأله: كيف أصبحت أبا نخيلة؟ فقال: أصبحتُ والله بشماً أمرْتَ خبازك فأتاني بهذا الرّقاق الذي كأنه الثياب المبلولة، قد غمسه في الشحم غمساً، وأتبعه بزبد، كرأس النعجةِ الخُرْسية(٢)، وتمرٍ كأنه عَنز رابضة. إذا أخذْتُ التمرة مِن موضعها تَبِعها من الرُّبِّ كالسلوك الممدودة، فأمعنت في ذلك، وأعجبني حتى بَشِمتُ، فهل من أقداح جياد؟ وبين يدي القعقاع حجّام واقف وسُفرةٌ موضوعة فيها المواسي، فإذا أُتي بِشُرّاب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم. فقال له القعقاع: أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بِشرّابه؟ عليك بالعسل والماء البارد، فوثب ثم قال: [الرجز]

قـد عـلـم الـمَـظَـلُّ والـمَـبـيـتُ أنّـي مِـن الـقـعـقـاعِ فـيـمـا شِـيـتُ
إذا أتَــتْ مــائِــدَةٌ أُتِــيــتُ بــبِــدَعٍ لَــسْــتُ بــهــا غُــذِيــتُ
وُلِّيتَ فـاسْتُشْفِعْتُ واسْتُغْدِيتُ كـأنَّـنـي كـنـتُ الـذي وُلِّـيـتُ
ولـو تَـمَـنَّـيْـتُ الَّـذي أُعْـطِـيـتُ مـا ازْدَدْتُ شـيـئـاً فـوقَ مـا لَـقِـيـتُ
أيـا بْـنَ بَـيْـتٍ دونـهُ الـبُـيـوتُ أَقْـصِـرْ فـقـد فـوقَ الـقِـرى قُـرِيـتُ
مـا بـيـنَ شـرابـي عَـسَـلٌ مَـنْـعُـوتُ ولا فُــراتٌ صَــرِدٌ بَــيُّــوتُ(٣)
لٰـكِـنَّـنِـي فـي الـنَّـوْمِ قـد أُرِيـتُ رطلَ نـبـيـذٍ مُـخْـفِسٍ سُـقِـيـتُ(٤)
صُــلْــبــاً إذا جــاذَبْــتُــهُ رَوِيــتُ

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه، وأومأ إلى إسماعيل، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله، فسقاه حتى صلح.

(١) الجمل المطبَّع: المثقل بحمله.
(٢) الخرسية: نسبة إلى خراسان.
(٣) صَرِد: خالص. وبيّوت: بارد.
(٤) مخفس: شديد الإسكار.

[مدحه السفاح]

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال: حدثنا قَعنبُ بنُ المُحرزِ وأبو عمرٍو الباهليُّ قالا: حدثنا الأصمعي قال: دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس السفاح، وعنده أبو صفوانَ إسحاق بنُ مسلمٍ العُقَيليُّ، فأنشده قوله: [الرجز]

صادتْك يومَ الرَّمْلَتَيْنِ شَعْفَرُ ... وقد يَصِيدُ القانصَ المُزَعْفَرُ[1]
يا صُورَةً حَسَّنَها المُصَوِّرُ ... لِلرِّيمِ منها جِيدُها والمَحْجَرُ

يقول فيها في مدح أبي العباس:

حتى إذا ما الأوصياء عَسْكَرُوا ... وقامَ مِن تِبْرِ النَّبِيِّ الجَوْهَرُ
ومِنْ بَنِي العَبَّاسِ نَبْعٌ أصْفَرُ ... يَنميهِ فَرْعٌ طَيِّبٌ وعُنْصُرُ
أقْبَلَ بالنَّاسِ الهَوَى المُسْتَبْهِرُ ... وصاحَ في الليلِ نهارٌ أنْوَرُ
أنا الَّذِي لَوْ قِيلَ إنِّي أشْعَرُ ... جَلَّى الضَّبابَ الرَّجَزُ المُحَبَّرُ
لمَّا مَضَتْ لي أشْهرٌ وأشْهُرُ ... قلتُ لنفسٍ تُزْدَهَى فَتَصْبِرُ[2]
لا يَسْتَخِفَّنَّكَ رَكْبٌ يَصْدُرُ ... لا مُنْجِدٌ يَمْضِي ولا مُغَوِّرُ[3]
وَخالفي الأنباء فَهْيَ المَحْشَرُ ... أوْ يَسْمَعَ الخليفةُ المُطَهَّرُ
مِنِّي فإنِّي كُلَّ جُنْحٍ أخْضَرُ ... وإنَّ بالأنبارِ غَيْثاً يَهْمُرُ
وَالغيثُ يُرْجَى والديارُ تنضُرُ ... ما كانَ إلا أنْ أتاها العَسْكَرُ
حتى زهاها مَسْجِدٌ ومِنبرُ ... لم يبقَ من مَرْوانَ عينٌ تَنْظُرُ
لا غائبٌ ولا أناسٌ حُضَّرُ ... هيهاتَ أوْدَى المُنْعِمُ المُعَقِّرُ
وأمْسَتِ الأنْبارُ داراً تُعْمَرُ ... وَخَرِبَتْ مِنَ الشآم أدْوُرُ
حِمْصٌ وبابُ التِّبْنِ وَالمُوَقَّرُ ... وَدُمِّرَتْ بعدَ امتناعٍ تَدْمُرُ
وَوَاسِطٌ لَمْ يَبْقَ إلا القَرْقَرُ ... منها وإلا الدَّيْربانُ الأخْضَرُ[4]

---

(١) شعفر: اسم امرأة.

(٢) تزدهى: تحتقر، يزهى عليها ويفخر.

(٣) المنجد: السائر في النجد، وهو الأرض المرتفعة. والمغور: الماضي في الغور وهي المكان المنخفض.

(٤) حمص وباب التبن والموقَّر وتدمر وواسط والقرقر والديربان: أسماء مواضع.

ومنها:

أيـن أبـو الـوردِ وأيـنَ الـكَـوْثَـرُ

أبو الورد بن هذيل بن زفر، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان.

وأيـنَ مـروانُ وأيـنَ الأشْـقَـرُ وأيْـنَ فَـلٌّ لـم يَـفُـت مـحـيَّـرُ
وأيـن عـادِيُّـكُـمُ الـمُـجَـمْـهَـر وعـامِـرٌ وعـامِـرٌ وأعْـصُـرُ؟(١)

ـ قال: يعني عامر بنَ صعصعةَ، وعامرَ بن ربيعةَ، وأعصُرَ باهلَة وغنيٍّ ـ قال: فغضب إسحاق بن مسلم، وقال: هؤلاء كلهم في حِرِ أمك أبا نخيلة! فأنكر الخليفة عليه ذلك، فقال: إني والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شَرّاً من هذا في مجالس بني مروان. وما لَه عهد، وما هو بوفيّ ولا كريم. فبان ذلك في وجه أبي العباس، وقال له قولاً ضعيفاً: إن التوبة تغسل الحَوْبة، والحسناتِ يذهبن السيئات، وهذا شاعر بني هاشم. وقام فدخل، وانصرف الناس، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً.

[مدحه المنصور]

وأخبرني أحمد بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفيُّ: حدثنا عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ النّوفليُّ قال: حدثني أبي عن عبد الله بن أبي سُلَيم مولى عبد الله بن الحارث قال:

بينا أنا أسير مع أبي الفضل يَعني ـ سليمانَ بنَ عبد الله ـ وحدي بين الحِيرة والكوفة ـ وهو يريد المنصور، وقد همّ بتولية المهدي العهدَ وخلْعِ عيسى بن موسى، وهو يَرُوض ذلك، إذا هو بأبي نُخَيلة الشاعرِ، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه. فقال له: يا أبا نُخَيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بنِ معبَد أحدِ ولد معبَد بن زُرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهديّ العهدَ ونزعِ عيسى بنِ موسى، فسألني التحول عنه، لئلا ينالَه مكروه من عيسى إذ كان صنيعته، فقال سليمان: يا عبدَ الله، اذهب بأبي نُخَيلة فأنزله منزلاً وأحسِنْ نُزُله وبِرّه، ففعلت. ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر،

(١) المجمهر: المجموع.

فلما كان يوم البَيعة جاء بأبي نُخَيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي يقول فيها:

بَل يا أمينَ الواحِدِ المُوَحَّدِ ... إنّ الَّذِي ولاكَ ربُّ المَسْجِدِ
لَيْسَ وَلِيُّ عهدنا بالأسعَدِ ... عيسى فَزَحْلِفْها إلى مُحَمَّدِ(١)
من عندِ عيسى معهداً عن معهدِ ... حتّى تُؤدَّى منْ يَدٍ إلى يَدِ

قال: فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وبايع لمحمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله. قال: فحدثني داودُ بنُ عيسى بن موسى قال: جمعَنا أبي فقال: يا بَنيّ، قد رأيتم ما جرى، فأيُّما أحبُّ إليكم: أن يقال لكم: يا بَني المخلوع، أو يقال لكم: يا بني المفقود؟ فقلنا: لا، بل يا بَني المخلوع. فقال: وُفِّقتم بَنِي. وأول هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها: [الرجز]

لم يُنْسِني يابْنَةَ آلِ مَعْبَدِ ... ذكراكِ تَكْرارُ الليالي العُوَّدِ
ولا ذواتُ العَصَب المُوَرَّدِ ... وَلَوْ طَلَبْنَ الوُدَّ بالتَّوَدُّدِ(٢)
ورُحْنَ في الدُّر وفي الزَّبَرْجَدِ ... هَيْهَاتَ مِنْهُنَّ وإنْ لَمْ تَعْهَدِي
نَجْدِيَّةٌ ذاتُ مَغانٍ مُنْجِدِ ... كأنَّ ريّاها بُعَيْدَ المَرْقَدِ(٣)
ريّا الخُزَامَى في ثَرَى جَعْدٍ نَدِي ... كَيْفَ التَّصابِي فِعلَ مَنْ لم يَهْتَدِ(٤)
وقد عَلَتْني دِرة بادِي بَدِي ... وَرَثْيَةٌ تَنْهَضُ في تَشَدُّدِي(٥)
بَعْدَ انتهاضِي في الشبابِ الأمْلَدِ(٦)

يقول فيها:

إلى أمِيرِ المؤمنينَ فاعْمِدِ ... إلى الَّذي يُندي ولا يَندَى نَدِي(٧)
سِيرِي إلى بَحْرِ البحارِ المُزْبِدِ ... إلى الَّذي إنْ نَفِدَتْ لم يَنْفَدِ

(١) زحلفها: قدمها.
(٢) العصب: ضرب من برود اليمن.
(٣) مغانٍ: مفردها مغنى، وهو منزل.
(٤) الجعد: الندي.
(٥) الدرّة: هنا الشيب. وهي في الأصل سيل اللبن. والرثية: وجع المفاصل واليدين والرجلين. وبادي بدي: أولاً.
(٦) الأملد: الناعم.
(٧) يندي: يكثر العطاء.

أو ثَـمَّـدتْ أشـراعـهـا لـم يَـثْـمِـدِ[١]

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر: [الرجز]

فـقـد رضـيـنـا بـالـغـلام الأمْـرَدِ وقـد فَـرَغْـنـا غـيـرَ أنْ لَـمْ نَـشْـهَـدِ
وَغَـيْـرَ أنّ الـعَـقْـدَ لَـمْ يُـؤكَّـدِ فـلـو سَـمِـعْـنـا قـولـكَ امْـدُدِ امْـدُدِ
كـانَـتْ لـنـا كَـزَعْـقَـةِ الـورْدِ الـصَّـدِي فـنـادِ لِـلْـبَـيْـعَـةِ جَـمْـعـاً نَـحْـشُـدِ[٢]
فـي يـومـنـا الـحـاضـر هـذا أو غـدِ واصـنـع كـمـا شـئـتَ ورُدَّ يُـرْدَدِ
وَرَدِّهِ مـنـكَ رداءً يَـرْتَـدِ فَـهْـوَ رِداءُ الـسّـابِـقِ الـمُـقَـلَّـدِ
وكـان يَـرْوِي أنّـهـا كـأنْ قَـدِ عـادَتْ ولـو قـد نُـقِـلَـتْ لـم تُـرْدَدِ
أقـولُ فـي كَـرِّي أحـاديـثَ الـغَـدِ لله دَرِّي مِـنْ أخٍ وَمُـنْـشِـدِ
لـو نِـلْـتُ حَـظَّ الـحَـبَـشِـيِّ الأسْـوَدِ

- يعني أبا دُلامة.

فأخبرني عبدُ الله بنُ محمدٍ الرازيُّ قال: حدّثنا أحمدُ بنُ الحارثِ قال: حدّثنا المدائنيُّ أن أبا نُخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة، وتناشدتها العامة، فبلغت المنصور فدعا به، وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه، فأنشده إياها، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها. قال أبو نخيلة: فجعلتُ أرى فيه السرور، ثم قال لعيسى بن موسى: ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررتَ عمك، وبلغتَ من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السارّ. فقال عيسى: لقد ضَلَلتُ إذاً وما أنا من المهتدين. قال أبو نخيلة: فلما خرجتُ لحِقَني عِقالُ بنُ شبة فقال: أمّا أنت فقد سررتَ أمير المؤمنين، ولئن تم الأمر فلعمري لتصيبَنَّ خيراً، ولئن لم يَتم فابتغِ نَفَقاً في الأرض، أو سُلَّماً في السماء. فقلت له:

عَـلِـقَـتْ مـعـالـقـهـا وَصَـرّ الـجُـنْـدُبُ[٣]

(١) أشراعها: مواردها. وثمّدت: نزفت.
(٢) الورد: القوم يردون الماء. ونحشد: نجتمع.
(٣) علقت معالقها وصرّ الجندب: مثل معناه: قد وجب الأمر ونشب. وأصله أن رجلاً انتهى إلى بئر وعلق رشاؤه برشائها، ثم صار إلى صاحب البئر فادعى جواره، فقال له: وما سبب ذلك؟ فقال: علقت رشاني برشائك، فأبى صاحب البئر وأمره بالرحيل، فقال: علقت معالقها. والضمير في علقت للدلو، أو للأرشية. والمعالق جمع معلق وهو موضع العلوق. وصَرَّ الجندب: صوت.

قال المدائني: وحدثني بعض موالي المنصور قال: لما أراد المنصور أن يعقِد للمهديّ أحبّ أن تقول الشعراء في ذلك، فحدثني عبدُ الجبار بنُ عُبيد الله الحِمانيُّ قال: حدّثني أبو نخيلة قال: قدمتُ على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثي: يا أبا نُخَيلة، إن أمير المؤمنين يريد أن يقدّم المهديَّ بين يدَي عيسى بنِ موسى، فلو قلتَ شيئاً تحثه على ما يريد. فقلت:

[الرجز]

ماذا على شَحْطِ النَّوَى عناكا أم ما مَرَى دَمْعَكَ مِنْ ذكراكا؟[1]
وَقَدْ تَبَكَّيْتَ فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها:

خَلِيفَةَ الله وأنْتَ ذاكا أسْنِدْ إلى مُحَمَّدٍ عَصاكا
فأحْفَظُ النّاسِ لَها أدناكا وابنُكَ ما اسْتَكْفَيْتَهُ كَفاكا
وكُلُّنا منتظِرٌ لِذاكا لو قُلْتَ هاتُوا قلتُ هاك هاكا

قال: فأنشدته إياها، فوصلني بألفي درهم، وقال لي: احذر عيسى بنَ موسى، فإني أخافه عليك أن يغتالك. قال المدائنيّ: وخلَع أبو جعفر عيسى بنَ موسى، فبعث عيسى في طلب أبي نخَيلة، فهرب منه، وخرج يريد خراسان، فبلغ عيسى خبرُه، فجرّد خلفَه مولى له يقال له: قَطَريّ، معه عِدّة من مواليه، وقال له: نَفْسَك نفسك أن يفوتك أبو نُخَيلة، فخرج في طلبه مُغِذّاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه.

ونسخت من كتاب القاسم بنِ يوسفَ عن خالدِ بنِ حَمَل أنّ عليّ بن أبي نخيلة حدّثه أنّ المنصور أمر أبا نَخيلة أن يهرُب إلى خراسان، فأخذه قَطَريّ وكتفَه فأضجعه، فلما وضع السكين على أوداجه قال: إيه يابن اللخناء[2]، ألست القائل:

عَلِقَتْ مَعالِقَها وَصَرَّ الجُنْدُبُ

الآن صَرّ جندُبُك. فقال: لعن الله ذاك جندُباً، ما كان أشأم ذكره! ثم ذبحه

---

(١) شحط النوى: بعد الفراق. ومَرَى: أسال.
(٢) اللخناء: ذات الفرج النتن، أو التي لم تختن. واللخن: قبح ريح الفرج. وقوله: يابن اللخناء سبّ كانت العرب تستعمله حين تريد اللم.

قَطَري، وَسلخ وجهه، وألقى جسمه إلى النّسور، وأقسم لا يريم مكانَه حتى تمزّق السباع والطيور لحمه، فأقام حتى لم يبق منه إلا عظامه، ثم انصرف.

أخبرنا جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثنا أبو حاتم السجِستانيُّ قال: حدثني الأصمَعي عن سعيد بنِ سَلْم عن أبيه قال: قلت لأبي الأبرش: مات أبو نُخَيلة، قال: حتفَ أنفه؟ قلت: لا، بل اغتيل فقتل. فقال: الحمد لله الذي قطع قلبَه، وقبض روحه، وسفك دمه، وأراحني منه، وأحياني بعده. وكان أبو نخيلة يهاجي الأبرش، فغلبه أبو نُخَيلة.

صوت

[مجزوء الكامل]

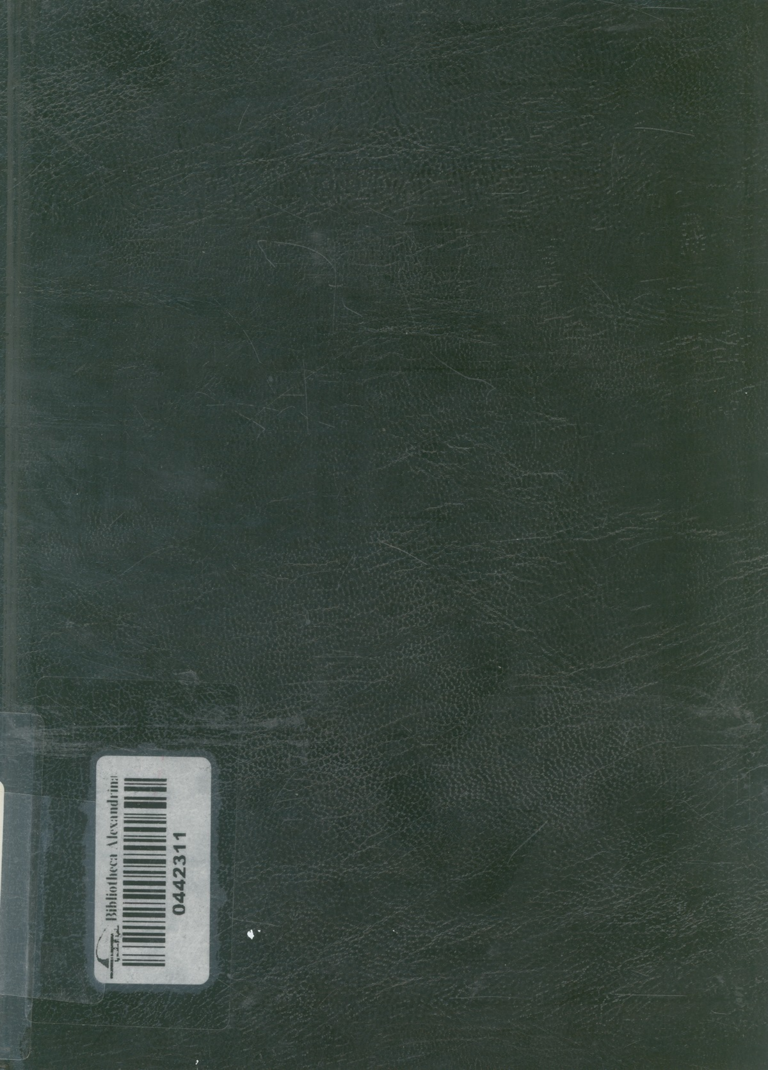
ولـقـد دَخَـلْـتُ عـلـى الـفـتـا ... ةِ الـخِـدْرَ فـي الـيَـوْمِ الـمَـطِـيـرِ
فَـدَفَـعْـتُـهـا فَـتَـدافَـعَـتْ ... مَـشْـيَ الـقَـطـاةِ عـلـى الـغَـدِيـرِ
فَـلَـثَـمْـتُـهـا فَـتَـنَـفَّـسَـتْ ... كَـتَـنَـفُّـسِ الـظَّـبْـيِ الـبَـهِـيـرِ[1]

الشعر للمنخّل اليشكري، والغناء لإبراهيم، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرٍو وأحمد المكيّ.

تم الجزءُ العشرون من كتاب الأغاني ويليه إن شاء الله تعالى الجزءُ الحادي والعشرون وأَوله: أَخبار المنخَّل ونسبه.

(١) الظبي البهير: المنقطع النفس.

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
04442311